جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف
محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الإيجي الشيرازي الشافعي
المتوفى ٩٠٥ هـ

ومعه

حاشية

محمد بن عبد الله الغزنوي
المتوفى ١٢٩٦ هـ

تحقيق
الدكتور عبد الحميد هنداوي
المدرس بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الجزء الثاني

المحتوى:
من أول سورة الأنفال - إلى آخر سورة طه

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

سورة الأنفال مدنية

وهي خمس وسبعون آية وعشر ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفَالِ﴾ أي: حكم الغنائم نزلت[1] حين اختلف كلام الشبان

---

(١) رواه الترمذي والحاكم، وقالا: حسن صحيح، وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن حبان/١٢منه [صححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٤٦٠)].

والشيوخ في غنائم بدر، والشبان ادعوا الأحقية بأنهم باشروا القتال ﴿قُلِ الأنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ : فيضعها الرسول حيث يأمره الله، ولذلك قسم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غنائم بدر بين الشبان والشيوخ على السواء، وعن بعض: إن هذا في بدر ثم نسخت بقوله: "واعلموا أنما غنمتم" إلى آخره، فإن غنائم بدر قسمت من غير تخميس وفيه نظر؛ لأن بعض الأحاديث يدل على تخميسها[1] صريحًا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ : في الاختلاف ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ : الحال[2] التي بينكم بترك المنازعة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن من مقتضى الإيمان طاعة الله ورسوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ : بأن سمعوا الأذان والإقامة ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ : من الله[3] فأدوا فرائضه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ : تصديقًا ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ : لا يرجون غيره، وإن سألوا غيره، فإنهم يعلمون أنه المعطي والمانع ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ : يديمونها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ : يؤدون الصدقة الواجبة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ : صدقًا من غير شك، صفة مصدر محذوف أي: إيمانًا حقًا، أو مصدر مؤكد، بخلاف المنافق، فإنه لا يدخل في قلبه شيء من ذكر الله تعالى عند الصلوات، ولا يصدقون بآيات الله تعالى كلما نزلت، فلا يزداد إيمانهم،

---

(١) كحديث علي بن أبي طالب في شارفيه اللذيْن حصلا له من الخمس يوم بدر/١٢منه [أخرجه البخارى فى "فرض الخمس" (٣٠٩١)، ومسلم فى "الأشربة" (٤/٦٥٨)ط الشعب].

(٢) لما كانت الأحوال ملابسة للبين، قيل لها: ذات البين، كاسقني ذا إناءك، ونحو: ذات الصدور أي: مضمراتها/١٢منه.

(٣) قال السدي ومجاهد هو الرجل هم بمعصية، فيقال له: اتق الله فيجل قلبه/١٢منه [ذكره الشيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٢٩٧) وعزاه لابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبى الشيخ والبيهقى فى "شعب الإيمان"].

ولا يصلون إذا غابوا عن محضر المسلمين، ولا يؤدون الزكاة، فهم ليسوا بمؤمنين حقًا، هكذا فسرها ابن عباس -رضي الله عنهما-، أو معناها المؤمن الكامل الإيمان من ضم إلى مكارم أعمال قلبه من الخشية عند ذكر الله تعالى من الإخلاص، واطمئنان النفس ورسوخ اليقين، ومن التوكل عليه في جميع الأمور، محاسن أفعال الجوارح، من الصدقة والصلاة **﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾** : من الجنة **﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** يرتقونها بأعمالهم لا للمنافقين **﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾** لسيئاتهم **﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ[1]﴾** : حسن، وهو رزق الجنة.

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: الحال في كراهتهم القتال كحال إخراجك من المدينة، أو متعلق بما بعده، وهو يجادلونك[2] ومعنى الوجهين واحد، أو تقديره: حالهم في كراهة حكمنا بأن الأنفال لله تعالى كحالهم في حكمنا بإخراجك من المدينة **﴿بِالْحَقِّ﴾** أي: إخراجًا متلبسًا بالحكمة والصواب **﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** : بعضًا منهم **﴿لَكَارِهُونَ﴾** : الخروج و حينئذ الجملة في موقع الحال، وذلك أن عير قريش أقبلت[3] من الشام في تجارة عظيمة، فخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في عقبهم، فبلغ الخبر أهل مكة، فخرج أبو جهل مع عسكر عظيم، فأراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القتال ووعد الأصحاب بالظفر فقال بعضهم: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له، ثم واجهوا العدو وقاتلوا في بدر، والظفر للمسلمين **﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾** : وهو إيثار الجهاد **﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾** : نصرتهم بإعلام رسول

---

(١) لما تقدمت ثلاث صفات: قلبية وبدنية ومالية، رتب عليه ثلاثة أشياء فقوبلت القلبية بالدرجات والرفعة، والبدنية بغفران الذنوب التي ارتكبتها الجوارح، والمالية بالرزق الكريم من مستلذات الجنة/١٢وجيز.

(٢) أي: يجادلونك في إيثارك الجهاد جدالا مثل جدالهم حين أخرجك ربك... إلخ/١٢منه.

(٣) كذا نقل ابن مردويه وابن أبي حاتم وغير واحد من الرواة/١٢منه [ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٢٩٩/٣)].

الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: يكرهون القتال كراهة من يجر إلى القتل، وهو مشاهد ناظر إلى أسبابه ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾ أي: اذكر إذ يعدكم ﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ : العير التي فيها التجارة، أو النفير التي خرجت من مكة ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل اشتمال من ثاني مفعوليه، وهو إحدى ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ أي: العير التي ليس فيها عدد كثير ولا عُدَد ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ﴾ : أن يثبت ويظهر ﴿الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ : بأمره إياكم بالقتال، قيل الباء بمعنى مع أي: يرفع كلمة الله ويجعل دينه عاليًا غالبًا ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ الدابر: الآخر، وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال، يعني إرادتكم إصابة مال بلا مكروه، وإرادة الله إعلاء كلمته، وفوز الدارين لكم ﴿لِيُحِقَّ[1] الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ متعلق بمحذوف أي: لهذين الجهتين فعلنا ما فعلنا أو متعلق بيقطع ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ : ذلك ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾ : هو إلحاح دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- حين رأى شوكة الأعداء، وهو بدل من إذ يعدكم بأن يكون عبارة عن زمان واسع وقع الوعد في بعض أجزائه والاستغاثة في بعض، أو متعلق بـ"ليحق" ﴿رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ[2] لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ﴾ أي: بأني ومن قرأ "إني" بالكسر فعلى إرادة

---

(١) قوله "يريد الله" لبيان الفرق بين الإرادتين، وقوله: "ليحق الحق ويبطل الباطل"، لبيان أنه لم يفعل ما فعل إلا لهذا الغرض الصحيح، والحكمة الباهرة كقولك: أريد أن أكرمك، لإكرامك أنعمت عليك بما أنعمت، فلا تكرار بوجه/١٢.

(٢) هو إلحاح دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- حين رأى شوكة لأعدائه، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب، أن عدد المشركين يوم بدر ألف، وعدد المسلمين ثلاث مائة وسبعة عشر رجلا، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما رأى ذلك استقبل القبلة ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، وآتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم =

القول، أو استجاب بمترلة قال **﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾** : متتابعين بعضهم على إثر بعض، أو مردفين بألف آخر فقد نقل[1] عن علي رضي الله عنه-: إن جبريل في ألف عن ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم- وفيها أبو بكر وميكائيل في ألف عن ميسرته وأنا فيها، ومن قرأ بفتح الدال فمعناه أردف الله المسلمين بهم، أو أردف الله ألفًا بألف آخر وقد أنزل الله تعالى أولا ألفًا ثم ألفًا ثم ألفًا إلى خمسة آلاف كما ذكرناه في سورة آل عمران **﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾** أي: الإمداد **﴿إِلا بُشْرَى﴾**: بشارة **﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾** فيزول منها الوجل **﴿وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾** وإمداد الملائكة وكثرة العدد والعُدَد وسائط لا تأثير لها **﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾** : لا يغالب **﴿حَكِيمٌ﴾** في أفعاله.

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ

= التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك"، فأنزل الله عز وجل هذه الآية/١٢ [أخرجه مسلم فى "الجهاد" (٣/٣٧٤) ط الشعب].

(١) رواه بن جرير/١٢منه.

وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾ : الله **﴿النُّعَاسَ﴾** بدل ثان من إذ يعدكم أو بإضمار اذكر **﴿أَمَنَةً﴾** : أمنا وهو مفعول له وفيه شرط[١] النصب؛ لأن حاصل معنى يغشيكم النعاس تنعسون والأمنة فعل لفاعله **﴿مِنْهُ﴾** أي: حاصلة من الله تعالى وهذه السِّنَة[٢] في البدر أيضًا ففي الصحيح أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مع الصديق يدعوان يوم بدر في العريش أخذته سنة ثم استيقظ متبسمًا وقال: أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع، وعن علي[٣] –رضي الله عنه– قال: لقد رأينا يوم بدر وما فينا إلا نائم إلا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يصلي ويبكي حتى أصبح **﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾** : من الجنابة والحدث **﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ**

---

(١) وهو أن يتخذ فاعله وفاعل عامله/١٢.

(٢) يعني حكاية النعاس في أحد مشهورة، وفي البدر على ما نقلناه من الصحيح فهو نعاس خاصة برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأما على ما نقل الحافظ أبو يعلى عن علي –رضي الله عنه– فالأمر ظاهر، وفي الجملة القرآن دال على أن النعاس في بدر أيضًا كما كان في أحد، إلا كما قال الواحدي في الوجيز/١٢منه[ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٣١٣) وعزاه للبيهقى فى "الدلائل" من طريق عكرمة عن ابن عباس –رضى الله عنه].

(٣) رواه الحافظ أبو يعلى/١٢منه[ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٣١٠) وعزاه لأبى يعلى والبيهقى فى "الدلائل"].

﴿الشَّيْطَانِ﴾: وسوسته، فإنهم في البدر نزلوا على غير الماء، فاحتلم[1] أكثرهم وقد غلب الكفار على الماء، وقد وسوس إليهم الشيطان بأنكم تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسول الله وحينئذ تصلون على جنابة، فأنزل الله تعالى المطر، وسال الوادي ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ بالصبر واليقين ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾ : بسبب المطر والربط ﴿الأَقْدَامَ[2]﴾ على المحاربة يعني قوى[3] قلوبهم، وشجعهم أو المطر لبد[4] الرمل بحيث لا يغوص أرجلهم فيه، فثبت أقدامهم، فإنهم في كثيب أعفر[5] تسوخ فيه الأقدام ﴿إِذْ يُوحِي﴾ بدل ثالث أو بإضمار اذكر ﴿رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ : بالعون والنصر، وهو مفعول يوحي، وعند بعضهم أن الخطاب مع المؤمنين أي: أوحى للملائكة أن يقولوا للمؤمنين: إن الله معكم ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ببشارة النصر، أو بتكثير سوادهم، ومحاربة أعدائهم ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ : الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ أي: الرؤوس أو أعاليها، وهي المذابح، قال ربيع

---

(١) هذا ما روى عن ابن عباس، وفي الفتح: إن المشهور في كتب السير المعتمدة أن المشركين لم يغلبوا المؤمنين على الماء، بل المؤمنون هم الذين غلبوا عليه من الابتداء وهذا المروي عن ابن عباس في إسناده العوفي، وهو ضعيف جدًا/١٢[ذكره السيوطى فى "الدر المنثور (٣/٣١١) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ من طريق ابن جرير عن ابن عباس - رضى الله عنه].

(٢) بدأ بلام العلة في فعل جسماني هو التطهير، وعطف عليه من غير لام العلة ما هو لازم التطهير، ثم عطف باللام ما هو فعل محله القلب، وعطف عليه بغير اللام ما هو من لازمه فما أفصح أداء/١٢وجيز

(٣) على الوجه الأول: تثبيت الأقدام مجاز، وعلى الثاني: حقيقة/ ١٢منه.

(٤) هكذا روي عن عَروة بن الزبير ومجاهد/١٢منه[ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٣١١) وعزاه لابن إسحاق وابن أبي حاتم].

(٥) الأعفر: رمل أبيض يخالط حمرة، وتسوخ: تغيب/١٢.

بن أنس: كان الناس يعرفون قتلى الملائكة من قتيلهم، بضرب فوق الأعناق، وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق بها ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: أصابع أو كل طرف ومفصل، قيل: الخطاب في قوله فاضربوا للمؤمنين، والأكثرون على أنه للملائكة ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الضرب أو الأمر به ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ : خالفوهما، تركوا الشرع فصاروا في شق[1] ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ : له ﴿ذَلِكُمْ﴾: الخطاب مع الكفرة أي: الأمر ذلكم، أو ذلكم العذاب ﴿فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ عطف على ذلكم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ الزحف: الجيش الكثير منصوب على الحال ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ بالانهزام[2] ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ : يوم القتال مطلقًا، أو يوم قتال البدر خاصة ﴿دُبُرَهُ﴾: فانهزم ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ : يفر مكيدة، ليرى أنه خاف، فيتبعه العدو فيكر عليه ويقتله ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾ فر من ههنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونونه، حتى لو كان في سرية ففر إلى أميره أو إمامه الأعظم لجاز، ونصب متحرفًا ومتحيزًا على الحال، أو استثناء من المولين أي: إلا رجلا متحرفًا

---

(١) أي جانب غير شق المؤمنين/١٢.

(٢) ذهب الجمهور إلى أن الآية محكمة عامة غير خاصة، وأن الفرار من الزحف محرم، ويؤيد هذا أن هذه الآية نزلت بعد انقضاء الحرب في يوم بدر، والإشارة في يومئذ إلى يوم الزحف كما يفيده السياق، ولا منافاة بين هذه الآية وآية الضعف بل هذه الآية مقيدة بها، فيكون الفرار من الزحف محرمًا بشرط ما بينه الله تعالى في آية الضعف، ولا وجه لما ذكروه من أنه لم يكن في الأرض يوم بدر مسلمون غير من حضرها، فقد كان في المدينة إذ ذاك خلق كثير لم يأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالخروج؛ لأنه -صلى الله عليه وسلم- ومن خرج معه لم يكونوا يرون في الابتداء أنه سيكون قتال، ويؤيد هذا ورود الأحاديث الصحيحة بأن الفرار من الزحف من جملة الكبائر/١٢فتح[الحديث أخرجه البخارى فى "الطب" (٥٧٦٤) وفى غير موضع من صحيحه، ومسلم فى "الإيمان"].

﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ : رجع ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: جهنم، أكثر السلف على أن هذا في يوم البدر خاصة[1]، ولهذا "قال[*] رسول الله -صلى الله عليه وسلم فيه: "اللهم إن تهلك هذه العصابة، فلن تعبد في الأرض أبدًا"، وأما في سائر الحروب فجاز الفرار إذا كان الكفار أكثر من مثليهم[2] وعن بعض الفرار مطلقًا حرام وكبيرة إلا عن هذين السببين[3]، وعن بعض هذا خاصة الصحابة ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ تقديره: إن فخرتم بقتلهم يوم بدر، فلم تقتلوهم بقوتكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ[4] قَتَلَهُمْ﴾ : بأن أظفركم عليهم، وأرسل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم، نزلت حين انصرفوا عن القتال يتفاخرون، يقولون: قتلنا فلانًا أو أسرنا فلانًا، فهو تعالى يبين أنه خالق أفعالهم وأنه المحمود على جميع خير صدر عنهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: يا محمد قبضة التراب في أعينهم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ أتيت بصورة الرمي ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى[5]﴾ أتى بما هو غاية الرمي، فصورة الرمي منك، وحقيقتها مني كأنه قال: ما رميت خلقًا إذ رميت كسبا،

---

(١) فيه إشكال، فإن الآية نزولها إن كانت قبل وقعة بدر لها فائدة لكن ما قبل الآية وما بعدها صريح في أن نزولها بعد وقعته، إلا أن يقال: مضمونها وحكمها قبل كما في "فثبتوا الذين آمنوا سألقى" لكن لفظها للامتنان بعد تأمل فإنك لا ترى مفسرًا حام حول تحقيقها/١٢وجيز.

(*) تقدم تخريجه.

(٢) كما قال تعالى: "علم أن فيكم ضعفًا" الآية/١٢وجيز.

(٣) وفي الصحيحين وغيرهما أحاديث دالة على أن الفرار مطلقًا من الكبائر/١٢ منه، وهذه الآية دالة على أن تلك الكبيرة سبب لخلود جهنم فإن تلك العبارة لا يحتمل إلا بالخلود كما في صورة قتل المتعمد بغير حق، وصورة الحيف في الإرث/١٢وجيز.

(٤) فإن قتيل الملك يباين قتيل الصحابة كما عرف الصحابة/١٢وجيز.

(٥) إلى أعينهم، وأوصله إليها وأن هذا ليس من جنس أفعال البشر، هذا هو معنى القرآن إن شاء الله، وقد صح عن علي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهما، أن الرمية كانت يوم بدر كما كانت يوم حنين مثلا بمثل/١٢وجيز.

"وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أخذ قبضة من تراب، بتعليم جبريل عليه السلام فرمى بها وجوه الأعداء، قائلا: شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا وامتلأت عينه منها"(*)، فاشتغلوا بأعينهم فردفهم المؤمنون بالقتل والأسر، وهذه الرمية ليست من جنس أفعال البشر وقوتهم ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ تقديره: ولكن الله رمى لفوائد كثيرة وليبلي ﴿الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ﴾ : من الله ﴿بَلاءً حَسَنًا﴾ أي: ولينعم عليهم نعمة حسنة عظيمة بالنصر، ومشاهدة الآيات فيشكروا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ : بدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائرهم ﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة إلى البلاء الحسن، وتقديره: الأمر والحكمة ذلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الحكمة إبلاء المؤمنين، وإبطال حيل الكافرين ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ المشركون حين خرجوا تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الحزبين وأهدى الفئتين، أو قال أبو جهل يوم بدر: اللهم أهلك أيتنا[١] أقطع للرحم، فيقول تعالى: إن طلبتم الفتح للأكرمين أو لواصل الرحم، فقد استجاب الله تعالى، فالخطاب على سبيل التهكم ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ عن الشرك ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ : إلى الكفر والمحاربة ﴿نَعُدْ﴾ لكم بمثل وقعة بدر ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ﴾ : ترفع ﴿عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ : جماعتكم ﴿شَيْئًا﴾ من الإغناء أو المضار ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ فئتكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : بالنصر[٢]، فلا يغلبون، ومن قرأ "أن" بفتح الهمزة تقديره: لأن الله مع المؤمنين وقعت تلك الواقعة.

(*) أخرجه مسلم فى "الجهاد والسير" (٣/٤٠٩) ط الشعب.

(١) رواه أحمد والنسائي، والحاكم وصححه/١٢وجيز [أخرجه أحمد (٥/٤٣١) والحاكم (٢/٣٢٨) وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه" وأقره الذهبى. وذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٣١٨) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم].

(٢) بالنصر في الدارين، ولما مَنَّ على المؤمنين بإهلاك أعدائهم وتداوي دائهم، حثهم على الطاعة وعدم مشابهة الأعداء فقال: "يا أيها الذين آمنوا"/١٢وجيز.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٢١ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢٥ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٢٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٢٨ ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ لا تتولوا عن الرسول، ولا تعرضوا عنه، فإن طاعته طاعة الله تعالى **﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾** القرآن أي: بعد ما علمتم وأجبتم داعي الله **﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾** هم الكفرة أو المنافقون **﴿وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾** سماع انتفاع، فكأنهم ما سمعوا، أو معناه يقولون: أطعنا وهم لا يطيعون.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ : جميع الحيوانات **﴿عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾** : عن الحق **﴿الْبُكْمُ﴾** عن التكلم به **﴿الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾** فهذا الضرب من بني آدم شر الخلائق **﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾** : انتفاعًا بالآيات **﴿لأَسْمَعَهُمْ﴾** : إسماع تفهيم **﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾** وقد علم ألا خير فيهم **﴿لَتَوَلَّوْا﴾** : ما صدقوا وما انتفعوا به، فكيف على تقدير عدم

الإسماع، كقوله: نعم العبد صهيب، ولو لم يخف الله لم يعصه ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ[1]﴾ : عنه عنادًا بعد الفهم، أو معناه وهم قوم عادتهم الإعراض عن الحق ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ وحَّد الرسول لأن دعوة الله تسمع من رسوله ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي: الإيمان فإنه يورث الحياة الأبدية، أو القرآن فيه الحياة والنجاة، أو الشهادة فإنهم أحياء عند الله يرزقون، أو الجهاد فإنه سبب بقائكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ : بين[2] المؤمن وكفره وبين الكافر وإيمانه، أو يحول حتى لا يدري ما يعمل، أو حتى لا يستطيع أن يعزم على شيء إلا بإذنه، أو تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد"ق:١٦. ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لجزاء الأعمال.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً[3]﴾ حذر الله المؤمن عن محنة تعم المسيء وغيره، لا تخص من باشر الذنب، والفتنة إقرار المنكر بين أظهرهم والمساهلة في

---

(١) يعني هم على طبع لا يمكن أن يتأتى منهم الإيمان، إلا إن أزال الله منهم هذا الطبع بالتبديل، فالأسباب لا دخل لها في إيمانهم ومجرد الإراءة من غير تبديل لا يفيد أيضًا/١٢.

(٢) عن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالوا: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء"أخرجه الترمذي، لباب التأويل المعروف بالخازن [وصححه الشيخ الألبانى فى "ظلال الجنة" وأخرجه الترمذى (٢٧٦٨) من حديث أم سلمة وصححه الشيخ الألبانى وأصل الحديث عند مسلم (٥/٥٠٩) ط الشعب من حديث عمر بن العاص].

(٣) في مسند الإمام أحمد، أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب العامة والخاصة"/١٢وجيز[أخرجه أحمد فى "مسنده" (٤/١٩٢)

=

الحسبة، بمعنى لا تصيبن وبالها، أو نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وما وقع عليهم يوم الجمل بعد شهادة عثمان -رضي الله عنهم- أو في قوم مخصوصين من الصحابة أصابتهم الفتنة يوم الجمل، والأول أصح، وقوله "لا تصيبن" إما جواب الأمر على مذهب الكوفيين فتقديره إن لا تتقوا لا تصب الظالمين خاصة، ودخول النون لما فيه من معنى النهي، كأن إصابة الفتنة إليهم خاصة مطلوب، وإما صفة فتنة ولا للنهي؛ لأن النون لا تدخل المنفي في غير القسم بتقدير القول أي: فتنة مقولا في حقها **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**.

﴿وَاذْكُرُوا﴾ : يا معشر المهاجرين **﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾** : في العدد **﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾** بمكة قبل الهجرة **﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾** : يذهب بكم، ويعدمكم كفار قريش أو كفار سائر البلاد **﴿فَآوَاكُمْ﴾** إلى المدينة **﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾** على الأعداء يوم بدر وغيره **﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾** الغنائم، وكانت لا تحل للأمم السابقة **﴿لَعَلَّكُمْ[1] تَشْكُرُونَ﴾** : لكي تشكروا نعمة، والآية خطاب للعرب كافة لا للمهاجرين خاصة، فإن العرب كانوا أذل الناس وأجوعه وأعراه وأضله، حتى جاء الله بالإسلام فمكنهم في البلاد، وسلطهم على العباد وجعلهم ملوكًا شرفاء، وصيرهم مترفهين أغنياء **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾** بترك فرائض الله وسننه، أو بما تضمروا خلاف ما تظهرون **﴿وَتَخُونُوا﴾** داخل في النهي، أو نصب

= وذكره الهيثمى فى "المجمع" (٢٦٧/٧) وقال: رواه أحمد من طريقين ورواه الطبرانى وفيه رجل لم يسم وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات. وذكره الحافظ فى "الفتح" (٦/١٣)، وحسنه وعزاه لأبي داود].

(١) ولما مَنّ عليهم بما مَنّ بعد أن كانوا في قلة وذلة، نصحهم بألا يفتنوا بعده بإيثار المال والولد على محبة الله، فإنه ينافي الشكر فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا" الآية/١٢ وجيز.

بإضمار أن ﴿أَمَانَاتِكُمْ﴾ أي: لا تنقضوا كل عمل ائتمن الله عليه العباد، أو لا تخونوا أماناتكم فيما بينكم بأن لا تحفظوها ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها أمانة، أو أنتم[1] علماء، قال كثير من السلف: نزلت[2] في أبي لبابة حين حاصر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قريظة وأمرهم أن يترلوا على حكم سعد فاستشار قريظة من أبي لبابة في الترول على حكم سعد، وكان أهل أبي لبابة وأمواله فيهم فأشار إلى حلقه أنه الذبح[3] فتلك خيانة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ : اختبار وامتحان ليختبركم أنكم

---

(١) تميزون الحسن من القبيح/١٢.

(٢) رواه سعيد بن منصور وغيره، عن عبدالله بن أبي قتادة/١٢أسباب الترول للسيوطي[ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٣٢٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ].

(٣) فأشار إلى حلقه أنه الذبح، فترلت، وعن الزهري نحوه بأطول منه، وعن الكلبي والسدي نحوه، ولما اشتد الحصار ببني قريظة أطاعوا وانقادوا أن يترلوا على ما يحكم به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فحكم فيه سعد بن معاذ، وقال: إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة"، وفي كتاب العلو المنسوب للإمام الذهبي، وعن سعد بن أبي وقاص "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لسعد يعني ابن معاذ -رضي الله عنه-: لقد حكمت فيهم -يعني بني قريظة- بحكم الملك من فوق سبع سماوات" هذا حديث صحيح، وقد رواه الأموي في المغازي عن ابن عباس عن معبد بن كعب بن مالك أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة "قال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع أرقعة، وحديث سعد بن أبي وقاص أصح، انتهى بلفظه، وهذان الحديثان ذكرهما صاحب الفتح تحت هذه الآية عن المواهب اللدنية/١٢[ذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٣٢٣) أثر الزهرى والكلبى والسدى وحديث سعد بن معاذ أخرجه البخارى فى "المغازى" (٤١٢١)].

تشتغلون بها عن الله سبحانه، فتنسونه وتعصونه أو تذكرونه وتطيعونه فيها، فإن أبا لبابة خان بسبب الأولاد والأموال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: خير لكم من أموالكم وأولادكم، فحافظوا على حدود الله تعالى فيهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ : مخرجًا ونجاة في الدنيا والآخرة، أو فصلا بين الحق والباطل أو يفرق بينكم وبين ما تخافون، أو ظهورا يعلى قدركم ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ : يسترها عن أعين الناس ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ لا يؤاخذكم بها ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فبمحض إحسانه يفي بما وعدكم على التقوى.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ[2]﴾ أي: واذكر هذا الزمان ﴿بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ : ليقيدوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ : من مكة، اجتمع قريش وشاور بعضهم بعضًا في شأن محمد -صلى الله عليه وسلم-، فقيل: قيدوه حتى يموت وقيل: أخرجوه فتستريحوا من أذاه ثم اتفقوا على رأي أبي جهل وهو: أن يؤخذ من كل بطن رجل، يضربونه ضربة رجل واحد، فلا يقوى بنو هاشم على طلب قوده من جميع قريش، وهذا بتصويب الشيطان فإنه بينهم في صورة شيخ جليل فأمر الله تعالى نبيه بالهجرة[3] ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ : يعاملهم الله تعالى معاملة الماكرين ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ إذ مكره أنفذ تأثيرًا ﴿وَإِذَا[4] تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ

---

(١) ولما حذر عن فتنة الأموال والأولاد، وأطمعهم بما عنده مُدَّخَر للأتقياء، بين لهم فوائد التقوى ومنافع ترك الهوى فقال: "يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا" الآية/١٢وجيز.

(٢) ولما مَنَّ على المؤمنين بأنهم ذو قلة فأعزهم وكثرهم، منَّ على خاصة رسوله وحبيبه صلى الله عليه وسلم، وهذا في الحقيقة منة جليلة على أمته أعظم المنن فقال "وإذ يمكر بك" الآية/١٢وجيز.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس/١٢أسباب النزول[أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٨٩٩٤) من طريق محمد بن إسحاق عن ابن أبي ليلة عن مجاهد عن ابن عباس...فذكره].

(٤) ولما ذكر مكرهم بنبيه، عقبه بمكرهم في شأن كتابه وآياته فقال "وإذا تتلى" الآية/١٢وجيز.

﴿الأوَّلِينَ﴾ : ما هذا إلا ما سطره الأولون من القصص، هو اقتبسها وتعلم منها، نزلت[1] في نضر بن الحارث ومن وافقه ورضي بقوله حين ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم، فلما رجع يحدثهم من أخبار أولئك، ثم يقول: تالله أينا أحسن قصصا أنا أو محمد، وهذا غاية مكابرته وفرط عناده، فإنهم لا يجدون إلى أقصر سورة سبيلا.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هذا قول نضر بن الحارث[2] أيضًا أو قول أبي جهل[3]، وغرضه إظهار عدم الشك في بطلان القرآن، والتعريف في الحق إشارة إلى الحق الذي يدعيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه مترل من ربه، فإنهم يسلمون أنه قصص القرون الماضية، وقد نقل أن معاوية قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة أي: بلقيس قال: أجهل من قومي قومك؛ قالوا حين دعاهم إلى الحق: "إن كان هذا هو الحق" الآية، و لم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له ﴿وَمَا كَانَ[4] اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ : مقيم بمكة، فإن الله تعالى لا يستأصل قومًا وفيهم نبيهم، واللام لتأكيد النفي ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ[5]﴾ أي:

---

(١) أخرجه ابن جرير، عن سعيد بن جبير/١٢[وذكره ابن كثير فى "تفسيره" (٢/٣٠٥)].

(٢) روي عن أبي سعيد ومجاهد وعطاء/١٢فتح[أخرجه ابن أبي حاتم فى "تفسيره" (٩٠٠٨) عن ابن عباس -رضى الله عنه].

(٣) رواه البخاري وابن أبي حاتم والبيهقي، عن أنس بن مالك/١٢فتح[أخرجه البخارى فى "التفسير (٤٦٤٨)].

(٤) ولما دعوا على أنفسهم، وما استجاب الله مع استحقاقهم بين سبب عدم الاستجابة فقال: "وما كان الله ليعذبهم" الآية/١٢وجيز.

(٥) قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: كانوا يقولون: غفرانك ولبيك لا شريك لك، ونحو هذا مما هو دعاء واستغفار، فجعله الله أمنة منهم في الدنيا/١٢وجيز[أخرجه ابن أبى حاتم فى "تفسيره" (٩٠١٧)].

وفيهم من يستغفر كالمؤمنين الذين كانوا بمكة، وما استطاعوا الهجرة أو لما أمسوا ندموا على قولهم: اللهم إن كان هذا هو الحق، فقالوا: غفرانك غفرانـــك، فـــترلت، أو المـــراد مـــن استغفارهم أنه في علم الله تعالى أن بعضهم يؤمنون، فالمعنى يمهلهم؛ لأن فيهم من يستغفر بعد ذلك، وقد ورد: "أنزل عليَّ أمانين[1] لأمتي: "وما كان الله ليعذبهم" الآية فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار"، قيل: هذا دعوتهم إلى الإسلام والاستغفار، أي: استغفروا لا أعذبكم كمـا تقول: لا أعاقبك وأنت تطيعني، أي: أطعني لا أعاقبك، وقيل معناه: وفي أصلابهم من يستغفر **﴿وَمَا لَهُمْ[2] أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾** قال بعضهم: قوله: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم" نزل بمكة، فلما خرج عليه الصلاة والسلام إلى المدينة نزل: وما كان الله معذبهم وهـــم يستغفرون، أي: من بقى من المؤمنين في مكة، فلما خرجوا أنزل الله تعالى "وما لهم ألا يعذبهم الله" والتعذيب فتح مكة، أو القتل يوم بدر، أو الجوع والضر، وقال بعضـــهم: قوله "وما كان الله ليعذبهم" الآية منسوخة بقوله: "وما لهم ألا يعذبهم الله" وهذا عنـــد من قال المراد بالاستغفار: صدور الاستغفار منهم نفسهم، كما ذكرنا غفرانك غفرانك **﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾** : يمنعون المؤمنين **﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾** كعام الحديبية وإخـــراج رسول الله —صلى الله عليه وسلم **﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءهُ﴾** مستحقين ولاية أمر المســـجد الحرام، فإنهم يقولون: نحن أولياء الحرم نفعل فيه ما نريد **﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ﴾** :

---

(١) أخرجه الترمذي وضعفه/ ١٢فتح[أخرجه الترمذى (٣٢٧٨-تحفة) وقـــال: "حديـــث غريب" وإسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر يضعف فى الحديث. وضعفه الشيخ الألبـــانى فى "ضعيف الترمذى"].

(٢) لما بين سبحانه أن المانع من تعذيبهم هو الأمران المتقدمان وجود رسول الله —صلـــى الله عليه وسلم— بين ظهورهم، ووقوع الاستغفار ذكر بعد ذلك أن هؤلاء أعني كفار مكة مستحقون لعذاب الله، لما ارتكبوا من القبائح، فقـــال: "ومـــا لهـــم ألا يعذبهـــم الله" الآية/١٢فتح.

عن الشرك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ إنهم غير مستحقين لولاية الحرم ومنهم من يعلم ويعاند.

﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً﴾ أي: كيف لا يستحقون العذاب، وكيف يكونون ولاة الحرم، وتقربهم إلى الله تعالى وما يضعون موضع صلاتهم الصفير يدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون في الطواف﴿وَتَصْدِيَةً﴾ : تصفيقًا، وقد نقل كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفرون بأفواههم ويصفقون بأيديهم، وقال بعضهم: كان إذا -صلى النبي صلى الله عليه وسلم- في الحرم قام رجلان عن يمينه يصفران، ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا عليه صلاته، وقال بعضهم: المراد صد الناس عن سبيل الله تعالى، فحينئذ من قلب إحدى الدالين تاء كما في ظنيت من الظن ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ : ببدر ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ[1] كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا﴾ : الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما رجع من بقي من الكفرة من البدر إلى مكة، استعانوا من أبي سفيان وغيره من مال تجارة الشام، واستقرضوا أيضًا ثم أنفقوا في غزوة أحد، ولهذا قالوا: نزلت في أبي سفيان، أو المراد صرف أموالهم في غزوة بدر ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾ أي: بعد ذلك في غزوة أحد ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ : في الآخرة، أو في الدنيا لذهاب الأموال، وعدم نيل المرام ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ : عاقبة الأمر، وقيل: المراد من قوله: "فسينفقونها" ذكر قرب زمان الإنفاق ثم الحسرة على صرفه ثم غلبة المؤمنين، فإنه وإن كان الإنفاق وحده واقعًا متقدمًا لكن الإنفاق والحسرة

---

(١) لما فرغ سبحانه من شرح هؤلاء الكفرة في الطاعات البدنية، أتبعها شرح أحوالهم في الطاعات المالية فقال: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم" الآية/١٢ فتح.

والمغلوبية، لم يقع بعد حين نزول الآية، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ[1] يُحْشَرُونَ﴾ يعني: من مات على الكفر منهم ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ : الشقي من السعيد، أو الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله تعالى، واللام متعلق بيحشرون، وهذا التمييز في الآخرة أو في الدنيا وحينئذ متعلق اللام مقدر أي: يسر الله للكافرين إنفاق أموالهم في محاربتكم، ليميز الخبيث من الطيب، أي: من يطيعه بقتال أعداء الله ممن يعصيه بالنكول عنه كما قال تعالى "وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه" [آل عمران:١٠٩]، وقال تعالى "وما أصابكم يوم التقى الجمعان" [آل عمران:١٦٦] ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ﴾ أي: الفريق الخبيث ﴿بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ : عبارة عن الضم والجمع حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم، أو معناه يضم على الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه، كقوله "فتكوى بها جباههم وجنوبهم"[التوبة:٣٥] ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ﴾ أي: الفريق الخبيث ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن

---

(١) لما أخبر بما آل إليه حالهم في الدنيا من حسرتهم وكونهم مغلوبين، أخبر بما يؤول إليه حالهم في الآخرة، ولام "ليميز" متعلق بيحشرون، هذا هو ظاهر القرآن، وباقي التوجيهات تمحل وتكلف/١٢وجيز.

كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ : كأبي سفيان وغيره أي: لأجلهم ﴿**إِنْ يَنْتَهُوا**﴾ : عن الكفر ومعاداة الدين ﴿**يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾ : من الذنوب[1] ﴿**وَإِنْ يَعُودُوا**﴾ إلى القتال ويستمروا على كفرهم ﴿**فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ**﴾ في نصرة أنبيائه وإهلاك أعدائه، أو سنة الأولين في قريش يوم بدر ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ : لا يوجد شرك[2]، أو لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**[3]﴾ : لا يعبد غير الله تعالى في جزيرة العرب ﴿**فَإِنِ انْتَهَوْا**﴾ عن الكفر ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾

---

(١) فيه دليل على أن الإسلام يجب ما قبله، وفي حديث مسلم وأحمد "إن الإسلام يهدم ما كان قبله، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وإن الحج يهدم ما كان قبله"/١٢فتح[أخرجه مسلم فى "الإيمان" (١/٣٢٤) ط الشعب].

(٢) قاله ابن عباس، وقيل: بلاء، وقد فسرها جمهور السلف بالكفر/١٢فتح[أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" (١/١٦٢) وابن أبي حاتم فى "تفسيره" (٩٠٧٣)].

(٣) قال قتادة: حتى يقال لا إله إلا الله، عليه قاتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإليه دعى/١٢فتح[أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" (١/١٦٢)].

يجازيهم مجازاة البصير بهم، أو معناه فإن انتهوا عما هم فيه من الكفر والقتال، فكفوا عنهم وإن كنتم لا تعلمون بواطنهم، فإن الله بما يعملون بصير ومن قرأ "تعملون" بالتاء، فمعناه: فإن الله بما تعملون من الجهاد والدعوة إلى الإسلام، وتسببكم إلى إخراجهم من ظلمة الكفر بصير، فيجازيكم **﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾** ولم ينتهوا عن الشرك والقتال **﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ﴾** : ناصركم **﴿نِعْمَ الْمَوْلَى﴾** : لا يضيع من تولاه **﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ[1]﴾** فمن نصره لا يغلب أبدًا.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ : أخذتم من الكفار قهرًا لا صلحًا، أي شيء[2] كان **﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾** مبتدأ خبره مقدر أي: فثابت أن لله خمسه، والأصح أن ذكر الله افتتاح كلام[3] للتبرك، وقال بعضهم: سهم الله يصرف إلى الكعبة **﴿وَلِلرَّسُولِ﴾** كان يصرف فيما شاء، والآن لمصالح المسلمين أو للخليقة، أو مردود إلى الأصناف الباقية، أو لقرابة النبي -صلى الله عليه وسلم- **﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾** هم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب[4]، أو من لا يحل له الزكاة، أو بنو هاشم وحدهم[5]، أو

---

(١) الله والمخصوص بالمدح مقدر، ولما قال: "وقاتلوهم" يخطر بالبال أن المال الذي يؤخذ منهم بعد نصر المؤمنين، كيف يفعل به؟ فقال: "واعلموا أنما غنمتم" الآية/١٢وجيز.

(٢) وقد خصص الإجماع من عموم الأسارى، فإن الخيرة فيها إلى الإمام بلا خلاف، وكذلك سلب المقتول إذا نادى به الإمام، وقيل: وكذلك الأرض المغنومة، ورد بأنه لا إجماع على الأرض/١٢فتح.

(٣) كما تقول لعبدك: أعتقك الله وأعتقتك/١٢وجيز.

(٤) وليس لبني عبد شمس وبني نوفل منه شيء وإن كانوا إخوة، لقوله -صلى الله عليه وسلم- : "إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه" وهو في الصحيح، وبه قال الشافعي وأحمد وأبو ثور ومجاهد وقتادة وابن جريج ومسلم بن خالد/١٢فتح[الحديث أخرجه البخارى فى "المغازى" (٤٢٢٩)].

(٥) وبه قال مالك والثوري والأوزاعي وغيرهم وهو مروي عن علي بن الحسين ومجاهد/ ١٢فتح.

قريش[1] كلهم ﴿وَالْيَتَامَى﴾ : يتامى المسلمين فقراءهم، أو فقرائهم وأغنيائهم، أو يتامى ذوي القربى ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ : المحاويج الذين لا يجدون ما يصدون خلتهم، أو مساكين ذوي القربى ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ : المسافر أو مريد السفر إلى مسافة القصر، وليس له ما ينفقه في سفره، أو ابن السبيل من ذوي القربى، فعلى هذا الغنيمة تقسم على خمسة: أربعة منها للمحاربين، وخمس لهؤلاء المذكورين ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ تقديره: امتثلوا ما شرعت لكم في الغنيمة، إن كنتم آمنتم بالله ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يوم فرق فيه بين الحق والباطل، وهو يوم بدر، والآية نزلت فيه ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ : المسلمون والكفار، وهو يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان[2] ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولهذا قدر على نصر القليل على الكثير.

---

(١) روى ذلك عن بعض السلف، واستدلوا بما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "أنه لما صعد الصفا جعل يهتف ببطون قريش كلها قائلا: يا بني فلان يا بني فلان"[أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٧٧٠)]، واختلفوا في سهم ذوي القربى، هل هو ثابت اليوم أم لا؟ فذهب أكثرهم إلى أنه ثابت فيعطى فقراءهم وأغنياءهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الأنثيين، وبه قال مالك والشافعي، وقيل: إنه غير ثابت وسقط سهمه وسهمهم بوفاته -صلى الله عليه وسلم- وصار الكل مصروفًا إلى الثلاثة الباقية، وبه قال أبو حنيفة وأصحاب الرأي وحجة الجمهور أن الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- كانوا يعطونهم، ولا يفضلون فقيرًا على غني؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أعطى العباس مع كثرة غناه وكذا الخلفاء بعده/١٢فتح.

(٢) وهو أول مشهد شهده رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كذا روي عن علي -رضي الله عنه/١٢فتح.

﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾ بدل من يوم الفرقان ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾ : شط الوادي ﴿الدُّنْيَا﴾ : الأقرب من المدينة ﴿وَهُمْ﴾ : كفار مكة ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ : جانب الوادي الأبعد من المدينة ﴿وَالرَّكْبُ﴾ أي: ركب أبي سفيان الذين جاءوا من الشام ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ : في مكان أسفل من مكانكم أي: ساحل البحر، منصوب على الظرف واقع موقع خبر و"الركب" ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أنتم والكفار للقتال ﴿لاخْتَلَفْتُمْ﴾ : أنتم ﴿فِي الْمِيعَادِ﴾: خوفًا وهيبة لقلتكم وكثرهم ﴿وَلَكِنْ﴾ جمع الله تعالى بينكم بصنعه من غير ميعاد وإرادة لكم ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا﴾ : في علمه، أو معناه حقيقًا بأن يفعل من نصر أوليائه، وإعلاء كلمة الإسلام ﴿لِيَهْلِكَ﴾ بدل من ليقضي، أو متعلق بمفعولا ﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي: ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآيات، فلا يبقى له حجة وعذر بوجه، ويؤمن من آمن عن حجة وبصيرة ويقين، فالهلاك والحياة: الكفر والإيمان، أو ليموت من يموت عن بينة عاينها، ويعيش عن حجة شاهدها، لئلا يكون له حجة ومعذرة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ : بكفر من كفر، وإيمان من آمن ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبهم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ بدل ثان من يوم الفرقان، أو مقدر باذكر ﴿فِي مَنَامِكَ[1] قَلِيلا﴾ لتخبر أصحابك فيكون تشجيعًا لهم، وهو ثالث مفاعيل يريكم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾ : لجبنتم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ : اختلفت كلمتكم في أمر القتال ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ : أنعم بالسلامة من التنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما كان وما سيكون

---

(١) اعلم أن رؤيا الأنبياء حق ووحي، بمعنى أن رؤياهم معبر لا أضغاث أحلام كرؤيا نبينا -صلى الله عليه وسلم- في أمر القردة على منبره وغير ذلك فيجوز أن يراهم قليلا في العدد، وحكى على أصحابه من غير أن يعبر، وتعبيره ضعفهم فإن الضعف يترتب على القلة أكثريًا، فما أخطأ في منامه، والله أعلم/١٢وجيز.

من الجبن والتنازع ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ[1]﴾ لا في المنام ﴿قَلِيلا[2]﴾ حال عن ثاني مفعولي يريكموهم لا مفعول ثالث؛ لأنه من رؤية العين ههنا، وإنما قللهم في أعين المسلمين تثبيتًا لهم، وتصديقًا لرؤيا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليجترؤا، أو لا يستعدوا للحرب حتى قال أبو جهل: إنهم أكلة جزور، ثم كثرهم في أعينهم حتى يروهم مثليهم، لتفاجئهم الكثرة فتكسر قلوبهم ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا﴾ : من إهلاكهم وإذلالهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ : فلا أمر إلا وهو خالقه، وعلى الحقيقة هو فاعله، أو بعد الدنيا مصير الكل إليه فيجازيهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

(١) إشارة إلى أن ما مر لا من رؤية العين/١٢منه.

(٢) قال ابن مسعود: لقد قللوا في أعيننا، حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا منهم رجلا فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفًا/١٢منه[أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٠/١٠) وابن أبي حاتم (٩١٢٧)].

﴿يَأَيُّها الَّذِينَ[1] آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ : حاربتم جماعة، والمؤمنون لا يحاربون[2] إلا الكفار ﴿فَاثْبُتُوا﴾ : ولا تنهزموا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا[3]﴾ : في تلك الحال[4] بأن تستغيثوا به، وتتوكلوا عليه وتسألوا النصر ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ : كي تظفروا بمرامكم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ : باختلاف الآراء ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ فتجبنوا، جواب النهي ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ : دولتكم ووقاركم وريح النصر، فإن النصرة لا تكون إلا بريح[5] كما في الحديث: "نصرت بالصبا"[6] ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾: فخرًا[7]

---

(١) ولما بين أن النصر والغلبة من الله لا يؤثر فيه القلة والكثرة، أمر المؤمنين بالتوكل وطلب النصر من الله المؤثر، فقال "يا أيها الذين آمنوا" الآية/١٢وجيز.

(٢) فلا حاجة إلى ذكر وصف الفئة بكونها كفارًا/١٢منه.

(٣) قال قتادة: افترض الله ذكره عند أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيوف/١٢فتح، وحاصل الكلام، أنه تعالى أمرهم عند لقاء العدو بالثبات والاشتغال بذكر الله، ومنعهم من أن يكون الحامل لهم على ذلك الثبات البطر والرياء، بل أوجب عليهم أن يكون الحامل لهم عليه طلب عبودية الله، واعلم أن حاصل القرآن من أوله إلى آخره دعوة الخلق من الاشتغال بالخلق وأمرهم بالغناء في طريق عبودية الحق، والمعصية مع الانكسار أقرب إلى الإخلاص من الطاعة مع الافتخار/١٢كبير.

(٤) وهي حالة الذهول عن كل شيء، فأمروا بذكر الله الذي يفزع إليه عند الشدائد/١٢وجيز.

(٥) يقال: هبت ريح فلان، إذا ذهبت دولته/١٢منه.

(٦) وأهلكت عاد بالدبور/١٢منه[أخرجه البخارى فى "الاستسقاء" (١٠٣٥)، ومسلم فى "الاستسقاء"].

(٧) عن قتادة قال: ذكر لنا "أن نبي الله -صلى الله عليه وسلم- قال يومئذ: اللهم إن قريشًا قد أقبلت بفخرها وخيلاءها لتجادل رسولك، وقال: جاءت من مكة أفلاذها" وقد =

وطغيانًا ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ : ليثنوا[1] عليهم بالشجاعة والغلبة والرياسة، كما قال أبو جهل، لما قيل: إن العير قد نجا فارجعوا، فقال: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر وننحر الجزور، ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان[2]، وتسمع[3] بنا العرب ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عطف على بطرًا، سواء كان مفعولا له، أو حالا على تأويل المصدر ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ[4]﴾ : عالم بما جاءوا به وله، ولهذا جازاهم شر الجزاء ﴿وَإِذْ زَيَّنَ﴾ مقدر باذكر ﴿لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ في معاداة الرسول، فإنه تمثل[5] لهم في سورة سراقة بن مالك الكناني، وهو من أكابر بني كنانة معه عسكر وراية ﴿وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ﴾ خبر لا، أو صفة غالب، ولو كان ظرفًا لغالب لوجب أن يقال: لا غالبًا ﴿الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ لكثرة عددكم وعددكم ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾: مجيركم من بني كنانة وممدكم في الحرب، وكان بين قريش وبني كنانة حرب وعداوة،

= احتج بهذه الآية الشيخ عبدالعزيز الدهلوي، على أنه لا يجوز طوف البلد للعروس بركوب الخيل وغيرها، كما اعتاده أهل الهند في عقود مناكحهم/١٢[أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" (١٠/١٣) ابن أبي حاتم فى "تفسيره" (٩١٥٢) وذكره السيوطى فى "الدر المنثور" (٣/٣٤٤)].

(١) إشارة إلى أن بطرًا ورياء منصوبان بالعلية/١٢منه.

(٢) جمع قينة: الجارية المغنية/١٢.

(٣) فتهابنا آخر الأبد، نعم وردوا، فسقوا كؤوس المنايا وناحت عليهم النوائح، فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين بأعمالهم صادين عن سبيل الله/١٢ وجيز.

(٤) كالتهديد والزجر عن الرياء والتصنع/١٢كبير.

(٥) قد صح عن ابن عباس وغيره، بروايات متنوعات تمثل الشيطان بصورة آدمي معه عسكر وراية/١٢منه[أخرجه ابن جرير فى "تفسيره" (١٠/١٤) وابن أبي حاتم (٩١٥٧)].

وخافوا من بني كنانة فلهذا أجارهم **﴿فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ﴾** : التقى الجمعان **﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾**: رجع القهقري وكانت يده في يد أحد من المشركين فقال له: أفرارا من غير قتال؟! فضرب في صدر صاحبه المشرك فانطلق **﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ﴾** من جنود الله: ملائكته **﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾** وهذا كذب منه، ما به مخافة الله تعالى لكن علم أنه لا قوة له ولا منعة، أو أخاف الله أن يهلكني فيمن أهلك، أو خاف أن يصله مكروه من الملائكة، وهذا عادته الشؤمة كما حكاه تعالى "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر" الآية[الحشر:١٦] **﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** من تتمة كلام الشيطان، أو ابتداء كلام الله تعالى.

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾

﴿إِذْ يَقُولُ﴾ مقدر باذكر ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ : شرك، أو قوم أسلموا بمكة و لم يهاجروا وخرجوا مع الكفار يوم بدر، ولما رأو[1] المسلمين قليلا ارتابوا وارتدوا، وقالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلاءِ﴾ أي: المؤمنين ﴿دِينُهُمْ﴾ حتى تعرضوا مع قلتهم كثرتنا، فقتلوا جميعًا، فقال تعالى مجيبًا لهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا غالب لأمره، ولا يضام من التجأ إليه ﴿حَكِيمٌ﴾ : في أفعاله لا يضعها إلا في موضعها ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ﴾ أي: لو رأيت[2] حالهم حين قتلهم الملائكةُ يوم بدر، وقال بعضهم: هذا عند الموت لا يخص بيوم بدر ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾: إذا أقبلوا ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ : إذا أدبروا، والجملة حال ﴿وَذُوقُوا﴾ أي: ويقولون[3] : ذوقوا، عطف على يضربون ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: بشارة لهم بجهنم، قال بعضهم: مع الملائكة مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها، وجواب "لو" مقدر أي: لو ترى لرأيت أمرًا فظيعًا هائلا ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: بشؤم ذنوبكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ عطف[4] على ما قدمت، قيل: للدلالة على

---

(١) هكذا قال مجاهد وغيره/١٢[أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (١٠/١٦)].

(٢) إشارة إلى أن لو عكس أن يجعل المضارع ماضيًا/١٢منه.

(٣) تقدير يقولون، ليس لأجل دفع عطف الإنشاء على الإخبار، بل لأن المعنى على ذلك/١٢منه.

(٤) عطف على ما قدمت أشار إلى أن من عفى عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، وظلموا عباد الله المؤمنين صار ظالمًا كثير الظلم، بمعنى أنه وضع الشيء في غير موضعه اللائق، وبهذا فسر أهل اللغة الظلم، وما ورد في كتاب الله الظلم إلا بهذا المعنى، والعفو في موضع لا تقتضيه الحكمة ظلم لاشك فيه، وليس هذا من الاعتزال في شيء قيل: إن ذلك

أن سببية مقيدة بانضمامه إليه، إذ لولاه لأمكن أن يعذهم بغير ذنب، وظلام للتكثير لكثرة العبيد فالظالم لهم كثير الظلم.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: دأهم وطريقتهم كدأهم **﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** : من قبل آل فرعون **﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾** تفسير الدأب **﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾** كما أخذ هؤلاء **﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾** لا يغلبه شيء **﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** : للكافرين **﴿ذَلِكَ﴾** أي: الأخذ بالذنوب، لا التعذيب بغير ذنب **﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** أي: بسبب أن عادة الله جارية، بأن لا يبدل نعمة على قوم بنعمة، حتى غيروا حالهم إلى أسوءها كقريش، كذبوا بآيات الله واستهزؤا بها، وصدوا عن سبيل الله وغيرها من القبائح **﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾** : لما يقولون **﴿عَلِيمٌ﴾** بما يضمرون، ولولا إحاطة علمه كيف يأخذهم بأعمالهم؟! **﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** أي: عادهم كعادهم **﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾** تكرير للتأكيد **﴿وَكُلٌّ﴾** : من الأولين والآخرين **﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾**[1] **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** : رسخوا[2] في الكفر **﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** : لرسوخهم فيه **﴿الَّذِينَ﴾** بدل من الذين كفروا **﴿عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾** أي:

= على طريق النسب كتمار ولبان، وقيل: ذلك على طريق التوزيع، فإن العبيد دال على الاستغراق فالظالم لهم كثير الظلم لإصابة كل منهم ظلمًا، فالمعنى ليس بظالم هذا ولا ذلك ما لا يحصى فالمبالغة راجعة إلى الكمية، وتأمل قول القاضي البيضاوي في هاهنا وفي سورة آل عمران، كيف وقع فيما فر منه/١٢.

(١) جمع الضمير للفواصل و لم يجعل على لفظ كـــ"كل" يعمل على شاكلته"[الاسراء:٨٤]، و"فكلا أخذنا بذنبه"[العنكبوت:٤٠]/١٢وجيز.

(٢) فسر الذين كفروا بالرسوخ والإصرار؛ لأن مجرد الكفر لا يخبر عن المتصف به بأنه لا يؤمن/١٢.

أخذت منهم العهد **﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾** كيهود بني قريظة، نقضوا عهدهم وأعانوا المشركين بالسلاح، وقالوا: نسينا وأخطأنا، فعاهدهم الثانية فنقضوا[١] يوم الخندق **﴿وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾** : عاقبة الغدر **﴿فَإِمَّا﴾**[٢] **﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾** : تظفرن بهم وتأسرهم **﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ﴾** أي: بسبب قتلهم **﴿مَنْ خَلْفَهُمْ﴾** أي: فافعل بهم عقوبة، يفرق منك ويخافك من ورائهم من الكفرة ليعتبروا، فلا ينقضوا العهد بعد ذلك، يعني: غلظ عقوبتهم ليكون عبرة لغيرهم **﴿لَعَلَّهُمْ﴾** أي: من خلفهم **﴿يَذَّكَّرُونَ﴾** : يتعظون، فيحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل صنيعهم **﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾** : معاهدين **﴿خِيَانَةً﴾** : نقض عهد بإمارة تلوح لك **﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾** : اطرح إليهم عهدهم **﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾** أي: ثابتًا على طريق مستو متوسط، بأن تخبرهم أنك قطعت العهد الذي بينك وبينهم، فلا يكونون على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك، فالجار والمجرور حال **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾** تعليل لنبذ العهد وعدم مفاجأة القتال بلا إعلام.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ

---

(١) فهم شر سائر الكفرة/١٢منه.

(٢) ثم أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالشدة والغلظة عليهم، فقال: "فإما"/١٢فتح.

أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ﴾ : يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ : فاتونا فلا نقدر عليهم، بل هم تحت قهر قدرتنا، ومن قرأ "لا يحسبنَ بالياء فالذين كفروا فاعله، بتقدير: أن سبقوا فحذفت أن، أو تقديره: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا، أو فاعله ضمير إلى "من خلفهم" أو إلى جيل المؤمنين، وفي الجميع تكلف ﴿إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ : لا يجدون طالبهم عاجزًا عن إدراكهم، ومن قرأ بالفتح [1] فتقديره: لأنهم لا يعجزون، قال بعضهم: نزلت[2] فيمن أفلت يوم بدر من المشركين.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ : للكفار ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ : من كل ما يتقوى به في الحرب، وفي الحديث[3] الصحيح: "ألا إن القوة الرمي" قالها ثلاثًا ﴿وَمِنْ رِبَاطِ[4] الْخَيْلِ﴾ الرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾ : تخوفون ﴿بِهِ﴾ : بما استطعتم ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ : كفار مكة ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: من دون كفار مكة ﴿لا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ : لا تعرفونهم[5] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ : يعرفهم، هم المنافقون أو

---

(١) أي: بفتح أن/١٢منه.

(٢) هكذا نقله محي السنة/١٢منه.

(٣) كما في صحيح مسلم وغيره/١٢.

(٤) اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، قال أبو حاتم: الرباط من الخيل الخمس فما فوقها/١٢فتح، وقيل: إذا كان الرباط اسمًا للخيل فيكون من إضافة الشيء إلى نفسه، والجواب أن الرباط اسم للمربوطات لكن لا يستعمل إلا في الخيل، فالإضافة باعتبار عموم المفهوم الأصلي/١٢، وقد ورد في استحباب الرمي وما فيه من الأجر واستحباب اتخاذ الخيل وإعدادها، وكثرة ثواب صاحبها أحاديث كثيرة لا يسع المقام بسطها، وقد أفرد ذلك جماعة من العلماء بمصنفات/١٢فتح.

(٥) ليس له إلا مفعول واحد/١٢.

اليهود أو أهل فارس[١] ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ : قليل أو كثير ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره وجزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ بتضييع العمل.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ : مالوا للصلح ﴿فَاجْنَحْ[٢] لَهَا﴾ : مل إليها[٣]، قال بعضهم: الآية منسوخة بقوله: "قاتلوا الذين لا يؤمنون"، وفيه شيء لأن المهادنة لكثرة الأعداء ولغيرها جائزة إذا رأى الإمام، وقال بعضهم: الآية مخصوصة بأهل الكتاب ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في الصلح، ولا تخف خداعهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ : لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنياهم ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ : يريدون بالصلح خديعة ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾ : محسبك وكافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ مع ما فيهم من الضغينة في أدنى شيء ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لتناهي عداوقم وجهالتهم، فإن بين الأوس والخزرج من العداوة والحروب ما لا يمكن الإصلاح، فالله بمحض قدرته ألف بينهم فاجتمعوا وأنفقوا، وأنساهم الله تلك الشحناء فصاروا أنصارًا ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ فإنه مقلب القلوب ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ : غالب لا يغالب أبدًا ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع كل شيء في موضعه ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ : كافيك ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ[٤] مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

---

(١) وقيل: كل من لا تعرف عداوته، وقيل: بنو قريظة، وقيل: غير ذلك، والأولى الوقف في تعيينهم لقوله: "لا تعلموهم"/١٢.

(٢) وتأنيث السلم، قيل: لغة، وقيل: بمعنى المسلمة، وقيل: حملا على النقيض وهو الحرب، وهذا كما فعل يوم الحديبية، والظاهر أن هذه الآية قبل صلح الحديبية/١٢وجيز.

(٣) يقال: مال له ومال إليه/١٢منه.

(٤) اختلفوا في محل "من"، فقال أكثر المفسرين: محله خفض عطفا على الكاف في قوله: "حسبك" معناه: حسبك الله وحسب من اتبعك/١٢معالم.

مفعول معه، أي: محسبك[١] مع المؤمنين الله، أو عطف على "الله"، نزلت في غزوة بدر، وقال بعضهم: نزلت حين أسلم عمر، ثم اعترض عليه بأن الأنفال كلها مدنية[٢]، وإسلام عمر قبل الهجرة فلا يصح هذا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

---

(١) الله، كما تقول: حسبك وزيدًا درهم،والمعنى: كافيك وكافي المؤمنين وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية أي: وحده حسبك، وحسب المؤمنين الذين اتبعوك، ومن قال: إن المعنى أن الله والمؤمنين حسبك، فقد ضل بل قوله من جنس الكفر، فإن الله وحده هو حسب كل عبد مؤمن، والحسب الكافي كما قال تعالى: "أليس الله بكاف عبده"[الزمر:٣٦] وقال تعالى "وقالوا حسبنا الله"[آل عمران:١٧٣]، [التوبة:٥٩] ولم يقل ورسوله "وقالوا إنا إلى الله راغبون" [التوبة:٥٩] ولم يقل هنا وإلى رسوله انتهى./١٢فتح.

(٢) لم يستثنوا منها شيئًا، صرح بهذا كثير من المفسرين، وبه قال الحسن لا عكرمة وجابر بن زيد وعطاء وعبدالله بن الزبير وزيد بن ثابت، وعن ابن عباس أنه قال: نزلت في بدر، وفي لفظ: تلك سورة بدر كذا في الفتح/١٢.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ أي: بالغ في حثهم عليه ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ شرط في معنى الأمر(١) بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بالغلبة ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ : بسبب جهالتهم بالله يقاتلون لأجل حظ دنيوي، فلا تثبت أقدامهم إذا رأوا شدة القتال وظنوا الهلاك ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ نزلت لما ثقلت على المسلمين مقابلة الواحد مع العشرة، فنسخها وخفف عنهم ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ في البدن أو في البصيرة، فإن في بعضهم ضعف البصيرة ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ(٢)﴾ أي: إن كانوا على الشطر من عدوهم لم يجز الفرار، وإلا جاز و لم يجب القتال، ثم اعلم أنه ذكر في الأول العشرين والمائة، وفي الثاني المائة والألف، للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره وإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ(٣)﴾ : بالنصر والظفر ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ ما صح وما استقام لنبي من الأنبياء أن يأخذ أسرى، ولا يقتلهم ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ : يكثر القتل فيعز الإسلام ويذل الكفر ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: حطامها، أي: الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يريد لكم ثواب الآخرة، أو ما هو سبب نيل الجنة من إعزاز الدين وقمع الملحدين ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يعلم ما

---

(١) ولذلك دخلها النسخ، فإن الشرط إذا كان فيه معنى التكليف جاز فيه النسخ/١٢ وجيز.

(٢) قال سفيان وابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا، إن كان رجلين أمرهما، وإن كانوا ثلاثة فهو في سعة من تركهم/١٢فتح كذا في المعالم.

(٣) ولما كان الصبر شديد المطلوبية أثبت في أول جملتي التخفيف، وحذف من الثانية ثم ختم الآية بقوله: "والله مع الصابرين" مبالغة في أن الصبر هو الأصل، والعمدة في الغلبة/١٢وجيز.

يليق بالأحوال، نزلت حين جاءوا بأسارى بدر، فاستشار[1] فيهم، فقال عمر: هم أئمة الكفر والله أغناك عن الفداء فاضرب أعناقهم، وقال أبو بكر: هم قومك وأهلك لعل الله يتوب عليهم، خذ منهم فدية تقوى بها أصحابك، فقبل الفداء وعفى عنهم ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ يعني في أم الكتاب أن لا يعذب مسلم شهد البدر، وهم مغفورون، أو فيه أن المغانم والفداء حلال لكم، أو لا أعذب من عصاني إلا بعد تصريح بنهي ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾: من الفداء قبل أن آذن لكم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا﴾ أي: أبحت لكم الغنائم فكلوا ﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ : من الفدية، فإنها من جملة الغنائم ﴿حَلالا﴾ حال، أو أكلا حلالا ﴿طَيِّبًا﴾ قيل: إنهم أمسكو عن الغنائم أيضًا، وخافوا أشد خوف، فترل "فكلوا" الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ : في مخالفته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ فيغفر ذنبكم ﴿رَحِيمٌ﴾ فأباح لكم الفداء.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ

(١) أي رسول الله –صلى الله عليه وسلم/١٢.

كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ بأن يتعلق علم الله بحصول إرادة إيمان وإخلاص فيها **﴿يُؤْتِكُمْ﴾** إن أسلمتم **﴿خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾** : من الفداء **﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾** ما صدر قبل الإسلام منكم **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** نزلت في عباس وأصحابه، أسروا يوم بدر[1] وأخذ منهم الفداء، وكان العباس بعد ذلك يقول: أعطاني الله مكان عشرين أوقية أفديتها لنفسي ولابني أخي كانت معي، والتمست من النبي -عليه الصلاة والسلام- أن يحاسبني من جملة فدائي وفداء ابني أخوي فأبى فأبدلني الله في الإسلام عشرين عبدًا كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله.

---

(١)"لما أخذ العباس طلب منه فدائه وفداء أقاربه، فقال: ما ذاك عندي، قال عليه الصلاة والسلام- : فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقال: والله لأنت رسول الله!! إن هذا الشيء ما علمه غيري وغيرها، قال: فاحسب لي ما أصبتم من عشرين أوقية من مال كان معي، فقال عليه الصلاة والسلام: لا ذاك شيء أعطانا الله تعالى"/١٢منه، أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراءهم، بعثت زينب بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في فداء أبي العاص، وبعثت فيه بقلادة فلما رآها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رق رقة شديدة، وقال: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها/ ١٢فتح.

﴿وَإِنْ[1] يُرِيدُوا﴾ أي: الأسارى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ فيما أظهروا لك من الإسلام والإخلاص ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ﴾ : بالكفر ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ : من قبل بدر ﴿فَأَمْكَنَ﴾ أي: فأمكنك ﴿مِنْهُمْ﴾ يوم بدر، فإن عادوا نعد، قال بعضهم[2]: نزلت في عبدالله بن سعد الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركين، قال بعض[3]: نزلت في عباس وأصحابه حين قالوا: آمنا بك ولننصحن لك على قومنا، والأكثرون[4] على أنه عامر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ : بخيانة من خان ﴿حَكِيمٌ﴾ : بتدبيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا﴾ : أسكنوا المهاجرين منازلهم ﴿وَنَصَرُوا﴾ أي: نصروهم على أعدائهم ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ : في الميراث دون أقاربهم، آخا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين[5] والأنصار، كل اثنين أخوان فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدمًا على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ أي: ليسوا لكم بأولياء في الميراث ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ أي: المؤمنون الذين لم يهاجروا ﴿فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ : فواجب عليكم نصرهم على المشركين ﴿إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ : عهد فلا تنقضوا عهدكم في نصرهم عليهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الوفاء بالعهد ونقضه

---

(١) ولما ذكر ما ذكره من العوض لمن علم في قلبه خيرًا، ذكر من هو على ضد ذلك منهم، فقال: "وإن يريدوا خيانتك" الآية/١٢فتح.

(٢) هو قتادة/١٢.

(٣) قاله ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس/١٢منه.

(٤) هكذا قال السدي/١٢منه.

(٥) نقله البخاري عن ابن عباس/١٢وجيز.

﴿بَصِيرٌ﴾ : فيجازيكم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في الميراث دون المسلمين ﴿إِلا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إن لم تفعلوا ما أمرتم من قطع العلائق حتى في الميراث بينكم وبين الكفار ﴿تَكُنْ﴾ : تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ في الدين كقوة الكفر وضعف الإسلام ﴿وَالَّذِينَ[1] آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ : صدقًا من غير ريب، دون من آمن وسكن دار الشرك، وفي الحديث المتفق على صحته بل المتواتر: "المرء[2] مع من أحب"، ونصب حقًا على المصدر المؤكد، أو تقديره: إيمانًا حقًا ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ : في الجنة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ : من جملتكم، أيها المهاجرون والأنصار، فإن المهاجرين بعضهم هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم بعد صلحها قبل فتح مكة وهي الهجرة الثانية﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في التوارث من الأجانب ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في حكمه، أو في اللوح وهذه ناسخة للإرث بالحلف والإخاء الذي كانوا يتوارثون به أولا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم صلاح الأوقات.

---

(١) ثم بين سبحانه حكمًا آخر يتعلق بالمؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله، والمؤمنين الذين آووا من هاجر إليهم ونصروهم وهم الأنصار، فقال: "والذين آمنوا" الآية/١٢فتح.

(٢) وفي عبارة رواية أخرى "من أحب قومًا حشر معهم"/١٢منه.

سورة التوبة

سورة براءة والتوبة ولها أسماء أخر مدنية قيل إلا الآيتين لقد جاءكم رسول وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون ولها ستة عشر ركوعاً

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾

﴿بَرَاءَةٌ[1] مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ، أي : هذه براءة واصلة[2] من الله ورسوله ﴿إِلَى

---

(١) في البخاري عن البراء: إن براءة آخر سورة نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة تبوك وقصد الحج فكره مخالطة الكفار سيما وهم يطوفون بالبيت عراة/١٢منه .

(٢) إشارة إلى أن "من الله" صفة لبراءة لا أنه من صلة براءة /١٢ منه .

﴿الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي : الله ورسوله برءا من العهد الذي عـاهدتم بـه المشركين ، وإن كان صادراً من رسوله -صلى الله عليه وسلم- بإذن الله تعالى ، يعني وجب نبذه ولا عهد بعد ذلك﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ﴾ : أيها المشـركون ، ﴿أَرْبَعَـةَ أَشْهُرٍ﴾ ، والأصح أنه من يوم النحر إلى عاشر ربيع الآخر ، وعند بعضهم أنه إلى سلخ المحرم ؛ لأن الآية نزلت في شوال والأكثرون[1] على أن من كان له عهد مؤقـت و لم ينقض عهده فأجله إلى مدته مهما كان ، ومن له عهد غير مؤقت أو دون أربعة أشـهر أو أكثر لكن نقضه فيكمل له أربعة أشهر وقد صحت هذا الروايات عن علي رضي الله عنه- ، وفي رواية[2] عن ابن عباس أن من له عهد مؤقت أو غير مؤقت فأجله أربعـة أشهر ومن ليس له عهد فأجله انسلاخ الأشهر الحرم فمن يوم النحر إلى انسلاخ المحـرم خمسون ليلة ثم السيف حتى يدخلوا في الإسلام ، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَـيْرُ مُعْجِـزِي اللَّهِ﴾: لا تفوتونه وإن أمهلكم ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ : مذلهم في الدنيـا والآخرة ، ﴿وَأَذَانٌ﴾ أي: إعلام ، عطف على براءة ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّـاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾: يوم أفضل أيام المناسك وأكبرها جميعاً[3] وهو يوم العيد أو يـوم عرفة أو أيام الحج كلها، وعن الحسن البصري رحمه الله: عام، حج فيه أبو بكر [4] -

---

(١) هذا قول الكلبي ومحمد بن كعب القرظي وغير واحد من السلف واختاره ابن جريـر وهو الرواية عن السدي وقتادة / ١٢ منه .

(٢) إشارة إلى أن بعض الروايات عن ابن عباس يوافق قول الأكثرين / ١٢ منه .

(٣) وإذا كان يوم العيد فأكبريته باعتبار أن ما يفعل فيه معظم أفعال الحج مـن الطـواف والسعي والحلق والرمي والذبح ، وإذا كان المراد يوم عرفة فلأنه يحصل في هذا اليـوم أعظم واجباته ، لأنه إذا فات فات الحج والحج عرفة / ١٢ منه .

(٤) عن ابن عباس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعث أبا بكر وأمـره أن ينـادي بهؤلاء الكلمات ثم أتبعه علياً وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات فانطلقا وحجا فقام علـى =

رضي الله عنه- بالاستخلاف، وعن بعضهم: الذي حج فيها النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركين و لم يجتمع قبله ولا بعده وقال بعضهم الحج الأصغر العمرة ، ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ أي : بأنه ﴿بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي : من عهودهم ، ﴿وَرَسُولُهُ﴾ عطف على المستكن في بريء ، أو مبتدأ محذوف الخبر ، أي : ورسوله كذلك وعند ابن حاجب(١) جاز في مثله أن يكون عطفاً على محل اسم "أن" ، ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ : من الكفر والغدر ، ﴿فَهُوَ﴾ ، أي : الرجوع ، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ : من التوبة ، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ : غير فائتين أخذه وعقابه ، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، في الآخرة ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، استثناء من المشركين في قوله "بريء من المشركين" فالمستثنى من جميع المشركين من كان أجل عهده فوق أربعة أشهر و لم ينقضوا(٢) العهد ، فوجب إتمام عهدهم على الأصح ، وأما على ما نقلنا عن ابن عباس رضي الله

= في أيام التشريق فنادى: إن الله بريء من المشركين ورسوله فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ولا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا مؤمن ، فكان علي ينادي فإذا أعيى قام أبو بكر ينادي بها. أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس [وهو صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٤٦٨)]، وفي الباب أحاديث في الصحيحين وغيرهما / ١٢ فتح .

(١) فإنه قال : أن المفتوحة قسمان قسم هو في حكم المكسورة نحو علمت أن زيداً قائم وعمرو ، فإن "علم" لا يدخل إلا على المبتدأ و الخبر فلابد أن نقول "أن" في حكم المكسورة فجاز فيها العطف على اسمها بالرفع، وقسم ليس في حكمها نحو: أعجبني أن زيداً قائم وعمرًا ، فلا يجوز إلا النصب في "عمرًا" / ١٢ منه .

(٢) وهم بنو ضمرة حي من كنانة أمر الله تعالى رسوله بإتمام عهدهم إلى مدتهم، وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد/ ١٢ معالم .

عنهما في بعض الروايات فمعناه: أتموا إليهم عهدهم إلى مدهم ، أي : مدة قدرنا وهي أربعة أشهر لكن في الاستثناء يختل الفصل بأجنبي[1] أو تقديره: فقولوا لهم: سيحوا واعلموا أن الله بريء منهم لكن الذين عاهدتم و لم ينقضوا عهدهم أتموا عهدهم وأمهلوهم بعد أربعة أشهر إلى انقضاء أجلهم ، ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً﴾ : من شروط العهد ، ﴿ولَمْ يُظَاهِرُوا﴾ : لم يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَداً﴾ : من أعدائكم ، ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى﴾ ، تمام ﴿مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، فإتمام العهد من التقوى، ﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾ ، انقضى ، ﴿الأَشْهُرُ الحُرُمُ﴾ : الأشهر التي حرمنا فيها قتالهم وأجلناهم فيها وهو أربعة أشهر لغير من كان معاهدته أكثر من أربعة أشهر و لم ينقض عهده وأكثر من أربعة أشهر لهم فإن بني ضمرة وبني كنانة بقي من مدة عهدهم تسعة أشهر وأوله يوم النحر أو يوم نزول الآية وقد نزلت في شوال كما ذكرنا ، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ : كافة ناكثاً وغير ناكث ، وعلى ما نقلنا عن ابن عباس رضي الله عنهما فمعناه: إذا انقضى الأشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم فاقتلوا المشركين الذين لا عهد لهم أصلاً، فعلى هذا أول الصفر ابتداء جواز المقاتلة مع من ليس له عهد ، ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ : من حل أو حرم ، ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ : ائسروهم ، ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ ، احبسوهم وضيقوا عليهم ، ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ : كل ممر حتى لا يتوسعوا في البلاد ، ﴿فَإِن تَابُوا﴾ : عن الشرك ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ : فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر زلاتهم وينعم عليهم .

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ : الذين أمرتك بقتلهم ورفع "أحد" بشريطة التفسير ، ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ : طلب منك الأمان ، ﴿فَأَجِرْهُ﴾ : أمنه ، ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ ،

---

(١) وهو قوله: فإن تبتم فهو خير لكم / إلخ ١٢ منه .

تقرأه عليه وتقيم عليه حجة الله تعالى ، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ ، هو مستمر الأمـــان إلى أن يرجع بلاده ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ : الأمر بأمنه ، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ[1]﴾ : جهلة فلابد مـــن إعطائهم الأمان حتى يسمعوا كلام الله لعلهم يعقلون فيطيعون .

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا

(١) أي : لا يعلمون دين الله وتوحيده، فهم محتاجون إلى سماع كلام الله قال الحسن: هـــذه الآية محكمة إلى يوم القيامة. ١٢/ معالم .

يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ ، استفهام إنكار ، أي : يمكن ذلك وهم على الشرك والكفر وخبر يكون "عند[1] الله" و"كيف" حال من العهد ، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ[2] الْحَرَامِ﴾ ، يعني يوم الحديبية ومحله الجر والنصب على الاستثناء المتصل ، لأنه في معنى ليس للمشركين عهد إلا الذين ، أو منقطع أي : لكن تربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم ، ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ ، أي : فإن استقاموا على الوفاء بالعهد فاستقيموا أنتم أيضاً "فما" شرطية ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ، والوفاء بالعهد من التقوى، هم أهل[3] مكة[4] نقضوا عهدهم

---

(١) وجاز أن يكون خبر "يكون للمشركين" و"عند الله" ظرف للعهد / ١٢ منه .

(٢) هذه الآية تدل على صحة ما نقلنا عن الأكثرين ورجحناه بأنه ثابت عن علي رضي الله عنه فتدبر / ١٢ منه .

(٣) فإنهم عاهدوا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : "اللهم إني ناشد محمداً" إلى آخر ما قال من الأشعار ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لا نُصِرتُ إن لم أنصركم وتجهز إلى مكة سنة ثمان حتى فتحها إلى تمام القصة / ١٢ معالم .[رواه أبو يعلي عن حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه عنها، وقد وثقهما ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح، كذا في المجمع (١٦١/٦)].

(٤) أي : الذين عاهدتم عند المسجد الحرام / ١٢ منه .

وقاتلوا حلفاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فعند ذلك قاتلهم وفتح مكة، وقال بعضهم: هم قبائل[1] من بني بكر قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية و لم ينقضوا والناقض قريش وبعض قبائل بني بكر فإن بني ضمرة ممن استمر على عهده فما قاتلهم أحد حتى أسلموا بلا مقاتلة ، ﴿**كَيْفَ**﴾ ، تكرار للاستبعاد ، أي : كيف لهم عهد عندك؟! ﴿**وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ**﴾ ، والحال أنهم إن يظفروا بكم ، ﴿**لاَ يَرْقُبُوا**﴾ : لا يراعوا ، ﴿**فِيكُمْ إِلاًّ**﴾ : قرابة، أو حلفا قال بعضهم الإل هو الله عبراني ، ﴿**وَلاَ ذِمَّةً**﴾ : عهدا ، ﴿**يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ ، استئناف ، أي : يظهرون خلاف ما يضمرون ، ﴿**وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ**﴾ الوفاء بما قالوا ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ : ناقضون للعهد ، ﴿**اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ : استبدلوا بالقرآن ، ﴿**ثَمَنًا قَلِيلاً**﴾ : متاع الدنيا قيل نقضوا العهد بأكلة أطعمهم أبو سفيان ، ﴿**فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ**﴾ : أعرضوا عن دينه، أو منعوا الناس عن الدخول في دينه ، ﴿**إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ ، عملهم[2] هذا ، ﴿**لاَ يَرْقُبُونَ**﴾ : لا يحافظون ، ﴿**فِي مُؤْمِنٍ**﴾ ، فإنهم يحبون الكفر وأهله ، ﴿**إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً**﴾ : قرابة وعهداً ، ﴿**وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**﴾ : المتجاوزون الغاية في الشرارة ، ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ**

---

(١) قال محيي السنة: هذا أقرب إلى الصواب ، لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة ، فكيف يقول لشيء قد مضى "فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم" ، وإنما هم الذين قال الله عز وجل "إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً" يعني كما نقضكم قريش ، "و لم يظاهروا عليكم أحداً" كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم–. انتهى ما قاله محي السنة. قال المصنف في المنهيات بعد أن نقل هذا القول: وأنت إن تأملت في بعض الآيات لعرفت أن الظاهر أن نزولها قبل الفتح /١٢.

(٢) قوله عملهم هذا هو مخصوص بالذم المحذوف / ١٢ منه .

﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ ، أي : فهم إخوانكم(١) ، ﴿فِي الدِّينِ(٢) وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ : نكررها ونبينها ، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ، وهم المؤمنون ، ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم﴾ : نقضوا مواثيقهم ، ﴿مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي(٣) دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ﴾ : رؤساء مشركي قريش فإنهم ناقضون للعهد مستهزئون بدين الله ، أي : قاتلوهم؛ لأنهم صاروا بذلك ذوي الرياسة في الكفر(٤) قال بعضهم : هم أهل فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان: لم يأت أهلها بعد ، ﴿إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾: لا عهود لهم فإن عهدهم على الحقيقة ليس بعهد ومن قرأ لا إيمان بكسر الهمزة فمعناه لا إسلام أوْ لا أمان لهم ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ(٥) ﴾ ، أي : قاتلوهم(٦) لعلهم يرجعون عما هم عليه من الكفر والعناد ، ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ﴾ ، تحريض على القتال ، ﴿قَوْماً نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ : كفار مكة

---

(١) يعني "إخوانكم" خبر مبتدأ محذوف / ١٢ .

(٢) قال ابن عباس :حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له / ١٢ معالم .

(٣) قد استدل بالآية على أن الذمي إذا طعن في الدين لا يقتل حتى ينكث العهد كما قال أبو حنيفة ، لأن الله إنما أمر بقتلهم بشرطين أحدهما: نقض العهد، والثاني: الطعن في الدين، وذهب مالك والشافعي وغيرهما إلى أنه إذا طعن في الدين قتل ؛ لأنه ينتقض عهده بذلك ، قالوا : وكذلك إذا حصل من الذمي مجرد النكث فقط من دون طعن في الدين فإنه يقتل / ١٢ فتح .

(٤) إشارة إلى أنه وضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر بمعنى : قاتلوهم فإنهم أحقاء / ١٢ منه .

(٥) هذه الآيات كالصريح في أن نزول تلك الآيات قبل فتح مكة خلاف ما قال محي السنة كما كتبنا على الحاشية، اللهم إلا أن يقال : هذه الآيات من قوله : " وإن نكثوا أيمانهم " قبل الفتح والآيات التي تقدمت بعده / ١٢ منه .

(٦) ولما تقدم الحث على القتال أمر به "قاتلوهم" الآية / ١٢ وجيز .

نقضوا عهد الحديبية ، ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ[1]﴾ : من مكة كما مر في قوله: "وإذ يمكر بك الذين كفروا" ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ : بالقتال ، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ، يعني يوم بدر فإنهم خرجوا لنصر عيرهم فلما نجت استمروا على وجههم طلباً للقتال بغياً وتكبراً، أوالمراد أنهم بدءوا بالقتال مع حلفائكم خزاعة ، ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ : أتتركون قتالهم خشية منهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ : فلا تتركون لدينه ضعفاً وتسعون في إعلاء كلمته ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، فإن الإيمان الكامل ينفي الخشية عن غير الله ، ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ ، أمر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ، ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾: يذلهم ، ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ ، وعد من الله بنصر المؤمنين وقتل الكافرين وإذلالهم ، ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي : بني خزاعة أعانت قريش بني بكر عليهم ، ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ : كربها بمعونة قريش بني بكر ، ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ﴾ : من المشركين كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما كان وما لم يكن ﴿حَكِيمٌ ﴾: لا يأمر إلا بما هو المصلحة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: أيها المؤمنون، وأم منقطعة بمعنى الهمزة فيها توبيخ على الحسبان وقيل خطاب للمنافقين ، ﴿أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ ، أي : نتركم مهملين ولا نختبركم بأمور يظهر الخلَّص من غيرهم، نفى العلم ، وأراد نفي المعلوم للمبالغة نفياً للملزوم بنفي اللازم ، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾ ، عطف على جاهدوا ، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ : بطانة وأولياء يفشون إليهم أسرارهم ، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ : يعلم أغراضكم من أفعالكم .

---

(١) من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة وهموا بأحد أمور ثلاثة قتله وحبسه وإخراجه ، وإنما اقتصرنا على الهم بالإخراج؛ لأنه هو الذي وقع أثره في الخارج بحسب الظاهر وكانت دار الندوة مكان اجتماع القوم للتحدث وكان قد بناها قصي ، وقد أدخلت الآن في المسجد فهي مقام الحنفي الآن / ١٢ فتح .

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿مَا كَانَ﴾ : ما صح ، **﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾** ، أيُّ مسجد كان ، أو المراد مسجد الحرام، وجمعه لأنه قبلة المساجد ، ويدل عليه قراءة من قرأ مســـجد الله وعمارته مرمته عند الخراب، أو الصلاة والقعود فيه أو أعم ، قيل : نزلت في عباس حين أسر في البدر فأغلظ علي –رضي الله عنه– له القول في التعيير فأجاب: تعدون مساوئنا

ولا تذكرون محاسننا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ، ﴿شَاهِدِينَ[1] عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ ، حال من فاعل يعمروا ، أي : ما استقام الجمع بين عمارة بيت الله وعبادة غيره ،﴿أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ[2] أَعْمَالُهُمْ﴾ ، لأن الكفر يذهب ثوابها ، ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ ، في باب[3] الدين وأمره يعني من كان بهذه الصفات فهو اللائق بعمارة المساجد قال صلى الله عليه وسلم "إذا رأيتم[4] الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان" ، قال الله تعالى : " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر " (التوبة:١٨)، وقد ورد "عمار المساجد هم أهل[5] الله" ﴿فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ، قيل الإتيان بلفظ عسى إشارة إلى ردع الكفار وتوبيخهم بالقطع في زعمهم أنهم مهتدون فإن هؤلاء مع هذه الكمالات اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما ظنك بمن هو أضل من البهائم! وإشارة إيضاً إلى منع المؤمنين من الاغترار والاتكال على الأعمال ،﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ، أي : أهل السقاية والعمارة ، وقيل المصدر بمعنى اسم الفاعل ، أي: الساقي والعامر ،

---

(١) وشهادتهم على أنفسهم هو قولهم في الطواف لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك إذا سئلوا عن دينهم قالوا: نعبد اللات والعزى / ١٢ منه .

(٢) لأنها لغير الله عز وجل / ١٢ معالم .

(٣) لا أن يترك الدين خشية من زوال مال أو جاه أو تعيير أو قتال / ١٢ منه .

(٤) ذكره الإمام أحمد والدارمي والترمذي وحسنه وابن ماجة وابن المنذر والبيهقى هذا يدل على أحد الوجهين الأخير في قوله: "ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله" /١٢ منه وفتح .[ضعيف، انظر ضعيف الجامع]

(٥) رواه الترمذي وابن مردويه والحاكم في مستدركه والحافظ البزار / ١٢ منه .[ضعيف، وهو في "الحلية" أيضا لأبي نعيم (١٧٣/٦)]

﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ[1] الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، وفي مسلم قال رجل من: الصحابة ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ، وقال الآخر: الجهاد خير مما قلتم[2] فقال عمر: استفتيت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله تعالى : " أجعلتم سقاية الحاج " الآية ، وعن كثير من السلف: أنها نزلت في مفاخرة عباس وطلحة وعلي بن[3] أبي طالب رضي الله عنهم ، قال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه ، ولو أشاء أبيت فيه ، وقال العباس بعد إسلامه : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، وقال علي : ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ، وأنزلت حين قال المشركون[4] : عمارة البيت والقيام على السقاية خير من الإيمان والجهاد ، ﴿لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾ ؛ بل المجاهد أفضل لكن للمرجوح درجة[5] ثم بين بقوله ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ، أن من ليس له فضل ، ولا هداية ولا درجة هم الذين ظلموا أنفسهم بعبادة الأوثان مكان عبادة الله ، وإن كان سبب النزول مفاخرة المشركين فقوله: " والله لا يهدي القوم الظالمين " لبيان عدم التساوي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾ : ممن لم

---

(١) جاز أن يكون تقديره: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجهاد من جاهد؟! / ١٢ منه .

(٢) يعني من السقاية والعمارة / ١٢ منه .

(٣) تصديقاً لمن قال الجهاد أفضل / ١٢ منه .

(٤) رواه العوفي في تفسير هذه الآية عن ابن عباس / ١٢ منه .

(٥) هذا على أن تكون تلك المفاخرة بين المسلمين كما بُيِّن في الوجهين الأولين، وأما على الوجه الثالث فهو الذي ذكرناه بقولنا : وإن كان سبب النزول إلى آخره فافهم/١٢ منه .

يستجمع هذه الصفات ،﴿وأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ : بالنجاة الكلية[١] عن النار والظفر المطلق بالأمنية ، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَّجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ : يستحقر دونه نعيم الدنيا بأسرها ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ : أصدقاء ، ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ : اختاروا ، ﴿الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾ ، نزلت حين أمروا بالهجرة من مكة فإن بعض[٢] المؤمنين قالوا : إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا ، أو نزلت نهياً عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ : بوضع الموالاة مكان المعاداة ، ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ : أقرباؤكم ، ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ : اكتسبتموها ، ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ : تستطيبونها ، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ ، جواب الشرط ، أي : انتظروا ،﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ : عقوبته العاجلة والآجلة ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ : لا يرشد الخارجين عن الطاعة وفي الحديث[٣] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي ، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : الآن يا عمر ، قيل المراد الحب الاختياري دون الطبيعي الذي لا يدخل تحت التكليف .

---

(١) فلا يرد أن من لم يكن له هذه الصفات لم يكن من الفائزين فلا تغفل / ١٢ منه .

(٢) نقله محي السنة والواحدي / ١٢ منه .

(٣) رواه البخاري في صحيحه / ١٢ وجيز .

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ**﴾ : أماكن ، ﴿**كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ**[1] **حُنَيْنٍ**﴾ ، أي : وموطن يوم حنين[2] واد بين مكة وطائف وقع فيه المقاتلة بعد فتح مكة ، ﴿**إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ**﴾ ، بدل من يوم حنين ، ﴿**كَثْرَتُكُمْ**﴾ ، المؤمنون اثنا عشر ألفا والكفار أربعة آلاف ، ﴿**فَلَمْ تُغْنِ**﴾ ، أي : لم تدفع الكثرة ، ﴿**عَنكُمْ شَيْئاً**﴾ : من أمر العدو ، ﴿**وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ**

---

(١) عطف على محل في مواطن ولا محظور فيه أصلاً فلا تخف من قعقعة سلاح الزمخشري فليست تحته إلا إخافة وليس بشيء فتدبر / ١٢ منه .

(٢) قدر المضاف في يوم حنين ، لأن المتعلقات لا يعطف بعضها على بعض إلا ما هو من جنسه نحو صمت يوم الجمعة ويوم الخميس، ولا يقال صمت يوم الجمعة وفي بلدك وبتقدير المضاف صارا ظرفين مكانيين وجاز أن يقدر في أيام مواطن حتى يكونا زمانيين / ١٢ منه .

﴿الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ، أي : برحبها وسعتها فلم تجدوا موضعاً للفرار تطمئـــن بـه نفوسكم ، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم﴾ : فررتم ، ﴿مُّدْبِرِينَ﴾ : منهزمين حتى بلغ[1] فُلَّكُم مكة وبقي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في مركزه معه العباس وأبو سفيان[2] ، ﴿ثُمَّ أَنـزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ : ماسكن واطمئن به الفؤاد من رحمته ، ﴿عَلَـى رَسُـولِهِ وَعَلَـى الْمُؤْمِنِينَ﴾ : فنادى العباس بأمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكان صيتاً : يـا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة. فكرُّوا عنقاً واحداً قائلين لبيـك لبيك ، ﴿وَأَنزَلَ جُنُوداً﴾ : من الملائكة ، ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ، لكن قالوا : سمعنا صلصلـة بين السماء والأرض كإمرار الحديد على الطست الجديد ، ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : بالقتل والسبي ستة آلاف أسير من صبي وامرأة ، ﴿وَذَلِكَ﴾ ، إشارة إلى ما فعل بهـم ، ﴿جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾ : في الدنيا ، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَـاءُ﴾ ، فإن كثيراً ممن بقي من هؤلاء المقاتلين بعد الوقعة بقريب من عشرين يوماً قدموا علـى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مسلمين فرد عليهم سبيهم كلها برضى المؤمنـين وقسم أموالهم بين الغانمين ، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ : لمن آمن يتجاوز عنه ويتفضـل عليه ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ[3]﴾ : باطنهم ودينهم قال قتـادة

---

(١) أي : منهزموكم يستوي فيه الواحد والجمع / ١٢ .

(٢) ابن حارث بن عبد المطلب وابنه جعفر وعلي بن أبي طالب وربيعة بن الحارث والفضل بن عباس وأسامة بن زيد وأيمن بن عبيد وثبت معه أبو بكر وعمر فكانوا عشرة رجـالاً / ١٢ وجيز .

(٣) جعلوا كأنهم النجاسة مبالغة، فإن النجس بفتح الجيم مصدر أو معناه ذوو نجس فـإن شركهم بمنزلة نجس ، وعن بعض أن أعيانهم كالكلاب والخنازير نجسة، وعند الحسـن من مس مشركاً فليتوضأ / ١٢ وجيز ، وفي الفتح: قد استدل بالآية من قـال : بـأن المشرك نجس الذات كما ذهب إليه بعض الظاهرية، وروي عن الحسن البصري ، وهـو =

لأنهم[1] لا يتطهرون من جنابة ولا من حدث ، ﴿فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ[2] الْحَرَامَ﴾ ، منعوا من دخول الحرم ، وقيل : منعوا عن الحج[3] والعمرة لا عن الدخول مطلقاً ، ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ ، وكان سنة تسع أرسل علياً ونادى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ : فقراً بسبب منع الكفار من الحرم لانقطاع المتاجر ، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِه﴾ : من عطائه بوجه آخر ، ﴿إِن شَاءَ﴾ ، قيده بالمشيئة لينقطع الآمال إلى الله عوضهم الجزية وأموال البلدان ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ : بأحوالكم ، ﴿حَكِيمٌ﴾ : في المنع والإعطاء ، ﴿قَاتِلُوا[4] الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ ، أمر بقتال أهل الكتاب ، فهم لا يؤمنون إيماناً كما ينبغي فإيمانهم كلا إيمان ، ﴿وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ : كالخمر والربا ، ﴿وَلاَ يَدِينُونَ[5] دِينَ الْحَقِّ﴾ : لا يعتقدون دين الثابت الناسخ لسائر الأديان ، ﴿مِنَ الَّذِينَ

= محكي عن ابن عباس ، وقال الحسن بن صالح : من مس مشركاً فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية وذهب الجمهور من السلف والخلف ومنهم أهل المذاهب الأربعة إلى أن الكافر ليس بنجس الذات؛ لأن الله سبحانه أحل طعامهم وثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في ذلك من فعله وقوله ما يفيد عدم نجاسة ذواتهم فأكل في آنيتهم وشرب منها وتوضأ فيها وأنزلهم في مسجده وهو الحق / ١٢ .

(١) فعلى قوله نجس ظاهرهم وباطنهم / ١٢ منه .

(٢) يطلق مسجد الحرام ويراد به الحرم كله / ١٢ منه .

(٣) فيكون المراد من المسجد الحرام نفس المسجد ؛ لأن الحج لابد له من الدخول فيه/١٢ منه .

(٤) ولما بين وفصل أمر المشركين من قريش وغيره توجه إلى أمر أهل الكتاب فقال : " قاتلوا الذين " الآية / ١٢ وجيز .

(٥) يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذ دينه واعتقده / ١٢ منه .

﴿أُوتُوا الكِتَابَ﴾ ، بيان للذين لا يؤمنون ، **﴿حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ﴾** : ما تقرر عليهم أن يعطوه ، **﴿عَن يَدٍ﴾** : عن قهر وذل يقال لكل شيء أعطي كرها : أعطاه عن يد أي : عاجزين فهو حال أو يعطونها بأيديهم ولا يرسلون على يد غيرهم ، أي : المسلمين بأيديهم وقيل : عن غنى[1] ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير ، **﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾** ، ذليلون ، عن ابن عباس رضي الله عنهما يؤخذ منه وتوجأ عنقه .

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

(١) يقال: لفلان ذات يد أي ثروة ومال / ١٢ منه .

مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَقَالَتِ[١] الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ ، وذلك لأن العزير كتب التوراة بعدما فات منهم وضاع ، ثم لما وجدوا نسخة من نسخ التوراة قابلوها بها فوجدوها صحيحاً فقال بعض جهلتهم ، إنما جاء بها لأنه ابن الله ، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ، وسبب ضلالهم في المسيح ظاهر ، ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ : لامستند لهم كالمهمل يتفوهون به ليس له مفهوم عيني ، ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ ، أي : يضاهي قولهم فحذف القول وأقيم المضاف إليه مقامه ، ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ ، من قبلهم ، أي : قدمائهم فالكفر فيه قديم ، أو المشركين الذين يقولون الملائكة بنات الله ، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ ، قال ابن عباس : أي لعنهم الله ، ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ، كيف يضلون عن الحق ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ ، علماؤهم ، ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ ، زهادهم والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى ، ﴿أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ، حرموا[٢] عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام

---

(١) هذا كالدليل على جواز مقاتلتهم لما قتل الأنبياء بعد موسى رفع الله عنهم التوراة ومحاها عن قلوبهم خرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض فأتاه جبريل وعلمه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه فلما وجدوا شيئاً من التوراة قابلوها فوجدوها صحيحاً فقالوا ما قالوا/١٢ وجيز .

(٢) الأكثرون من المفسرين قالوا : ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم؛ بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم، عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي - =

فأطاعوهم وتركوا كتاب الله تعالى ، ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ، بأن جعلوه ابناً له ، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً﴾ ، هو الله ، ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ ، صفة ثانية أو استئناف ، ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ[1] ﴾ ، هو المنزه عن شريك وولد ، ﴿يُرِيدُونَ أَن

= صلى الله عليه وسلم- وهو يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فقال : "إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه" أخرجه أحمد وابن جرير والترمذي وحسنه البيهقي في سننه وابن أبي حاتم [حسن، انظر صحيح الترمذي (٢٤٧١)]، وقال الربيع: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل ؟ فقال : إنهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى قال شيخنا ومولانا خاتم المحققين والمجتهدين رضي الله عنهم: قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض مسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات و لم يلتفتوا إليها وبقوا ينظرون إليّ كالمتعجب يعني كيف يمكن العمل بظواهر الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها؟! ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء سارياً في عروق الأكثرين من أهل الدنيا / ١٢ كبير.

(١) وفي هذه الآية مما يزجر عن التقليد في دين الله وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب والسنة المطهرة فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدي بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وأنبياؤه -هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم؛ بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحللوا ما حللوا وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرة بالتمرة والماء بالماء، فيا عباد الله ويا أتباع محمد بن عبد الله ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما وطلبه للعمل منهم بما دلا عليه وأفاداه فعملتم بما جاءوا به من الآراء التي لم تعمد بعماد الحق و لم تعضد بعضد الدين ونصوص الكتاب =

﴿يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ ، الذي أرسل به رسوله من الهدي ودين الحق ، **﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾** ، بتكذيبهم ، **﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾** ، لا يرضى ، **﴿إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾** ، بإعلاء كلمته، والاستثناء مفرغ لأن الفعل الموجب في معنى النفي وهذا تمثيل لحالهم في طلب إبطال الدين بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور منبث في الآفاق بنفخة ، **﴿وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ﴾** ، إتمامه، ويدل على جواب لو ما قبله ، **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾** ، القرآن والمعجزة ، **﴿وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾** ، ليعليه على سائر الأديان فينسخها فالضمير إما لدين الحق ، أو للرسول ، أو على أهل الكتاب(*) فيخذلهم ، **﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾** ، غلبته وهذه الجملة كالبيان للجملة الأولى .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً(١) **مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾** ، يأخذ علماء أهل الكتاب الرشى ويبطلون دين الله وحكمه والمقصود

- والسنة تنادي بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه؟! فدعوا أرشدكم وإياي كتباً كتبها لكم الأموات من أسلافكم واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم ومعبودهم ومعبودكم واستبدلوا بأقوال من تدعوهم بأئمتكم بأقوال إمامكم وإمامهم وقدوتهم وقدوتكم وهو الإمام الأول محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- اللهم اهدنا إلى الحق وأرشدنا إلى الصواب / ١٢ فتح .

(*) قوله: "أو على أهل الكتاب" معطوف على قوله: "ليعليه على سائر الأديان" ولو عطف على ما قبله مباشرة لفسد المعنى؛ إذ لا يصح أن يعود الضمير في قوله: "ليظهره" على أهل الكتاب. والله أعلم.

(١) ولعمري من تأمل في أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كأنها ما أنزلت إلا في شأنهم وفي شرح أحوالهم فنرى الواحد منهم يدعي أنه لا يلتفت إلى الدنيا ولا يتعلق خاطره بجميع المخلوقات وأنه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى إذا آل الأمر إلى الرغيف الواحد تراه يتهالك عليه ويتحمل نهاية الذل والدناءة في تحصيله / ١٢ كبير .

التحذير من علماء السوء وعباد الضلال ، ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، يصرفون الناس عن اتباع الحق ، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا﴾ ، الضمير للدنانير والدراهم الكثيرة الدالة عليها يكترون الذهب والفضة ، أو للكنوز أو للفضة ، لأنها أقرب وتدل على أن حكم الذهب بطريق الأولى ، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ، عن كثير من السلف كعمر وابنه وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم أن الكتر مال لم يؤد منه الزكاة وما أدي زكاته فليس بكتر(*) وقد صح عن علي رضي الله عنه قال : أربعة آلاف فما دونها نفقة فما أكثر من ذلك فهو كتر ومثل هذا مذهب كثير من السلف، والأخبار في مدح التقلل وذم التكثر(١) أكثر من أن يخفى ، ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ ، أصل معناه يوم تحمى النار ، أي : توقد ذات حمي وحر شديد على الكنوز ثم طوي ذكر النار وحول الإسناد إلى الجار والمجرور للمبالغة في شدة حر الكنوز ، ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾، لا يوضع دينار على(٢) دينار لكن يوسع جلده حتى يوضع كل درهم في موضع على حدة قال بعضهم صاحب الكتر إذا رأى الفقير قبض جبهته وولى ظهره وأعرض عنه كشحه ولهذا خص الجباه والجنوب والظهور ، ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ ، أي : يقال لهم ذلك ، ﴿لأَنفُسِكُمْ﴾ ، فصار النفع ضرًّا ، ﴿فَذُوقُوا﴾ : وبال ، ﴿مَا كُنتُمْ(٣) تَكْنِزُونَ﴾ ، ما

(*) وقد صح ذلك مرفوعا.

(١) نقل الإمام أحمد عن علي -رضي الله عنه- أن رجلاً من أهل الصفة مات وترك دينارين فقال عليه السلام كيتان/١٢ منه .

(٢) هكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لكن في إسناده ضعف/ منه .

(٣) ولما عد أنواعاً من قبائح أهلِ الكتاب والنسيء من قبائحهم عده في جنبها فقال إنما النسيء / وجيز .

مصدرية أو موصولة وأكثر السلف على أن الآية عامة في المسلمين وأهل الكتاب وبه بالغ وحلف[1] أبو ذر .

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ ، مبلغ عددها ، ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ ، متعلق بعدة فإنها مصدر ، ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْراً﴾ ، لا أزيد من ذلك كما يفعله المشركون وسنذكره في قوله : " إنما النسيء زيادة " الآية (التوبة:٣٧)، ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ : في اللوح المحفوظ أو في حكمه ، ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ ، أي : ثابت في كتاب الله يوم خلق الأجسام فيكون "في كتاب الله" صفة لاثني عشر و"يوم خلق" متعلق بمتعلقه ، ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ، رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ، ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ ، أي : تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين الأنبياء ، ﴿فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ ، بهتك حرمتها فإن الظلم فيها أعظم وزراً فيما سواه ، والطاعة فيها أعظم أجراً قال بعضهم : ضمير فيهن راجع إلى اثني عشر ، أي : لا تظلموا في الشهور كلها قال الأكثرون : حرمة المقاتلة في أشهر الحرم منسوخة فأولوا نهي الظلم بترك المعاصي ، وقال بعضهم : محكمة وجازت المقاتلة إذا كانت البدأة منهم وأجابوا عن محاربة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أهل الطائف بأن ابتداءه في الشهر الحلال ، ﴿وَقَاتِلُوا[2] الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ : جميعاً ، ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ : هو تهييج وتحضيض للمسلمين بالاتفاق في محاربة أهل الشرك والنفاق ، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ : بشرهم بالنصرة بعدما أمرهم بالمقاتلة ، ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ : هو تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر وذلك لأنه إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا بدله شهرًا من أشهر الحل حتى رفضوا خصوص الأشهر الحرم واعتبروا مجرد العدد ، ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ : فإن

---

(١) حين يدعي معاوية بن أبي سفيان أن الآية في شأن أهل الكتاب لا فينا / منه .

(٢) فيه دليل على وجوب قتال المشركين وأنه فرض على الأعيان إن لم يقم به البعض/فتح .

تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه كفر ضموه إلى كفرهم ، ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ضلالاً زائداً ، ﴿يُحِلُّونَهُ﴾ : أي : النسيء من الأشهر الحرم ، ﴿عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً﴾ : إذا قاتلوا[1] فيه أحلوه وإذا لم يقاتلوا فيه حرموه ، ﴿لِّيُوَاطِئُوا﴾ : متعلق بما دل عليه الكلام ، أي : حرموا مكانه شهرًا آخر ليوافقوا ، ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ : لا يزيد ولا ينقص الأشهر الحرم من الأربعة ، ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ ، فإنه لم يحرموا الشهر الحرام بل وافقوا في العدد وحده ، قيل: وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت فلذلك قال تعالى: " إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر " الآية ، ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ : فإن الشيطان يغويهم ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ، أي : لا يهدي من هو في علم الله كافر مؤبد الكفر أو معناه، لا يهديهم في حال كفرهم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ

(١) قد نقل أن جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم ينادي : إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه/ منه .

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ[1] آمَنُوا مَا لَكُمْ[2] إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا﴾ : اخرجوا ، **﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾** ، تباطأتم ، **﴿إِلَى الأَرْضِ﴾**، متعلق باثاقلتم لتضمنه معنى الميل والخلود نزلت في شأن غزوة تبوك أمروا بها حين رجعوا من فتح مكة والطائف[3] في وقت عسرة وشدة حر فشق عليهم ، **﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾** ، أي : بدلها

---

(١) وكانت العرب لا عيش لأكثرهم إلا من الغارات وأعمال السلاح وهم يدعون إنا على دين إبراهيم ، وكانت إذا توالت عليهم الثلاثة الحرم صعب عليهم وكان فيهم من يبين دينهم فهو الذي شرع له النسيء وبقي إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضل فيهم ذو الحجة، وأما أن سنة حج فيها أبو بكر هي في ذى القعدة فليس بشيء وإن قاله بعض المؤرخين ؛ لأنه نودي في حج أبي بكر بتحريم النسيء ونفي منهم وغيره من أمر الجاهلية وأيضاً لما مضى من حجته عشر أشهر وكان الحادي عشر في أواخره سار(*) صلى الله عليه وسلم إلى الحج موافياً لهلال ذي الحجة فلما وقف بعرفة أخبر أن الزمان قد استدار كهيئته فعلم قطعاً أن استدارته كانت في حجة أبي بكر والحمد لله وحده ولما أمرهم وهيجهم وشجعهم على القتال كافة وهم لم يبادروا وتثاقلوا وقعوا موقع العذاب فقال : " يا أيها الذين آمنوا ما لكم " الآية / وجيز .

(*) كذا بالأصل، واللفظ في الحديث "كهيئة".

(٢) الاستفهام إنكاري تفريعي والقائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يذكر إغلاظاً ومخاشنة لهم صوناً عن ذكره إذ خولف أمره / وجيز .

(٣) سنة تسع من الهجرة / ١٢ .

يعني الجنة ، **﴿فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** ، التمتع بها ، **﴿فِي الآخِرَةِ﴾** ، أي: في جنبها ، **﴿إِلاَّ قَلِيلٌ﴾** ، فإنها لا تتناهى وأين نعيم الدنيا من نعيمها **﴿إِلاَّ تَنفِرُوا﴾** ، شـــرطية ، **﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾** ، في الدنيا والآخرة ، **﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾** ، يأت بقوم آخرين مطيعين بعد هلاككم، **﴿وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً﴾** ، بالتثاقل فإنه هو الناصر لدينـــه ، أو الضمير لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، أي : سينصره إن قعدتم عن الحـرب ، **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** ، فيقدر على تبديلكم ونصرته بـــلا مددكـــم ، **﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾** ، بمترلة العلة له ، **﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ، حاصلـــه أنه ينصره كما نصره جواب الشرط محذوف[١] وهو فسينصره ، وقوله : " فقد نصـره الله" حين إن وقع الكفار سببًا لخروجه ، **﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ[٢]﴾** ، أي حال كونه أحد اثنـين هو وأبو بكررضي الله عنه ، **﴿إِذْ هُمَا فِي الغَارِ﴾** ، في جبل ثور وهو بدل البعض مـن "إذ أخرجه" ، لأن المراد منه زمان متسع[٣] ، **﴿إِذْ يَقُولُ﴾** ، بدل آخر أو ظرف لثاني ، **﴿لِصَاحِبِهِ﴾** ، أبي بكر حين طلع الكفار فوق الغار يطلبونهما ، **﴿لاَ تَحْزَنْ[٤]﴾** إِنَّ اللَّـــهَ

---

(١) لا يجوز أن يكون "فقد نصره الله" جواباً للشرط ؛ لأنه ماض محض فالمذكور بمترلة العلـــة ، أي : إن لا تنصروه فينصره الله كما نصره ؛ لأنه نصره في وقت أصعب من ذلك .

(٢) قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر/ فتـــح ، وعن ابن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأبي بكر : أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذي وقال حديث صحيـــح حســـن غريـــب/ فتح.[ضعيف، انظر ضعيف الجامع (١٤٢١)]

(٣) وهذا الزمان الذي هما في الغار بعضه .

(٤) قال أبو بكر : يا رسول الله ، إن قتلت فأنا رجل واحد وإن قتلت هلكت الأمة وذهب دين الله فقال -صلى الله عليه وسلم- : "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" ومن تلك الآية قال العلماء من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر/ وجيز .

﴿مَعَنَا[1]﴾ ، بالنصرة والعصمة ، **﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾** ، أمنته ، **﴿عَلَيْهِ﴾** ، أي تجدد أمنته على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن الضمير لأبي بكر رضي الله عنه ويؤيد الأول قوله ، **﴿وَأَيَّدَهُ﴾** ، أي : رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا خلاف ، **﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾** ، أي : الملائكة ليحرسوه ، قال بعضهم : المراد بقوله : " وأيده بجنود لم تروها " التأييد يوم البدر فعلى هذا عطف على أخرجه الذين كفروا ، **﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ، كلمة الشرك ، **﴿السُّفْلَى[2]﴾** ، حيث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فلم يروه أو حين قتلوا وأسروا يوم بدر ، **﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾** ، كلمة التوحيد عالية ظاهرة حين هاجر المدينة أو حين غلبوا ونصروا يوم بدر ، **﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** ، في أمره وتدبيره ، **﴿انفِرُوا[3]﴾** ، إلى جهاد تبوك ، **﴿خِفَافاً وَثِقَالاً﴾** ، شبانًا وشيوخًا أو نشاطًا وغيره أو ركبانًا ومشاة أو فقيرًا وغنيًّا أو قليل العيال وغيره أو خفافاً من السلاح وثقالاً منه أو أصحاء ومرضى أو مسرعين، وبعد الاستعداد ، **﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ[4] خَيْرٌ لَّكُمْ﴾** ، من التثاقل إلى الأرض ، **﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** ، فإن من لم يكن من أهل العلم لا يصدق بخيرية النفور ويختار هوى النفس ، قال ابن عباس رضي الله عنه: نسخت هذه الآية بقوله : " وما كان المؤمنون لينفروا كافة " ، قال بعضهم[5] : لما نزلت اشتد شأنها على الناس فنسخها الله بقوله :

---

(١) أي : ناصرنا كذا في البخاري في كتاب التفسير .

(٢) مقهورة مخفوضة .

(٣) ولما توعد من لا ينفر معه وضرب له من الأمثال، أتبعه بالأمر الجازم فقال : انفروا خفافاً / وجيز .

(٤) أي : الجهاد بالأموال والأنفس .

(٥) هو السدي .

" ليس على الضعفاء ولا على المرضى " الآية (التوبة: ٩١)، ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً﴾ ، لو كان ما دعوا إليه نفعاً وغنيمة دنيوية قريبة ، ﴿وَسَفَراً قَاصِداً﴾ ، متوسطاً ، ﴿لاَّتَّبَعُوكَ﴾ ، وافقوك ، ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ ، المسافة التي تقطع بمشقة فإنه عليه الصلاة والسلام خرج بنية الروم ، ﴿وَسَيَحْلِفُونَ[1] بِاللَّهِ﴾ ، إذا رجعت من تبوك عذراً للتخلف يقولون ، ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ ، استطاعة بدن ومال ، ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ ، هذا ساد مسد جوابي القسم والشرط ، ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ[2]﴾ ، بإيقاعها في العذاب للحلف الكاذب حال من فاعل سيحلفون ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ، فإنهم مستطيعون .

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا

(١) إخبار عما سيقع فما هو إلا معجزة / وجيز .

(٢) جملة مستأنفة وإخبار منه سبحانه وباقي الإعرابات تمحلات / وجيز .

فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞

﴿**عَفَا**[1] **ٱللَّهُ عَنكَ**﴾ ، خطأك في إذنهم للتخلف، بدأ بالعفو قبل التعيير بالذنب لنهاية العناية في شأنه عليه الصلاة والسلام ، ﴿**لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾ : في القعود وهلا توقفت ،

(١) قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، أي : في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، =

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ : في الاعتذار فتأذن لهم ، ﴿وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ ﴾ : فلا ترخصهم فى التخلف ، ﴿لاَ يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّه[1] وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ ، في التخلف كراهة ، ﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ ، لأنهم يرون الجهاد[2] قربة أو لا يستأذنون في أن يجاهدوا[3] بل يسرعون إلى الجهاد من غير طلب إذن ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ ، فيجازيهم على حسب تقواهم[4] ، ﴿إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ﴾ ، في التخلف ، ﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ ، يتحيرون ، ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ ، معك إلى القتال ، ﴿لأَعَدُّوا لَهُ﴾ ، للخروج ، ﴿عُدَّةً﴾ ، أهبة من الزاد والركوب ، أي : هم أهل ثروة واستطاعة ، ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ ، يعني ما خرجوا ولكن[5] تثبطوا ؛ لأن الله أبغض

= والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان في إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك ، قال عمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يؤمر بشيء فيهما إذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أساري بدر فعاتبه الله كما تسمعون / لباب التأويل المعروف بالخازن .

(١) يعني أن المخلص الخالص إذا توجه سلطانه وسيده إلى سفر سيما إلى حرب لا يخطر بباله التخلف بل يسرع إلى التجهز فلا يستأذن / وجيز .

(٢) يعني : أن يجاهدوا مفعول له بحذف مضاف يعني أن الاستئذان فى التخلف لأجل كراهة المجاهدة منتف عنهم / منه .

(٣) على هذا الوجه أن يجاهدوا ظرف بحذف حرف الجر والوجه الأول كأنه أولى لأن مقدمه وهو قوله : " لم أذنت لهم " ليس إلا الإذن في التخلف ومؤخره وهو قوله: "إنما يستأذنك " أيضاً كذلك فالمناسب أن يكون المتوسط مثلهما / منه .

(٤) ومن تقواهم إسراعهم في القربات (وجيز) .

(٥) من حق حرف الاستدراك التوسط بين كلامين متغايرين نفياً وإثباتاً وظاهر الآية أنهم لم يريدوا الخروج فلم يستعدوا لكن كره الله فبين الشارح ملخصه وهو أن نفي إرادتهم =

خروجهم معك ، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ ، حبسهم ومنعهم عن الخروج ، ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾ ، في بيوتكم تمثيل لإلقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم ، أو قال بعضهم لبعض ، ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ ، الذين لهم عذر ، أو مع الصبيان والنسوان وعلى هذا صلاحكم في تخلفهم ، وعتاب الله تعالى عليه لمبادرة الإذن في التخلف ، ﴿لَوْ خَرَجُوا﴾ ، يبين[١] وجه كراهته تعالى ، ﴿فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ﴾ ، بخروجهم شيئاً ، ﴿إِلاَّ خَبَالاً﴾ ، فساداً ولا يلزم من هذا[٢] أن يكون للمؤمنين فساد وهم زادوه ، ﴿وَلأَوْضَعُوا﴾ ، لأسرعوا ركائبهم[٣] ، ﴿خِلالَكُمْ[٤]﴾ ، في وسطكم بإيقاع العداوة للنميمة ، ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ ، يريدون أن يفتنونكم[*] بإيقاع الخلاف[٥] فيكم ، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ، مطيعون[٦] مستجيبون لحديثهم أو سماعون لهم الأخبار لينقلوها عليهم ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ، فيجازيهم ، ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ ، تفريق أصحابك

= الخروج يستلزم نفي خروجهم وكراهة الله انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فيئول حاصله إلى ما فسره وهو في غاية الانتظام / ١٢ منه .

(١) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي على ذي حرة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزل الله تعالي يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم : " لو خرجوا " الآية / معالم .

(٢) لأن المستثنى منه كما بينا هو أعم العام الذي هو شيئاً والاستثناء متصل مفرغ/١٢ منه .

(٣) فمفعول أوضعوا محذوف هو ركابهم ١٢ .

(٤) من وضع البعير: أسرع .

(*) كذا في الأصل بإثبات النون.

(٥) فإنهم نمامون حرفتهم النميمة / وجيز .

(٦) قاله قتادة (منه) .

وتشتيت أمرك ، ﴿مِن قَبْلُ﴾ ، في أوائل ما جئت المدينة رمته العرب واليهود ومنافقوها عن قوس واحد ، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ ، دبروا لك الحيل ، ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ ، التأييد الإلهى ، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ ، وعلا كلمته يوم بدر ويوم فتح مكة ، ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ ، كما قال ابن سلول الملعون حين سمع قصة بدر : هذا أمر قد توجه ، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ ، في القعود ، ﴿وَلاَ تَفْتِنِّي﴾ ، لا توقعني في الفتنة ببنات الأصفر نزلت في جد بن قيس من أشراف بني سلمة حين قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– له هل لك في جهاد بني الأصفر يعني الروم فقال لنفاقه: ائذن لي ولا تفتني ببنات الأصفر فوالله إني أخشي إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن ولكني أعينك بمالي(•)، ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ﴾ ، بسبب تخلفهم عنك ، ﴿سَقَطُوا﴾ ، لابسبب بنات الأصفر وما دعوهم إليه ، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ، جامعة لهم لا مهرب ولا محيص ، ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ ، ظفر وغنيمة ، ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ ، كما أصاب يوم أحد ، ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ ، عملنا بالحزم كما قال ابن سلول وأصحابه حين تخلفوا عنك يوم أحد ، ﴿وَيَتَوَلَّوْا﴾ ، عن مقام التحدث أو أعرضوا عن الرسول ، ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ ، بما نالكم من المصيبة ، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ ، في اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم ، ﴿هُوَ مَوْلاَنَا﴾ ، ملجؤنا وناصرنا ، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ، لاعلى كثرة العدد والعدد ، ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ ، تنتظرون ، ﴿بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ ، النصرة والشهادة[1] وكل

(•) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف، كذا قال الهيثمي في "المجمع"، (٧/ ٣٠).

(١) ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تكفل الله (وفي رواية تضمن الله) لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمانًا بي =

منهما حسنى ، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ ، إحدى السوءين ، ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ ، بقارعة وبلاء من السماء ، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ أو بعذاب بأيدينا كالقتل، ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ ، انتظروا ما هو عاقبتنا ، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ، ما هو عاقبتكم ، ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ ، طائعين أو مكرهين ، ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ[١] مِنكُمْ﴾ ، أمر في معنى الخبر ، أي : لن يتقبل الله منكم نفقاتكم إن أنفقتم طوعاً أو كرهاً كما[٢] قال جد بن قيس أعينك بمالي ، ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ ، تعليل لعدم القبول على سبيل الاستئناف ، ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ ، أي : إلا كفرهم فاعل منع ، ﴿بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾ ، متثاقلين ليس لهم قصد صحيح ، ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ ، لأهم لا يرجون بها ثواباً؛ بل غرضهم إظهار الإسلام ، ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُمْ﴾ ، فإنها لهم استدراج ووبال ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، بزكاتها والنفقة في سبيل الله على كره والتعب في جمعها والوجل في حفظها والشدائد والمصائب فيها فهي لهم عذاب وللمؤمنين أجر ، قال بعضهم : في الحياة الدنيا متعلق بلا تعجبك ، ﴿وَتَزْهَقَ﴾ ، تخرج ، ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ، أي : يموتوا كافرين مشتغلين بصعوبة فراق مستلذات الدنيوية غافلين عن النظر في العاقبة ، ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ ، من جملة المسلمين ، ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ ، فإنهم

= وتصديقًا برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة" أخرجاه في الصحيحين (لباب) .

(١) لأن هذا الإنفاق إنما وقع لغير الله وهذه الآية وإن كانت خاصة في إنفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق ماله لغير وجه الله؛ بل أنفقه رياء وسمعة فإنه لا يقبل منه (لباب) .

(٢) نقله محيي السنة .

منافقون ، ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ ، يخافون فيحلفـــون تقيـــة ، ﴿لَـــوْ يَجِـــدُونَ مَلْجَئًا﴾ ، حصناً يلجئون إليه ، ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ ، غيراناً في الجبال ، ﴿أَوْ مُدَّخَـــلاً﴾ ، نفقاً ينحجرون فيه كنفق اليربوع[١] ، ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ[٢]﴾ ، لأقبلـــوا نحـــوه ، ﴿وَهُـــمْ يَجْمَحُونَ ﴾ ، يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء وحاصله أنهم لو وجدوا مهرباً منكـــم أي مهرب لفروا منكم لضيقهم في أيديكم، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ ، يعيبك ، ﴿فِـــي الصَّدَقَاتِ﴾ ، أي : في قسمتها ، ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا[٣] وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْـــهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ ، أي : ينكرون ويعيبون لحظ أنفسهم ، وإذا للمفاجأة نـــائب مناب فاء الجزاء نزلت في ذوي الخويصرة[٤] أصل الخوارج وآبائهم حين قال : اعـــدل في القسمة فقال صلى الله عليه وسلم : قد خبت وخسرت إن لم أكن أعـــدل فمـــن يعدل؟[*]، أو نزلت في أبي الجواظ من المنافقين حين قال: لم تقسم بالسوية ، ﴿وَلَـــوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ﴾ ، أعطاهم ، ﴿اللّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ، من الغنيمة والصدقة، وفعـــل الرسول بأمر الله، فلذلك أتى بلفظ الله ، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّهُ﴾ ، محسبنا وكافينـــا ، ﴿سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ ﴾ ، في أن يوسع علينا مـــن فضله وجواب لو محذوف ، أي : لكان خيراً لهم وأقوم .

---

(١) دويبة تحفر الأرض / ١٢ .

(٢) ولما جاء بأوعاد الضمير في إليه مفرداً على قاعدة العربية وعوده إلى المغارات بالتـــأويل لتذكير الضمير (وجيز).

(٣) عن العطاء لا عن المعطي (وجيز).

(٤) رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة قد قتله على بن أبي طـــالب حـــين قـــاتل الخوارج/١٢ منه .

(*) أخرجاه في الصحيحين.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿**إِنَّمَا**[(١)] **الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ**﴾ ، أي : الزكاة لهؤلاء لا لغيرهم[(٢)] والفقير المستضعف الذي لا يسأل ، وعند الشافعي رضي الله عنه: من لا مال له ولا كسب يقع موقعاً من

(١) ولما جاء ذكر الصدقات ومن يعيب الرسول فيها بين مصرفها فقال: (إنما الصدقات) الآية/١٢ وجيز .

(٢) أخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عدي بن الخيار قال: أخبرني رجلان أنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها فرفع فينا البصر وخفضه فرآنا جلدين فقال : "إن شئتما أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب" (صحيح، أخرجه أبو داود (١٦٣٣)، والنسائي =

حاجته أو المحتاج[1] المريض أو فقراء المهاجرين[2] ، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ ، المستضعف الذي يطوف[3] ويسأل وعند الشافعي رضي الله عنه من له مال أو كسب لكن لا يكفيه أو المحتاج الصحيح والفقراء من أهل الكتاب ، ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ ، الساعين في تحصيل الصدقات غنياً أو فقيراً ، ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ، وهم أقسام منهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه ، ومنهم من يعطى رجاء إسلامه، ومنهم من يعطى لإسلام نظرائهم وأمثالهم ، ومنهم من يعطى ليأخذ الزكاة ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، قال كثير من العلماء : سهمهم الآن بعد أن أعز الله تعالى الإسلام ساقط ، وقال قوم : باق إلى الأبد، ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ ، أي : للصرف في فك الرقاب بإعانة المكاتب أو باشتراء الرقاب للعتق، والعدول عن اللام إشارة إلى أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب ، ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ ، المديونين إن صرفه في غير معصية وحينئذ لو صرفه في مصالحه فيعطى إذا لم يكن له ما يفيء بالدين ولو صرفه في المعروف وإصلاح ذات

= (٩٩/٥) وغيرهما]، قال البغوي : اختلفوا في حد الغني الذي يمنع أخذ الصدقة ، فقال الأكثرون: حدُّه أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي ، وقال أصحاب الرأي : حده أن يملك مائتي درهم وقال قوم : من ملك خمسين درهماً لا تحل له الصدقة لما روينا عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة مسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح ، قيل يا رسول الله : وما يغنيه ؟ قال : خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب[صحيح، أخرجه أحمد وأصحاب السنن، وانظر صحيح الجامع (٦٢٧٦)] وهو قول الزهري وابن المبارك وأحمد وإسحاق وقالوا لا يجوز للرجل أن يعطي الرجل من الزكاة أكثر من خمسين درهماً .

(١) قاله قتادة .

(٢) قاله إبراهيم النخعي .

(٣) كذا قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري /١٢.

البين فيعطى وإن كان غنياً ، ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، هم الغزاة[1] الذين لا حق لهم في الديوان وإن كانوا أغنياء قال بعضهم: والحجاج أيضاً ، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ، المسافر المنقطع عن ماله وإن كان له مال في بلده ، ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ ، أي : فرض لهم الزكاة فريضة[2] ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، يضع الأمور في مواضعها ثم اعلم أن أكثر السلف على أنه لا يجب استيعاب الأصناف الثمانية بل يجوز[3] الدفع إلى واحد منها وقال بعضهم يجب ، ﴿وَمِنْهُمُ[4]﴾ ، أي : من المنافقين ، ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ ، الأذن : الرجل الذي يصدق كل ما يسمع كانوا يقولون في شأنه ما لا ينبغي فيقول بعضهم : لا تقولوا ربما يبلغه قولكم فقالوا لا بأس إنه أذن لو ننكر ما قلنا وحلفنا ليصدقنا ، ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ ، كأنه قال : نعم أذن ، لكن هو أذن خير يسمع الخير ويقبله لا أذن شر فلا طعن ولا ذم بفطنته إلا شرف[*]

---

(١) قيل إن اللفظ عام فلا يجوز قصره على نوع خاص ويدخل فيه جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك والأول الأولى لإجماع الجمهور عليه / ١٢ .

(٢) يعني نصب فريضة على أنه مصدر فعل محذوف وجاز أن يكون مصدراً مؤكداً لنفسه فإن قوله "الصدقات للفقراء" دال على فرضيتها / ١ منه .

(٣) وعليه الأئمة الثلاثة وبعض الشافعية ، ويمكن حمل الآية على المذهبين فعلى الأول تكون من قبيل إنما الخلافة للعلوية والعباسية وغيرهم من أصناف قريش على التفضيل ، وعلى الثاني تكون من قبيل إنما المال لزيد ولعمرو ولبكر / منه ، لكن قال المصنف في الوجيز بعد نقل القول الأول: وفيه بحث؛ لأن الخليفة لا يتعدد / ١٢ .

(٤) ولما استطرد في أثناء أصناف المنافقين ذكر الصدقات وبين مصرفها رجع إلى ما هو في صدره فقال : " ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن " الآية / وجيز .

(*) كذا بالأصل.

وشهامته وهو من أهل سلامة القلوب عليه أشرف الصلوات وأكمل التسليمات ثم فسر ذلك بقوله ، ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ، يصدق به[1] ، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، يسلم لهم أقوالهم لكونهم صادقين ، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ ، أي : هو رحمة ، وقراءة جرّها لعطفها على "خير" ، ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ ، وحجة على الكافرين قيل المراد من الذين آمنوا: من أظهر الإيمان حيث لا يكشف سره، ففيه إشارة إلى أن قبول قولكم رفق وترحم منه لا لجهله وبلاهته ، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ[2] رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ ، على مدعاهم[3] ، ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ ، بيمينهم، نزلت في قوم من المنافقين ، قالوا: إن كان ما يقول محمد حقًّا فنحن شر من الحمير ، فلما بلغت مقالتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم- وسألهم حلفوا بالله إن المبلغ كذاب ، أو في رهط تخلفوا عن غزوة تبوك وحلفوا في معاذيرهم ، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ ، بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين فكأنهما واحد ، ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾، صدقاً ، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾ ، الضمير للشأن ، ﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، يشاقق الله ويخالفه ، ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ ، تقديره فحق أن له نار جهنم على حذف الخبر ، ﴿خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ ، الذل والفضيحة العظيمة ، ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ ، على المؤمنين ، ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم﴾ ، تخبرهم ، ﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ، من الكفر والحسد وهتك عليهم أستارهم يعني يقولون القول ويستهزئون ، ثم يقولون عسى الله أن لا

---

(١) في تفسير يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين إشارة إلى جهة تعدية الأول بالباء والثاني باللام لأنه قصد من الأول التصديق الذي هو نقيض الكفر به نحو "ما أنت بمؤمن لنا" (يوسف:١٧)، ومن الثاني أن يسلم لهم ما يقولون ويصدقه نحو " أنؤمن لك " (الشعراء:١١١)، "فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه" (يونس:٣٨)/ منه .

(٢) بأي نوع من الأذية .

(٣) من غير تحليف / ١٢ .

يفشي[*] علينا سرنا ، **﴿قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾** ، مظهر مبرز ، **﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾** ، ظهوره ، **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾** ، نزلت في ركب من المنافقين قالوا في غزوة تبوك انظروا[١] إلى هذا الرجل يريد فتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فلما نزل الوحي دعاهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا أن لسنا في شيء من أمرك لكنا في شيء مما يخوض فيه الركب ، ليقصر بعضنا على بعض السفر وليقطع الطريق بالحديث واللعب ، **﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾** ، توبيخاً لهم فإنهم كاذبون في عذرهم ، **﴿لاَ تَعْتَذِرُوا﴾** ، فإني أعلم كذبه ، **﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾** ، أظهرتم الكفر بما قلتم ، **﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾** ، بعدما أظهرتم الإيمان ، **﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾** ، لتوبتهم ، **﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾** ، منكم ، **﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾** ، مصرين[٢] على النفاق والاستهزاء ، قيل كانوا ثلاثة فعفى الله عن واحد كان يضحك ولا يخوض[٣] .

﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ

(*) في الأصل: يغشي.

(١) كذا قال الكلبي ومقاتل وقتادة / منه .

(٢) مصرين على النفاق أو نقول كما قالوا : إن المنافقين صنفان صنف أمر بجهادهم وهم رؤساؤهم وهم المعلنون بالأراجيف قال الله تعالى : " جاهد الكفار والمنافقين " (التوبة:٧٣)، وهم الذين أخرجوا من المسجد وصنف ضعفة وإن أبطنوا الكفر لكن لم يؤذوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فعفي عنهم وعلى هذا العذاب والعفو في الدنيا/وجيز .

(٣) نقله محي السنة عن محمد بن إسحاق وأنت تعلم أن لفظ طائفة وضمير الجمع في كانوا تنافي أن يكون المعذب اثنين ومن يعفى عنه واحدًا / منه .

ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ**[1]﴾ ، أي : وهم على دين وطريق واحد وبعضهم مشابه ومقارب من بعض كأبعاض الشيء الواحد ، ﴿**يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ**﴾ ، بالكفر والمعاصي ، ﴿**وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ**﴾ ، الإيمان والطاعة ، ﴿**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**﴾ ، عن الإنفاق في سبيل الله ، ﴿**نَسُوا اللَّهَ**﴾ ، تركوا ذكره وطاعته ،

(١) أراد به تكذيبهم في قولهم "إنهم لمنكم" وتقرير قوله "وما هم منكم" ثم وصفهم بما يدل على اتحادهم ومضادة حالهم لحال المؤمنين بقوله ويأمرون بالمنكر الخ / منه .

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ ، تركهم من لطفه وإنعامه ، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ ، الكـــاملون في التمرد ، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيــهَا﴾ ، مقدرين للخلود ، ﴿هِيَ﴾، أي : النار ، ﴿حَسْبُهُمْ﴾ ، كافيهم جزاء علــى نفاقــهم ، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ، أبعدهم من رحمته ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ ، لا تصير النـــار قــط عليهم[١] بردًا، ﴿كَالَّذِينَ﴾ ، أي : أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذيــن ، ﴿مِــن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْــــتَمْتَعُوا بِخَلاقِــهِمْ﴾ ، بدينهم أو بنصيبهم من ملاذ الدنيا ، ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِــن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ﴾ ، فحالكم وفعلكم كفعلهم القبيح الشنيع ، بــين أولاً بقولــه[٢] "فاستمتعوا" قباحة طرائقهم ثم شبههم بهم حذو النعل بـــالنعل ، ﴿وَخُضْتُــمْ﴾ ، في الكذب والباطل ، ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ ، أي : كالفوج الذي[٣] خاضوا ، أو كالخوض الذي خاضوه ، ﴿أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ ، لم يستحقوا عليــها في الدارين[٤] جزاء ، ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ ، دينهم ودنياهم ، يعـــني : كمـــا حبطت أعمال من قبلكم حبطت أعمالكم ، ﴿أَلَمْ[٥] يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَــوْمِ نُوحٍ﴾ ، أهلكوا بالطوفان ، ﴿وَعَادٍ﴾ ، بالريح ، ﴿وَثَمُودَ﴾ ، بالصيحـــة ، ﴿وَقَــوْمِ

---

(١) يعني لهم عذاب مقيم دال على أنهم معذبون في النار دائماً بما لا يعتادون بها فلا يكـــون تكراراً مع قوله "خالدين فيها" / ١٢ منه .

(٢) إشارة إلى دفع ما يتوهم من أن قوله "كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم" وهذا كما يقال : أنت مثل فلان كان يقتل ويفسق وأنت تفعل مثل فعله بعينه فلا تكرار / منــــه ووجيز .

(٣) يعني أن الظاهر أن يقال كالذين خاضوا فبين وجهه بوجهين / منه .

(٤) نقيض قوله : " وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين " (النحل:١٢٢)، منه .

(٥) استفهام إنكار يعني جاء نبأهم فلم يعتبروا حتى تشبهوا بهم / منه .

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ، بسلب النعمة وهلاك ملكهم نمرود ببعوض ، ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ ، قوم شعيب بالنار يوم الظلة ، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ ، قريات قوم لوط ائتفكت بهم انقلبت فصارت عاليها سافلها ، ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ، المعجزات الظاهرات فكذبوهم فأخذوا بتعجيل النقمة ، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ ، بأن عاقبهم بلا جرم ، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ، بتكذيب رسلهم فاستحقوا العذاب فنزل عليهم ، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ[١] وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ، أي : يتناصرون ويتعاضدون في مقابلة قول : " المنافقون والمنافقات " الآية ، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ، في جميع ما أمر ونهى ، ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ ، لا محالة والسين مؤكدة[٢] للوقوع ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ ، غالب ، ﴿حَكِيمٌ﴾ ، يضع الأشياء في مواضعها ، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ، تحت أشجارها وغرفها ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ ، من أنواع الجواهر ، ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ ، وقد ورد[٣] : العدن دار الله التي لم ترها عين و لم يخطر على قلب بشر ، أونهر في الجنة جناته على حافتيه ، أو أعلى درجة في الجنة ، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ ، أي : شيء من رضاه ، ﴿أَكْبَرُ﴾ ، من جميع ذلك أو مما يوصف ، فإن رضى الله هو المبدأ لكل سعادة وهو المؤدي إلى الوصال واللقاء ، ﴿ذَلِكَ﴾ ، أي : الرضوان أو جميع ما تقدم ، ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

---

(١) ولما ذكر المنافقين والمنافقات وأحوالهم في الدارين تعرض في مقابلتهم بحال أضدادهم فقال: "المؤمنون" / ١٢ وجيز .

(٢) لأن السين في الإثبات مقابلة لن في النفي ولهذا قد يتمحض للتأكيد من غير قصد إلى معنى الاستقبال / ١٢ منه .

(٣) نقله ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/ منه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

﴿**يا أَيُّهَا النَّبيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ**[1]﴾ ، بالسيف ، ﴿**وَالْمُنَافِقِينَ**﴾ ، بتغليظ الكلام وترك الرفق ، أو بإقامة الحدود عليهم أو بالسيف إذا أظهروا النفاق ، ﴿**وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**

---

(١) ولما كان في قوله سيرحمهم الله إجمال فصله بقوله "وعد الله" إلخ ، ولما بين مخائب الكفار ومقابح المنافقين خاطب رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بقوله : " جاهد الكفار والمنافقين " الآية / وجيز .

﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ، مصيرهم ، **﴿يَحْلِفُونَ[1] بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾** ، نزلت حين كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– جالساً في ظل شجرة إذ طلع رجل أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق وجاء بأصحابه وحلفوا بالله أهم ما قالوه ، أو نزلت في جلاس ابن سويد حين قال : إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن أشر من الحمير ومعه ابن امرأته فأوعده بأن يذكر قوله هذا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم– وذكره فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل أقلت كذا وكذا ؟ فحلف ، أو نزلت في ابن أبي حين قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذلّ ، فلما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكر وحلف[*] ، **﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾** ، سبه أوتكذيبه، **﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾** ، أظهروا الكفر بعد إظهار الإيمان ، **﴿وَهَمُّوا﴾** ، قصدوا ، **﴿بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾** ، ما قدروا عليه من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم– في العقبة التي بطريق تبوك ، أومن قتل ابن امرأة الجلاس حين أوعد السعاية ، أو أرادوا أن يعقدوا على رأس ابن سلول تاجاً يباهي به رسول الله صلى الله عليه وسلم– فلما سئلوا عن هذه الإرادة حلفوا أنا ما أردنا ، **﴿وَمَا نَقَمُوا﴾** ، ما أنكروا وما عابوا ، **﴿إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾** وحاصله أهم جعلوا الشكاية والعيب موضع الشكر والمدح فإنه ما للرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته بعدما كانوا في ضنك وضيق ، **﴿فَإِن يَتُوبُوا يَكُ﴾** ، أي : التوب ، **﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾** ، فتاب الجلاس وحسنت توبته ، **﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾** ، بالإصرار على النفاق ، **﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾**، ينجيهم من عذابه ، **﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ**

---

(١) ولما أمر نبيه بالجهاد والغلظة على الكافر والمنافق وأن مرجعهم ومترلهم جهنم يعد بعض مساوئهم ليعلم أسباب شقاوتهم فيحرز عنه / وجيز .

(*) أخرجاه في الصحيحين، وسيأتي.

لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ، نزلت[١] في ثعلبة بن حاطب التمس الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكثير[٢] ماله وعهد أن لو رزق ليعطي كل ذي حق حقه فلما رزق غنمًا تضيق بها المدينة أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في طلب الزكاة منه فأبى وقال: ما هذه إلا أخت الجزية. فلما نزلت الآية جاء بالزكاة فقال: إن الله تعالى منعني أن أقبل منك. فجعل التراب يحثو على رأسه، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قبل منه أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه ، **﴿فَلَمَّا آتَاهُم﴾** : الله **﴿مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا﴾** عن طاعة الله ، **﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾** ، قوم عادهم الإعراض ، **﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾** ، أورثهم الله وجعل عاقبة فعلهم ، **﴿نِفَاقاً[٣]﴾** ، متمكنًا[٤] ، **﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾** ، يلقون الله بالموت ، **﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾** ، من التصدق والصلاح ، **﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾** ، وبسبب كذبهم فإن خلف الوعد مستقبح من وجهين الإخلاف والكذب ، **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ**

---

(١) قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والحسن وغيرهم / منه .

(٢) أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وغيرهم هذه القصة بأطول من هذا جدًّا وفيه قال، يعني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له : يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. فقال : ادع الله أن يرزقني مالاً. فقال: "اللهم ارزقه مالاً" فاتخذ غنمًا فنمت كما تنمي الدود، حتى ضاقت بها المدينة فتنحى بها فكان يشهد الصلاة بالنهار مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا يشهدها بالليل، ثم نمت حتى لا يشهد جمعة ولا جنازة [رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك، كما في المجمع (٣٢/٧)].الحديث/ فتح البيان .

(٣) إشارة بقوله: متمكنًا إلى أن ﴿في قلوبهم﴾ ظرف مستقر صفة لنفاقًا / منه .

(٤) كما في الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود / فتح .

﴿سِرَّهُمْ﴾ ، من إضمار النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه ، ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ، ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ ، فلا يخفى عليه شيء ، ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ ، يعيبون مرفوع أو منصوب بالذم، أو بدل من ضمير سرهم، ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ ، المتطوعين ، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ ، نزلت لما حث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الصدقة جاء بعضهم بكثير مال وبعضهم الفقراء بالقليل، فقال المنافقون : من أكثر فهو مراء، ومن أقل أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات ﴿وَالَّذِينَ﴾ ، عطف على المطوعين ، ﴿لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ ، طاقتهم وهم الفقراء ، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ ، يستهزءون هم ، ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ ، جازاهم على سخريتهم ، أي : أذلهم ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ، أي : ساوى[1] استغفارك وعدمه في عدم الإفادة لهم ، ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ، المراد منه التكثير[2] لا العدد المخصوص ، ﴿فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ، وقد نقل أنه لما نزلت قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله قد رخص لي فأزيدن[3] على السبعين[4]، لعل الله أن يغفر لهم"

---

(١) أشار بقوله أي : ساوي إلخ . إلى أن الأمر بمعنى الخبر / منه .

(٢) وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاستعمال [في تفسير البيضاوي مع حاشيته محيي الدين زاده (٣٤٥/٢): لاشتمال.]، السبعة على جملة أقسام العدد ، أي : التي هي الزائد والناقص والمساوي ، فإن ما دون السبعة لا يشتمل على جملتها كما تري فكأنه العدد بأسره / (قاضي) .

(٣) نقله ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما / وجيز .

(٤) وهو من باب حمل اللفظ على ما يحتمله من المعني مع العلم بأنه غير مراده كقول القبعثري : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب في جواب الحجاج لأحملنك على الأدهم أي : السلسلة ، وحاصل الكلام أن الكرام لا يرضون إلا بصدق مقالهم في كل

=

حرصًا على مغفرتهم(١) فأنزل الله تعالى: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾. وهو من باب حمل اللفظ على ما يحتمل مع العلم بأنه غير مراده، كقول بعضهم: مثل الأمير يحمل على الأدهم. والأشهب في جواب قول الحجاج: لأحملنك على الأدهم. أي: السلسلة إلى(*) ، ﴿ذَلِكَ﴾ ، أي : عدم قبول استغفارك ، ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، المتمردين في الكفر، فإن من طبع على الكفر لا ينقطع أبدًا ولا يهتدي، فعدم قبول دعائك لا لبخل منا ولا لقصور فيك؛ بل لعدم قابليتهم .

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن

= حال فحين خاطبه بقوله : لأحملنك على الأدهم وقصد السلسلة تجاهل تجاهل العارف وقال : مثل الأمير إلى آخره ، فإن الأدهم يطلق أيضاً على الفرس فتفضل على بهذا وتجاوز عن القصد الأولي كذلك سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله يعني صدقها إما يحمل السبعين على الكثرة الغير المحصورة التي هي المراد وإما بحمله على العدد المعين المحصور فتفضل على بأن تتجاوز عن الأول وتترك على الثاني محسناً منعماً وهذا توجيه وجيه ما حام حوله أحد من العلماء / وجيز .

(١) نظرًا إلى ظاهر ﴿إن تستغفر لهم سبعين﴾، فإنه دل على الجواز في الجملة وفي لفظ الترخيص إشعار بأنه عليه الصلاة والسلام كان عالماً بحرمة الاستغفار لهم وما خفي عليه أشرف التحيات أن هذه الآية ليست في بيان رخصة، لكن حرصه وكمال شفقته على أمته جره إلى هذا؛ لكي يرحم الله عليهم بفضله فلا تغفل / ١٢ منه .

(*) كذا في الأصل.

تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ**﴾ ، بقعودهم[1] عن الغزو ، ﴿**خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ ، أي: خلفه[2] كما في: أقام خلاف الحي. أي : بعده أو من المخالفة ، أي : لمخالفته أو مخالفين له ، ﴿**وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا**﴾ ، بعضهم لبعض أو للمؤمنين ، ﴿**لاَ تَنفِرُوا**﴾ ، لغزوة تبوك ، ﴿**فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً**﴾ ، وقد اخترتموها بهذه المخالفة ، ﴿**لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾ ، أنها كيف هي ، أو أن مصيرهم إليها ، أو لو أنهم يفهمون ويفقهون لنفروا ليتقوا به من حر جهنم ، ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً**﴾ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما- وغيره: الدنيا قليل،

(١) أشار إلى أن المقعد مصدر / ١٢ منه .

(٢) على الأول ظرف وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث حال .

فليضحكوا فيها ما شاءوا ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ ، فإنهم في النار لايزالــون بــاكين أبــد الآباد ، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، من النفاق ، ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَــةٍ مِّنْهُمْ﴾ ، أي : من المخلفين. وليس كل من تخلف عن تبوك منافقًا ، يعني : إن وصلت إلى المدينة وفيها طائفة منهم ، ﴿فَاسْتَئْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ ، إلى غزوة أخرى بعد تبوك ، ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً﴾ ، إخبار في معـــنى النــهي ، ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ﴾ ، استئناف تعليل[1] له ، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ، هــي الخرجــة إلى تبوك ، ﴿فَاقْعُدُوا[2]﴾ ، حينئذٍ ، ﴿مَعَ الخَالِفِينَ[3]﴾ ، أي: الرجال الذين تخلفوا[4] بغير عذر ، أو مع النساء والصبيان والمرضى والزمنى[5] قيل: مع المخالفين. ﴿وَلاَ تُصَــلِّ﴾ ، صلاة الجنازة ، وقيل: لا تدع ولا تستغفر ، ﴿عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ ، المــوت على الكفر موت أبدي ، فإن إحياءه للتعذيب أسوء وأسوء من الموت فكأنه لم يحــى ، ﴿وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ ، لا تقف تستغفر ، أو تدع له أو لا تتول دفنه ، ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ، تعليل للنهي ، نزلت بعد أن مات ابــــن[6]

---

(١) يعني المراد من القلة أيام الدنيا ، أخرجه على لفظ الأمر والمراد سيضحكون قليلاً للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره / منه .

(٢) كأنهم قالوا: لم لا نخرج معك؟ فقال: لأنكم رضيتم بالقعود أول مرة / ١٢ وجيز .

(٣) وفي الآية دليل على أن الرجل إذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطـــاع عنــه وترك مصاحبته ؛ لأن الله سبحانه منع المنافقين من الخروج مع رسول الله -صلـــى الله عليه وسلم- إلى الجهاد لما علم من مكرهم وخداعهم / لباب .

(٤) أي : اقعدوا بعضكم مع بعض / منه .

(٥) جمع زمن أززمانة بالفتح جائى ماندكى / ١٢ صراح.

(٦) قال القرطبي في شرح صحيح مسلم له: إن عبد الله بن أبي بن سلول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، فلما ظهر النبي -صلى الله عليه وسلم- وانصرف إليـــه الخـــزرج =

أبي بن سلول وهو -صلى الله عليه وسلم- أرسل قميصه الأشرف لكفنه بالتماسه، في مرض موته ، وقام ليصلي عليه، وعمر -رضي الله عنه- قام بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والقبلة؛ لئلا يصلي عليه، فقال الأكثرون: نزلت بعد أن صلى عليه. وقال بعضهم: نزلت حين قام عمر فلم يصل عليه. ولما رأوا أنه تبرك بقميصه أسلم من المنافقين يومئذ ألف ، وقال بعضهم : إنما ألبسه مكافأة؛ لأن ابن سلول[1] ألبسه ثوبه يوم بدر العباس، فإنه بين الأسارى ليس له ثوب ، **﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾** ، بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله منها على كره والشدائد والمصائب بلا طمع ثواب ، **﴿وَتَزْهَقَ﴾** ، تخرج ، **﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾** ، فإن الأبصار طامحة على الأموال والأولاد سيما عند المفارقة فيبغضون حكم الله وملائكته .

= وغيرهم حسده وناصبه العداوة، غير أن الإسلام غلب عليه فنافق وكان رأسًا في المنافقين وأعظمهم نفاقًا وأشدهم كفرًا وكان المنافقون كثيرًا حتى لقد روي عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة، وكان ولده عبد الله -يعني ولد عبد الله بن أبي- من فضلاء الصحابة وأصدقهم إسلامًا وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرًا، وكان أبر الناس بأبيه وأحرص الناس على إسلامه، وعلى أن ينتفع من بركات النبي -صلى الله عليه وسلم- بشيء؛ ولذلك لما مات أبوه سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعطيه قميصه فيكفنه فيه فأعطاه وسأله أن يصلي عليه فصلى عليه، كل ذلك إكرامًا لابنه عبد الله وإسعافًا له وقول عمر: تصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه. يحتمل أن يكون قبل نزول " ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا " ويظهر من هذا السياق أن عمر وقع في خاطره أن الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الإلهام والتحديث الذي شهد له به النبي -صلى الله عليه وسلم- / لباب التأويل المعروف بالخازن .

(١) سَلول بالفتح قبيلة من هوازن، وهو اسم أمهم/ ١٢ .

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا﴾ ، أي : بأن آمنوا ، ﴿بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَئْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ﴾ ، أصحاب الغنى ، ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ، الذين قعدوا لعذر ، ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ﴾ ، أي : النساء، جمع خالفة[1] ، أي : بحيث لا يتحرزون عن هذا العار ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، أحدث فيها هيئة تمرهم على استحباب الكفر واستقباح الإيمان بحيث لا ينفذ فيها الحق كأنه مطبوع مختوم ، ﴿فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ ما فيه صلاحهم ولا ما فيه مضرهم، ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أي : إن لم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم[2] ، ﴿وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ﴾ نقل[3] عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الخيرات لا يعلم معناها إلا الله ، ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون ، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ فإن من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز .

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) قد يقال: الخالفة لمن لا خير له / منه .

(٢) نحو " فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين" (الأنعام:٨٩)/ منه.

(٣) نقله محيي السنة البغوي / منه.

يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

﴿**وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ**﴾ من عذر إذا قصر أو من اعتذر إذا مهد العذر ، ﴿**مِنَ الأَعْرَاب لِيُؤْذَنَ لَهُمْ**﴾ في القعود عن ابن عباس ومجاهد –رضي الله عنهم– هم أهل العذر وقال الحسن وقتادة: اعتذروا فلم يعذرهم الله ، ﴿**وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ في ادعاء الإيمان ، أي : قعد آخرون من الأعراب المنافقين عن المجيئ للاعتذار ، وعن الحسن وقتادة الذين كذبوا عبارة عن المعذرون وأتى بالظاهربدل المضمر إشارة إلى أن كذبهم بعثهم على القعود يعني وقعد عن الحرب من كذب في المعذرة ، ﴿**سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ**﴾ فإن منهم من قعد للكسل لا للكفر ، ﴿**عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ**﴾ كالزمنى والمشايخ ، ﴿**وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا**

﴿يُنفِقُونَ﴾ الفقراء ، **﴿حَرَجٌ﴾** ، إثم في التأخر ، **﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** أخلصوا الإيمان والأعمال من الغش[١] ، **﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾** إلى عقوبتهم، وضع المحسنين موضع الضمير إشارة إلى أنهم المحسنون ، **﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** للمسيء[٢] فكيف للمحسن ، **﴿وَلَا[٣] عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾** هم سبعة نفر من الفقراء التمسوا مراكب للمرافقة في الغزو ، **﴿قُلْتَ﴾** يا محمد حال من مفعول أتوك بإضمار قد: **﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾** من الركب ، **﴿تَوَلَّوْا﴾** جواب إذا وقلت جواب وتولوا استئناف كأنه قيل : كيف صنعوا إذا قيل لهم ذلك؟ **﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾** من للبيان والجار والمجرور في محل النصب على التمييز وهي أبلغ[٤] من تفيض دمعها ، **﴿حَزَنًا﴾** مفعول له أو حال ، **﴿أَلَّا يَجِدُوا﴾** أي : لئلا متعلق بتفيض أو حزناً ، **﴿مَا يُنفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾** بالمعاتبة والعقوبة ، **﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾** النساء وقبلوا تلك الدناءة ، **﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** حتى لم يذكروا مواعظ الله ، **﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** كأنهم مجانين ، **﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾** في التخلف ، **﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾** من هذه الغزوة ، **﴿إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾** لن نصدقكم[٥] لأنه ، **﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ﴾** بالوحي ، **﴿مِنْ**

---

(١) ساعية في إيصال الخير للمؤمنين.

(٢) كان ابن أم مكتوم أعمى فخرج إلى (أحد) وطلب أن يعطى اللواء فأخذه فأصيبت يده التي فيها اللواء فأمسكه باليد الأخري فضربت فأمسكه بالصدر وقرأ : " وما محمد إلا رسول " الآية . رضي الله عنه / ١٢ وجيز .

(٣) عطف على الضعفاء ولا لتأكيد النفي ولا يبعد أن يقال عطف على على المحسنين وعلى الوجهين هو من باب عطف الخاص على العام لفضيلتهم / وجيز .

(٤) لأنه أسند الفيض إلى العين فجعلت العين كأنها من كثرة البكاء دمع فائض/منه .

(٥) إشارة إلى أن قوله: "قد نبأنا الله" مستأنفة يبين علة عدم تصديقهم / منه .

أَخْبَارِكُمْ﴾ بعض ما في صدوركم ، ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ في المستأنف أتتوبون أم تستمرون على نفاقكم؟ وجاز أن يكون معناه يمهلكم حتى تكتسبوا جرائم أخرى ، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الذي لاي يفوت عن علمه شيء ، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في سركم ، ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ بأن لهم في التخلف أعذاراً ، ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فلا تعاتبوهم ، ﴿فَأَعْرِضُوا[١] عَنْهُمْ﴾ دعوهم ونفاقهم ، ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ نجس بواطنهم لا يقبل التطهير من النفاق ، ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً﴾ ، مفعول له ، أو مصدر ، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من الآثام ، ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ بحلفهم ، ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ بأن تصدقوهم في العذر ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ[٢] ﴾ فإنه لا يمكن التلبيس على الله تعالى بوجه والمقصود النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كانوا ثمانين من المنافقين أمرنا حين قدمنا المدينة بأن لا نكلمهم ولا نجالسهم.

﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ أي : أهل البدو وكفرهم ونفاقهم أعظم من أهل الحضر لقساوتهم وبعدهم عن العلماء ، ﴿وَأَجْدَرُ﴾ ، أولى ، ﴿أَلاَّ﴾ بأن لا ، ﴿يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من الشرائع ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بقلوب أهل الوبر والمدر ، ﴿حَكِيمٌ ﴾ فيما قسم بين عباده وفي الحديث[٣] (من سكن البادية جفا ومن

---

(١) فالإعراض عنهم لازم لأن المعاتبة لا تنفعهم ولا تصلحهم ؛ ولأن مأواهم جهنم فكفتهم النارِ عتاباً وتوبيخاً فلا تتكلفوا عتابهم ، وجاز أن يكون مأواهم جهنم من تتمة الأول قال إنهم رجس من أهل النار فلا تضيعوا معاتبتكم / منه .

(٢) ولما ذكر من أحوال المنافقين ما دل على جهلهم وطغيانهم أخذ يبين تفاوت أحوالهم وعقائدهم فقال: (الأعراب) إلخ / ١٢ وجيز .

(٣) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهما / منه .[بل أخرجه أحمد وأصحاب السنن خلا ابن ماجه من حديث ابن عباس مرفوعا بسند صحيح، وانظر صحيح الجامع (٦٢٩٦).]

اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن)﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾ يعد ، ﴿مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ، ﴿مَغْرَماً﴾ غرامة وخسارة لا يرجون ثواباً ، ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ، ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دوائر الزمان ونوبه لينقلب الأمر عليكم ، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ[1]﴾ الأمر منعكس والسوء دائر عليهم فلا يرون فيكم إلا ما يسوءهم ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالهم ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائرهم ، ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ﴾ يعد ، ﴿مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله تعالي ويتصدق به ، ﴿قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ﴾ أي : سبب[2] قربات ، ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي : سبب صلاته فإنه يستغفر ويدعوا للمتصدقين ، ﴿أَلاَ إِنَّهَا﴾ أي : نفقتهم ، ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ أي : ما يرجون الحاصل البتة ، ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ السين للتأكيد ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فيغفر زلاتهم ويدخلهم الجنة برحمته .

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ

---

(١) السوء مصدر أضيف إليه للمبالغة كرجل صدق والدائرة اسم فاعل في الأصل سمي بها عقب الزمان / منه .

(٢) قوله أي : سبب قربات يمكن أن يكون بيان حاصل المعنى لا أن يكون الكلام على حذف المضاف بل مبنى الكلام على أنه نفس القربات تجوز في الإسناد و نصب قربات على المفعول الثاني / منه .

عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

﴿وَالسَّابِقُونَ[1] الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ ، هم الذين صلوا القبلتين[2] ، أو من

(١) ولما ذكر في مقابلة المنافق الذي يعد ما ينفق مغرمًا، الأعراب الذين لهم الإيمان وعدوا نفقاتهم قربات وبين مآلهم في الآخرة وصف ومدح من هو أعلى كعباً وأعظم درجة وأقدم مثوبة كأنهم هم المؤمنون فقال : " والسابقون " / ١٢ وجيز .

(٢) كذا قاله سعيد بن المسيب وابن سيرين وقتادة وغيرهم / منه .

أدرك[1] بيعة الرضوان بالحديبية ، أو من شهد[2] البدر ، ﴿وَالأَنصَارِ﴾ هم الذين آمنوا قبل قدوم رسول الله -صلى الله عليه وسلم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ بإيمان[3] وطاعة إلى يوم القيامة كسائر الصالحين من أهل السنة وقال بعضهم : المراد بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين ، ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ[4] جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ﴾ ، أي تحت أشجارها ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ الجملة خبر لقوله والسابقون ، ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ﴾ أعراب حوالي المدينة ، ﴿مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ﴾ عطف[5] على ممن حولكم وقوله: ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ ، صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو عطف الجملة على الجملة تقديره ومن أهل المدينة قوم مردوا، أي: تمردوا أو تمهروا ، ﴿لاَ تَعْلَمُهُمْ﴾ يا محمد بأعيانهم ، ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ فإنه لا يخفى علينا شيء ،

---

(١) قاله الشعبي /١٢.

(٢) قاله عطاء بن أبي رباح / منه .

(٣) قالَ أبو صخر حميد بن زياد : أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له : ما قولك في أصحاب رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ، فقال : جميع أصحاب رسول الله -صلي الله عليه وسلم- في الجنة محسنهم ومسيئهم ، فقلت : من أين تقول هذا ؟ ، فقال : اقرأ قول الله تعالى : " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار " إلى أن قال : "رضي الله عنهم ورضوا عنه" ، وقال: "والذين اتبعوهم بإحسان" شرط في التابعين وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة ، فقال أبو صخر : فكأني لم اقرأ هذه الآية قط /١٢ معالم .

(٤) الجنة معدة لهم والباقي من أهل الإيمان إن حال بينهم وبين الجنة ذنوبهم أول الأمر لكن يدخلونها تبعًا لهؤلاء العظماء / وجيز .

(٥) فمعناه ومن أهل المدينة منافقون / منه .

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ فضيحتهم[١] في الدنيا وعذاب القبر ومصائب في أموالهم[٢] وأولادهم فهذه لهم عذاب وللمؤمنين أجر وعذاب القبر أو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم ثم عذاب القبر ، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ وهو الخلود في جهنم ، ﴿وَآخَرُونَ﴾ من أهل المدينة[٣] لا من المنافقين ، ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ في التخلف عن الغزو ، ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً﴾ كصلاتهم وإنابتهم وغيرهما ، ﴿وَآخَرَ سَيِّئاً﴾ كتقاعدهم عن تلك الغزوة كسلاً ، قيل : الواو بمعنى الباء كما في بعت الشاة شاة ودرهماً أي بدرهم ، والأولى أن الواو على أصله دال على أن كل واحد مخلوط بالآخر كما تقول : خلطت الماء واللبن ، أي : خلطت كل واحد منهما بصاحبه ، كأنك قلت : خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ، ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه تخلفوا عن تبوك ثم إذا رجعت الغزاة عن غزوهم ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فلما نزلت حلهم وعفا عنهم ، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ ، نزلت لما أطلق هؤلاء الذين ربطوا أنفسهم بالسواري وقالوا: هذه أموالنا التي خلفتنا تصدق بها وطهرنا فقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: "ما أمرت بأخذ شيء من أموالكم" ، ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ عن الذنوب ، ﴿وَتُزَكِّيهِم[٤] بِهَا﴾ ترفعهم بهذه الصدقة إلى منازل المخلصين ،

---

(١) هذا قول ابن عباس والكلبي والسدي/ منه .

(٢) هذا قول الحسن وابن زيد قيل: عذاب القبر وفضيحتهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد/منه.

(٣) فإن من أهل المدينة قسمان منافق ومؤمن والمراد من آخرون القسم الثاني/منه .

(٤) قال السيوطي : فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها على سبيل الكفارة لذنوبهم. فيه أن كل من أتى ذنباً يسن له التصدق / فتح .

﴿وَصَلِّ[1] عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم ، ﴿إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ﴾ طمأنينة ورحمة ووقار ، ﴿لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بدعائك ، ﴿عَلِيمٌ ﴾ بما هو أهل له أو سميع باعترافهم عليهم بندامتهم ، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ تعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ، ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ[2]﴾ يقبلها وهذا تهييج إلى التوبة والصدقة عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ يقبل توبة تائبين ويتفضل عليهم ، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ يا معشر المخالفين ، ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ لا يخفى عليه شيء ، ﴿وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فإن الله يطلعهم على أعمالكم لا محالة ، إما في الدنيا أو في الآخرة يوم تبلى السرائر ، ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ بالموت ، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمجازاة عليه فعلى هذه الآية وعيد أو معناه يا معشر المحسن والمسيء اعملوا فلا يخفى على الله خير وشر والله يطلع الرسول والمؤمنين على ما في قلوبكم فيحبون المحسن ويبغضون المسيء ثم يوم القيامة يجازيكم فعلى هذه الآية وعد ووعيد ، ﴿وَآخَرُونَ﴾

---

(١) واختلفوا في وجوب الدعاء على الإمام عند أخذ الصدقة قال بعضهم : يجب وقال بعضهم : يستحب ، وقال بعضهم : يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع ، وقيل : يجب على الإمام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : كان رسول الله –صلي الله عليه وسلم– إذا أتي بصدقة قال: "اللهم صل على آل فلان" فأتاه أبي بصدقة فقال: "اللهم صل على آل أبي أوفى"/ فتح .

(٢) وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله –صلي الله عليه وسلم– : (ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله) أخرجه الشيخان وفي الباب أحاديث يطول ذكرها/فتح.

من المتخلفين ، ﴿مُرْجَوْنَ﴾ مؤخرون يعني : موقوف أمرهم ، ﴿لأَمْرِ اللَّهِ﴾ في شأنهم ، ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ لم يقبل توبتهم ، ﴿وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق العقوبة ، ﴿حَكِيمٌ ﴾ فيما يفعل والمراد منهم الثلاثة الذين خلفوا من جملة من قعد كسلاً لا نفاقاً و لم يربطوا أنفسهم بالسراراي و لم يبالغوا في التوبة كما فعل أبو لبابة وأصحابه فترلت توبتهم بعد خمسين ليلة بعدما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت[1] ، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ مبتدأ خبره محذوف أي : وفيمن وصفنا من المنافقين الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص ، ﴿ضِرَاراً﴾ مفعول له أو مصدر محذوف الفعل ، أي مضارة للمؤمنين، ﴿وَكُفْراً﴾ أي : تقوية للكفر ، ﴿وتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم يجتمعون في مسجد قباء فأرادوا افتراقهم ، ﴿وإِرْصَادًا﴾ ترقبًا ، ﴿لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أبي عامر الراهب ، ﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق بحارب[2] ، ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾ ، أي : ما أردنا ببنائه ، ﴿إِلاَّ الْحُسْنَى﴾ ، أي : إلا الخصلة الحسنى وهي الصلاة فيه والتوسعة على المسلمين ، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ في حلفهم كان بالمدينة أبو عامر الراهب تنصر في الجاهلية وما آمن بمحمد عليه السلام وبعد البدر التحق بقريش وحثهم على المحاربة وكان معهم في أحد ثم ذهب إلى عظيم الروم وكتب إلى أعوانه من المنافقين يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش لمحاربة الإسلام وأمرهم ببناء مسجد له فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء إرصادًا لرجوعه من القيصر فلما أتموا بناءه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من تبوك وقالوا: أتممنا مسجدًا للضعفاء وأهل العلة والليلة المطيرة نلتمس أن تصلي فيه وتدعوا بالبركة فترلت

---

(١) فإن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمر أصحابه أن لا يكلموهم ولا يجالسوهم بوجه كما سيجيء في آخر السورة / منه .

(٢) فإن الراهب لم يزل يحارب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى يوم حنين كذا قاله محي السنة / منه .

في تكذيبهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه فهدموه وأحرقوه[1] ، **﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ﴾** في ذاك المسجد ، **﴿أَبَداً﴾** للصلاة ، **﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾** بني أصله ، **﴿عَلَى**

---

(١) فيه تحريق أمكنة المعصية التي يعصي الله ورسوله فيها وهدمها كما حرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم- مسجد الضرار وأمر بهدمه وهو مسجد يصلي فيه ويذكر اسم الله فيه لما كان بناؤه ضرارًا وتفريقًا بين المؤمنين ومأوى للمنافقين ، وكل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله إما بهدم وتحريق وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له ، وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار فمشاهد الشرك التي يدعو سدنتها إلى اتخاذ فيها من فيها أندادا أحق بذلك وواجب وكذلك محال المعاصي والفسوق كالخانات وبيوت الخمارين وأرباب المنكرات ، وقد حرق عمر بن الخطاب قرية بكمالها يباع فيها الخمر وحرق حانوت رويشد الثقفي وسماه فويسقا، وأحرق قصر سعد عليه لما احتجب فيه عن الرعية ، وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريق بيوت تارك حضور الجماعة والجمعة ، وإنما منعه من فيها من النساء والذرية الذين لا يجب عليهم كما أخبر هو عن ذلك هذا ما قاله الحافظ شمس الدين ابن قيم في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد ، وأيضا قال فيه : وهدم مواضع الشرك التي تتخذ بيوتا للطواغيت أحب إلى الله ورسوله وأنفع للإسلام والمسلمين من هدم الحانات والمواخر وهذه المشاهد المبنية على القبور التي تعبد من دون الله تعالى ويشرك بأربابها مع الله لا يحل إبقاؤها في الإسلام ويجب هدمها ولا يصح وقفها ولا الوقف عليها وللإمام أن يقطعها وأوقافها لجند الإسلام ويستعين بها على مصالح المسلمين كما أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- بيوت هذه الطواغيت وكذلك ما فيها من الآلات والمتاع والنذور التي تساق إليها يضاهي بها الهدايا التي تساق إلي البيت للإمام أخذها كلها وصرفها في مصالح المسلمين ، كما أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- أموال بيوت هذه الطواغيت وصرفها في مصالح الإسلام وكان يفعل عندها ما يفعل عند هذه المشاهد سواء من النذور لها والتبرك بها والتمسح بها وتقبيلها واستلامها ، هذا كان شرك القوم بها ولم يكونوا يعتقدون أنها خلقت
=

﴿التَّقْوَى﴾ على طاعة الله ورسوله ، ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ من أيام وجوده ، ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ للصلاة جماعة من السلف على أنه مسجد قباء منهم ابن عباس رضي الله عنهما وبعض منهم على أنه المسجد الذي في جوف المدينة وعليه حديث صحيح وقال بعضهم(*) لا منافاة ؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى فمسجد المصطفي صلي الله عليه وسلم بطريق الأولى والأحرى ولي في هذا التوفيق خدشة[1] والله تعالى أعلم ، ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ من الأحداث والنجاسات هم أهل قباء كان من عادهم أهم يستعملون الماء في الاستنجاء عقيب الحجر قيل: ولا ينامون على الجنابة وقيل: يتطهرون بالتوبة عن الشرك والمعاصي ، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ يرضى عمن طهر ظاهره وباطنه ، ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ أي : بنيان مبنية ، مصدر كالغفران ، ﴿عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ﴾ أي : على قاعدة محكمة قوية هي التقوى من

= السماوات والأرض؛ بل كان شركهم بها كشرك أهل الشرك من أرباب المشاهد بعينه انتهى بلفظه.

(*) في (ن): وبعض العلماء.

(١) لأن كلامه مشعر بأنه سلم أن المراد من قوله: "لمسجد أسس" هو مسجد قباء لكن مسجد المدينة أولى بالقيام فيه وهذا مسلم لكن لا ينفعه في التوفيق كما ترى، لأن الخلاف في أن المراد من قوله: "لمسجد أسس" أي مسجد هو والحديث الصحيح على أنه المسجد الذي هو في جوف المدينة قال صاحب الكشاف: أقول ومع بيان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يعبأ بقول غيره أما ما رواه أبو داود والترمذي أن فيه رجال إلخ .. نزلت في أهل قباء [صحيح، انظر صحيح الترمذي (٢٤٧٦)، فهو لا يعارض نص رسول الله صلي الله عليه وسلم وأما ما رواه ابن ماجه عن أبي أيوب وجابر وأنس أن، هذه الآية فيه رجال الخ.. لما نزلت قال عليه الصلاة والسلام واقفاً على باب مسجد القباء (إن الله قد أثنى عليكم يا معشر الأنصار في الطهور فما طهوركم) ، فلا يدل على اختصاص أهل قباء ولا ينافي الحمل على أهل مسجده من الأنصار / منه .

مخالفته ، ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ وطلب مرضاته ، ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ أي: بنيان مبنيه، ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ جانب وادٍ من أودية جهنم تكاد تسقط على جهنم والشفا الحرف وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهياً والهار المنصدع الذي أشفى على السقوط قيل حاصله أنه على قاعدة ضعيفة رخوة تكاد تسقط ، ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ طاح ببانيه وأسقطه ، ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ قد صح[1] عن بعض[2] الصحابة أنه رأى الدخان يخرج من هذه الأرض حين حفر وهو اليوم مزبلة ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى ما فيه صلاحهم ، ﴿لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ﴾ أي : مبنيهم مصدر أريد به المفعول ، ﴿الَّذِي بَنَوْا﴾ صفة لبنيانهم وجاز أن يكون بنيانهم على معناه المصدري والذي بنوا مفعوله ، ﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ سبب شك ونفاق فإنهم بنوا للكفر والتفريق فلما خربوه ازدادوا غيظًا وحسدًا وبغضًا﴿إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ بالموت والاستثناء من أعم الأزمنة، أي : يسئلون عنه حينئذ ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأعمال الخلائق ، ﴿حَكِيمٌ﴾ في مجازاتهم من خير وشر .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ

---

(١) أخرجه الحاكم والمسدد وابن جرير وغيرهم / فتح .

(٢) هو جابر بن عبد الله وقتادة وغيرهما / منه .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

﴿إِنَّ[1] اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ ، التي هو خلقها ﴿وَأَمْوَالَهُم﴾ التي هو رزقها ، ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ تمثيل لإثابة الله من بذل نفسه وماله في سبيل الله الجنة، ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ استئناف ببيان ما لأجله الشرى ، ﴿وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾ مصدران مؤكدان[2] فإن الاشتراء بالجنة يستلزم الوعد بها ، ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ ، أي : هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين ثابت فيهما

---

(١) ولما ذكر أنهم مطروحون في جهنم أسفل السافلين بين أن مقابليهم في الجنة أعلى عليين ، فقال : " إن الله اشتري " الآية / وجيز

(٢) (وعدًا) مصدر مؤكد لنفسه و(حقًا) مصدر مؤكد لغيره / منه .

كما هو ثابت في القرآن ، قال بعضهم : الأمر بالجهاد في جميع الشرائع ، وقال بعض : كتب فيهما أنه اشترى من أمة محمد أنفسهم وأموالهم بالجنة كما بين في القرآن، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ ، يعني لا أحد أوفى بما وعد " ومن أصدق من الله قيلا " (النساء:١٢٢)، ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ غاية الفرح فإنه موجب للفرح الأبدي ، ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ نزلت حين قال عبد الله بن رواحة وأصحابه ليلة العقبة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- : اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: "لربي أن تصدقوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم) ، قالوا : فما لنا ؟ قال : "الجنة" ،قالوا : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل(*) ، ﴿التَّائِبُونَ﴾ أي : هم التائبون مدحهم الله تعالى به ، ﴿الْعَابِدُونَ﴾ بالإخلاص ، ﴿الْحَامِدُونَ﴾ لله تعالي على كل حال ، ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون[1] كما ورد "سياحة أمتي الصوم" يعني في رمضان ، وقيل: من يديم الصوم ، أو المجاهدون أو طلبة[2] العلم ، ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ المصلون ، ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإيمان والطاعة ، ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عن الشرك والمعاصي وجاء بحرف العطف إشارة إلى أن ما عطف عليه في حكم خصلة[3] واحدة ، ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ القائمون بطاعته وهذا مجمل الفضائل ، وما قبله مفصل ، قال بعض العلماء : هذه الثلاثة في حكم خصلة واحدة ، يعني : يرشدون الخلائق إلى الطاعة بأمرهم بالمعروف

(*) صحيح.

(١) هو قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما شبهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم / منه .

(٢) قول عكرمة لأنهم يسيحون في الأرض يطلبون العلم من مظانه / منه .

(٣) ولهذا جاء بالواو فإنه لو جاء بغير حرف العطف لناسب أن يكون مثل الخصال المتقدمة خصلة على حيالها / منه .

ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله تعالى في تحليله وتحريمه علمًا وعملاً وعلى هذا وجه العطف أظهر ، ﴿وَبَشِّرِ[1] الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : الموصوفين بتلك الفضائل وذكر لفظ المؤمنين دون الضمير للإشعار بأن الإيمان داع إلى ذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه شيء لا يمكن بيانه ، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ بأن ماتوا على الكفر نزلت في استغفار النبي صلي الله عليه وسلم لأبي طالب[2] أو لأبيه[3] وأمه أو حين استأذن المسلمون أن يستغفروا لأبويهم ، ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا﴾ إبراهيم ، ﴿إِيَّاهُ﴾ بقوله: لأستغفرن لك ، أي : أطلب لك المغفرة من الله ، أو وعدها أبوه إياه أي : إبراهيم وهي عدته بالإيمان والأول[4] أصح عن على رضي الله عنه أني سمعت رجلاً يستغفر لأبويه المشركين فنهيته ، فقال : ألم يستغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه فذكرت ذلك

---

(١) وفي الآية الأولى أمرهم بالاستبشار وفي هذه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبشرهم ومن أين إلى أين، ولما بشر المؤمنين بالجنة وأنهم هم الذين اشتروها علم أن ليس للكافرين فيها نصيب فالاستغفار لهم ظلم ولا يجوز للمؤمنين الظلم فأراد منعهم ، وقال: " ما كان للنبي والذين آمنوا " الآية ، وأيضا لما بين في أول السورة وجوب البراءة عن الكفار والمنافقين من جميع الوجوه بين في هذه الآية أنه يجب البراءة عن أمواتهم وإن كانوا في غاية القرب كالأب والأم كما وجبت عن أحيائهم والمقصود ببيان وجوب مقاطعتهم على أقصى الغايات والمنع من مواصلتهم بسبب من الأسباب / كذا في الكبير والوجيز .

(٢) هكذا قال سعيد بن المسيب ومجاهد وغير واحد / منه .

(٣) قاله أبو هريرة وفي مسلم ما يدل على ذلك / منه .

(٤) لقوله تعالى : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ الممتحنة الآية .

للنبي -صلى الله عليه وسلم- فنزل "ماكان للنبي" إلى قوله : "إن إبراهيم لأواه حليم"(*) ولما استأذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الاستغفار لأمه فلم يأذن رحم عليها وبكى فجاء جبريل عليه السلام بقوله : " وما كان استغفار إبراهيم " الآية وقال : تبرأ أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه ، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ بالوحي أو بموته على الكفر ، ﴿ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ ما دعا له بعد ، ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ﴾ متضرع كثير الدعاء أو الرحيم[1] أو الموقن[2] بلسان الحبشة أو المؤمن[3] التواب أيضا بلسانهم أو المسبح أو كثير[4] الذكر والتسبيح أو فقيه[5] أو يتأوه[6] من الذنوب كثيراً نقل أنه عليه السلام يتنفس تنفس الصعداء كثيراً ويقول آه من النار قبل أن لا ينفع آه ، ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى صفوح ، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً﴾ ، ليحكم عليهم بالضلالة ويؤاخذهم ، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ للإسلام ، ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ أي : ما يجب اتقاؤه والغافل غير مكلف فلا نؤاخذكم باستغفاركم أبويكم المشركين قبل أن تعلموا أنه خطر حرام لكن لما بينت حرمته إن عدتم إليه ليتحقق الضلال قال[7] بعضهم: نزلت في قوم عملوا بالمنسوخ قبل أن يعلموا نسخه ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ

(*) حسن، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٧).

(١) قول الحسن وقتادة

(٢) قول مجاهد .

(٣) قول ابن عباس .

(٤) قول عتبة بن عامر

(٥) قول النخعي .

(٦) قول كعب الأحبار .

(٧) المقاتل والكلبي .

﴿مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ فتبرءوا عن المشركين وتوجهوا إلى الله تعالى بالكلية ، ﴿لَقَد[1] تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ﴾ ، أي : في وقت العسرة ، يعني غزوة تبوك ، فإنها في وقت شدة وحر وقلة زاد وماء ومركوب ، ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ﴾ اسم ما كاد ضمير الشأن ، ﴿يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ ، تميل عن الحق ، فإن كثيراً منهم هموا بالتخلف ثم عصمهم الله تعالى فلحقوا أو لما نالوا شدائدها من الجوع وغاية العطش والحر كادوا يشكون في دين الإسلام وأما ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى : " لقد تاب الله على النبي" معهم فلأنه أذن للمنافقين في التخلف قبل إذن الله تعالى وقال بعض افتتح به الكلام لأنه كان صلى الله عليه وسلم سبب توبتهم فذكره معهم ، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ ، تكرير للتأكيد ، فإنه لما ذكر ذنبهم أعاد ذكر توبتهم ، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوف[2] رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ﴾ عطف على النبي ، ﴿الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ أي : خلف الله تعالى أمرهم عمن ربط نفسه بالسواري وعمن اعتذر بالأكاذيب وقيل: خلفوا[3] عن الغزو ، ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ، أي : برحبها[4] ووسعتها وهو مثل لشدة الحيرة فإنهم مهجورون بالكلية في المعاملة والمجالسة والمكالمة ، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قلوبهم من كثرة الهم ، ﴿وَظَنُّوا﴾ علموا ، ﴿أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾ من

---

(١) لما استقصى في شرح أحوال غزوة تبوك وبين أحوال المتخلفين عنها عاد إلى شرح ما بقي من أحكامها ومن بقية تلك الأحكام أنه صدر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نوع زلة جارية مجرى تلك الأولى وصدر أيضاً عن المؤمنين نوع زلة فذكر تعالى أنه تفضل عليهم وتاب عليهم فقال : " لقد تاب الله " الآية / كبير .

(٢) ولهذا قبل توبتهم / وجيز .

(٣) والأول أولى، لأن حتى غايته فلا يحتاج إلى تكلف بخلاف المعنى الثاني/ وجيز .

(٤) فما مصدرية وهو مثل لشدة الحيرة كأنهم لا يجدون فيها محلا يقرون فيه .

سخطه ، **﴿إلاَّ إِلَيْهِ﴾** بالتضرع والاستغفار ، **﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾** وفقهم للتوبة أو رجع عليهم بالرحمة ، **﴿لِيَتُوبُوا﴾** أو قبل توبتهم ليتوبوا في المستقبل إن صدر عنهم خطيئة أو تاب عليهم ليرجعوا إلى حالهم ، **﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** يقبل توبة العباد بمحض رحمته وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية[1] الواقفي .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ[2]﴾ في نياتهم وأعمالهم أو في الاعتراف بالذنب لا كمن اعتذر بالأكاذيب والخطاب لأهل الكتاب ، أي : كونوا مع

(١) وهم من كبار الصحابة واثنان منهم من أهل البدر كما في الصحيحين وليسوا بمنافقين أبدًا/وجيز.

(٢) ولا تفارقوهم / وجيز .

محمد عليه السلام وأصحابه ، ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْـرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ[1] اللَّهِ﴾ نهي بصيغة النفي للمبالغة ، ﴿وَلاَ يَرْغَبُـوا﴾ ، أي : ولا أن يرغبوا ، ﴿بِأَنفُسِهِمْ عَن[2] نَّفْسِهِ﴾ لا أن يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه الأشرف عنه ، ﴿ذَلِكَ﴾ أي : النهي عن التخلف ووجوب الموافقة ، ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ، ﴿لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ، ﴿وَلاَ نَصَبٌ[3]﴾ تعب ، ﴿وَلاَ مَخْمَصَـةٌ[4]﴾ مجاعة ، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ﴾ لا يدوسون ، ﴿مَوْطِئاً﴾ مكاناً ، ﴿يَغِيـظُ﴾ وَطْؤُه ، ﴿الْكُفَّارَ﴾ يضيق صدورهم ويغضبهم ، ﴿وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً﴾ قتلاً وأسرًا أو غنمية وغلبة ، ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ﴾ بكل واحد من الظمأ وغيره ، ﴿عَمَـلٌ صَالِحٌ﴾ ، إلا استوجبوا الثواب والاستثناء المفرغ في موقع الصفة للنكرة قبله أو الحال[5] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم وهو كالعلة لكتب ، ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً﴾ في سبيل الله ، ﴿صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً﴾ قليلاً ولا كثيرًا ، ﴿وَلاَ يَقْطَعُونَ﴾ في سفرهم ، ﴿وَادِيًا﴾ أرضاً ، ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ﴾ أثبت لهم كل من الإنفاق والقطع ، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم[6] ، ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ما استقام لهم ، ﴿لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ أي : جميعًا لغزو

---

(١) فإنه النبي الصديق وقد أمرنا بقوله: (كونوا مع الصادقين) / وجيز .

(٢) أي : وما استقام لهم أن يجعلوا أنفسهم راغبة عن نفسه متباعدة مترفعة عنها والحقيقة هذا أمر بضده وهو أن يصحبوه في البأساء والضراء .

(٣) من عطف العام على الخاص .

(٤) من عطف الخاص على العام .

(٥) فيكون الأمر بوجوب الموافقة رحمة وشفقة عليهم / وجيز .

(٦) قدمت الجملة السابقة وتأخرت الجملتان؛ لأنها أشق على النفس وأنكى على العدو وأعلى وأنيل أجرًا؛ لأن هاتين المؤخرتين من خواص الأسفار لا اختصاص لهما بالغزو

=

نزلت حين بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- السرايا بعد تبوك ينفر المؤمنون جميعًا إلى الغزو حذرًا مما أنزل الله تعالى في تخلف المنافقين عن تبوك فيتركون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ﴿فَلَوْلاَ﴾ أي: هلا ، ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾ جماعة كثيرة ، ﴿طَآئِفَةٌ﴾ جماعة قليلة ، ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ أي : ليحصل القاعدون الفقه والقرآن[1] وأحكامه ، ﴿وَلِيُنذِرُوا[2] قَوْمَهُمْ﴾: ليعلموا النافرين ويخوفوهم بما نزل

= فأثبت لهما جزاء أحسن من العمل بخلاف الأول فإنهم وصلوا إلى أعلى رتبة الإيمان، وهى الإحسان ولما أعلم بما في الغزو من الأجر الجزيل وعلم أن الصحابة مولعون به صار مظنة أن لا يقف ولا يتوقف عند النبي -صلى الله عليه وسلم- إن جهز المسلمين إلى الغزو فقال: "وما كان المؤمنون" / وجيز .

(١) في صحبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال محيى السنة البغوي : الفقه هو معرفة أحكام الدين وهو ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين مثل علم الطهارة والصلاة والصوم ، فعلى كل مكلف معرفته ، وكذلك كل عبادة ، أوجبها الشرع على واحد يجب عليه معرفتها ومعرفة علمها مثل علم الزكاة إن كان له مال وعلم الحج إن وجب عليه وأما فرض الكفاية هو أن يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد ورتبة الفتيا فإذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعًا، وإذا قام من كل بلد واحد يتعلمه سقط الفرض عن الآخرين وعليهم تقليده فيما تقع لهم من الحوادث .

(٢) دلت الآية على أنه يجب أن يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق إلى الحق وإرشادهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم ، لأن الآية تدل على أنه تعالى أمرهم بالتفقه في الدين لأجل أنهم إذا رجعوا إلى قومهم أنذروهم بالدين الحق ويحذرون الجهل والمعصية ويرغبون في قبول الدين فكل من تفقه لهذا الأمر كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ، ومن عدل عنه وطلب الدنيا بالدين كان من الآخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا/مفاتيح الغيب المعروف بالكبير .

من الوحي ، ﴿إِذَا رَجَعُوا﴾ من الغزو، ﴿إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ[1]﴾ عما ينذروا عنه أو ليتفقه النافر أي : ليتبصروا بالغلبة على المشركين وينظروا صنائع الله تعالى ثم إذا رجعوا ينذروا قومهم من الكفار ويخبرهم بنصرة الدين لعلهم يحذرون ، أو نزلت حين نزلت أحياء العرب المدينة فغلت أسعارهم وفسدت طرقهم بالعذرات وحينئذ معنى الآية ظاهر ، أو نزلت حين خرج بعض الصحابة في البوادي فأصابوا منهم معروفًا ودعوا الناس إلى الهدى فقال أهل البوادي : ما نراكم إلا وقد تركتم صاحبكم فرجعوا كلهم إلى المدينة فقال تعالى هلا رجع طائفة منهم يستمعوا ما أنزل الله تعالى بعدهم من الوحي ولينذروا ويخبروا قومهم أي : أهل البوادي بالفقه الذي تعلموه إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون وقد ذكر في وجه النزول غير ما ذكرنا أيضًا .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

---

(١) لما أمرهم بالغزو وعلمهم وظيفة النفر شرع يعلمهم كيفية نفرهم إلى الأعداء : " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم " الآية / وجيز .

مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ أمروا بقتال الأقرب فالأقرب ولهذا لما فرغوا عن جزيرة العرب شرعوا في الشام ، ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة في القتال وصبرًا، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، بالإعانة[1] والحفظ ، ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم﴾ المنافقين، ﴿مَّن يَقُولُ﴾ أي : يقول بعضهم لبعض استهزاء وتثبيتًا على النفاق ، ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ﴾ السورة ، ﴿إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ بزيادة المؤمن به أو لزيادة[2] عمله الحاصل منها ، ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ بنزولها ، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ كفر ونفاق ، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ كفرًا ، ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ الذي كانوا عليه ، ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ[3] أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ أي : المنافقون ، ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يختبرون بالسنة والقحط أو الغزو والمصائب ، ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ لأن يتنبهوا ، ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ولا يعتبرون ، ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها عيب المنافقين ، ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ إنكارًا لها وسخرية أو تدبيرًا للفرار قائلين ، ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ يعني من المسلمين إن قمتم من الخطبة[4] والمسجد فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا أقاموا ، ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ عن حضرته ، ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الإيمان دعاء أو إخبار ، ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي : بسبب

---

(١) والقتال مع عدو الله بالصبر من شعائر التقوى.

(٢) أو لزيادة إيمانه وقوة يقينه في الإيمان .

(٣) وهذا شقاوة لا شيء بعدها .

(٤) فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرأ سورة القرآن في خطبته / وجيز .

أنهم ، ﴿قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ[١] ﴾ عن الله دينه ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تعرفون حسبه ونسبه ، ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد شاق ، ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي : عنتكم[٢] ومضارتكم ، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ على صلاحكم وإيمانكم ، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ[٣] رَءُوفٌ﴾ له شدة الرحمة على المطيعين ، ﴿رَّحِيمٌ ﴾ على المذنبين لكن غليظ شديد على الكافرين[٤] ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان وقاتلوك ، ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ في الحماية والنصرة ، ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فلا أرجوا ولا أخاف غيره ، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلق تحته وعن بعض السلف أن آخر ما نزل هاتان الآيتان.

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ولما تم جميع ما أراد بيانه في تلك السورة خاطب الكل بما هو فذلكة الكتاب وأصله ومقصوده فقال ﴿لقد جاءكم رسول﴾ الخ/ وجيز .

(٢) فما مصدرية /١٢ .

(٣) في قوله بالمؤمنين من باب التنازع بالرءوف والرحيم .

(٤) كما دل تقديم المؤمنين تخصيصهم بالرأفة والرحمة .

سورة يونس قيل مكية إلا ثلاث آيات

من قوله ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك﴾

وهى مائة وتسع آيات، وأحد عشر ركوعًا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ
رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ
قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا
كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ
مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا
وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾

﴿الر﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أي: أنا الله أرى[1]،﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآي، ﴿آيَاتُ الكِتَابِ﴾ القرآن، ﴿الحَكِيمِ ﴾ المحكم الذي لم ينسخ، أو الحاكم بين الناس أو ذوي الحكم ، ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ استفهام لإنكار تعجب الكفار، ﴿عَجَبا﴾ خبر كان، ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ اسم كان ، ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ نزلت حين قال قريش : الله أعظم أن يكون رسوله بشراً مثل محمد يعني ممن لم يكن له رياسة ومال وما يعدونه من أسباب الجلال﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ ، أن مفسرة ، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ﴾ أي : بأن ، ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ [2] عِندَ رَبِّهِمْ﴾، أي : سابقة وأثرة حسنة أجراً حسناً بما قدموا أو سبقت لهم السعادة في الذكر الأول وذكر الصدق إشارة إلى أن نيل تلك الرفعة بسبب الصدق ، ﴿قَالَ الكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ أي : الكتاب ، ﴿لَسَاحِرٌ [3] مُّبِينٌ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾

---

(١) قال الحسن وعكرمة:"الر" قسم، وقال قتادة:"الر" اسم للسور وقيل غير ذلك، ولا يخفى عليك أن هذا كله قول بالظن وتفسير بالحدس ولا حجة في شيء من ذلك والحق أن أوائل مثل هذه السورة مما استأثر الله بعلمه وهو المنقول عن الخلفاء الأربعة وغيرهم والله أعلم بمراده به وهو سره في كتابه العزيز .

(٢) في البخاري في كتاب التفسير قال زيد بن أسلم : أن لهم قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد : خير .[صحيح البخاري (١٩٦/٨-فتح)]

(٣) قرأ نافع وأهل البصرة والشام السحر بغير ألف يعنون القرآن وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة لساحر بالألف يعنون محمد صلى الله عليه وسلم/ معالم .

كهذه الأيام أو كل يوم كألف سنة، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى[1] عَلَى الْعَرْشِ﴾ ، الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة، ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾: يقدر أمر الكائنات على مقتضى

---

(١) قال البخاري في صحيحه في كتاب الرد على الجهمية قال أبو العالية: استوى على السماء ارتفع، وقال مجاهد: استوى على العرش علا على العرش وقعت هذه العبارة في النسخة المطبوعة الأحمدي ، وقال محيي السنة في معالم التنزيل: قال الكلبي ومقاتل: استقر، وقال أبو عبيدة: صعد، وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء ، فأما أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل ، وقال أيضاً في سورة البقرة تحت قوله تعالى: "ثم استوى، إلى السماء " (البقرة:٢٩)، قال ابن عباس، وأكثر مفسرى السلف: أى ارتفع إلى السماء ونقل الحافظ الذهبي في كتاب العلو عن إسحاق بن راهويه أنه قال: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: "الرحمن على العرش استوىٰ"، أي: ارتفع ونقل عن محمد بن جرير الطبري أنه قال : "ثم استوى على العرش الرحمن" (طه:٥)، أي: علا وارتفع، قال الشيخ سلام الله بن الشيخ عبد الحق الدهلوي فى حاشية على الجلالين المعروف بالكمالين عن أم سلمة والإمام جعفر الصادق والحسن وأبي حنيفة ومالك أن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وروى البيهقى عن أبي حنيفة أن الله في السماء دون الأرض وعنه قال: من أنكر الله في السماء فقد كفر، وقال الشافعي إن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، وينزل كيف شاء، ومثل ذلك قال أحمد ، وقال إسحاق : إنه أجمع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء وهو قول المزني والبخاري وأبي داود والترمذى وابن ماجه وأبي يعلي والبيهقي وغيرهم من أئمة الحديث، وقال إبراهيم: من الحلية طريقنا طريق السلف المتبعين لكتاب الله والإجماع ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته إلى أن قال: إن الأحاديث التي يثبت في العرش والاستواء عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأنه بائن من خلقه انتهى ما في الكمالين بلفظه، وقال شيخ الإسلام صفوة العارفين أبو محمد عبد القادر الجيلاني في كتاب الغنيمة الموجود بأيدي الناس: أما معرفة

=

حكمته ، ﴿مَا من شَفِيعٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ إذْنِه [(١)]﴾ رد على المشركين أن آلهتهم شفعاء لهم ، ﴿ذَلكُمُ اللّهُ﴾ أي: الموصوف بتلك الصفات العظيمة ، ﴿رَبُّكُمْ﴾ لا غير ، ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحده، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ في أمركم أيها المشركون ، ﴿إِلَيْه﴾ لا إلى غيره، ﴿مَرْجِعُكُمْ جَميعاً﴾ بالموت ، ﴿وَعْدَ اللّه﴾ مصدر مؤكد لنفسه ، ﴿حَقاًّ﴾ مصدر مؤكد لغيره ، ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ﴾ بعد إهلاكه ، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات بِالْقسْط﴾ بعدله لا ينقص من ثواهم وفضل الله يؤتيه من يشاء وقيل: المراد عدلهم أي: إيماهم فإن الشرك لظلم عظيم ، ﴿وَالَّذينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَميمٍ﴾ ماء حار انتهى حره، ﴿وَعَذَابٌ أَليمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ بسبب كفرهم وحاصله ليجزي الذين كفروا بشراب لكن غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعذاب، وللإشارة إلى أن المقصود بالذات من الإعادة هو الإثابة، وأما عقاب الكفرة فشيء ساقه إليهم شؤم أعمالهم وهذا أيضاً عدل لكن خصص المؤمنين بذكره لمزيد عناية وبشارة، ﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء ، ﴿وَالْقَمَرَ نُوراً﴾

= الصانع أن تعرف وتوقن أن الله واحد أحد إلى أن قال: وهو بجهة العلو مستوي على العرش محيط علمه بالأشياء " إليه يصعد الكلم الطيب " (فاطر:١٠)، " يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه" الآية (السجدة:٥)، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال : إنه في السماء على العرش كما قال: (الرحمن على العرش استوي) (طه:٥)، وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش وكونه سبحانه وتعالى على العرش -مذكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل- بلا كيف وذكر كلاماً طويلاً اختصرته من شاء الاطلاع على تمامه فيرجع إلى كتابه المذكور المطبوع المتداول بين الناس والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

(١) تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن/ بيضاوي.

أي[١]: ذا نور قيل: ما بالذات ضوء وما بالعرض نور، ﴿وَقَدَّرَهُ﴾، أي: مسير القمر[٢] ، ﴿مَنَازِلَ﴾ أو قدر القمر ذا منازل[٣]، ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ حساب الشهور والأيام، ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ أي : المذكور ، ﴿إِلاَّ﴾ متلبساً ، ﴿بِالْحَقِّ﴾ فيه الصنائع والحكم ، ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنهم المنتفعون بالتدبر، ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ[٤] اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ العواقب فإنه يحملهم على التدبر ، ﴿إِنَّ[٥] الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ﴾ لايتوقعون، ﴿لِقَاءَنَا﴾ لأهم ينكرون البعث ، ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من الآخرة، ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ قصروا هممهم على زخارفها، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ الكونية والشرعية، ﴿غَافِلُونَ﴾ فلا يتفكرون فيها ولا يأتمرون بها ، ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، من المعاصي، ﴿إِنَّ[٦] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ

---

(١) الضياء أقوى من النور بحكم الوضع والاستعمال ولذا ينسب الضياء إلى الشمس والنور إلى القمر/ منه.

(٢) فإن المعتبر في الشرع السنة القمرية والشهر القمري/ منه .

(٣) يعني لابد من تقدير المضاف ؛ لأن القمر ليس منازل ثم الظاهر أن المراد بها البروج لا المنازل إذ بها وبقطعها عدد السنين والحساب / منه .

(٤) اعلم أنه تعالى استدل على التوحيد أولاً: بتخليق السماوات والأرض وثانيًا: بأحوال الشمس والقمر وثالثًا: في هذه الآية بالمنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار ورابعًا: بكل ما خلق الله في السماوات والأرض/كبير .

(٥) ولما قام الدلائل القاهرة على صحة القول بإثبات الإله الرحيم الحكيم وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرع في شرح أحوال من يكفر بها ومن يؤمن بها فقال : " إن الذين لا يرجون " الآية / كبير .

(٦) لما بين أحوال المنكرين شرع في أحوال المؤمنين فقال : " إن الذين امنوا " الآية .

رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ[1]﴾، بسبب إيمانهم إلى الصراط حتى يصلوا إلى الجنة بالسلامة، ﴿**تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ**﴾ استئناف أو خبر ثان، ﴿**فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ متعلق بتجري أو حال من الأنهار، ﴿**دَعْوَاهُمْ**﴾ أي: دعاؤهم، ﴿**فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ**﴾ مخففة من المثقلة، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ عن كثير[2] من السلف أن أهل الجنة كلما اشتهوا شيئًا قالوا: سبحانك اللهم فيأتيهم الملك بما يشتهون فيسلم عليهم فيردون عليه، وذلك تحيتهم فإن أكلوا حمدوا الله وذلك قوله وآخر دعواهم .

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ

---

(١) قيل: علم من هذا أن المراد من الإيمان الإيمان المقيد بالعمل الصالح لا مطلق الإيمان ليكون ذكر العمل الصالح مستدركًا قلنا إن سلمنا لا يلزم أن من لا يكون مهتديا إلى الجنة لا يدخل الجنة قط ومنع ذلك غاية المكابرة / منه.

(٢) ومثل هذا الخبر عن السلف لا يكون إلا مرفوعًا / وجيز .

عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَلَوْ[١] يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم﴾ تعجيل الله تعالى لهم[٢] ، ﴿بِالْخَيْرِ﴾ حاصله لو يستجيب دعاءهم بالشر عند الغضب لأهلهم وأولادهم وأموالهم كما يستجيب دعائهم بالخير ، ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ ، لأميتوا وأهلكوا لكن بفضله يستجيب في الخير سريعًا لا في الشر قال بعضهم: نزلت حين قالوا: " اللهم إن كان هذا هو الحق " الآية (الأنفال:٣٢)، ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون

---

(١) ولما ذكر أنه تعالى بنى الأمور على التدبير لا على التعجيل فإن الثاني من الله والعجلة من الشيطان وهو على كل حال متفضل على المؤمنين في دنياهم ودينهم بين أن عدم استجابة دعائهم في بعض الأحيان من جملة التفضيل والتدبير فقال: " ولو يعجل الله " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) إشارة إلى أن الاستعجال بمعنى التعجيل صفة مصدر محذوف، أي تعجيلاً مثل تعجيلهم بالخير كضربت ضرب الأمير / منه .

البعث ، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ تقديره لا نعجلهم ولا نقضي فنذرهم إمهالاً واستدراجًا،﴿وَإِذَا مَسَّ[1] الإِنسَانَ الضُّرُّ﴾ المرض والشدة، ﴿دَعَانَا﴾ لإزالته ملقيا، ﴿لِجَنبِهِ﴾ أي: مضطجعًا، ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ ، أي: في جميع حالاته فإن الإنسان لا يخلوا عن إحدى هذه الثلاثة ، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ مضى واستمر على طريقته قبل الضر ونسي، ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ أي: كأنه لم يطلب منا كشف ضره فحذف ضمير الشأن وخفف، ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين، ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الانهماك في اللذات والإعراض عن الطاعات، ﴿وَلَقَدْ[2] أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بتكذيب رسلهم، ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الدالة على صدقهم عطف على ظلموا أو حال بإضمار قد، ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لأن الله طبع على قلوبهم جزاء على كفرهم، ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء وهو الإهلاك بأفضح وجه، ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: كل مجرم فاحذروا يا أهل مكة، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ﴾ استخلفناكم فيها ، ﴿مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف حال عن ضمير تعملون، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾ أي: المشركون، ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ أي: جئ من عند ربك بكتاب آخر ليس فيه عيب آلهتنا، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أنت من عند نفسك بأن تأتي بآية أخرى

---

(١) ولما أخبر أن الله لا يعجلهم بالضر وإن استعجلوا فاللائق بحالهم الصبر في البلاء والشكر في النعماء فذكر أنهم على خلاف ذلك فقال : "وإذا مس الإنسان " الآية / وجيز .

(٢) ولما كان الإمهال لا يستلزم الإهمال أيقظ المعاصرين المسرفين عن رقدة الغفلة بالتأمل في حال نظرائهم فقال : " ولقد أهلكنا " الآية / وجيز .

مكان آية فيها ما نكرهه، ﴿قُلْ مَا يَكُونُ﴾ ما يصح، ﴿لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ من قبل نفسي، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ يعني التبديل من قبل نفسي لا يمكنني ومن جهة الوحي موقوف على الوحي لا دخل لي فيه إنما علي اتباعه،﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بالتبديل، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لما علم من جواب التبديل جواب الإتيان بقرآن آخر اكتفى به عنه، ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللّهُ﴾ أن لا أتلوا، ﴿مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: تلاوته من مشيئة الله تعالى وإرادته فإني رجل أمي تعرفوني، ﴿وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ﴾ ولا أعلمكم الله به على لساني ومن قرأ لأدراكم بلام جواب "لو" فإنه عطف على جواب "لو" لا لام الابتداء[1] فمعناه لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري لكنه خصني بهذه المزية ورآني أهلا لها دون غيري ، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ مقدار أربعين سنة، ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه، ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ[2]﴾ إنه لا يكون من قبلي فإني نشأت بين ظهرانيكم وما مارست علمًا وما شاهدت عالمًا ،﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا﴾ بأن يقول: إنه من عند الله وما هو من عنده ، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ برسوله وقرآنه ومن تأمل في أمري يظهر له صدقي فلا أحد أظلم منكم، ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ وَيَعْبُدُونَ[3] مِن دُونِ اللّهِ مَا

---

(١) رد على الزمخشري فإن لام الابتداء لا يدخل على الماضي / منه.

(٢) يعني أن مثل هذا الكتاب العظيم إذا جاء على يد من لم يتعلم و لم يتتلمذ و لم يطالع كتابًا و لم يمارس مجادلة يعلم بالضرورة أنه لا يكون إلا على سبيل الوحي والتتريل وإنكار العلوم الضرورية يقدح في صحة العقل فلذلك قال : (أفلا تعقلون)/ ١٢ كبير .

(٣) ولما تكلموا بما يدل على جنونهم قال : "أفلا تعقلون"، ثم أثبت لهم ما هو صريح في جنونهم وما هو إلا من نحو أفعال المجانين فقال : " ويعبدون من دون الله " الآية/وجيز .

لاَ يَضُرُّهُمْ[١] **وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾** لأنه لا يقدر على ضر ولا نفع فإنه جماد، **﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ﴾** الأوثان ، **﴿شُفَعَاؤُنَا**[٢] **عِندَ اللَّهِ﴾** في أمور دنيانا أو في الآخرة إن يكن بعث ، **﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾** ، تخبرونه ، **﴿بِمَا لاَ يَعْلَمُ﴾** ، وهو أن له شريكاً وأن هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بكل شيء لم يكن له ثبوت بوجه ، **﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾** ، حال من ضمير مقدر في يعلم يرجع إلى ما تأكيد لنفيه إذ العرف جار[٣] بأن يقال عند تأكيد النفي ليس هذا في السماء ولا في الأرض، **﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾** ، ما مصدرية أو موصولة، **﴿وَمَا كَانَ**

---

(١) واعلم أن العبادة أعظم أنواع الشكر فهي لا تليق إلا بمن صدر عنه أعظم أنواع الإنعام وذلك ليس إلا الحياة والعقل والقدرة ومصالح المعاش والمعاد، فإذا كان المنافع والمضار كلها من الله سبحانه وتعالى وجب أن لا تليق العبادة إلا بالله سبحانه/ كبير .

(٢) قال الإمام الرازي : اختلفوا في أنهم كيف قالوا في الأصنام أنها شفعاؤنا عند الله وذكر فيه أقوالاً إلى أن قال : ورابعها أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا أعظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله انتهى ما في التفسير الكبير بلفظه ، وقال الشوكاني في نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار: اعتقاد الجهلة لها أي : للقبور كاعتقاد الكفار للأصنام ، وأعظم من ذلك وظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصد الطلب قضاء الحوائج وملجأ لإنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشدوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) لاعتقاد العامة أن كل ما يوجد فهو إما في السماء وإما في الأرض / منه .

النَّاسُ[1] **إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾** ، بين آدم ونوح عشرة قرون كلــــهم علـــى الإســـلام، **﴿فَاخْتَلَفُوا﴾**، فبعضهم عبدوا الأصنام، **﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّـــكَ﴾**، بأنـــه لا يهلك أحداً إلا بعد قيام الحجة وأن لكل أمة جعل أجلاً معيناً، **﴿لَقُضِـــيَ بَيْنَـــهُمْ﴾**، عاجلاً ، **﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾** ، فيهلك المبطل ويبقي المحق، قال بعضهم: أي لولا أنه في حكمه أنه لا يقضي بينهم إلا في القيامة لقضي في الدنيا فيدخل المؤمن الجنة والكافر النار قبل القيامة ، **﴿وَيَقُولُونَ﴾**، أهل مكة ، **﴿لَوْلا﴾** ، أي هلا ، **﴿أُنزِلَ عَلَيْـــهِ﴾** ، على محمد ، **﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾** ، مثل الناقة والعصا أو مما اقترحوه من جعل الصفا ذهبـاً ، **﴿فَقُلْ إِنَّمَا الغَيْبُ لِلَّهِ﴾** ، أي: ما تطلبونه غيب وهو القادر عليه، **﴿فَانتَظِرُوا﴾**، لنزول ما تطلبونه، **﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾** لما يفعل الله بكم .

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ

---

(١) ولما بين أن هؤلاء مستحقون للبلاء أول مرة وقد أمهلهم تعـــرض ســبب الإمـــهال فقال:"وما كان الناس " الآية / وجيز .

نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿**وَإِذَا**[1] **أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً**[2]﴾ كالرخاء والصحة ، ﴿**مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ**﴾ ، كالجدب والمرض ، ﴿**إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا**﴾ يحتالون في طعنها وتكذيبها وإذا

---

(١) ولما كان إجابة مقترحهم من مظنة إيمانهم وهي هين عند الله فكان منتظرا ينتظر ما هو سبب إيمانهم من مقترحهم بين أنهم لانهماكهم في الغي كأسلافهم غير متوقع منهم الإيمان فقال : وإذا أذقنا الناس " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) وقال بعض المفسرين المراد من رحمة مطر من بعد قحط وجدب.

للمفاجأة جواب لإذا الشرطية[1] ، ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً﴾ منكم بأن يدبر العقاب قيل إن تدبروا المكر والمكر من الله استدراج أو جزاء على المكر، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ أي: الحفظة من الملائكة، ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ للمجازاة، ﴿هُوَ[2] الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ يمكنكم من السير ويحفظكم، ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ في السفن ، ﴿وَجَرَيْنَ﴾ الضمير للفلك لأنه جمع فلك، ﴿بِهِم﴾ عدل إلى الغيبة[3] للمبالغة كأنه يذكرهم لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ، ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ لاستوائها ولينها، ﴿جَاءَتْهَا﴾ ، أي تلك السفن جواب لإذا ، ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أي: ذات عصف يعني شديدة قيل العاصف كالحائض مخصوص بالريح فلذا لم يقل عاصفة أو الريح يذكر ويؤنث، ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من جميع الأطراف، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ[4] بِهِمْ﴾ فلا يمكن لهم الخلاص، ﴿دَعَوُا اللَّهَ﴾ بدل اشتمال من ظنوا أو استئناف جواب ماذا صنعوا بعد هذه الحالة وما قيل هو جواب للشرط وجاءها حال فليس بشيء، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ[5] الدِّينَ﴾، مفعول مخلصين أي: تركوا الشرك فلم يدعوا إلا الله ،

---

(١) جواب لإذا الشرطية إذا جعل عامل إذا الشرطية هو الجواب كان معنى المفاجأة هو العامل فيه عمل الفعل في الظرف فيصير المعنى فجاءوا في وقت الإذاقة وقت المكر/منه.

(٢) ولما بين أن الناس إذا أصابهم الضر لجئوا إلى الله وإذا أذاقهم الرحمة عادوا إلى عادقم وكان المذكور إبرازه في صورة أمر كلي أوضح ذلك بمثال جلي كاشف عن حقيقة ذاك الكلي فقال : " هو الذي " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) من الخطاب: "بقوله إذا كنتم" / منه .

(٤) أي: دنوا من الهلاك وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بقوم أو بلد فحاصره فقد دنا أهله من الهلكة .

(٥) قال الرازي : يعني أن الإنسان في هذه الحالة لا يطمع إلا في فضل الله ورحمته ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعاً إلى الله تعالى ،

=

﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾ ، أي : قائلين أو مفعول دعو الأنه من جملة القول ، ﴿مِنْ هَذِهِ﴾ ، الريح والشدة ، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ﴾ ، فأجاءوا الفساد فيها، ﴿بِغَيْرِ الحَقِّ﴾ لا كتخريب المسلمين ديار الكفر فإنه إفساد بحق، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ[1] إِنَّمَا بَغْيُكُمْ[2] عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ﴾ منفعة ، ﴿الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لا تبقى ويبقى عقابها وهو خبر بغيكم وعلى أنفسكم متعلق بالبغي أو على أنفسكم خبره أي ما وبال بغيكم إلا على أنفسكم لا يضرون به أحدا غيركم ومتاع

= ثم إذا أنجاه الله نسي تلك النعمة ويرجع إلى ما ألفه واعتاده من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة. وفي الفتح: وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد وأن المضطر يجاب دعاؤه وإن كان كافراً أو في هذه الآية بيان أن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم في هذه الحالة وما شابهها فيا عجباً لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في الأموات، فإذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات ولم يخلصوا الدعاء لله كما فعله المشركون كما تواترت إلينا تواتراً يحصل به القطع فانظر هداك الله ما فعلت هذه الاعتقادات الشيطانية وأين وصل بها أهلها وإلى أين رمى بهم الشيطان وكيف اقتادهم وتسلط عليهم حتى انقادوا له انقياداً ما كان يطمح في مثله ولا في بعضه من عباد الأصنام فإنا لله وإنا إليه راجعون/فتح .

(١) الظاهر أنه خطاب عام يندرج الذين أنجاهم الله فيهم .

(٢) وعند ابن مردويه حديث مرفوع "لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي منهما" كذا في الفتح [رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو نعيم عن ابن عباس موقوفا، ورواه ابن مردويه عن الأعمش مرفوعا. قال ابن أبي حاتم: والموقوف أصح، كما في كشف الخفاء للعجلوني (١٨١/١) بتحقيقي.] وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه:

يا صاحب البغي إن البغي فارجع فخير فعال المرء أعدله

فلو بغى جبل يوماً على جبل لاندك منه أعاليه وأسفله

نقله الرازى فى الكبير.

خبر محذوف، أي: ذلك متاع ومن قرأ بالنصب تقديره يتمتعون متاع ، **﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[١] ﴾** بالجزاء عليه.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في سرعة تقضيها واغترار الناس بها، **﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾** أي: بسببه اشتبك نبات الأرض حتى خالط بعضه بعضاً، **﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾** من الزرع والبقل ، **﴿وَالأَنْعَامُ﴾** من الحشيش، **﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾** كعروس أخذت ألوان ثيابها وحليها فتزينت بها وأصل ازينت تزينت فأدغم، **﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾** أهل الأرض ، **﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾** متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها، **﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾** وهو ضرب زرعها ببعض العاهات، **﴿لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا﴾** أي: زرعها، **﴿حَصِيداً﴾** شبيهاً بما حصد ، **﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾** أي: كأن لم يلبث و لم يكن زرعها على حذف المضاف، **﴿بِالأَمْسِ﴾** والأمس مثل في الوقت القريب يعني المتسبب بالدنيا المغرور بها يأتيه عذابه أغفل ما يكون ومضمون الحكاية[٢] وهو الممثل[٣] به لا الماء وحده **﴿كَذَلِكَ﴾** مثل ذلك

---

(١) أما العدول من الخطاب في قوله: "إذا كنتم" إلى الغيبة في قوله: "وجرين بهم" فقيل: للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم من تلك الحال ، وقيل : حكمة الالتفات أن خطاب هو الذي يسيركم امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين الشاملين لمؤمن وكافر وحسن خطابهم ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر فيرجع فلما آل الحال إلى أن المتلبس بالنعمة باغ في الأرض عدل من الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون مخاطبين بصدور التي اخرها البغي ولما قال: "البغي متاع الحياة الدنيا" قال: "إنما مثل الحياة الدنيا" / وجيز .

(٢) وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاماً بعدما التف وزين الأرض حتى طمع فيها أهلها وظنوا أنهم قد حصلوها سالمة عن الحوائج .

(٣) أي : ليس المشبه به هو ما دخله الكاف في قوله: "كماء"؛ بل ما يفهم من الكلام .

التبيين ، ﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فإنهم المنتفعون بها ، ﴿وَاللَّهُ[1] يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ هي الجنة والسلام من أسماء الله تعالى أو دار السلامة من الآفـــات أودار تحيتها سلام يسلم الملائكة على من فيها، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ بأن يوفقه على التقوى الذي هوطريق الجنة فالدعوة عام والهداية خاص، ﴿لِّلَّذِيـــنَ[2] أَحْسَنُوا﴾ العمل في الدنيا، ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ النظر[3] إلىوجه الله الكـــريم وهو قول أبي بكر الصديق وكثير من السلف رضي الله عنهم وعليه أحاديث كثـــيرة أحدها في صحيح مسلم وابن ماجه لكن من يضلل الله من العباد فمالـــه مـــن هـــاد أوالحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة أو أكثر أو الزيادة الرضـــوان، ﴿وَلاَ يَرْهَقُ﴾ لا يغشى ، ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ غبار أي: سواد ، ﴿وَلاَ ذِلَّةٌ﴾ هوان وكآبة؛ بل لقاهم نضرة وسروراً، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[4]﴾ وَالَّذِيـــنَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ مبتدأ بتقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات، ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِـهَا﴾ لا يزاد عليها شيء أو عطف على الذين أحسنوا ، أي: للذين كسبوا السيئات جـــزاء سيئة بمثلها كقولك : في الدار زيد والحجرة عمرو عند مـــن يجـــوزه، ﴿وَتَرْهَقُـــهُمْ﴾ تغشاهم، ﴿ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يعصمهم ويحميهم ، ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِـــيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً﴾ لكمال سوادها ومظلماً حال من الليل وهو صفـــة

---

(١) ولما ذكر مثل الحياة الدنيا وما يئول إليه من الفناء وما تضمنته من الآفات بـــين أنـــه سبحانه داع إلى دار سلامة وآمن فقال: "والله يدعوا" / وجيز .

(٢) لما كان الدعاء عاما لم يتقيد بالمشيئة والهداية خاصة تقيدت بها علم أنهم فريقان أهـــل التقوى والهداية وأهل الضلال والغواية فبين مآلهما وقال: (للذين أحسنوا) / وجيز.

(٣) فسره بذلك رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم وابـــن ماجـــه والترمذى ومسند أحمد وهو قول أكابر الصحابة / وجيز .

(٤) وفيها ظرف خالدون والتقديم رعاية للفاصلة أو فيها خبر وخالدون خبر بعده/وجيز .

لقطعاً ومن قرأ قطعاً بسكون الطاء فالأولي أن يكون مظلماً صفة ، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ والآية في الكفار قسيم المؤمنين المراد من قوله للذين أحسنوا، ﴿وَيَوْمَ﴾ بتقدير اذكر، ﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ المؤمن والكافر ، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ الزموا ، ﴿مَكَانَكُمْ أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير المنتقل إلى مكانكم من عامله ، ﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ أي الأوثان ، ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ فرقنا ، ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وقطعنا ما كان بينهم من التواصل ، ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ ينطق الله الأصنام فينكرون عبادتهم ويتبرأون منهم مكان شفاعتهم ، ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن﴾ أي أنه[1] ، ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ لأنا كنا جماداً لا نعلم ولا نشعر فما أمرناكم بها ولا رضينا منكم بها، ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المقام، ﴿تَبْلُو﴾ تختبر وتعلم، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ من عمل فتعاين نفعه وضره ومن قرأ تتلو فهو من التلاوة أي تقرأ أومن التلو أي: تتبع عمله قال بعضهم: تتبع كل أمة ما كانت تعبد،﴿وَرُدُّوا﴾ أي: أمرهم، ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ﴾ متولي أمورهم بالحقيقة لا ما اتخذوه مولىً بالباطل، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ ضاع وبطل ، ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ فيعبدونه من دون الله .

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ

(١) قال المفسرون: إن تكون بمعنى لقد .

يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿**قُلْ مَنْ**﴾[1] ﴿**يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ**﴾ بالمطر، ﴿**وَالأَرْضِ**﴾ بالنبات قيل: تقديره من أهل السماء والأرض، ﴿**أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ**﴾ أي: من يملك خلقهما أو حفظهما من الآفات، ﴿**وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ**﴾ الحيوان ، ﴿**مِنَ الْمَيِّتِ**﴾ النطفة ، ﴿**وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ**﴾ النطفة ، ﴿**مِنَ الْحَيِّ**﴾ الحيوان وقيل: من يحيي ويميت ، ﴿**وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ**﴾ يلي تدبير أمر العالم ، ﴿**فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ**﴾ إذ الأمر أوضح من أن ينكر ، ﴿**فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**﴾ الشرك مع هذا الإقرار ، ﴿**فَذَلِكُمُ**﴾ إشارة إلى من هذه قدرته ، ﴿**اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ**﴾ لا ما جعلتم معه شريكاً أخبار مترادفة[2] ،

---

(١) ولما بين فضائح عبدة الأوثان أتبعها بذكر الدلائل الدالة على فساد معتقدهم بما لا يمكن إلا الاعتراف به فقال : " قل من يرزقكم " الخ / وجيز .

(٢) لأن الله علم لا يمكن أن يجعل صفة ذلكم / وجيز .

﴿فَمَاذَا بَعْدَ[1] الحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ أي: ليس بعد الحق إلا الضلال ، ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ عن الحق إلى الضلال وعن عبادته إلى عبادة غيره، ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: كما حق أن بعد الحق الضلال أو أنهم مصروفون عن الحق، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: حكمه السابق ، ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ تمردوا في كفرهم، ﴿أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من كلمة، وقيل تقديره: لأنهم لا يؤمنون فالمراد منها كلمة العذاب، ﴿قُلْ هَلْ[2] مِن شُرَكَائِكُم﴾ أي: آلهتكم، ﴿مَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أدخل الإعادة في الإلزام وإن لم يكونوا قائلين بها لظهور برهانها، ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وأنتم تعلمون أن شركاءكم لا يقدرون على مثل هذا، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن سواء السبيل ، ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ والهداية كما يعدى بإلى يعدى باللام، ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ أمره وحكمه ، ﴿أَمَّن لاَّ يَهِدِّي﴾ أصله يهتدى فأدغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين، ﴿إِلاَّ أَن[3] يُهْدَى﴾، الهداية قد تجيء بمعنى النقل[4] أي الأوثان لا ينتقل من مكان إلا أن ينقل أو يكون هذا حال أشرف شركائهم كالملك والمسيح أو لا يصح منه الاهتداء إلا أن يهديه الله بأن يجعل الجماد حيواناً عالماً ، ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ[5]﴾ بما يبطله

---

(١) ماذا استفهام معناه النفي وهو مبتدأ أو الخبر بعد الحق / وجيز .

(٢) هل تكون للاستفهام ويدخلها من معنى التقرير والتوبيخ ما يدخل الألف التي يستفهم بها.

(٣) معناه أن للمشركين شركاء بعضهم جماد كالحجر والنجوم وبعضهم عقلاء كالملك وعيسى وعزير وحال أشرف شركائهم أنهم لا يهتدون إلا بأن يهدى فكيف حال غير الأشرف .

(٤) نحو هديت العروس إلى بيت زوجه نقله محيي السنة عن بعض كبار السلف ، قيل : وما أحسن قوله إن قوله أحق من باب التهكم فإن أصنامهم ليست مستحقة بوجه للعبادة/وجيز.

(٥) ولما أثبت لهم الحجج البينة على بطلان ما هم عليه ولم ينفع وهم على الضلال القديم بين سبب ذلك فقال: "وما يتبع أكثرهم إلا ظناً" /وجيز .

العقل بتا، ﴿وَمَا[1] يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً﴾ مستنداً إلى خيال باطل ووهم زائل والمراد من الأكثر الجميع أو المراد رؤساؤهم فإن السفلة مقلدون ليس لهم ظن أيضاً، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً﴾ أي : لا يقوم مقام العلم فالمراد من الحق العلم ، وشيئاً مفعول مطلق، أو مفعول به، ومن الحق حال قيل معناه: الظن لا يدفع من عذاب الحق شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ تهديد ووعيد، ﴿وَمَا كَانَ هَـذَا القُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ما صح أن يكون القرآن مفترى من الخلق وهذا محال، ﴿وَلَكِن﴾: كان، ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المتقدمة، ﴿وَتَفْصِيلَ الكِتَابِ﴾ تبيين ما كتب وفرض من الشرائع ، ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ خبر ثالث أو حال أو استئناف، ﴿مِن رَّبِّ[2] العَالَمِينَ ﴾ خبر آخر أو حال ، ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل أيقولون ، ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمد والهمزة للإنكار ، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ في البلاغة على وجه الافتراء ، ﴿وَادْعُوا﴾ إلى معاونتكم على المعارضة ، ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ من الجن والإنس ، ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ سوى الله تعالى فإنه القادر على ذلك متعلق بادعوا لا باستطعتم ، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنه من عند نفسه فإنه بشر مثلكم بل تمرنكم في

---

(١) أي ما يتبع هؤلاء المشركين في إشراكهم بالله وجعلهم له أنداداً إلا مجرد الظن والتخمين والتحدس ، و لم يكن ذلك عن بصيرة والتفات إلى فرد من أفراد العلم فضلاً عن أن يسلكوا مسالك الأدلة الصحيحة الهادية إلى الحق فيفهموا مضمونها ويقفوا على مقتضاها وبطلان ما يخالفها؛ بل ظن من ظن من سلفهم أن هذه المعبودات تقربهم إلى الله وأنها تشفع لهم و لم يكن لظنهم هذا مستند قط بل مجرد خيال مختل وحدس باطل فقلدوا فيه آباءهم وما أحسن ما قال الرازى في هذه السورة تحت قوله تعالى : " ويقولون هؤلاء شفعاءنا عند الله " (يونس:١٨)، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله.

(٢) منزل من رب العالمين لتربيتهم /وجيز .

النظم والنثر أكثر فإنه أمي ، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ يعني لما رأوا القـــرآن مشتملاً على أمور ما عرفوا حقيقتها(١) سارعوا بجهلهم إلى التكذيـــــب(٢)، ﴿وَلَمَّـــا يَأْتِهِمْ﴾ بعد، ﴿تَأْوِيلُهُ﴾ فإنهم إن صبروا يظهر لهم بالآخرة تأويله ، لكن فأجاءوا الإنكار قبل أن يقضوا على تأويله ، ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ، ﴿فَـــانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ فيه وعيد لهم بمثل عقاب الأمم السالفة ، ﴿وَمِنْهُم﴾ من المكذبين، ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بعد ذلك ، ﴿وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بـــل يمـــوت علـــى الكفر، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ المصرين وقيل: معناه بعضهم من يصدقه باطنـــاً لكن يعاند، وبعضهم لا يعلم صدقه لغباوة وأنا أعلم بالمعاند.

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ

---

(١) وهكذا صنع من تصلب في التقليد و لم يبال بما جاء به من دعي إلى الحق وتمسك بذيول الأنصاف بل يرده بمجرد كونه لم يوافق هواه ، ولا جاء طبق دعواه قبـــل أن يعـــرف معناه، ويعلم مبناه كما تراه عياناً وتعلمه وجدانا والحاصل أن من كذب بالحجة النـــيرة والبرهان الواضح قبل أن يحيط بعلمه فهو لم يتمسك بشيء في هذا التكذيب إلا بمجـــرد كونه جاهلاً، إنما كذب به غير عالم به فكان بهذا التكذيب منادياً على نفسه بالجـــهل بأعلى صوت ومسجلاً بقصوره عن تعقل الحجج بأبلغ تسجيل ، وليس على الحجة ولا على من جاء بها من تكذيبه شيء:

ما يبلغ الأعداء من جاهل		ما يبلغ الجاهل من نفسه

(٢) فإن المرء عدو لما جهل .

يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ أصروا على تكذيبك[١] ، ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: لي الإيمان ولكم الشرك أو لكل جزاء عمله، يعني تبرأ منهم فقد أعذرت، ﴿أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾ من الطاعة ، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من المعاصي أو لا تؤخذون بعملي ولا أو خذ بعملكم ، قال بعضهم : الآية منسوخة بآية السيف[٢] ، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن لكن لا يقبلون، ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ يعني:

(١) فسرنا بقولنا أصروا لأن أصل التكذيب حاصل مع أن الجزاء أعني التبري منهم إنما يلائم الإصرار واليأس من الإجابة / منه .

(٢) فيه بحث لأنه لا تدل إلا على أنه- عليه الصلاة والسلام- يتبرى منهم ولا يتعب نفسه في هذا كما يدل على ذلك الآية التي بعدها ولا يدل على عدم التعرض بهم فتأمل/منه .

أتطمع أن تسمع الأُطْرُوشُ فإنهم بمترلته في عدم وحيه، ﴿وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ أي: ولو انضم إلى صممهم عدم العقل فإن الأصم العاقل ربما يتفرس، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ ويعاينون أدلة صدقك لكن لا يصدقون ، ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ أتطمع أنك تقدر على هداية فاقد البصر، ﴿وَلَوْ كَانُوا لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ وإن انضم إليه عدم البصيرة فإن العمى مع الحمق جهد البلاء، والآية كالتعليل للأمر بالتبري، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾، من الظلم[1] بأن يشقيهم وهم مصلحون، ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بارتكاب أسباب الشقوة وتفويت منافع العقول أومعناه ما يحيق بهم في الآخرة عدل من الله تعالى لأنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه فعلى هذا يكون وعيداً لهم، ﴿وَيَوْمَ[2] يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ﴾ أي: كأنه لم، ﴿يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾، يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبر لهول المحشر وكأن لم يلبثوا حال أي: مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة، ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً وهو متعلق الظرف أعني يوم نحشرهم أوتقديره اذكر يوم نحشرهم وعلى هذا يتعارفون بيان لقوله لم يلبثوا، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ هي شهادةمن الله على خسرانهم[3] ، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ لرعاية مصالح هذه التجارة ،

---

(١) أشار بقوله من الظلم أن شيئاً مفعول مطلق .

(٢) ولما كان في هذه الآيات ما ذكر من أفانين جدالهم في أباطيلهم دالاً على أنهم لا يرون حشراً ونعيماً وراء نعيم هذه الدار فارغين عن نوازل الحدثان مستطيلين للزمان آمنين من الفناء حسن تعقيبه بما يستقصرون مع مدة لبثهم في الدنيا فقال:"ويوم نحشرهم" الآية/وجيز.

(٣) ولما أوعد بخسرانهم وعدم اهتدائهم وهم في عافية في دنياهم صارت النفوس كأنها منتظرة في إنما يترتب على الوعيد هو في الدنيا نراه عن قريب فقال : " وإما نرينك "الآية/وجيز .

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ[1] بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أي : ننتقم في حياتك لتقر عينك وجوابه محذوف ، أي : فذاك ، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نريكه ، ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك ، ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴾ فيعاقبهم ويجازيهم إن لم ننتقم في الدنيا ننتقم منهم في الآخرة ، ﴿وَلِكُلِّ[2] أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يدعوهم إلى الحق ، ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وهو هلاك من كذبه ونجاة من تبعه أو لكل أمة[3] يوم القيامة رسول فإذا جاء رسولهم الموقف قضي بينهم بالعدل ، ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ ، فلا ينقص ثوابهم ولا نأخذهم بغير ذنب ، ﴿وَيَقُولُونَ[4]﴾ ، أي : المشركون استهزاء واستبعاداً ، ﴿مَتَى هَذَا الوَعْدُ﴾ الذي تعدوننا من العذاب، ﴿إِن كُنتُمْ﴾ أيها الرسول وأتباعه، ﴿صَادِقِينَ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَراًّ وَلاَ نَفْعاً﴾ فكيف أملك لكم فأستعجل في عذابكم، ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن أملكه أو منقطع، أي: لكن ما شاء الله من ذلك كائن، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مضروب لهلاكهم ، ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ لا يتأخرون ولا يتقدمون، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: أعلمتم أو أخبروني، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً﴾ وقت بيات، ﴿أَوْ نَهَاراً﴾ وقت اشتغالكم بطلب المعاش ، ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ متعلق بأرأيتم ومعناه التعجب والتهويل يعني أعلمتم إن أتاكم عذابه في حين غفلة أي شيء هول شديد يستعجلون من الله تعالى وإذا كان ضمير منه للعذاب فمن للبيان

---

(١) أي : وضعوا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر .

(٢) ولما ذكر حاله- صلى الله عليه وسلم- مع قومه أخذ يبين أن حال جميع الأمم مع الرسل كذلك فقال : " ولكل أمة رسول " الآية / وجيز .

(٣) هو قول مجاهد رضي الله عنه .

(٤) ولما سمعوا أمر وعيدهم بأنه متعين الوقوع استهزءوا فقال تعالى:" ويقولون" الآية/وجيز .

وهذا كقولك: أعلمت ماذا جنيت؟ وجواب الشرط محذوف[1] يدل عليه أعلمتم أي شيء يستعجلون ، وعدل عن الخطاب في يستعجلون إلى ذكر فاعله لإفادة أن تعلق الحكم باعتبار وصف الإجرام أو ماذا يستعجل جواب كقولك: إن لقيت أسداً ماذا تصنع؟ ومجموع الشرط والجزاء متعلق بأرأيتم أو الاستفهام ليس للتعجب فحاصله أن العذاب كله مكروه فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال، ﴿**أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ**﴾ الهمزة للتوبيخ والتقريع يعني إذا نزل العذاب آمنتم به، ﴿**آلآنَ**﴾ بتقدير القول أي : قيل لهم بعدما نزل العذاب وآمنوا الآن آمنتم فهو استئناف أو بدل من آمنتم أو من إذا ما وقع إلى آخره ، ﴿**وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ثُمَّ قِيلَ**﴾ ، عطف على قيل المقدر ، ﴿**لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾ ، في الدنيا فلا ظلم ، ﴿**وَيَسْتَنبِئُونَكَ**﴾، يستخبرونك ، ﴿**أَحَقٌّ هُوَ**﴾ ، ما تقول من البعث والقيامة أو العذاب وفي إعرابه وجهان كأقائم زيد قيل الهمزة للإنكار والسخرية، ﴿**قُلْ إِي**﴾، بمعني نعم ويلزمها القسم، ﴿**وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ**﴾، كائن ثابت ، ﴿**وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ**﴾، أي: ليس صيرورتكم تراباً بمعجز الله تعالى عن إعادتكم أو بفائتين العذاب.

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ

---

(١) وهو ندموا على الاستعجال أو عرفوا خطأه وأمثال ذلك / منه .

وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿**ولَوْ أَنَّ**﴾ ، تحقق وثبت ، ﴿**لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ**﴾ ، بالشرك ، ﴿**مَا فِي الأَرْضِ**﴾، من الخزائن، ﴿**لاَفْتَدَتْ بِهِ**﴾ ، لجعلته فدية لها من العذاب ، ﴿**وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ**﴾، أي: أظهروا[١] الندامة أوأخفى روساؤهم الندامة من سفلتهم حذراً من تعييرهم أو أخفوا لأنهم لم يقدروا أن ينطقوا لشدة الأمر، ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُم**﴾ بين المؤمنين والكافرين، أو بين الكفار أو بين الرؤساء والأتباع، ﴿**بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ فيقدر على العقاب والإثابة ، ﴿**أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾ لا خلاف فيه ، ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ لغفلتهم وقصور عقلهم ، ﴿**هُوَ يُحْيِي ويُمِيتُ**﴾ في الدنيا ، ﴿**وَإِلَيْه تُرْجَعُونَ** ﴾ بالنشور ، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**[٢] **قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ زجر عن الفواحش، ﴿**وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ من سوء الاعتقاد والشكوك، ﴿**وَهُدًى**﴾ إلى الحق، ﴿**وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ فيه حصل لهم النجاة من الظلمات إلى النور، ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**﴾[٣] أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا فحذف أحد الفعلين لدلالة الباقي

---

(١) من قولهم: أسر الشيء أظهره / منه

(٢) ولما ذكر وفصل وأشبع الأدلة الوحدانية بين دليل صحة النبوة والطريق المؤدي إليها وهو القرآن فقال : " يا أيها الناس " الآية / وجيز .

(٣) وفائدة التكرير التأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا/ منه.

عليه والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل : إن فرحوا بشيء فليخصوا الفضل والرحمة بالفرح فإنه لا مفروحاً به أحق منهما ، أو تقديره قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبمجيئها فليفرحوا، أو الفضل الإيمان أوالقرآن أو الإسلام ورحمته القرآن أو أنه صيرنا من أهل القرآن أو السنن أو الجنة ، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾، من حطام الدنيا ، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم[1] مَّا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، ما مفعول أرأيتم، أي: أخبرونيه، ﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾، الرزق مقدر من[2] السماء محصل بأسباب منها، ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً﴾، المراد ما حرم المشركون من البحائر والسوائب والوسائل، وأحلوا من الميتة وغيرها، ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، بالتحليل والتحريم، ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ[3] ﴾، في نسبة ذلك إليه

---

(١) ولما من علينا بإنزال القرآن المشتمل على التحليل والتحريم بين فساد شرائعهم وأحكامهم فقال : " قل أرايتم " الآية / وجيز .

(٢) فلذلك قال أنزل .

(٣) وفي هذه الآية الشريفة ما يصل مسامع المتصدرين للإفتاء لعباد الله في شريعته بالتحليل والتحريم مع كونهم مقلدين لا يعقلون حجج الله ومبلغهم من العلم الحكاية لقول قائل من هذه الأمة قد قلدوه في دينهم وجعلوه شارعاً مستقلاً ما عمل به من الكتاب والسنة فهو معمول به عندهم وما لم يبلغه أو بلغه ولم يفهمه حق فهمه أو فهمه وأخطأ الصواب في اجتهاده وترجيحه فهو في حكم المنسوخ عندهم المرفوع حكمه عن العباد مع كون من قلدو متعبدا بهذه الشريعة كما هم متعبدون بها وقد اجتهد رأيه وأدى ما عليه وفاز بأجرين مع الإصابة وأجر مع الخطأ ، إنما الشأن في جعلهم لرأيه الذي أخطأ فيه دليلاً معمولاً به وقد أخطئوا في هذا خطأ بيناً وغلطوا غلطاً فاحشاً فإن الترخيص للمجتهد في اجتهاد رأيه يخصه وحده ولا قائل من أهل الإسلام المعتد بأقوالهم أنه يجوز لغيره أن يعمل به تقليداً له واقتداء به، وما جاء به المقلدة في تقوم هذا الباطل فهو من الجهل العاطل ، قال النسفي: الآية زاجرة عن التجوز فيما يسأل عن الأحكام وباعثه على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان

=

قيل الهمزة[1] للإنكار، وأم منقطعة، ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: أي شيء ظنهم[2] في ذلك اليوم أيحسبون أن لا يجازوا عليه وفي إبهام الوعيد تهديد شديد،﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ حيث لا يستعجل عقوبتهم أو فيما أباح لهم المنافع و لم يحرم عليهم إلا المضار، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ هذه[3] النعمة فيحرمون ويحللون بمقتضى هواهم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا

= وإتقان وإلا فهو مفتر على الديان ثم قال : " وما ظن الذين " الآية/ فتح البيان في مقاصد القرآن .

(١) وعلى المعنى الذي فسرنا أم متصلة .

(٢) في ذلك إشارة إلى أن يوم القيامة ظرف لظن لا ليفترون .

(٣) ولما أظهر جملة من أحوال الكفار ومذاهبهم ورد عليهم ومجادلة الرسول لهم وفضله على الخلق وعدم شكر أكثرهم ذكر اطلاعه على أحوالهم للتنبيه والتأديب وأبصر في مقاسات الأعداء كما قال: " واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا" (الطور:٤٨) فقال:" وما تكون في شأن" الآية/ وجيز.

يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ۞ ﴾

﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ**﴾ ما نافية والشأن الأمر والخطاب لرسوله صلى الله عليه وسلم، ﴿**وَمَا تَتْلُو مِنْهُ**﴾ الضمير لله وقيل للشأن، ﴿**مِن قُرْآنٍ**﴾ من مزيدة للنفي وقيل: للتبعيض، ﴿**وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ**﴾ خطاب له ولأمته ، ﴿**إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً**﴾ رقباء مطلعين عليها، ﴿**إِذْ تُفِيضُونَ**﴾ تخوضون، ﴿**فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ**﴾ لا يبعد ويغيب، ﴿**عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ**﴾ موازن نملة صغيرة أوهباء(١) ، ﴿**فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ**﴾ أي: في الوجود فإن العوام لا يعرفون إلا ما فيهما ، ﴿**وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ جملة برأسها مقررة لما سبق و(أصغر) اسم (لا) و(في كتاب) خبره ، ﴿**أَلاَ إِنَّ(٢) أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾ حين يخاف الناس عقاب الله، ﴿**وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ على فوات مأمول ، ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٣)**﴾ بيان

---

(١) يعني الذرة الصغيرة أم الهباء .

(٢) ولما بين أن المخاطبين فريقان وأعلم أن الفريق الذين هم الأكثرون غير شاكرين توجه الخاطر إلى العلم بحال القليل الذين هم شاكرون فقال: (ألا إن أولياء الله) إلخ / وجيز .

(٣) وقد أكثر أهل العلم من المتكلمين والصوفية وغيرهم في تعريف الولي ووصفه وأطالوا المقالات في ذلك بما لا حاجة إليه ، وهذه الآية تغني عنها وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، والحاصل أن ولي الله من كان آتياً بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل وبالأعمال =

لأولياء الله، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الرؤيا[١] الحسنة[٢] هي البشرى يراها المسلم ويرى له، وقال بعضهم: هي بشرى الملائكة عند احتضاره بالجنة وعن الحسن هي ما يبشر الله تعالى المؤمنين في كتابه من جنته ونعيمه، ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ الجنة ورضوان الله تعالى قال بعضهم: المراد بشارة الملائكة في القبر، ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا إخلاف في مواعيده، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: كونهم مبشرين في الدارين، ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ إشراكهم وتكذيبهم، ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ[٣] جَمِيعاً﴾ استئناف بمعنى التعليل كأنه قال: لا تحزن؛ لأن العزة كلها ملك له ولا يملكها إلا لمن

= الصالحة على وفق السنة المطهرة ، وعن عمرو بن الجموح أنه سمع النبي- صلى الله عليه وسلم- يقول : " لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله وأن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم " أخرجه أحمد وغيره [أخرجه أحمد (٣/٤٣٠)، وقال الهيثمي في "المجمع"، (١/٨٩): رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد وهو "منقطع ضعيف"]، وفي رواية لأحمد " خيار عباد الله الذين إذا رءوا ذكر الله " الحديث [أخرجه أحمد (٤/٢٢٧) بسند ضعيف أيضا]، وفي رواية الحكيم الترمذي "خياركم من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقه ورغبكم في الآخرة عمله"/ فتح .[ضعيف، وانظر الدر المنثور (٣/٣١٠)]

(١) وقد وردت أحاديث صحيحة بأن الرؤيا الصالحة من المبشرات وأنها جزء من أجزاء النبوة ولكنها لم تقيد بتفسير هذه الآية إلا ما رواه رجل مجهول عن أبي الدرداء مرفوعاً/ فتح.

(٢) هكذا فسره رسول الله- صلى الله عليه وسلم- رواه الإمام أحمد وابن جرير وغيرهما وهكذا فسره ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة ومجاهد وعروة وغير واحد/١٢ .

(٣) فهو يعزك بغلبتك عليهم ويذلهم .

ارتضى، ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم، ﴿العَلِيمُ﴾ لنياتهم فيجازيهم ويكافئهم، ﴿أَلاَ إِنَّ[1] لِلَّهِ﴾ ملكا وخلقاً، ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾ من الملائكة والثقلين الذين هم أشرف المخلوقات، فكيف بالجمادات وهو كمقدمة ودليل على قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ ما نافية، أي: ما يتبعون شركاء على الحقيقة وإن كانوا يسموها شركاء، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ أو ما استفهامية وعلى هذا شركاء مفعول يدعون، أي: أي شيء يتبعون ، وقيل: ما موصولة عطف على من في السماوات[2] ، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون أو يحرزون[3] حرزاً باطلاً، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ لتستريحوا من نصب النهار، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ مضيئاً تبصرون فيه مكاسبكم فكيف جاز عبادة غيره، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ[4]﴾ لا للصم الذين لا يسمعون سماع انتفاع، ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ كما قالوا الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه على التبني وتعجب عن حماقتهم، ﴿هُوَ الغَنِيُّ﴾ واتخاذ الولد مسبب عن الحاجة ، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ مقرر لغناه، ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ أي : ليس[5] عندكم دليل بهذا؛ بل أنتم تابعون للجهالة ، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ فيه تهديد شديد ووعيد أكيد ، ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ في الدنيا

---

(١) وفي الآية نفي عباد البشر والملائكة والجمادات؛ لأنهم عبدوا المملوك وتركوا المالك ولهذا عقبه بقوله : " وما يتبع الذين " إلخ / فتح .

(٢) كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي : وله شركاؤهم/ منه .

(٣) أي : يقدرون أن له شركاء تقديراً باطلاً / منه .

(٤) ولما ذكر أنهم يتبعون الظن بين أن من ظنهم الباطل أن: "قالوا اتخذ الله ولداً" /وجيز .

(٥) هو علة لتتريهه عن الولد / منه .

والآخرة ، ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ لهم متاع قليل في الدنيا أو الافتراء[1] متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم ، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ، ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ العَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم .

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم

---

(١) يعني متاع إما مبتدأ محذوف الخبر وإما خبر حذف مبتدؤه / منه .

بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ[١] نَبَأَ نُوحٍ﴾ حاله مع قومه ، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ عظم وشق عليكم ، ﴿مَّقَامِي﴾ بين أظهركم ، ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ إياكم ، ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ[٢] تَوَكَّلْتُ﴾ قال بعضهم: جواب الشرط هوقوله فأجمعوا إلخ، وقوله (فعلى الله توكلت) معترضة بين الشرط والجزاء ، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ من أجمع الأمر إذا قصده وعزم عليه ، ﴿وَشُرَكَاءكُمْ﴾ الواو بمعنى[٣] مع أي: اعزموا أنتم وشركاءكم الذين تزعمون أن لهم اختيارًا وأثبتُّم الربوبية لهم على كيدي وإهلاكي فإني متوكل لا أبالي ولا أخاف ، ﴿ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مبهماً مستوراً ليكن مكشوفاً تجاهروني به وحاصله لتجاهدوا في كيدي وإهلاكي كل غاية في المكاشفة والمجاهرة، ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي ووجهوا كل الشرور إلي،﴿وَلاَ تُنظِرُونِ ﴾ ولا تمهلوني، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن تذكيري، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ حتى يكون إعراضكم ضررا[٤]

---

(١) ولما فصل الدلائل على وحدانيته وذكر ما جرى بين الرسول- صلى الله عليه وسلم- وبين الكفار ذكر قصصاً من قصص الأنبياء وما جرى لهم بين قومهم تسلية لقلب نبيه وعبرة لمن جحده فقال: (واتل عليهم) إلخ / وجيز .

(٢) فيه إشارة إلى أن الظاهر أن قوله فعلى الله جواب الشرط وقوله فأجمعوا مرتب عليه مسبب عنه فتأمل / منه .

(٣) يعني نصب شركاءكم على أنه مفعول معه ويؤيده قراءة الرفع قيل: تقديره دعوا شركاءكم / منه .

(٤) حتى يفوت ذلك الأجر حين ما توليتم؛ بل ما كان النصح والتذكير إلا لأجلكم فما تركتم هو نفعكم وفي بيان هذه الحكاية تشجيع لقلب أشرف رسله- صلى الله عليه وسلم- وتوعد لمن كفر به وضرب مثال لهم .

ونقصاً علي، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ فليس إعراضكم إلا نقصا وضرا عليكـــم، أو معناه إن أعرضتم فما هو إلا لتمردكم وعنادكم لا لتقصير وتفريط مني، فإني ما سألت منكم أجراً ينفركم عني وتتهموني لأجله، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُـــونَ مِـــنَ الْمُسْـــلِمِينَ ﴾ المستسلمين لأمر الله، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أصروا على تكذيبه، ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ من الغرق، ﴿وَمَـــن مَّعَهُ فِي الفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ﴾ من الهالكين وأعطيناهم ملكـــهم، ﴿وَأَغْرَقْنَـــا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ المكذبين فـهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحذير لمن كذبه، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد نوح ، ﴿رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ، ﴿فَمَا كَانُوا﴾ ما استقام لهم، ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ لشدة عنادهم وكفرهم، ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: بمـــا كذب به قوم نوح وقد علموا حالهم فهم وآباؤهم على منهاج واحد والباء للســـببية، أي: لم يؤمنوا بسبب تعودهم تكذيب الحق قبل بعثة الرسل، ﴿كَذَلِكَ نَطْبَـــعُ عَلَـــى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ نختم عليها فلا يدخلها رشاد ولا سداد، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِـــم﴾ بعد هؤلاء الرسل[١]، ﴿مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلإِيْهِ﴾ أشراف قومه ، ﴿بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴾ معتادين الإجرام، ﴿فَلَمَّـــا جَـــاءَهُمُ الْحَـــقُّ﴾ المعجزات المزيحة للشك، ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا﴾ من فرط التمرد: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ واضح ظاهر، ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه سحر فحذف محكـــي القول[٢] لدلالة الكلام عليه قيل: فمعناه أتعيبونه[٣] وعلى هذا لا يستدعي مقـــولاً ثم

---

(١) مثل هود وصالح ولوط وإبراهيم .

(٢) ولا يجوز أن يكون قوله أسحر هذا محكي القول ؛ لأنهم بتوا القول بأنه سحر من غـــير شك .

(٣) فالقول كناية عن القالة والطعن يقال فلان يخاف القالة ، أي : الطعن نحو "سمعنا فـــتى يذكرهم" (الأنبياء: ٦٠)/ منه .

قال: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ استفهام إنكار، ﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ من تمام كلام موسى، أي: لو كان سحرًا لاضمحل وذل وغلب فاعله، فكيف أرتكبه وأنا أعلم أنهم لا يفلحون ؟! ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾: لتصرفنا، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ[1]﴾ لكما العزة والملك يعني لستما بمخلصين؛ بل هذا غرضكما، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ مصدقين، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ حاذق فيه ، ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ[2] فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ﴾ أي : الذي جئتم به[3] هو، ﴿السِّحْرُ﴾ لا ما جئت به ومن قرأ السحر بالاستفهام فما استفهامية، أي: أي شيء جئتم به أهو السحر؟ أو السحر بدل من المبتدأ الذي هو ما، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سيمحقه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ لا يقويه ولا يثبته، ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ يثبته، ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ بوعده أو بقضائه السابق، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ذلك .

---

(١) والحاصل أنهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بأمرين التمسك بالتقليد للآباء والحرث* على الرياسة الدنيوية وكم بقي على الباطل وهو يعلم أنه باطل بهذه الذريعة من طوائف هذه العالم في سابق الدهر ولاحقه فمنهم من حبسه ذلك عن الخروج من الكفر ومنهم من حبسه عن الخروج إلى السنة من البدعة وإلي الرواية الصحيحة من الرأي البحت ، قال أبو السعود: استئناف بياني مسوق لبيان أنه عليه السلام ألقمهم الحجر فانقطعوا واضطروا إلى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل عاند لدود انتهى / فتح .

(٢) وهذا القول منه عليه السلام للاعتماد على وعد الله وعدم المبالاة بهم ولأنه علم أن مراد السحرة التقدم في الإلقاء كما علم من المواضع الأخر من القرآن وفي إبهام ما أنتم ملقون إعلام بأنه لا شيء يلتفت إليه / ١٢ .

(٣) إشارة إلى أن السحر خبر مبتدأ محذوف وهو هو / ١٢ .

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ الضمير[1] لفرعون فإن بني إسرائيل آمنوا بموسى إلا قليلاً منهم كقارون وما آمن من القبط إلا قليل، وقال بعضهم: الضمير

---

(١) الضمير لموسى فإنه عليه السلام هو المحدث عنه وهو أقرب مذكور وإلا فالمناسب أن يقول إلا ذرية من قوم فرعون على خوف منه، وكان هذا في أول مبعثه فإنه لما دعا الآباء ولم يجيبوه خوفاً من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم أول الأمر مع الخوف من فرعون/ ١٢ وجيز .

لموسى، أي : ما آمن له في مبدأ الأمر إلا شباهم ، ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ أي: مع خوف منه ، ﴿وَمَلإِيْهِمْ﴾ الضمير للذرية أي: أشراف آل فرعون ، أو لفرعون فالمراد من فرعون هو وآله ، ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يعذهم وهو بدل من فرعون أو مفعول خوف ، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ لغالب ، ﴿فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ في الكبر حتى ادعى الربوبية ، ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ مستسلمين لأمره والمعلق بالإيمان وجوب التوكل والمشروط بالإسلام وجود التوكل وحصوله لا وجوبه كما يقال : إن شتمك أحد فاصبر إن قدرت، ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: موضع فتنة لهم يعذبوننا ، أو لا تعذبنا بعذاب، فيقولون: لو كانوا على حق ما عذبوا ولا تسلطهم علينا فيحسبوا أنهم على الحق فيفتنوا بذلك، ﴿وَنَجِّنَا﴾ خلصنا، ﴿بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ أي: اتخذا مباءة يعني موضع إقامة، ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا﴾ أنتما وقومكما ، ﴿بُيُوتَكُمْ﴾ أي : في بيوتكم التي اتخذتموها ، ﴿قِبْلَةً﴾ أي: مساجد فإنهم كانوا لايصلون إلا في كنائسهم وكانوا يخافون من فرعون فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد يصلون[1] فيها سرًّا أو اجعلوا بيوتكم قبلة مصلى، أو متقابلة والمقصود على هذا حصول الجمعية، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ أي: فيها قال بعضهم: أمروا بكثرة[2] الصلاة كما قال تعالى:" واستعينوا بالصبر والصلاة "

---

(١) قاله مجاهد ونقل عن ابن عباس: والفرق بين هذا والأول أن الوجه الأول معناه أنهم مأمورون بأن يبنوا في بيوتهم مساجد يصلون فيها ومعنى هذا الوجه بأنهم رخصوا بأن يصلوا في بيوتهم/١٢ منه .

(٢) يعني: اجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة كناية عن كثرة الصلاة لا أنهم مأمورون ببناء المسجد / ١٢ منه .

(البقرة:٤٥)، ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا موسى، ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر في الدارين، ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً﴾ من اللباس والمراكب، ﴿وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ تكرير وتأكيد للأول ، ﴿لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ واللام لام العلة فليس بمحال أن الله يريد إضلال بعض ، وهذا الكلام من موسى؛ لأنه علم بمشاهدة أحوالهم أن أموالهم سبب ضلالهم أو إضلالهم ولا حاجة إلى أن يقال اللام لام العاقبة أو لام الدعاء كقولك: ليغفر الله فهو دعاء بصيغة الأمر، ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ : أهلكها ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان ، ﴿فَلاَ يُؤْمِنُوا﴾ جواب للدعاء وقيل: عطف على ليضلوا وقيل: دعا بلفظ النهي، ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ وهذه الدعوة من موسى- عليه السلام- غضباً لله ولدينه[١] لقوم تبين له أنه لا خير[٢] فيهم كما تقول: لعن الله إبليس كما دعا نوح عليه السلام "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا" (نوح:٢٦)، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فإنه دعا موسى وأمن هارون ، ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على أمري وامضيا له قال بعضهم: مكثوا بعد إجابة دعائهم أربعين سنة[٣] وقال بعضهم: أربعين[٤] يوماً ومن إجابة دعائهما أنه صار دنانيرهم ودراهمهم حجارة منقوشة[٥] كهيئة ما كانت، ﴿وَلاَ تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ

---

(١) والرضاء بالكفر من حيث إنه كفر كفر وأما الرضى بكفر شخص معين لعقوبته فجائز، قال بعض العلماء : الرضى بكفر نفسه كفر لا بكفر غيره / ١٢ وجيز .

(٢) ولما بالغ موسى في إظهار المعجزات وإقامة الحجج البينات و لم يكن لذلك تأثير فيمن أرسل إليهم دعا عليهم بعد أن بين سبب إصرارهم على الكفر وتمسكهم بالجحود والعناد قال موسى مبيناً سبب أولاً : " ربنا " الآية / فتح .

(٣) هكذا قال غير واحد من السلف / منه.

(٤) قاله الضحاك وأبو العالية وربيع بن أنس وقتادة وغيرهم / ١٢ منه .

(٥) قاله ابن عباس / ١٢ وجيز .

يَعْلَمُونَ ﴾ طريقة الجهلة في عدم الوثوق بوعدي، ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ**﴾ أي: جوزناهم في البحر بلا سفينة وتعب، ﴿**فَأَتْبَعَهُمْ**﴾ أدركهم[١]، ﴿**فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ**﴾ قيل: كانوا في مائة ألف أدهم سوى بقية الألوان ، ﴿**بَغْياً وَعَدْواً**﴾ للبغي أي : لطلب الاستعلاء والظلم أو باغين[٢] ، ﴿**حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ**﴾ أي : بأنه ، ﴿**لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**[٣] **آلآنَ**﴾ أي : أتؤمن

---

(١) يقال تبعته فأتبعته ، أي: لحقته و لم يقل فأتبعهم فرعون وجنوده لأنه غير مشعر بالوصول واللحوق / ١٢ منه .

(٢) يعني بغياً وعدواً إما مفعول له أو حال / ١٢ منه .

(٣) أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أغرق الله فرعون فقال: آمنت الآية ، قال جبريل: يا محمد! لو رأيتني وأنا آخذ من حال الأرض فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة) [صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٤٨٣)]، والمعني دس جبريل في فيه بأمر الله فلا اعتراض عليه ، وقد روى هذا الحديث الترمذي من غير وجه وقال: صحيح حسن غريب وصححه أيضاً الحاكم عن ابن عباس من طريق أخرى وإسناده على شرط البخاري وليس في رواتهما متهم وإن كان فيه من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره وأخرج الطبراني معناه عن أبي هريرة لكن في إسناد حديث أبي هريرة رجل مجهول وباقي رجاله ثقات ، والعجب كل العجب ممن لا علم له بفن الرواية من المفسرين ولا يكاد يميز بين أصح الصحيح من الحديث وأكذب الكذب منه كيف يتجرأ على الكلام في أحاديث الرسول والحكم ببطلان ما صح منها، ويرسل لسانه وقلمه بالجهل البحت والقصور الفاضح الذي يضحك منه كل من له أدنى ممارسة لفن الحديث فيا مسكين مالك ولهذا الشأن الذي لست فيه في شيء ألا تستر نفسك وتربع على ضلعك، وتعرف بأنك بهذا العلم من أجهل الجاهلين وتشتغل بما هو علمك الذي لا تجاوزه وحاصلك الذي ليس لك غيره وهو علم اللغة وتوابعه من العلوم الآلية ، ولقد =

الآن حين يأسك عن نفسك؟ وهذا قول جبريل أو قول الله تعالى، ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ مدة عمرك، ﴿وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ المضلين، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر أو نلقيك بنجوة[1] من الأرض، أي: بأرض مرتفعة، ﴿بِبَدَنِكَ[2]﴾ أي: حال كونك متلبساً بالبدن عارياً عن الروح، أو الباء بمعنى مع والبدن الدرع وكانت له درع من ذهب يعرف بها، ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾، لمن يأتي بعدك من بني إسرائيل وغيرهم، ﴿آيَةً﴾: عبرة ونكالاً عن الطغيان، ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ فلا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ

= صار صاحب الكشاف- عفا الله عنه- بسبب ما يتعرض له في تفسيره من علم الحديث الذي ليس هو منه في ورد ولا صدر سخرة للساخرين وعبرة للمعتبرين فتارة يروي في كتابه الموضوعات وهو لا يدري أنه منها، وتارة يتعرض لرد ما صح ويجزم بأنه من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبهت وهو في الصحيحين وغيرهما مما يلتحق بهما من رواته جماعة من الصحابة بأسانيد كلها أئمة ثقات حجج أثبات وأدنى نصيب من عقل يحجر صاحبه عن التكلم في علم لا يعلمه ولا يدري به أقل دراية وإن كان ذلك العلم من علوم الاصطلاح التي يتواضع عليها طائفة من الناس ويصطلحون على أمره فيما بينهم فما بالك بعلم السنة الذي هو قسيم كتاب الله وقائله رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وراويه عنه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وكل حرف من حروفه وكلمة من كلماته يثبت بها شرع عام لجميع أهل الإسلام/ فتح البيان.

(١) قاله ابن عباس من السلف/منه.

(٢) قيل: ببدنك معناه كاملاً سويا ببدنك لم ينقص منه شيء، وقيل: عرياناً من غير لباس/ ١٢ منه.

يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ، **﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾** منزلاً صالحاً بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه، **﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾** من اللذائذ، **﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾** في أمر دينهم، **﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾** الأمن بعد نزول التوراة المزيح للشك والاختلاف ، أو ما اختلفوا في تصديق النبي- صلى الله عليه وسلم- حتى جاءهم القرآن ، **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** فيثيب المحق ويعاقب المبطل، **﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾** فيه تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم مكتوب في الكتب السماوية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره، أو لزيادة

تنبيه وفرض الشك فلذلك قال صلى الله عليه وسلم: "لا أشك[١] ولا أسأل"، ﴿فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾ بالتزلزل عما أنت فيه من اليقين قيل خطاب لكل من يسمع أي: إن كنت أيها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا إليك فسألهم ولا تكن من الشاكين، ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ وهو كالأول المراد به غير المخاطب ، أومن باب التهييج وقطع الأطماع عنه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾ ثبتت، ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب والسخط، قيل: هي قوله هؤلاء للنار ولا أبالي، ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ فإن إرادة الله تعالى لا يتعلق بإيمانهم فكيف يؤمنون، ﴿حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾ وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم، ﴿فَلَوْلاَ﴾ أي: فهلا ، ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ من القرى التي أهلكناها، ﴿آمَنَتْ﴾ قبل معاينة العذاب، ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ لوقوعه في وقت الاختيار، ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾ لكن[٢] قومه ، ﴿لَمَّا آمَنُوا﴾ قبل معاينة العذاب في وقت الاختيلو ، ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ[٣] فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ أي : إلى

---

(١) قال قتادة بن دعامة: بلغنا أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (لا أشك ولا أسأل) [أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠٢١١) مرسلا]، وعن ابن عباس: لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحداً منهم/منه.

(٢) إشارة إلى أن الاستثناء منقطع وهو ظاهر لا تكلف فيه.

(٣) أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعاً قال : إن يونس دعا قومه فلما أبوا أن يجيبوه وعدهم العذاب فقال : إنكم يأتيكم يوم كذا وكذا ثم خرج عنهم ، وكانت الأنبياء إذا وعدت قومها العذاب خرجت، فلما أظلهم العذاب خرجوا ففرقوا بين المرأة وولدها والسخلة وولدها وخرجوا يعجون إلى الله وعلم الله منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب وقعد يونس في الطريق يسأل عن الخبر فمر به رجل فقال: ما فعل قوم =

﴿فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ أي : إلى آجالهم وقيل الجملة في معنى[1] النفي أي : ما كانت قرية آمنت أهلها بتمامها فنفعها إيمانها إلا قوم يونس آمنوا بتمامهم ونفعهم الإيمان وحاصله أنه ليست قرية آمنت أهلها بتمامها إلا وقت نزول العذاب فلا ينفعهم إيمانهم؛ لأنه اضطراري وأما قوم يونس وهم أهل نينوى من أرض الموصل بعدما عاينوا أسباب العذاب جأروا إلى الله تعالى ولبسوا المسوح[2] وفرقوا بين كل حيوان وولده وعجوا[3] إلى الله تعالى فكشف الله تعالى عنهم الدخان والعذاب وقبل منهم الإيمان وهم مائة ألف أو يزيدون، **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾**: يا محمد ، **﴿لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾**: مجتمعين[4] على الإيمان، **﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾** بما لم يشاء الله منهم، **﴿حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** وهذا عند حرصه- صلى الله عليه وسلم- بإيمان الخلائق كما قال تعالى:" فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" (فاطر:٨)، **﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** بإرادته فليس عليك هداهم، **﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾** العذاب والضلال، **﴿عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾** حجج الله تعالى وأدلته فهو العادل الحكيم في هداية من هدى وإضلال من أضل، **﴿قُلِ[5] انظُرُوا﴾**: تفكروا، **﴿مَاذَا﴾** إن

= يونس فحدثه بما صنعوا فقال: لا أرجع إلى قوم قد كذبتهم وانطلق مغاضباً يعني مراغماً / فتح .[وانظر الدر المنثور للسيوطي (٥٧٣/٣)]

(١) على هذا الاستثناء متصل ولا بد من تأويله بالنفي حينئذ وإلا لفسد المعنى لما يلزم أن لا يكون الإيمان من المستثنى مطلوباً / منه .

(٢) واحده المسح بالكسر وهو لباس الرهبان .

(٣) العج رفع الصوت أي : صاحوا / ١٢

(٤) إشارة إلى أن جميعاً حال /١٢

(٥) ولما بين في الآيات السالفة أن الإيمان لا يحصل إلا بتخليق الله ومشيئته أمر بالنظر والاستدلال في الدلائل حتى لا يتوهم الجبر فقال: " قل انظروا " الآية/ كبير.

كانت استفهامية فانظروا معلق عن العمل، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، من الصنائع الدالةعلى وحدته، ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ أي: الرسل أو الإنذارات، ﴿عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ في حكم الله تعالى، أي: لا تفيد لهم وبعضهم على أن ما استفهامية إنكارية[1] أي: أي شيء تغني الآيات عنهم ؟﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ أي: أهل مكة ، ﴿إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾: مضوا ، ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي : مثل وقائع الأمم السالفة والعرب تسمي العذاب أياماً ، وهم وإن كانوا لا ينتظرون عذاب الله لكن لما استحقوه ناسب أن يشك في أنهم منتظرون، قيل: معناه هل ينتظرون لك يا محمد إلامثل تلك الوقائع لمن سلف؟﴿قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي﴾ عطف على محذوف كأنه قيل : نهلك الأمم ثم ننجي، ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ معهم، ﴿كَذَلِكَ حَقاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين حين نهلك المشركين وحقاً علينا معترضة ، أي : حق ذلك علينا حق بحسب وعدنا .

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ

(١) فيكون ما مفعول تغني بمعنى تدفع نحو "ما أغنى عنه ماله" (المسد:٢)/ ١٢ منه.

عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾: وصحته ، **﴿فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾** يقبض أرواحكم ، أي: هذا خلاصة ديني فاسمعوا وصفه واعرضوا على عقولكم لتعلموا حقية ديني وبطلان دينكم وخصه بوصف التوفي تهديداً لهم، **﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾** أي: بأن أكون ، **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ أَقِمْ﴾** عطف على أن أكون وصلة أن محكية بصيغة وعبارة أمره الله بها[1] والغرض وصل إن بما يتضمن معنى المصدر والإنشاء والخبر في ذلك سواء، **﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾** أي: أمرت بالاستقامة في الدين وإخلاص الأعمال لله ، **﴿حَنِيفاً[2]﴾** منحرفاً عن الشك حال، **﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾** لا يقدر عليهما، قيل: لا يضرك إن تركت عبادته ولا ينفعك إن عبدته، **﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾**: عبدت غيره، **﴿فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ[3]﴾** الواضعين العبادة في غير موضعها "إن الشرك لظلم عظيم" (لقمان:١٣)، **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾** يصبك ببلاء، **﴿فَلاَ كَاشِفَ لَهُ﴾** يدفعه ، **﴿إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾** بنعمة ، **﴿فَلاَ رَادَّ**

---

(١) وجوز سيبويه أن يكون صلتها إنشائية، وقال لا فرق في الغرض لأن المقصود صلتها بما يتضمن معنى المصدر فالمعنى أمرت الاستقامة / ١٢ وجيز .

(٢) أي: مائلاً إليه ميلا كلياً معرضاً عما سواه إعراضاً كلياً وحاصل هذا الكلام هو الإخلاص التام وترك الالتفات إلى غيره/ ١٢ كبير .

(٣) يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين؛ لأن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه فإذا كان ما سوى الحق معزولاً عن التصرف كانت إضافة التصرف إلى ما سوى الحق وضعاً للشيء في غير موضعه فيكون ظلماً/١٢ كبير .

لِفَضْلِهِ﴾ الذي أراد بك وإنما قال لفضله مكان له إشارة إلى أنه متفضل بالخير، ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾: بالخير ، ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ لمن تاب من أي ذنب كان فتعر ضوا لرحمته بالتوبة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية ، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ، ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى﴾ بالإيمان به ، ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ نفعه لها ، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ بالكفر به ، ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ وبال الضلال عليها، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ بموكول إلى أمركم، أو بكفيل أحفظ أعمالكم إنما أنا نذير، ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ بالامتثال، ﴿وَاصْبِرْ﴾ على مخالفة من خالفك، ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ بنصرك وقهر عدوك، أو بالأمر بالقتال وعن ابن عباس- رضي الله عنه- نسختها آية القتال، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ[1] ﴾ لأن جميع أحكامه على نهج الحكم والصواب لا يمكن طرآن الخطأ فيه والله أعلم .

---

(١) روي أنه لما نزلت به جمع- صلى الله عليه وسلم- الأنصار فقال (إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني)/١٢ وجيز.[أخرجاه في الصحيحين منت حديث أنس] فحكم بقتال المشركين وبالجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون/١٢ .

سورة هود مكية

وهي مائة وثلاث وعشرون آية، وعشر ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾

﴿**الـــر**[1] **كِتَابٌ**﴾، خبر(الر) أو هذا كتاب ، ﴿**أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ**﴾ أي:

---

(١) وعن أبي بكر الصديق قال: قلت: يـــا رســـول الله! لقـــد أســـرع إليـــك الشـــيب فقال: (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعـــم يتســـاءلون وإذا الشـــمس كـــورت)

=

هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها أو أحكمت بأنها لم تنسخ بكتاب[١] ثم فصلت بالأحكام والعقائد والمواعظ والأخبار أو نزلت شيئًا فشيئاً ، **﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾** صفة أخرى لكتاب[٢] أو متعلق بأحكمت وفصلت أو خبر بعد خبر ، **﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾** مفعول له أي: أحكمت ثم فصلت لأجل أن لا تعبدوا إلا الله أو أن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول ، وقيل : هذا كتاب بأن لا تعبدوا، **﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾**: من الله، **﴿نَذِيرٌ﴾** بالعقاب على من عبد غير الله، **﴿وَبَشِيرٌ﴾**: بالثواب على من عبد الله، **﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا﴾** عطف على أن لا تعبدوا، **﴿رَبَّكُمْ﴾** من الذنوب السالفة، **﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾** فيما تستقبلونه ، أو ثم ارجعوا إليه بالطاعة، **﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً﴾** يعيشكم في أمن وسعة، **﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾** إلى حين موت مقدر ، **﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ[٣]﴾** عن ابن عباس يؤت كل من فضلت وزادت حسناته على سيئاته فضل الله، أي: الجنة أو يعط كل ذي عمل صالح جزاء عمله الصالح ، **﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾** أي: تتولوا ، **﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾** يوم القيامة، **﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** فيقدر على تعذيب المعرض، **﴿أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾** ثنيت الشيء إذ عطفته وطويته عن ابن عباس- رضي الله عنهما- كانوا

= أخرجه الترمذي والطبراني وحسنه / فتح .[صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٧٢٣)]

(١) نقله محي السنة عن ابن عباس / ١٢

(٢) من باب التنازع / ١٢ .

(٣) والاستغفار أول حال الراجع إلى الله فناسب أن يترتب عليه حال الدنيا فقال تعالى حكاية : "فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم" الآية (نوح:١٢،١١،١٠)، والتوبة هي المنجية فناسب أن يترتب عليها حال الآخرة فيكون من قبيل اللف والنشر المرتب/١٢ وجيز .

يكرهون استقبال السماء بفروجهم حال وقاعهم فنزلت ، أو كان إذا مر أحدهم برسول الله ثنى عنه صدره وأعرض عنه وغطى رأسه فنزلت ، أونزلت حين يقولون إذا رخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم ، أو نزلت في الأخنس بن شريق كان يظهر المحبة لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- وله منطق حلو وكان يعجب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مجالسته ومحادثته وهو يضمر عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إما بمعني الصرف من ثنيت عناني أو بمعنى الإخفاء أوبمعنى الانحناء، **﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾** من الله وعلى ما نقلنا في الوجه الثاني من سبب النزول الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، **﴿أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾** يغطون رءوسهم بثيابهم، **﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾** يستوي في علم الله تعالى سرهم وعلنهم فكيف يمكن لهم أن يخفوا من الله تعالى شيئاً، **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بما في قلوبهم.

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي : هو المتكفل بذلك فضلاً إن لم يرزقها فلا يمكن أن يرزقها أحد غير الله تعالى، **﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾** ، أماكنها في الحياة والممات أو أرحام الأمهات وأصلاب الآباء والمستقر الجنة أو النار والمستودع القبر ، **﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** مثبت في اللوح المحفوظ، **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾** كأيام الدنيا أو كل يوم كألف سنة، **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ[١]﴾** والماء على متن الريح وروى الترمذي وابن ماجه "أن الله كان في عماء[٢] ما تحته

---

(١) عن ابن عباس أنه سئل على أي شيء كان الماء، قال: على متن الريح. / معالم.

(٢) قال أحمد: يريد بالعماء أنه ليس معه شيء ، وقال البيهقي: إن كان العماء ممدود فمعناه سحاب رقيق والمعنى فوق سحاب مدبراً له وعالياً له، وإن كان مقصوراً فمعناه لا شيء ثابت ؛ لأنه عمي عن الخلق لكونه غير شيء ونحوه قال جمع من أهل العلم ، قال الأزهري : فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته / ١٢ فتح ملخصاً .

هواء[١] وما فوقه هواء ثم خلق[٢] العرش بعد ذلك[*]"، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أي: خلق ذلك ليعاملكم معاملة المختبر لأحوالكم كيف تعملون فعلم أن خلق العالم لنفع عباده وإحسان العبادة أن تكون خالصة لله وعلى شريعة شرعها الله تعالى، ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، أي: ما البعث أو القرآن المتضمن لذكره إلا خديعة كالسحر الباطل، ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ﴾ الموعود، ﴿إِلَى أُمَّةٍ﴾ جماعة من الأوقات والأمة تستعمل في معان متعددة،﴿مَّعْدُودَةٍ﴾ محصورة قليلة، ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ استهزاء ، ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ويمنعه من الوقوع، ﴿أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ أي: اليوم المقدر لنزول العذاب، ﴿لَيْسَ﴾ العذاب، ﴿مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾ ويوم ظرف مصروفاً ، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ وأحاط بهم ذكر بلفظ الماضي تحقيقاً ومبالغة، ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ

---

(١) قال تعالى : " وأفئدتهم هواء " (إبراهيم:٤٣)، أي : خالية ، ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء لخلوه / كذا في المعالم .

(٢) وهذا دال على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل / ١٢ وجيز .

(*) ضعيف أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم، وانظر ضعيف ابن ماجه .

ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ أعطيناه نعمة ووجد لذتها ، **﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾** قنوط كأنه لا يرجو بعد ذلك فرجاً، **﴿كَفُورٌ﴾** مبالغ لكفران نعمه السابقة

كأنه لم ير خيراً، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ كغنى بعد فقر ، ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ بما في يده مغتر، ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس مشغول عن الشكر، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء استثناء منقطع إن حمل الإنسان على الكافر وإلا فمتصل، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في السراء والضراء، ﴿أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لمعاصيهم، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ كالجنة، ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ تترك تبليغ بعض القرآن وهو ما فيه سب آلهتهم وطعن دينهم مخافة سخريتهم وسبهم وزيادة انهماكهم في الكفر عصمه الله تعالى عن الخيانة في الوحي ونبهه ، ﴿وَضَائِقٌ﴾ الضائق بمعنى الضيق ، إلا أن الضائق يكون لضيق عارض غير لازم كزيد سيد وعمرو سائد ، ﴿بِهِ﴾ بأن تتلوه عليهم ، ﴿صَدْرُكَ﴾ مخافة ، ﴿أَن يَقُولُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ كما قالوا "لولا لوا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها" (الفرقان:٧،٨) قال بعضهم: ضمير به مبهم يفسره أن يقولوا، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ ما عليك إلا الإنذار فما بالك يضيق صدرك، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ موكول إلى الله تعالى لا إليك أمر الكل، ﴿أَمْ يَقُولُونَ[1]﴾ أم منقطعة ، ﴿افْتَرَاهُ﴾ الضمير لما يوحى، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ أي : يكون كل واحد مثل القرآن في البلاغة والغرض إلزامهم ، والدليل على أنه معجز من عند الله والعجز عن الإتيان بمثل الكل والبعض أعم من أن يكون عشر سور أو سورة واحدة دليل عليهم مع أن سورة البقرة متأخرة في النزول عن هود، والأصح أن يونس أيضاً متأخرة فتحداهم أولاً بعشر سور ثم عجزوا فتحداهم بسورة واحدة، ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ من عند أنفسكم مع أن ممارستكم للقصص والأشعار أكثر

---

(١) ولما أشار بقوله: "لولا أنزل" إلى أنهم كذبوه ونسبوه إلى أن ما في القرآن مفترى ردهم بدليل قاطع فقال: (أم يقولون افتراه) / ١٢ وجيز .

وأكثر، ﴿وَادْعُوا﴾ إلى المعاونة على المعارضة، ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه مفترى، ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ يا أصحاب محمد، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾: متلبساً بما هو يعلمه ولا يقدر عليه غيره ، ﴿وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لأهم مع آلهتهم عجزوا والعاجز لا يكون إلهاً فلا إله إلا الله ، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ثابتون[1] على الإسلام ، أو معناه فإن لم يستجب من تدعوهم إلى المعاونة لكم يا من تدعون افتراءه ولا يتهيأ لكم المعارضة فاعلموا إلخ فالخطاب كله حينئذ للكفار وهو أظهر.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فقط عمله، ﴿وَزِينَتَهَا﴾ كأهل الرياء ، ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ[2] فِيهَا﴾ أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره ، ﴿وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً نزلت في المرائين، قال بعضهم: في اليهود والنصارى أو في بر الكافرين ، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾ فإهم استوفوا جزاء أعمالهم وبقي لهم الأوزار ،﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ لأنه لم يبق لهم ثواب والضمير للآخرة إن كان الظرف لحبط وللدنيا إن كان لصنعوا ،

---

(١) عابدون الله دون غيره ولما ألزمهم بحقيقة القرآن، ومن أنزل ثبت أن بعد هذه الدار دار هي الدار الباقية فلابد أن لا يعقد العاقد همته على الدار الفانية فيترك الإسلام خوفاً من فوات الدنيا ، فقال: "من كان يريد الحياة الدنيا" / وجيز .

(٢) قال القرطبي: ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية مطلقة وكذلك الآية التي في الشورى "ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها" (الشورى:٢٠) كذلك "ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها" (آل عمران:١٤٥) وقيدها وفسرها التي في سبحان الذي " من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد" (الإسراء:١٨)/ ١٢ فتح.

﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي عملهم في نفسه باطل لأنهم لم يعملوا بوجه صحيح ، وفي الحديث (أشد الناس عذاباً من يرى الناس فيه خيراً ولا خير فيه)(*) ﴿أَفَمَن[1] كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: برهان، ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ يدله على الصواب، وتقديره أفمن كان على بينة كمن يريد الحياة الدنيا، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبع من كان على بينة ، ﴿شَاهِدٌ[2] مِّنْهُ﴾ من الله يشهد بصحته، فالبينة الفطرة السليمة للمؤمن والدليل العقلي له والشاهد جبريل أو محمد عليهما الصلاة والسلام يأتي بالقرآن من عند الله أو القرآن، ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ قبل الشاهد الذي يأتي بالقرآن أو الذي هو القرآن، ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ أي: التوراة، ﴿إِمَاماً﴾ كتاباً مؤتماً به في الدين، ﴿وَرَحْمَةً﴾ من الله تعالى لهم ، ﴿أُوْلَئِكَ﴾ إشارة إلى من كان على بينة ، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالقرآن ، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ أصناف الكفار، ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ قال بعضهم: من كان على بينة هو محمد[3] عليه السلام والشاهد جبريل وأولئك إشارة إلى من آمن من أهل الكتاب ، وقال بعضهم: من كان على بينة

(*) "موضوع" انظر ضعيف الجامع .

(١) ولما ذكر حال مريد الحياة الدنيا أراد بيان حال من يريد وجه الله تعالى فقال: "أفمن كان" / ١٢ وجيز . ثبت بهذا البرهان العقلي أن كل من أتى بعمل من الأعمال لطلب الأحوال الدنيوية فإنه يجد تلك المنفعة الدنيوية اللائقة بذلك العمل ثم إذا مات فإنه لا يحصل له منه إلا النار ويصير ذلك العمل في الدار الآخرة محبطاً باطلاً عديم الأثر/١٢ مفاتيح الغيب المعروف بالكبير للإمام الرازي .

(٢) قول ابن عباس والأكثرين: إن الشاهد جبريل ، وعن علي والحسن وقتادة هو محمد عليه الصلاة والسلام / ١٢ .

(٣) هكذا فسره الإمام الواحدي- رضي الله عنه- /١٢ .

اللهم اغفر لكاتبه ولوالديه ولمن سعي فيه برحمتك يا أرحم الراحمين آمين .

مؤمنو أهل الكتاب وبينتهم دلائلهم العقلية، والشاهد إما جبريل أو محمد عليهما السلام أو القرآن، ﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ من الموعد أو القرآن، ﴿إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ كمثبت الولد والشريك له ونافي القرآن عنه، ﴿أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة فيسألهم عن عقائدهم وأعمالهم ، ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴾ من الملائكة والأنبياء أو جميع أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- أو الجوارح، ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ[1] الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون الناس، ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ يصفونها بالانحراف عن الصواب أو يريدون أن يكون سبيل الله تعالى عوجا وهو ما هم عليه ، ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾: في الدنيا أن يعاقبهم؛ بل هم تحت قهره وسلطانه وهو قادر على انتقامهم في الدنيا لكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يمنعوهم من العذاب، ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ العَذَابُ﴾ لضلالهم وإضلالهم ، ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ لأن الله تعالى حال بينهم وبين سماع الحق فيبغضون سماعه ، ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ لتعاميهم عن آيات الله تعالى قيل: كأنه العلة لتضاعف العذاب، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بأنهم اشتروا شيئاً هو سبب

---

(١) وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر- رضي الله عنهما- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يدني المؤمن حتى يضع كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول : رب أعرف حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد إلي قوله الظالمين / ١٢ فتح.

عذابهم المؤبد، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الآلهة وشفاعتها فضاع عنهم ما حصلوا في الدنيا فلم يبق لهم سوى الندامة، ﴿لاَ جَرَمَ[1]﴾ حقاً، ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ لا أحد أكثر خسراناً منهم ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾: اطمأنوا ، ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ[2] الفَرِيقَيْنِ﴾ الكافر والمؤمن، ﴿كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ﴾ هو مثل الكافر، ﴿وَالْبَصِيرِ[3] وَالسَّمِيعِ﴾ هو مثل المؤمن يميز بين الحق والباطل ويفرق بين البرهان والشبهة ، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ أي: تمثيلاً[4] ، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ فتفرقوا بين هؤلاء وهؤلاء.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ

---

(١) قد بينا معنى لا جرم في سورة حم المؤمن بوجوه والأولى ما اخترناه هاهنا هذا ما في المنهية مذهب الخليل وسيبويه أنه اسم مركب تركيب خمسة عشر ومعناها معنى فعل وهو حق وما بعده مرفوع علي الفاعلية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما تقدم ذكر الكفار وأعقب بذكر المؤمنين جاء بالتمثيل مُبْتَدِءا بالكافر فقال:"مثل الفريقين" الآية / ١٢ وجيز .

(٣) بصير للآية الدالة على الوحدة والقدرة سميع للحق / ١٢ منه .

(٤) إشارة إلى أن مثلاً تمييز / ١٢ منه .

أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا[1] **نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي﴾** أي بأني ومن قرأ بالكسر فعلى إرادة القول، **﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن لاَّ تَعْبُدُوا﴾** بدل من إني لكم على قراءة النصب، أو معناه نذير لأن لا تعبدوا ، أو مفسرة متعلقة بأرسلنا، **﴿إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾**: مؤلم[2] وصف اليوم بالأليم المبالغة وهو في الحقيقة صفة المعذب **﴿فَقَالَ المَلأُ﴾**: الأشراف ، **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا﴾** لا فضل لك(*) علينا

---

(١) ولما ظهرت الفرقتان في زمن نوح عليه السلام كما صرح به القرآن ناسب حكاية نوح عليه السلام مع قومه فقال : " ولقد أرسلنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) هذا بناء على أن الأليم بمعنى اسم المفعول كما مر في حاشيته أوائل سورة البقرة ولو كان بمعنى اسم الفاعل لكان في الحقيقة صفة العذاب فافهم / ١٢ .

(*) بالأصل "عليك".

نخصك بقبول كلامك ، ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ سفلتنا لا يتبعك الأشراف ، ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ أي : وقت حدوث أول أو ظاهر رأيهم بلا روية وفكر من بداء أو بداي بالهمزة أو الياء فهو ظرف بحذف المضاف لاتبعك، قيل: معناه اتبعوك ظاهر الرأى وباطنهم على خلاف ذلك،﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ إياك في دعواك ومتبعيك في دعوى العلم بصحته، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ، ﴿إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة، ﴿مِّن رَّبِّي﴾ تدل على صدق دعواي، ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً﴾ نبوة ومعرفة، ﴿مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ[1]﴾ خفيت والتبست، ﴿عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ نكرهكم على الاهتداء بها، ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا﴾ للبينة ، ﴿كَارِهُونَ﴾ أو حاصله[2] إن كنت على معرفة من الله تعالى ونبوة ومعجزة من عنده لكن صارت ملتبسة في عقولكم فهل أقدر على أن أجعلكم معترفين بها ، أي : لا أقدر على ذلك لكن لو تركتم العناد وتأملتم فقد عرفتم، ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ، ﴿مَالاً[3] إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ﴾ لا عليكم، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كأنهم طلبوا منه طرد المؤمنين احتشاما ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم[4]، ﴿إِنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ﴾ يلاقون الله تعالى فيعاقب الله من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من تمكن الإيمان وتزلزلة حيث تزعمون أن إيمانهم بادى الرأي، وأنا لا أعرف منهم إلا الإيمان فكيف أطردهم ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾ عواقب الأمور ، ﴿وَيَا قَوْمِ

---

(١) وحد الضمير في عميت مع أن المرجع البينة والرحمة لأنها يرجع إلى كل منهما أو لا نسلم أنهما مرجعه؛ بل يرجع إلى البينة وخفاء البينة يستلزم خفاء الرحمة / ١٢ منه.

(٢) حاصل الكلام أن المساواة في البشرية لا يمتنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة / وجيز .

(٣) مع أن في التبليغ كدا وتعباً وذلك دليل على صدقي / ١٢ وجيز .

(٤) كما قالت قريش/١٢.

﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من يمنعني من عقابه، ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ ظالماً ، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ لتعرفوا ما تقولون، ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ جواب لقولهم "ما نرى لكم علينا من فضل"، ﴿وَلاَ أَعْلَمُ[1] الغَيْبَ﴾ حتى تسألوني عن وقت العذاب وغيره وتكذبوني ، أو حتى أعلم أن هؤلاء اتبعوني من غير بصيرة وعقد قلب، ﴿وَلاَ أَقُولُ﴾ لكم ، ﴿إِنِّي[2] مَلَكٌ﴾ جواب لقولهم: "ما نراك إلا بشراً مثلنا" ، ﴿وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي﴾ تستصغر وتحقرهم ، ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾ لفقرهم والإسناد إلى الأعين لأنهم استرذلوهم بما عاينوا من رثاثتهم لا لأن فيهم عيباً معنوياً ، ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً﴾ أي : لا أحكم على المؤمنين أنه ليس لهم عند الله ثواب ونعمة ،﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ فإن كان باطنهم موافقاً للظاهر فلهم الأجر ، ﴿إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن طردهم ، أو قلت شيئاً من ذلك ، ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ فأطلت مخاصمتنا، ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب، ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ﴾ فإن منزل العذاب هو الله تعالى، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ الله يدفع العذاب، ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: إن أراد الله تعالى ضلالكم، فإن أردت نصحكم لا ينفعكم نصحي فقوله لا ينفعكم نصحي دال على جواب الشرط الأول والمجموع دال على جواب الشرط الثاني ، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ فله التصرف فيكم كيف يشاء ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم، ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ منقطعة، ﴿افْتَرَاهُ﴾ أي: نوح وعن مقاتل أي: محمد فيكون

---

(١) الأولى أن يكون ولا أعلم عطفاً على عندي خزائن لا على أقول فتأمل / ١٢ .

(٢) وقد استدل بهذا من قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء والأدلة في هذه المسألة مختلفة وليس لطالب الحق إلى تحقيقها حاجة فليست هي مما كلفنا الله بعمله / ١٢ فتح.

معترضاً في وسط هذه القصة، **﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾** أي: وباله، **﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾** من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي وقيل: معناه من الكفر والمعاصي.

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ

أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ**﴾: لا تحزن ، ﴿**بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ وكن تابعاً لمراد الله تعالى ومشيئته ، ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ أي : متلبساً[1] بأعيننا كأن لله تعالى معه أعيناً تحفظه عن الميل في صنعته عن الصواب وحاصله اصنعها وأنت محفوظ ، ﴿**وَوَحْيِنَا**﴾ إليك كيفية صنيعها ، ﴿**وَلاَ تُخَاطِبْنِي**﴾ بالدعاء ، ﴿**فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ أي: في شأنهم ودفع العذاب عنهم ، ﴿**إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**﴾ بالطوفان لا سبيل لهم إلى الخلاص ، ﴿**وَيَصْنَعُ**[2] **الْفُلْكَ**[3] **وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ**

---

(١) إشارة إلى أن بأعيننا منصوب المحل على الحال / ١٢ قال ابن عباس: بعين الله ووجهه ولم يعلم نوح كيف يصنع الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر/١٢فتح .

(٢) قوله ويصنع حكاية حال ماضية/١٢ .

(٣) قال ابن عباس: اتخذ نوح السفينة في سنتين وقيل ثلاثين سنة فكان طولها ثلاثمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً وعرضها خمسون ذراعاً والذراع إلى المنكب وكانت من خشب الساج لها ثلاث بطون وأطباق سفلى ووسطى وعليا وكان بابها في عرضها وقيل غير ذلك هذا ما في فتح البيان ، وقال الرازي رحمه الله اعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجبني لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلاً وكان الخوض فيها من باب الفضول لاسيما مع القطع بأنه ليس هاهنا ما يدل على =

﴿مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ استهزءوا به قائلين نبي نجار ، ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ حين يترل عليكم العذاب ، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يهينه في الدنيا ، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم في الآخرة فقوله من منصوب بتعلمون ويخزيه صفة عذاب ويحل عطف على يأتيه ، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ غاية لقوله يصنع وما بينهما حال، ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ نبع الماء فيه مكان النار قال بعضهم: تنور من[١] حجارة كانت حواء تخبز فيه فصار إلى نوح، وعن على رضي الله عنه: أي طلع الفجر ونور الصبح وعن بعضهم التنور وجه الأرض، ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾، في السفينة، ﴿مِن كُلٍّ﴾، من أنواع الحيوانات، قال بعضهم: ما حمل ما يتولد من الطين كالبق والذباب، ﴿زَوْجَيْنِ[٢] اثْنَيْنِ﴾، ذكرًا وأنثى فقوله اثنين تأكيد ومبالغة ، ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: أهل بيتك وقرابتك عطف على زوجين وأما عند من قرأ من كل زوجين بالإضافة فهو عطف على اثنين، ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بالهلاك كامرأته واعلة وابنه كنعان، ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ عطف على زوجين كما في وأهلك، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ[٣]﴾ ثمانون نفساً أو اثنان وسبعون أو ثمانية نفر أو عشرة، ﴿وَقَالَ

= الجانب الصحيح والذي نعلمه أنه كان في السعة بحيث يتسع للمؤمنين من قومه ولما يحتاجون إليه ولحصول زوجين من كل حيوان لأن هذا القدر مذكور في القرآن وأما غير ذلك القدر فغير مذكور/١٢ .

(١) نقله محيى السنة عن الحسن / ١٢ .

(٢) قال الرازي : وأما ما يروى أن إبليس دخل السفينة فبعيد ؛ لأنه من الجن وهو جسم ناري أو هوائى، فكيف يفر من الغرق؟! وأيضاً فإن كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالأولى ترك الخوض فيه انتهى/١٢ فتح .

(٣) قيل هم ثمانية إنسان، ثلاثة من بنيه وهم سام وحام ويافث وزوجاتهم ونوح وامرأته وبه قال قتادة وابن جرير ومحمد بن كعب القرظي ، وقيل: كانوا ثمانين رجلاً أحدهم =

ارْكَبُوا[1] فِيهَا بِسْمِ[2] اللَّهِ مَجْرَاهَا[3] وَمُرْسَاهَا﴾ أي : اركبوا قائلين بسم الله أومسمين الله وقت إجرائها ووقت إرسائها أي : ثباتها أو بسم الله خبر لمجريها أي : بسم الله إجراؤها وإرساؤها فيكون إخبارًا من نوح بأن إجراءها وإرساءها باسم الله، وقد نقل أنه إذا أراد إجراءها قال بسم الله فجرت، وإذا أراد إثباتها قال بسم الله فرست، ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لما نجانا من عذابه، ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ أي: ركبوا فيها وهي تجري وهم فيها ، ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ كل موجة كجبل، ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان، ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ مكان عزل وأبعد فيه نفسه عن أبيه، ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ في السفينة، ﴿وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ في الدين والبعد عنا ، ﴿قَالَ سَآوِي﴾ أصير وألتجئ، ﴿إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ

= جرهم قاله ابن عباس ، ولما أخرجوا من السفينة بنوا قرية يقال لها قرية الثمانين وهي موجودة بناحية الموصل، وقيل كانوا عشرة وقيل غير ذلك ، قال الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال عز وجل "وما آمن معه إلا قليل" ولم يحد عدداً بمقدار فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله سبحانه وتعالى إذ لم يرد ذلك في كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- / ١٢ فتح.

(١) وقد روي في صفة القصة وما حمله نوح في السفينة وكيف كان الغرق وكم بقيت السفينة على ظهر الماء روايات كثيرة لا مدخل لها في تفسير كلام الله سبحانه/١٢فتح .

(٢) أخرج أبو يعلى والطبراني وابن السني وغيرهم عن الحسن بن على قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن ﴿بسم الله مجريها﴾ الآية ، ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية (الأنعام:٩١)" ١٢ /فتح.[في سنده ضعف]

(٣) المجرى والمرسى مصدران حذف منهما الوقت المضاف نحو آتيك خفوق النجم أي: وقته/١٢ منه .

﴿اللَّهِ﴾ عذابه ، **﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾** أي: إلا الراحم وهو الله أو عاصم بمعنى ذا عصمة كلابن وتامر إلا من رحم أي: من رحمه الله ، أو الاستثناء منقطع يعني لكن من رحمه الله فهو معصوم قيل: تقديره لا عاصم لأحد إلا من رحمه الله **﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾** بين نوح وولده، **﴿الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾** صار منهم، **﴿وَقِيلَ﴾** بعدما تناهي أمر الطوفان، **﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾** أنشفي، **﴿مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾** أمسكي عن المطر، **﴿وَغِيضَ﴾** نقص، **﴿الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾** أي : إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين ، **﴿وَاسْتَوَتْ﴾** استقرت السفينة ، **﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾** جبل شامخ قريب الموصل أوالشام ، **﴿وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** أي هلاكا لهم، **﴿وَنَادَى﴾** أي: أراد النداء، **﴿نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ﴾** أو نادى على حقيقته وقوله تعالى فقال تفصيل للمجمل،**﴿رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي﴾** وقد وعدت إنجاءهم ، **﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾** لا خلف فيه، **﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾** أعدلهم ، **﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾** الذي وعدت نجاته فإنه داخل في المستثني، أي: إلا من سبق عليه القول أو ليس من أهل دينك، وقال بعضهم: إنه ولد زنية[١] وعن ابن عباس وغيره رضي الله عنه: مازنت امرأة نبي قط، وعن كثير من السلف كان ابن امرأته[٢]، **﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾** أي: إنه ذو عمل فاسد ولا ولاية بين المؤمن والكافر قيل إنه أي: سؤالك إياي بنجاته عمل فاسد، **﴿فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ[٣] عِلْمٌ﴾** مالا تعرف أنه خطأ أم صواب والظاهر أن هذا قبل غرق ولده أو بعده لكن قبل علم نوح بهلاكه،**﴿إِنِّي أَعِظُكَ﴾** أنهاك ، **﴿أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ﴾**

---

(١) كالحسن البصري / ١٢ .[وكلامه هذا مردود لقول نوح عليه السلام:"إن ابني من أهلي"، وقول ابن عباس: ما زنت امرأة نبي قط]

(٢) فربيبه وظاهر القرآن على خلاف ذلك / ١٢ .

(٣) وفيه عدم جواز الدعاء لما لا يعلم الإنسان مطابقته للشرع / ١٢ فتح .

رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ﴾ بعد ذلك، ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ﴾ أي : إن لم ، ﴿تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الخَاسِرِينَ[1] قِيلَ﴾ بعد استقرار السفينة على الجودي، ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ من السفينة، ﴿بِسَلامٍ[2] مِّنَّا﴾ بسلامة أو بتحية وهو حال، ﴿وَبَرَكَاتٍ[3] عَلَيْكَ﴾ البركة ثبوت الخير ، ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ أي: على أمم ناشئة ممن معك من المؤمنين ، ولهذا قالوا دخل فيه كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، قال بعضهم: المراد من الأمم المؤمنون الذين معه وسماهم أمما لتحزبهم ، أو لتشعب الأمم منهم، ﴿وَأُمَمٌ﴾ أي: وممن معك أمم ، ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهم الكافرون من ذرية من ممن ، ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى قصة نوح، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ﴾ أي: من أخباره ، ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ خبر ثان لتلك أوحال، ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ خبر ثالث أو حال، ﴿فَاصْبِرْ﴾: كما صبر نوح ، ﴿إِنَّ العَاقِبَةَ﴾ في الدنيا والآخرة بالنصرة، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

---

(١) ثم أعلم أن قوله: "وأن وعدك الحق" والجواب من الله بقوله: "إنه ليس من أهلك" يدل على أن الله وعد بإنجاء أهله وهو غير مذكور في القرآن ولا بعد في ذلك أن الله حين أخبره بنزول العذاب عليهم وعد معه نجاة أهله ومن آمن ثم أمر به بحملهم على السفينة وإلا ففي السؤال إشكال لأن الله أمره بحمل أهله السفينة لأن ينجوا من العذاب وابنه ما ائتمر بأمر والده في أن يركب، فالذنب عليه اللهم إلا أن يقال: إن غرقه في أثناء مجادلته مع والده ولولا حيلولة الموج بينهما ليلزمه على ركوب السفينة فالشبهة لظنه أنه إن تم كلامه معه يسمع ويقبل فتأمل/١٢ وجيز .

(٢) مصحوبا بسلامة وأمن والقائل هو الله تعالى لقوله: "وبركات عليك" / ١٢.

(٣) مشتق من بروك الحمل وهو ثبوته / ١٢.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ ﴾

﴿وإلى عاد أخاهم﴾ عطف على "نوحاً" إلى قومه، **﴿هوداً[1]﴾** عطف بيان، **﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾** وحده ، **﴿ما لكم من إله غيره﴾** صفة تابعة لمحل الجار والمجرور ،

---

(١) واعلم أنه تعالى حكى عن هود عليه السلام أنه دعا قومه إلى التوحيد فقال : " يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون " وفيه سؤال وهو أنه كيف دعاهم إلى عبادة الله تعالى قبل أن يقيم الدلالة على ثبوت الإله تعالى؟ قلنا: دلائل وجود الله =

﴿إن أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾: على الله ، ﴿يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرسالة ، ﴿أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يعني نصيحتي خالصة لا مشوبة بالمطامع ، ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ حتى تميزوا بين المخطئ والمصيب، ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ بالإيمان ، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ ارجعوا إليه بالطاعة، ﴿يُرْسِلِ﴾ جواب الأمر، ﴿السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾: كثير الدر، ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ يضاعف قوتكم بالمال والولد والشد في الأعضاء، ومنه قال الحسن بن على رضي الله عنه: من كثر استغفاره كثر نسله، ﴿وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ لا تعرضوا عني مصرين على إجرامكم، ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ حجة تدل على مدعاك وهذا كذب منهم وجحود، ﴿وَمَا نَحْنُ

= تعالى ظاهرة وهي دلائل الآفاق والأنفس وكلما توجد في الدنيا طائفة ينكرون وجود الإله تعالى، ولذلك قال تعالى في صفة الكفار "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" (لقمان:٢٥)، قال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه الله وختم له بالحسنى : دخلت بلاد الهند فرأيت أولئك الكفار مطبقين على الاعتراف بوجود الإله وأكثر بلاد الترك أيضاً كذلك إنما الشأن في عبادة الأوثان فإنها آفة عمت أكثر أطراف الأرض، وهكذا الأمر كان في الزمان القديم أعني زمان نوح وهود وصالح عليهم السلام فهؤلاء الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- كانوا يمنعون من عبادة الأصنام فكان قوله "اعبدوا الله" معناه لا تعبدوا غير الله هذا ما قاله الرازي في هذا المقام وبيَّن في سورة يونس تحت قوله تعالى:" ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " (يونس:١٨) أن المشركين وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى ، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله تعالى/١٢ مفاتيح الغيب المعروف بالكبير للإمام محمد بن عمر الرازي .

﴿بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ حال من ضمير تاركى، أي: صارفين عن قولك، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِن نَّقُولُ﴾ ما نقول، ﴿إِلاَّ اعْتَرَاكَ﴾ أى: إلا قولنا أصابك، ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ بجنون لأنك تتكلم بالهذيانات، ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ على نفسي، ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي : من إشراككم آلهة ، ﴿مِن دُونِهِ﴾ ظرف لغو لتشركون ، أو بيان لما ، ﴿فَكِيدُونِي﴾ أنتم وأوثانكم ، ﴿جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾ لا تمهلوني فإني لا أبالي بكم وبكيدكم ومن أعظم الآيات مواجهتهم بهذا الكلام مع أنهم عطاش بإراقة دم من خالفهم وهم مع كثرتهم كرجل واحد يرمون من قوس واحد، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ الأخذ بالنواصي تمثيل لاشتمال ربوبيته على الكل وذل الكل وخضوعه تحت قهره وسلطانه فإن من أخذت ناصيته فقد قهرته، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ على العدل والإحسان مع غلبته وقدرته قيل تقديره: إن ربي يحثكم على صراط مستقيم ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ تتولوا ، ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فلا على شيء فإني بلغت الرسالة وما على إلا الإبلاغ ، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ هذا وعيد بإهلاككهم واستخلاف قوم آخرين مطيعين في ديارهم،﴿وَلاَ تَضُرُّونَهُ﴾ بإعراضكم، ﴿شَيْئاً﴾ من الضرر وقيل: لا تنقصونه شيئاً إذا أهلككم، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ فيحفظ أعمالكم ويجازيكم أو هو الحافظ للأشياء فهو الضار النافع فيستحيل أن يضره شيء أو هو الحافظ يحفظني من كيدكم ،﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ هلاك عاد ، ﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ الريح التى أهلك بها عادا قيل المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضاً والتعريض بتعذيب المهلكين في الدنيا والآخرة، ﴿وَتِلْكَ﴾، إشارة إلى القبيلة وقيل: إلى قبورهم وآثارهم ، ﴿عَادٌ جَحَدُوا﴾ كفروا ، ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ من عصى رسولاً واحداً فقد عصى الرسل فإن كلامهم واحد ، ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: سفلتهم اتبعوا كبراءهم

الذين طغوا فلم يقبلوا الحق، ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ قال السدي: ما بعث نبي بعد عاد إلا لعنوا على لسانه، ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ﴾ أي: لعنوا في الدارين، ﴿أَلاَ إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أي: نعمه أو برهم فحذف الجار، ﴿أَلاَ بُعْداً﴾ من رحمته وهلاكاً، ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ جيء بعطف البيان للتمييز عن عاد الإرم قيل: ينادي في القيامة بقوله: "ألا إن عادًا" إلخ.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ عطف على (وإلى عاد)، ﴿أَخَاهُمْ﴾ واحد منهم ، ﴿صَالِحاً﴾ عطف بيان ، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ صفة تابعة لمحل الموصوف ،

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ فإنهم من آدم وآدم من تراب، ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أقدركم على عمارتها، وعن الضحاك أطال عمركم فيها فإن الواحد منهم يعيش ثلاثمائة إلى ألف سنة، ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ لما مضى، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ فيما بقي ، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ يسمع أو قريب الرحمة، ﴿مُّجِيبٌ﴾ لداعيه ، ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُواً قَبْلَ هَذَا﴾ نرجوا أن تكون لنا سيداً مستشاراً في الأمور لما نرى فيك من الرشد، ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا[1]﴾ عدوا هذا النهي منه بلاهة وشبه جنون، ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التبرء عن الأوثان، ﴿مُرِيبٍ[2]﴾ موقع في الريبة، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ يقين وبصيرة ، ﴿مِّن رَّبِّي﴾ وحرف الشك باعتبار المخاطبين ، ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة ، ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ يمنعني من عذابه ، ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ في تبليغ الرسالة ، ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ إذن حينئذ ، ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ غير أن تخسروا أعمالي وتبطلوا أو ما تزيدونني بما تقولون إلا أن أنسبكم إلى الخسران، ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ آية حال، ولكم حال منها أو بيان، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل ، ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾ لهم صالح ، ﴿تَمَتَّعُوا﴾: عيشوا ، ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ الدنيا أو منازلكم ، ﴿ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ، ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ مصدر كالمجلود والمصدوقة أوغير مكذوب فيه فاتسع فيه بإجرائه مجرى المفعول به كيوم شهدناه[3]

(١) حكاية حال ماضية وإلا فالواجب أن يقال : ما عبد آباؤنا/١٢ منه .

(٢) من أرابه إذ أوقعه في الريبة وهو على الإسناد المجازي لأن المريب هو ذلك الشخص الذي له الشك ، لكن لما كان الشك سبب تشكيك المشكك ولولاه لما قدر على التشكيك أسنده إليه / ١٢ .

(٣) أي: شهدنا فيه / ١٢ .

سليماً وعامراً ،﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ﴾ عطف على نجينا بتقدير: ونجيناهم من خزي ، ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ يوم هلاكهم بالصيحة وقيل: يوم القيامة ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ القادر الغالب ، ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ كان عذابهم صيحة من السماء وزلزلة من الأرض به تقطعت قلوبهم في صدورهم، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ خامدين ميتين، ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾: لم يقيموا و لم يكونوا، ﴿فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً﴾ من رحمة الله ، ﴿لِّثَمُودَ﴾ وصرف[1] ثمود للذهاب إلى الحي أو الأب الأكبر.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ

(١) وعدم صرفه للتعريف والتأنيث لأنه بمعنى القبيلة / ١٢ .

ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ۞

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة، ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى[1]﴾ ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط، ﴿قَالُوا سَلاماً﴾ سلمنا عليك سلاماً ، ﴿قَالَ سَلامٌ﴾ أي : عليكم سلام ، ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي : فما أبطأ مجيئه بعجل[2] مشوي على الحجارة المحماة أوما أبطأ في المجيء به أي : أسرع في ضيافتهم وكانت عامة ماله البقرة(*)، ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ لا يمدون إليه أيديهم ، ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أنكر ذلك منهم ، ﴿وَأَوْجَسَ﴾ أدرك ، ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ لأن الضيف إذا أتى بشر لا يأكل، ﴿قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ بالعذاب ،

---

(١) أدرج شيئاً من أخبار إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- بين قصة صالح ولوط ؛ لأن له مدخلاً في قصة لوط وكان ابن خالة لوط والرسل الملائكة ، قال ابن عباس: اثنا عشر ملكاً بشروا إبراهيم بثلاث بشائر بالولد والخلة وإنجاء لوط ومن آمن معه/١٢وجيز.

(٢) على الوجه الأول فاعل "فما لبث أن جاء"، وعلى الثاني ضمير إبراهيم وحذف في وحذف حرف الجر عن أن وأنّ شائع/ ١٢ منه .

(*) كذا بالأصل.

﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ سارة[١] ، ﴿قَائِمَةٌ﴾ وراء الستر أو قائمة[٢] بخدمتهم ، ﴿فَضَحِكَتْ﴾ سروراً[٣] بالأمن أو تعجبًا، وقالت: يا عجبًا بأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة وهم لا يأكلون طعامنا أو تعجبًا من خوف إبراهيم من رجال قلائل وهو بين خدمه وحشمه، أو ضحكت بمعنى حاضت[٤] ، ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ بشروها بأن لها ولدًا يكون له عقب ونسل فإن يعقوب ولد إسحاق ونصب يعقوب لأنه في تقدير وهبناها من وراء إسحاق يعقوب، أو بحذف حرف الجر وإيصال الفعل، ومن قرأ بالرفع فهو مبتدأ، أي: ويعقوب مولود من بعده، ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى﴾ أي: يا عجبًا، ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ ابنة تسعين أو تسع وتسعين، ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾: زوجي ، ﴿شَيْخاً﴾ ابن مائة وعشرين أو مائة نصبة، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قدرته ، ﴿رَحْمت[٥] اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ فتخصيصكم بمزيد الكرامات لا عجب ، ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ[٦]﴾ أي : أهل بيت إبراهيم وهو خبر من الملائكة أو دعاء

---

(١) سارة ابنة عمه هارون بن ناحورا قائمة أي: بخدمة الأضياف وهن لا يحتجبن كعادة العرب ونازلة البوادي وكانت عجوزاً وخدمة الضيفان من مكارم الأخلاق/١٢وجيز.

(٢) على الأول القيام على حقيقة وعلى الثاني مجاز/١٢ منه .

(٣) قاله ابن جريج وهو الأظهر وقيل: سروراً بهلاك أهل الفساد وغفلتهم وغرورهم/١٢منه.

(٤) قاله العوفي عن ابن عباس، وكذا قاله عكرمة ومجاهد، يقال: ضحكت السمرة إذا سلل صمغها/١٢ منه .[لكن سياق الآيات يرد هذا التأويل]

(٥) قوله "رحمة الله" جملة مستأنفة علل بها إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة متكاثرة من الله عليكم /١٢ منه .

(٦) فيه دليل على أن أزواج الرجل من أهل بيته، عن ابن عباس أنه كان ينهى عن أن يزاد في جواب التحية على قولهم عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويتلو هذه الآية وعن ابن عمر نحوه/١٢ .

منهم، ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله، ﴿مَّجِيدٌ﴾ كريم، ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ بأن عرفهم، ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي : يجادل رسلنا في أمرهم كيف تهلكوهم وفيهم لوط ويجيء جواب لما مضارعًا لحكاية الحال، أو تقديره: أخذ يجادلنا أو اجترأ على خطابنا يجادلنا قيل: لما ترد المضارع إلى معنى الماضي، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾ كثير التأسف على الذنوب، ﴿مُّنِيبٌ﴾ راجع إلى الله تعالى يعني رقة قلبه وفرط ترحمه باعثه إلى المجادلة، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ أي: قالت الملائكة ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال ، ﴿إِنَّهُ﴾ إن الشأن ، ﴿قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: عذابه ، ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ بجدال ودعاء.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ أي: هذه الملائكة، ﴿لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ حزن بمجيئهم وساءة ، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ طاقة ، يقال: ضقت بالأمر ذرعًا إذا لم يطقه[1] وذلك لأنهم جاءوا في أحسن صورة غلمان فخاف عليهم من خبث قومه وعدم قوته بمدافعتهم ، ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد بلاؤه وقد نقل أن امرأة[2] لوط خرجت فأخبرت قومها بأن في بيته غلمانًا حسانًا، ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ[3]﴾ يسرعون، ﴿إِلَيْهِ﴾ عجلة لنيلهم مطلوبهم من أضيافه، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾: قبل ذلك الوقت، ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ[4]﴾ يأتون الرجال يعني هذا عادتهم من قديم الأيام، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ

---

(١) يقال: فلان رحب الذراع إذا كان مطيقًا له وذلك لأن الشخص إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ضد ذلك مثلاً للعجز/١٢ منه .

(٢) قاله السدي الكبير وقتادة / ١٢ .

(٣) كأنما يدفعون دفعًا لطلب الفاحشة من أضيافه/١٢ منه .

(٤) والله سبحانه ما سمى إتيان الرجال باسمه في القرآن؛ بل ذكره بالخبائث أو بالسيئات لنهاية قباحة / ١٢ وجيز .

﴿بَنَاتِي﴾ أي : فتزوجوهن[1] واتركوا أضيافي وكانوا يطلبوهن قبل ذلك ولا يجيبهم، وكان تزويج المسلمة من الكافر جائزًا أوالمراد من البنات نساؤهم[2] وأضاف إلى نفسه؛ لأن كل نبي أبو أمته، ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ من نكاح الرجال، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ﴾ لا تفضحوني، ﴿فِي﴾ شأن ، ﴿ضَيْفِي﴾ فإخزاء ضيف الشخص إخزاؤه، ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يعرف حقية ماأقول، ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: من حاجة ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ من إتيان الرجال ، ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ قويت بنفسي على دفعكم ، ﴿أَوْ آوِي﴾: أنضم ، ﴿إِلَى رُكْنٍ[3] شَدِيدٍ﴾ إلى قوي أستند إليه شبهه بركن الجبل في شدته ومنعته، وجواب لو محذوف أي: لفعلت وصنعت بكم كيت وكيت ،﴿قَالُوا﴾ أي : الملائكة ، ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ إلى إضرارك بإضرارنا ، ﴿فَأَسْرِ﴾: يا لوط ، ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾: بطائفة، ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾ استثناء من قوله فأسر بأهلك، أي : لا تسربها وخلفها ومن قرأ مرفوعًا فهو استثناء من قوله لا يلتفت منكم أحد يعني إذا سمعتم ما نزل بهم من الأصوات المزعجة فاستمروا ذاهبين ولا يلتفت

---

(١) على هذا بناتي على حقيقة وعلى الثاني مجاز / ١٢ .

(٢) قاله مجاهد وسعيد بن جبير وابن جريج / ١٢ .[ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:"إنما أنا لكم بمترلة الوالد" وانظر صحيح الجامع (٢٣٤٦)]

(٣) مراده بركن شديد العشيرة وما يمتنع به عنهم هو ومن معه ، وإنما قال ذلك ؛ لأنه لم يكن من قومه نسبًا؛ بل كان غريبًا فيهم ؛ لأنه كان أولاً بالعراق مع إبراهيم فلما هاجر إلى الشام أرسله الله إلى أهل سدوم وهي قرية عند حمص قال أبو هريرة ما بعث الله نبيًا بعده إلا في منعة من عشيرته / ١٢ فتح ، وفي البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (رحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد). الحديث / ١٢ .

منكم أحد إلا امرأتك فإنا لا نمنعها عن الالتفات وقيل الاستثناء منقطع ومن الإسرائيليات أنها كانت معهم ولما سمعت أصوات البلاء التفتت وقالت: واقوماه فأدركها حجر[1] فقتلها ولا يجوز قطعًا حمل القراءتين على الروايتين في أن خلفها أو أخرجها، ولذلك قيل: إنها سرت معهم بنفسها لا أنه أخرجها والنهي عن إخراجها لا عن مصاحبتها وقيل: الاستثناء بقراءة النصب أيضًا عن قوله لا يلتفت وإن كان الأفصح الرفع حينئذ، **﴿إِنَّهُ﴾** الشأن **﴿مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾** من العذاب، **﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ﴾** أي: موعد عذابهم، **﴿الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ[2] بِقَرِيبٍ﴾** جواب لاستعجال لوط عذابهم ، **﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾**: بالعذاب ، **﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾** أدخل جبريل عليه السلام جناحه تحت قريتهم فقلعها وصعد بها إلى السماء ثم قلبها وفيها أربعمائة ألف أو أربعة آلاف ألف، **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾** على تلك القري قبل التقليب أو حين التقليب، **﴿حِجَارَةً﴾** أو كانت الحجارة على شدادهم ومسافريهم[3] ، **﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾** أصله سنك[4] كل أي: حجر وطين فارسية معربة أو الطين أو الآجر قيل اسم لسماء الدنيا أو لجبل فيها، **﴿مَّنضُودٍ﴾** متتابع أو معد في السماء لذلك، **﴿مُّسَوَّمَةً﴾** معلمة

---

(١) وأما حمل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها أو خرجت مع زوجها فباطل وما أوقع الزمخشري في تلك الوقيعة إلا شؤم عقيدته أن اختلاف القراءات من عِند أنفسهم لا من الله كما صرح في مواضع كاد أن يكفر بذلك / ١٢ وجيز.

(٢) روي أن لوطًا خرج بابنتيه ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر طوى الله له الأرض حتى نجى ووصل إلى إبراهيم عليه السلام / ١٢ وجيز .

(٣) روي أن رجلاً منهم كان(*) في الحرم فبقي الحجر معلقًا في الهواء حتى خرج من الحرم فأصابه الحجر/١٢ وجيز .

(٤) قاله ابن عباس / ١٢ وجيز .

(*) زيادة ليست بالأصل اقتضاها السياق.

مكتوبًا فيها اسم من يقتل بها، أو معلمة بسيما[1] متميزة عن أحجار الأرض، **﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾** في خزائنه، **﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾** ما هذه النقمة ممن يشبههم ببعيد، وقيل معناه: ما هذه القرى من ظالمي مكة ببعيد يمرون عليها في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ

---

(١) السيما مقصور من الواو ، قال تعالى : "سيماهم في وجوههم" (الفتح:٢٩) وقد يجيء ممدودًا/منه.

عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ اسم بلدة ، **﴿أَخَاهُمْ﴾** من أشرافهم نسبًا، **﴿شُعَيْبًا﴾**[1] **قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾** وحده ، **﴿مَا لَكُم**[2] **مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**[3] **وَلاَ تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾** نهاهم عن هذا بعد الإيمان ؛ لأنهم اعتادوا البخس، **﴿إِنِّي أَرَاكُم**[4] **بِخَيْرٍ﴾** موسرين في نعمة وخصب لا حاجة لكم إلى التطفيف، **﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾** وعدهم بعذاب يحيط بهم فلا يفلت منهم أحد ووصف اليوم بالإحاطة لاشتماله على عذاب محيط، **﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾** أمر بالإيفاء بعد أن

---

(١) ابن ميكائيل ابن يشجر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام / ١٢ فتح .

(٢) اعلم أن الأنبياء- عليهم السلام- يشرعون في أول الأمر بالدعوة إلى التوحيد، فلهذا قال شعيب عليه السلام: (مالكم من إله غيره) ثم إنهم بعد الدعوة إلى التوحيد يشرعون في الأهم ثم الأهم / ١٢ كبير .

(٣) كما مر غير مرة أن رفع غيره بأنه صفة تابعة لمحل إله وجاز أن يكون اسم ما ومن إله بيان / ١٢ .

(٤) بثروة واسعة في الرزق تغنيكم عن البخس فلا تغيروا نعمة الله عليكم بمعصيته والإضرار بعباده وهذه النعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكرًا عليها لا أن تنقصوا حقوقهم ثم ذكر بعد العلة علة أخرى فقال: "وإني أخاف" / ١٢ فتح .

نهى عن ضده مبالغة، ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل والسوية، ﴿وَلاَ تَبْخَسُوا[1]﴾ لا تنقصوا ، ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ تعميم بعد تخصيص وقيل: كانوا مكاسين ، ﴿وَلاَ تَعْثَوْا﴾ لا تبالغوا، ﴿فِي الأَرْضِ﴾ بالفساد حال كونكم، ﴿مُفْسِدِينَ[2]﴾ وقد كانوا يقطعون الطريق ، ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ ما أبقى الله من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما تأخذونه بالتطفيف أو طاعة الله خير لكم ، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بشرط الإيمان فإن الثواب بالأعمال مشروط بالإيمان أو إن كنتم مؤمنين مصدقين لي، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أحفظكم عن القبائح وإنما أنا ناصح ، ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف[3]، ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام أجابوه على سبيل التهكم وكان عليه السلام كثير الصلاة ، ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا[4] مَا نَشَاءُ﴾ عطف على ما، أي: وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا، ما نشاء قيل: عطف على أن نترك بتقدير أصلاتك تأمرك بنهيك عن أن نفعل إلخ، ﴿إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء وأرادوا ضدهما أو أنت حليم رشيد فكيف تبادر على مثل كلام المجانين ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة وبصيرة ، ﴿مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ﴾ من الله بلا كدٍّ مني ، ﴿رِزْقًا حَسَنًا[5]﴾، حلالاً وكان عليه السلام كثير المال، أو أراد من

---

(١) البخس النقص ويقال للمكس البخس / ١٢ منه .

(٢) قيل: معناه لا تفسدوا في الأرض حال كونكم مفسدين أمر دينكم ومصالح آخرتكم/١٢ منه .

(٣) قدرنا هذا المضاف لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره/١٢ .

(٤) وكان عليه السلام ينهاهم عن البخس والتطفيف/١٢ منه .

(٥) يعني: هل يسعني مع هذه النعمة أن أخون في وحيه؟ وهذا الجواب شديد المطابقة بقولهم: "إنك لأنت الحليم الرشيد"، أي: كيف يليق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة/١٢ فتح .

الرزق الحسن العلم والمعرفة وجواب الشرط محذوف، أي: فهل يجوز لي الخيانة في الوحي والمخالفة في أمره ونهيه ، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ[1] إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ ما أريد أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستقل بها دونكم، ﴿إِنْ أُرِيدُ﴾ فيما آمركم وأنهاكم، ﴿إِلاَّ الإِصْلاحَ﴾ أي: إصلاحكم، ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي: ما دمت أستطيع الإصلاح فما مصدرية واقعة موقع الظرف أو إصلاح ما استطعته فالموصولة مفعول الإصلاح ، ولا يبعد أن يكون معناه ما قصدت إلى ما نهيتكم عنه مجرد مخالفتكم؛ بل الإصلاح قصدى وهو الباعث إلى النهي، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ لإصابة الحق ، ﴿إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ بإعانته ، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فإنه القادر المطلق ، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ في المعاد أو فيما ينزل عليّ من المصائب، ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ[2]﴾ لا يكسبنكم، ﴿شِقَاقِي﴾ عداوتي، ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ ثاني مفعوليه فإنه يتعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب، ﴿مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرق ، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ من الريح المهلكة، ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من الصيحة ، ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ زمانًا فلا تنسوهم، أو مكانًا فإنهم جيران قوم لوط و لم يقل ببعيدة ولا ببعيدين لأن المراد، وما إهلاكهم ببعيد أو لأنه يستوي في مثله المذكر والمؤنث لأنه على زنة المصادر كالصهيل والشهيق ، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عما سلف ، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ فيما بقي من عمركم ، ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ فاعل بالتائبين ما يفعل البليغ المودة بمن يوده ، ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ﴾ قالوه على وجه الاستهانة كما تقول لمن لم تعبأ بحديثه ما

---

(١) يقال: خالفني فلان إلى كذا إذا قصد وأنت مول عنه وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده / ١٢ منه .

(٢) يقال: جرمته ذنبًا وكسبته إياه وجرم ذنبًا وكسبه / ١٢ منه .

أدري ما تقول، ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً[1]﴾ لأنه كان أعمى أو لأنه لا خـــدم ولا عسكر له، ﴿وَلَوْلا رَهْطُكَ﴾ أي: عزتهم فإنهم على ديننا والرهـــط مـــن الثلاثـــة إلى العشرة، ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ قتلناك بأذل وجه، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ يمنعنا عـــزك عـــن الرجم، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ فإنكم تبقون عليَّ لرهطـــي ولا تبقون عليَّ لله وأنا رسوله، ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله، ﴿وَرَاءكُمْ ظِـــهْرِياً﴾ جعلتمـــوه كالشيء الملقي وراء الظهر وهو منسوب إلى الظهر والكسر مـــن تغـــيرات النســـب كالإمسيّ في الأمس، ﴿إِنَّ رَبِّي﴾، أي: علمه، ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فيجازي عليـــه ، ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ[2]﴾ أي: قارين على جهتكم التي أنتم عليـــها مـــن الشرك أو على تمكنكم من أمركم، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ ما أنا عليه، ﴿سَـــوْفَ تَعْلَمُـــونَ﴾ استئناف كأنه قيل فماذا يكون بعد ذلك ؟ فقال: سوف تعلمون﴿مَن يَأْتِيهِ عَـــذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ أي: سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والـــذي هو كاذب فإنهم أوعدوه وسموه كاذبًا ، أو من استفهامية منقطعة عن سوف تعلمـــون أي: أينا يأتيه إلخ، ﴿وَارْتَقِبُوا﴾ انتظروا ما أقول لكم ، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظـــر ،

(١) ليس معنى الضعيف الأعمى حتى يلزم أن قوله فينا لا يناسبه؛ لأنه لا يقال أنت أعمـــى فينا؛ بل معناه أنت فينا ضعيف لأنك أعمى وكلام بعض السلف نحمله على ما قلنـــا لا على ما حمله الزمخشرى فرده تأمل / ١٢ منه.

عن سعيد بن جبير قال كان أعمى وإنما عمى من بكائه من حب الله عز وجل وعـــن شداد مرفوعًا بكى شعيب عليه السلام من حب الله حتى عمى أخرجه ابن عساكر/ ١٢ ف.[ضعيف جدًا، انظر الضعيفة ٩٩٨)]

(٢) المكانة إما من المكان فاستعير العين للمعنى أو من مكن مكانة فهو مكين فيكون مصدراً وأشار الشارح إلى أنه حال/١٢ منه .

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا، ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبريل فهلكوا ، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ميتين، الجثوم: اللزوم في المكان، ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ لم يكونوا فيها ، ﴿أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ هلاكاً لهم، ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ فإن عذابهم أيضًا صيحة قيل: صيحة أهل مدين من فوق وصيحتهم من تحت ثم أعلم أن الصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة كلها لأهل مدين[1].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ

(١) فلا ينافي أنه أثبت لهم في بعض المواضع الصيحة وفي بعضها الرجفة وفي بعضها عذاب يوم الظلة/١٢ منه .

وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ﴿١٠٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ التوراة أو المعجزات والحجج الواضحة سيما العصى، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا﴾ أي: الملأ، ﴿أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾: في الكفر بموسى ، ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ مرشد إلى الخير ، ﴿يَقْدُمُ[1] قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: يتقدمهم إلى النار فهو في الدارين قدوتهم، ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ جاء بلفظ الماضي مبالغة في تحققه، ﴿وَبِئْسَ الوِرْدُ﴾ أي: المورد ، ﴿الْمَوْرُودُ﴾ أي : الذي يردونه والمخصوص بالذم ، أي : النار نزل النار لهم مترلة الماء ثم قبحه؛ لأن الورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده والآية كالدليل على قوله: "وما أمر فرعون برشيد"، ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا، ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، فإهم ملعونون في الدارين، ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ العون المعان أو العطاء المعطى والمخصوص بالذم محذوف، أي: رفدهم وهو لعنة بعد لعنة، ﴿ذَلِكَ﴾: النبأ، ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى﴾: المهلكة ، ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ خبر بعد خبر، ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ بقيت آثاره كالحيطان ، ﴿وَحَصِيدٌ﴾ أي : ومنها عافي الأثر والجملة مستأنفة، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ فاستحقوا العذاب، ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾ ما دفعت عنهم ، ﴿آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ شيئًا من عذابه ، ﴿لَّمَّا جَاءَ﴾ حين جاء، ﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ أي: ما زاد الآلهة الظالمين ، ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ بلاء وتخسير، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل

---

(١) يقال: قدمه بمعنى تقدمه كما يقال قدم بالتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش/٢منه.

ذلك الأخذ ، ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ﴾ أهل ، ﴿الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ حال من القـــرى وعلى الحقيقة لأهلها، ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ[1]﴾ وجيع صعب، ﴿إِنَّ فِي ذَلِـكَ﴾ أي: هلاك تلك الأمم أو الأنباء بإهلاكهم، ﴿لآيَةً﴾: عبرة، ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِـرَةِ﴾ فيجعلها أنموذجًا ودليلاً على صدق ما أعد الله تعالى للمجرمين، ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى مـا دل عليه عذاب الآخرة، أي: يوم القيامة، ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ لأن يجازيـــهم، ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ فيه الخلائق البر والفاجر اتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به ، أو المراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ أي : اليوم ، ﴿إِلاَّ لأَجَـلٍ مَّعْدُودٍ﴾ الأجل يطلق على مدة التأجيل وعلى منتهاها والعد للمدة لا لغايتها فتقديـره إلا الانتهاء أجل معدود على حذف المضاف، ﴿يَوْمَ يَأْتِ[2]﴾ ذلك اليوم المعين على أن يوم بمعنى حين، ﴿لاَ تَكَلَّمُ﴾: لا تتكلم ، ﴿نَفْسٌ﴾ وهو الناصب للظرف، ﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾: بإذن الله تعالى، وهذا في موقف ويوم لا ينطقون في موقف آخر، ﴿فَمِنْهُمْ﴾ الضمـــير لأهل الموقف دل عليه قوله لا تكلم نفس، ﴿شَقِيٌّ وَ﴾ منهم[3]﴿سَعِيدٌ فَأَمَّـا الَّذِيـنَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الزفير إخـــراج النفـــس والشـــهيق رده،

---

(١) وفي الحديث: "أن الله سبحانه وتعـــالى يملـــى الظـــالم حـــتى إذا أخـــذه لم يفلتـــه" ثم قرأ " وكذلك أخذ ربك " الآية رواه البخاري ومسلم وغيرهما ولا تظن أن الآيـــة حكمها مختص بظالمي الأمم الماضية؛ بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديـــث/ ١٢ فتح .

(٢) قيل: ضمير يأت إلى الله نحو " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله " / ١٢ منه .

(٣) قد استدل بهذه الآية على أن أهل الموقف قسمان لا ثالث لهما وظاهر الآية والحديـــث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسـيئاته أو لا حسنات لهم ولا سيئات كالمجانين والأطفال فهم تحت مشيئته يحكم فيهم بما شـــاء وتخصيص القسمين لا ينفي القسم الثالث / ١٢ فتح .

أوالصوت الشديد والضعيف ، أو الزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره إذا ردده في جوفه ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ[1] السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾، أي: أبدا دائماً لا ينقطع،

---

(١) قوله تعالى:" خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك" وفي المناوي الكبير على الجامع الصغير ما نصه تنبيه ما ذكرته آنفًا أن من عذاب الكفار في جهنم دائم أبدًا ما دلت عليه الآية والأخبار وأطبق عليه جمهور الأمة سلفًا وخلفًا، ووراء ذلك أقوال يجب تأويلها فمنها ما ذهب إليه الشيخ محيى الدين ابن عربي أنهم يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم، فإن الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد، بل بالتجاوز، وقال: "فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله" (إبراهيم:٤٧)، و لم يقل وعيده بل قال: "ونتجاوز عن سيئاتهم" (الأحقاف:١٦) مع أنه توعد على ذلك وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وقال في موضع آخر أن أهل النار إذا أدخلوها لا يزالون خائفين مترقبين أن يخرجوا منها فإذا أغلقت عليهم أبوابها اطمأنوا لأنها خلقت على وفق طباعهم ، قال الحافظ ابن القيم: وهذا في طرف أي جهة والمعتزلة القائلون بأنه يجب على الله تعذيب من توعده بالعذاب في طرف آخر فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أبدًا و القولان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله، ومنهما قول جميع النار تفني فإنه تعالى جعل لها أمدًا تنتهي إليه ثم يزول عذابها لهذه الآية ، وقوله تعالى: " لابثين فيه أحقابًا" (النبأ:٢٣) قال هؤلاء: وليس في القرآن دلالة على بقاء النار وعدم فنائها إنما الذي فيه أن الكفار خالدين فيها وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر عنهم عذابها وأنهم لا يموتون وأن عذابهم فيها مقيم وأنه غرام لازم وهذا لا نزاع فيه من الصحابة والتابعين، إنما التراع في أمر آخر وهو أن النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يدخلون الجنة فلم يختلف فيه أحد من أهل السنة، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله القول بفنائها عن جمع من الصحابة والتابعين وقد نصر هذا القول ابن القيم كشيخه ابن تيمية وهو مذهب متروك وقول مهجور لا يصار إليه ولا يعول عليه ، وقد أول ذلك كله الجمهور وأجابوا عن الآيات المذكورة بنحو عشرين وجهًا وعما نقل عن۔

....

= أولئك الصحب بأن معناه ليس فيها أحد من عصاة المؤمنين أما مواضع الكفار فهي ممتلئة منهم لا يخرجون عنها أبدًا كما ذكره الله في آيات كثيرة انتهى كلامه، قلت وبالله التوفيق: أخرج ابن المنذر عن عمر قال: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج [موضع بالبادية بها رمل] لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه. وروى عبد بن حميد بإسناد رجاله ثقات عن عمر نحوه وأخرج ابن راهويه عن أبي هريرة قال: سيأتى على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ " فأما الذين شقوا " وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: ما في القرآن آية أرجى لأهل النار من هذه الآية "خالدين فيها" إلخ، قال: وقال ابن مسعود: ليأتين عليه زمان تخفق أبوابها، وروى أحمد عن ابن عمرو بن العاص: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وحكاه البغوي وغيره عن أبي هريرة وغيره وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال: جهنم أسرع الدارين عمرانًا وأسرعها خرابًا، وعن قتادة قال : الله أعلم بثنياه على ما وقعت وقد روى عن جماعة من السلف مثل ما ذكره ابن مسعود وعمر وأبو هريرة كابن عباس وابن عمر وجابر وأبي سعيد من الصحابة وعن أبي مجلز وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما من التابعين وورد في ذلك حديث في معجم الطبراني الكبير عن أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلي وإسناده ضعيف ، وقد ثبت بذلك صحة ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن هؤلاء وانتصره الحافظ ابن القيم ووضح وهن ما قاله ابن حجر والمناوي عليهما وإن كان لا شك في أن الراجح هو الأول ، ولقد تكلم صاحب الكشاف في هذا الموضع بما كان له في تركه سعة وفي السكوت عنه غنى فقال: ولا يخدعنك قول المجبرة أن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار فإن الاستثناء الثاني ينادى على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن ابن عمرو وليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد ، ثم قال: وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث انتهى.

=

والعرب إذا أراد التأبيد قال : دائم دوام السماوات والأرض، ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ استثناء من الخلود فإنه ليس لبعضهم وهم فساق الأمة خلود وهم الأشقياء من وجه[١] وهو المراد بالاستثناء الثاني[٢] فإنهم ليسوا في الجنة مدة عذابهم والتأبيد من مبدأ معين

= قال الشوكاني: وأقول أما الطعن على من قال بخروج أهل الكبائر من النار فالقائل بذلك يا مسكين رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صح عنه فى دواوين الإسلام التى هي دفاتر السنة المطهرة ، وكما صح عنه في غيرها من طريق جماعة من الصحابة يبلغون عدد التواتر فما لك والطعن على قوم ما عرفوا ما جهلته وعملوا بما أنت عنه في مسافة بعيدة ، وأي مانع من حمل الاستثناء على هذا الذي جاءت به الأدلة الصحيحة الكثيرة كما ذهب إلى ذلك، وقال به جمهور العلماء من السلف والخلف ، وأما ما ظننته من أن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم فلا مناداة ولا مخالفة ، وأي مانع من حمل الاستثناء في الموضعين على العصاة من هذه الأمة فالاستثناء الأول يحمل على معنى (إلا ما شاء ربك) من خروج العصاة من هذه الأمة من النار ، والاستثناء الثاني يحمل على معنى إلا ما شاء ربك من عدم خلودهم في الجنة كما يخلد غيرهم وذلك لتأخر دخولهم إليها مقدار المدة التى لبثوا فيها في النار، وقد قال بهذا من أهل العلم من قدمنا ذكره وبه قال ابن عباس حبر الأمة ، وأما الطعن على صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحافظ سنته وعابد الصحابة عبد الله بن عمر رضي الله عنه فإلي أين يا محمود أتدري ما صنعت وفي أي واد وقعت وعلى أي جنب سقطت ومن أنت حتى تصعد إلى هذا المكان وتتناول نجوم السماء بيدك القصيرة ورجلك العرجاء أما كان لك في مكسري طلبتك من أهل النحو واللغة ما يردك عن الدخول فيما لا تعرف والتكلم بما لا تدري فيا لله العجب ما يفعل القصور في علم الرواية والبعد عن معرفتها إلى أبعد مكان من الفضيحة لمن لم يعرف قدر نفسه ولا أوقفها حيث أوقفها الله سبحانه ١٢/ فتح البيان.

(١) والسعداء من وجه، لأنهم أشقياء لعصيانهم سعداء بإيمانهم / ١٢ .

(٢) أي: في قوله:"وأما الذين سعدوا " إلخ / ١٢ .

كما ينتقص من الانتهاء ينتقص من الابتداء وهو المنقول عن كثير من السلف[١] أوهـو كقولك : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك مع أن عزيمتك على ضربه فعلى هـذا الاستثناء في الموضعين لبيان أنه لو أراد عدم خلودهم لقدر لا أنه واجب عليه ويؤيـده قوله : " إن ربك فعال لمايريد " أو هومن باب "حتى يلج الجمل في سم[٢] الخيـاط " (الأعراف:٤٠)، "ولا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولي" (الدخان:٥٦) على إحدى التأويلات أو المستثنى توقفهم في الموقف أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ أو الاستثناء لخروج الكل من النار إلى الزمهرير ومن الجنة إلى المراتب والمنـازل[٣] الأرفـع ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ حاكم غير محكوم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ قيـل المراد منهما سماوات الآخرة وأرضها وهما مؤبدان ، ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ والأحسـن عندي في الاستثنائين قول قتادة والله أعلم بثنياه اعترف رضي الله عنه بالعجز عن الفهم وأحال العلم على الله تعالى[٤] ، ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ غير مقطوع ونصبه على الحـلل أو المصدر المؤكد صرح في الجنة بأنها غير مقطوع لئلا يتوهم متوهم بعد ذكر المشـيئة أن ثمة انقطاعًا و لم يذكر في شق النار، ﴿فَلاَ تَكُ[٥] فِي مِرْيَةٍ﴾ شك، ﴿مِّمَّـا يَعْبُـدُ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن وهو قول الضحاك وقتادة وغيرهما/١٢منه.

(٢) كأنه قال هم مخلدون في الجنة أو النار إلا أن يشاء الله خروجهم ومشيئة الله منتف بموجـب وعده فخروجهم محال هذا ما في المنهية ، وفي الوجيز بعد نقل هذا القول ولذلك قـال: (إن ربك فعال لما يريد) هذا و باقي التوجيهات تمحلات علمتها إن تأملت/١٢.

(٣) وفيه تمحل ؛ لأن المنازل الأرفع ليست بخارجة من الجنة / ١٢ وجيز .

(٤) وعندي أن القول ما قالت حذام / ١٢ وجيز .

(٥) ولما ذكر قصص عبدة الأوثان وأتبع ذلك بذكر أحوالهم وأحوال الموحدين السعداء أراد أن يبين أن عبادة غير الله تقليد وجهل فقال : " فلا تك " الآية / ١٢ وجيز .

﴿هَؤُلاء﴾ من عبادة المشركين في أنها ضلال تؤدي إلى مثل ما حل بمن قبلهم، **﴿مَا يَعْبُدُونَ﴾** عبادة، **﴿إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم﴾** إلا كعبادتهم[١]، **﴿مِّن قَبْلُ﴾** استئناف[٢] أي: هم وآباؤهم سواء لا مستند لهم في الشرك وتقديره: كما كان يعبد وحذف كان لدلالة قبل عليه، **﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾** حظهم من الجزاء ، **﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾** حال مقيدة[٣] فإنه يقال وفيته نصيبه منصفًا[٤].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا

---

(١) على ما فسرنا يكون ما في كما مصدرية وجاز أن يكون موصولة، أي: ما يعبدون شيئًا إلا مثل ما عبدوه من الأوثان / ١٢ منه.

(٢) يعني ما يعبدون استئناف/ ١٢ .

(٣) فيه إشارة إلى أنه حال مقيدة لا مؤكدة ، والحق ما قاله الزمخشري لاما قاله صاحب الانتصاف/١٢ منه .

(٤) معناه أعطيت النصف كاملاً من غير نقص في النصفية /١٢ .

كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

﴿و[1]لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بأن آمن به بعض وكفر به بعض كما اختلف في القرآن، ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عن قومك، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لفرغ من جزائهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من القرآن، ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع للريبة ، ﴿وَإِنَّ كُلاًّ﴾ جميع المختلفين من المؤمنين والكافرين وإن مع أنه مخففة عمل باعتبار الأصل والتنوين عوض عن المضاف إليه، ﴿لَّمَّا﴾ ما زائدة للفصل بين لام الموطئة للقسم ولام التأكيد ومن قرأ بالتشديد فأصله لمن ما فقلبت النون ميمًا للإدغام فحذفت أولى الميمات الثلاث، ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: إن جميعهم والله ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم أو لمن الذين يوفينهم إلخ، ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ[2]

---

(١) ولما ذكر في هذه الآية إعراض قومه عن الاتباع ما أتى به من الآيات سلاه بأخيه موسى عليه السلام فقال : " ولقد آتينا موسى " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) لما بين أمر المختلفين وعدم استقامتهم أمر نبيه- صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين معه بالاستقامة كأنه قال إن لم يستقيموا هم فاستقيموا أنتم فقال:" فاستقم" الآية/١٢ وجيز ومنه.

﴿خَبِيرٌفَاسْتَقِمْ﴾ استقامة[1] ، ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي: مثل الاستقامة التي أمرت بها على دين ربك والدعاء إليه، ﴿وَمَن تَابَ﴾ عن الكفر وآمن، ﴿مَعَكَ﴾ عطف على ضمير استقم، ﴿وَلاَ تَطْغَوْا﴾ لاتخرجوا عن حدود الله، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌوَلاَ تَرْكَنُوا﴾، لا تميلوا[2] أدنى ميل، ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بأن تعظموهم وتستعينوا بهم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ بركونكم إليهم؛ بل استقيموا كما أمرت ولا تميلوا إلى جانب، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أعوان يمنعونكم من عذابه والواو للحال ، ﴿ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ لا تجدون من ينصركم أو لا ينصركم الله إذ سبق في حكمه أن لا يرحم على من ركن وثم لاستبعاد نصره إياهم وقد أوعدهم بالعذاب عليه، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ أحد طرفيها الصبح والآخر إما العصر أو الظهر والعصر، ﴿وَزُلَفاً﴾ ساعات، ﴿مِّنَ

---

(١) إشارة إلى أن كما مرت صفة مصدر محذوف/١٢ .

(٢) قال البغوي : قال ابن عباس رضي الله عنه: ولا تميلوا، والركون هو المحبة والميل بالقلب، وقال أبو العالية: لاترضوا بأعمالهم، قال السدى: لا تداهنوا الظلمة، وعن عكرمة لا تطيعوهم وقال الرازي: قال المحققون: الركون المنهى عنه هو الرضاء بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين تلك الطريقة وتزيينها عندهم ، وعند غيرهم مشاركتهم في شيء من تلك الأبواب فأما مداخلتهم لدفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون ، وفي النيسابوري بعد نقل هذا القول وأقول: هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده؟ انتهى، وما أحسن ما قال أبو السعود: وإذا كان حال الميل في الجملة إلى من وجد منه ظلم ما في الإفضاء إلى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلاً عظيمًا ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شرائره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه إلى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل عن أن تميل إليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب / ١٢ .

﴿اللَّيْلِ﴾ قريبة من النهار العشاء أو المغرب والعشاء قيل: هذا قبل وجوب صلوات الخمس فإنه كان يجب صلاتان صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها وفي أثناء الليل قيام عليه وعلى أمته ثم نسخ، ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ وفي الحديث[1]: (إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحوها نزلت[2] في رجل أصاب من امرأة ما دون الجماع فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبره فنزل "أقم الصلاة" الخ فقال الرجل: ألِيَّ هذا ؟ قال: لأمتي كلهم) ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى استقم فما بعده، ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ عظة للمتعظين ، ﴿وَاصْبِرْ﴾ على حكم الله، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ[3]﴾ وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- المحسنين أي: المصلين، ﴿فَلَوْلاَ﴾ فهلا، ﴿كَانَ مِنَ القُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ[4]﴾ يقال: فلان من بقية القوم، أي: من خيارهم ، أي : هلا كان منهم من فيه خير ينهى عن الفساد؟ وهذا تحريض لأمة محمد عليه الصلاة والسلام كما قال:" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير" الآية (آل عمران:١٠٤)، ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ من في ممن للبيان ، أي : لكن قليلاً منهم[5] أنجيناهم لأنهم كانوا كذلك وجاز أن يكون

---

(١) رواه الترمذي وغيره / ١٢ .[صحيح، وانظر صحيح الجامع]

(٢) كما في الصحيحين وغيرهما / ١٢ وجيز .

(٣) ولما أمر بالاستقامة وإقامة الصلاة وهى عن الطغيان والميل إلى الظلمة وبين فائدة الحسنات أراد حض الأمة على النهي عن الفساد ليكون خير أمة أخرجت للناس فقال: " فلولا " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) لما بين أن الأمم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بين أن السبب فيه أمران ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترفه ، أي: لم تهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتبعوا طلب الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرياسات/ ١٢ كبير .

(٥) قدمنا وجه الأول وهو أن الاستثناء منقطع لأنه إذا كان متصلاً فالمختار الرفع/١٢منه .

الاستثناء متصلاً لأن التخصيص ملزوم للنفي، أي: ما كان فيهم أولو بقية كذا إلا قليلاً وهم من أنجيناهم ، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عطف على ما دل عليه الكـــلام، أي: لم ينهوا عن الفساد واتبعوا، ﴿مَا أُتْرِفُوا﴾ نعموا ، ﴿فِيهِ﴾ من الشهوات بتحصيل أســـبابها فأعرضوا عن الآخرة، ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: كافرين، وهذا سبب استئصالهم وإهلاكهم فلابد من الحذر عن مثل ما هم كانوا عليه، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ ما صح وما استقام له ، ﴿لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾: بشرك ، ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أي: لا يهلكـــهم بمجـــرد الشرك إذا لم يضموا إلى شركهم فسادًا أو ظلمًا فيما بينهم؛ بل يترل عليهم العـذاب إذا أفسدوا وظلموا[1] بعضهم بعضًا أو لا يهلكهم بظلم[2] منه وهم مصلحون لأعمـــالهم فإنه سبحانه حرم الظلم على نفسه وجعله بينكم محرمًا " وما ظلمناهم ولكن ظلمـــوا أنفسهم" (هود: ١٠) وهذا توجيه وجيه لا اعتزال فيه، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ الـنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مسلمين كلهم ، ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الأديـــان والاعتقـــادات ، ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ وهم أتباع الرسل تمسكوا بما أمـــروا بـــه، ﴿وَلِذَلِـــكَ﴾ أي: للرحمة[3] أو للاختلاف[4] أو لهما[5]، ﴿خَلَقَهُمْ﴾ الضمير لمن على الأول وللناس علـــى الأخيرين، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قضاؤه وقدره، ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: من عصاهما، ﴿أَجْمَعِينَ﴾ أو منهما أجمعين لا من أحدهما، ﴿وَكُلاًّ﴾ التنوين عـــوض،

---

(١) كما نُقِلَ الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم / ١٢ وجيز.

(٢) على هذا التوجيه بظلم حال من الفاعل / ١٢ منه .

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك قال البغوي بعد نقل هذا القول: يعني الذيـــن رحمهم / ١٢ .

(٤) قاله الحسن وعطاء / ١٢

(٥) قوله أو لهما يعني خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف وحاصل الآيـة أن أهل الباطل مختلفون وأهل الحق متفقون فخلق الله أهل الحق للاتفاق وأهـــل البـــاطل للاختلاف / ١٢ معالم .

أي: كل نبأ، ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ وقوله: ﴿مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ﴾ بيان لكلا أو صفة لنبأه المحذوف ومن للتبعيض، ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ بدل بعض من كلا أو مفعول نقص، وكلا مفعول مطلق حينئذ، أي: كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك وتثبيت فؤاده زيادة يقينه واحتمال الأذى، ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ السورة، ﴿الحَقُّ﴾ خص هذه السورة تشريفًا وإن كان قد جاءه الحق في جميع السور أو جاءك في هذه الدنيا الحق ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى﴾ جاءتك فيها، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أى: عمت فائدة تلك السورة لك ولأمتك، ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: على طريقتكم تهديد شديد، ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾: على حالنا، ﴿وَانتَظِرُوا﴾ بنا الدوائر، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن يحل بكم مثل ما نزل على أمثالكم أو انتظروا ما يعدكم الشيطان إنا منتظرون ما يعدنا ربنا، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لا يخفي عليه خافية، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ في المعاد ويمكن أن يكون معناه كل الأمور راجعة إلى خلقه وقدرته فهو الفاعل على الحقيقة للأشياء، ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[1]﴾ فيجازي كلاً ما يستحقه.

والحمد لله وحده ..

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب فقال- صلى الله عليه وسلم-: (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت) أخرجه الطبراني والترمذى وحسنه، وعن أنس مرفوعًا [صحيح، وراجع الصحيحة]، و"هل أتاك حديث الغاشية" رواه البزار وعن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقرءوا هود يوم الجمعة) أخرجه الدارمي وأبو داود والبيهقي وغيرهم/١٢ فتح .[وسنده ضعيف، وصنيعه يوهم أن أبا داود أخرجه في سننه، وليس كذلك، وإنما أخرجه في مراسيله]

سورة يوسف مكية

وهي مائة وإحدى عشرة آية واثنا عشر ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ ﴾

﴿الـر تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة ، **﴿آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾** : الواضح الجلي ، أو المفصح عن الأشياء المبهمة ، **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾** أى : الكتاب ، **﴿قُرْآناً [1]﴾**، حال ، فإنه مصدر بمعنى مفعول ، **﴿عَرَبِيًّا [2]﴾** صفة له ، أو حال[3] ،

---

(١) القرآن اسم جنس يقع على الكل وعلى البعض / ١٢ منه.

(٢) أخرج الحاكم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلى قرآناً عربيًّا ثم قال : أُلهم إسماعيل هذا اللسان العربى إلهامًا / ١٢ فتوح .[المستدرك (٢/٤٣٩) وصححه على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبي بأن فيه إبراهيم بن إسحاق، كان يسرق الحديث.]

(٣) من الضمير الذي في قرآنًا أو حال بعد حال / ١٢ منه .

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي : أنزلناه بلغتكم كى تفهموا معانيه ، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ[1] ﴾ مصدر بمعنى الاقتصاص ، وأحسنيته في كونه بالغة في الفصاحة ، فيكون مفعولًا مطلقًا ، والمقصوص محذوف ، أو فعل بمعنى مفعول ، وأحسنيته لما فيه من النكت والحكم والعجائب ، فيكون مفعولًا به ، ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ : بإيحائنا ، ﴿إِلَيكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي: السورة ، وهو إما مفعول الإيحاء ، أو مفعول نقص على الوجه الأول ، ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾: عن هذه القصة ، لا تعلمها ، وإن هى المخففة، ﴿إِذْ قَالَ﴾ بتقدير اذكر ، أو بدل اشتمال من أحسن القصص على تقدير مفعوليته، ﴿يُوسُفُ[2] لأَبِيهِ يَا أَبَتِ ﴾ تاء التأنيث عوض عن الياء ، ومن يفتح التاء ، فلأنه كان يا أبتا ، فحذفت الألف ، ﴿إِنِّي[3] رَأَيْتُ ﴾: من الرؤيا ، ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ[4]

---

(١) لما فيه من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها فإن إحدى الفوائد: التي في هذه القصة أنه لا دافع لقضاء الله تعالى ولا مانع من قدر الله تعالى ، وأنه تعالى إذا قضى للإنسان بخير ومكرمة فلو أن أهل العالم اجتمعوا عليه لم يقدروا على دفعه والفائدة الثانية: دلالتها على أن الحسد سبب للخذلان والنقصان والفائدة الثالثة: أن الصبر مفتاح الفرج كما أن يعقوب ويوسف فازا بصبرهما / ١٣ كبير .

(٢) ويوسف اسم عبرى، ولذلك لا يجرى عليه الصرف ، وقيل عربى، وسئل أبو الحسن عن يوسف فقال: الأسف فى اللغة الحزن، والأسيف: العبد، واجتمعا فى يوسف عليه السلام فسمى به /١٢ معالم .

(٣) وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتى عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا / ١٢ معالم .

(٤) سماهما باسمهما كأنهما ليسا من جنس الكواكب و لم يقل ثلاثة عشر /١٢ منه .

رَأَيْتُهُمْ[1] **لِي سَاجِدِينَ** ﴾ استئناف[2] ، كأنه قيل : كيف رأيتهم ؟ فقال : رأيتهم لى ساجدين ، وأجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاهم ، وساجدين حال، ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ**﴾ التصغير للشفقة ، ﴿**لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً**﴾: يحتالون لإهلاكك حيلة ، حسدًا منهم ، فإهم يعلمون تأويلها ، ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ فيحملهم على الكيد ، ﴿**وَكَذَلِكَ**﴾، كما اجتباك هذه الرؤيا العظيمة ، ﴿**يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ**﴾: يصطفيك ، ﴿**وَيُعَلِّمُكَ**﴾ كلام برأسه غير داخل في التشبيه ، ﴿**مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾ تعبير الرؤيا ، وقيل : تأويل آيات كتب الله – تعالى، ﴿**وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ**﴾: بالنبوة ، ﴿**وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ**﴾ أراد سائر أولاده ، ﴿**كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ**﴾: من قبل هذا الوقت ، ﴿**إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ**﴾ عطف بيان لأبويك ، ﴿**إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ**﴾: بمن يستحق النبوة ، ﴿**حَكِيمٌ**﴾: في أفعاله.

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن

---

(١) وكان النجوم في التأويل إخوته وكانوا أحد عشر رجلاً يستضاء هم كما يستضاء بالنجوم ، والشمس أبوه والقمر أمه قاله قتادة . وقال السدى : القمر خالته لأن أمه راحيل كانت قد ماتت/ ١٢ معالم .

(٢) فلا يكون فى رأيت تكرار / ١٢.

تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾: في قصتهم ، ﴿آيَاتٌ﴾: عظة وعبرة ، ﴿لِّلسَّائِلِينَ[١]﴾: عنها المستخبرين ، فإنه خبر عجيب يستحق الإخبار عنه ، وقيل : اليهود سألوه ومن آياته وضوح دلالته على صدق محمد ــ عليه السلام ــ فإنه موافق لما في التوراة ، ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ﴾ اللام للابتداء ، ﴿وَأَخُوهُ﴾ أي : من الأبوين ، ﴿أَحَبُّ﴾ يستوي في أفعل ، من الواحد والجمع ، ﴿إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَ نَحْنُ﴾ الواو للحال ، ﴿عُصْبَةٌ﴾ جماعة أقوياء ، أليق بالمحبة ، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لتفضيل المفضول أي : ضلال دنيوي، ولا يجب عصمة الأنبياء عن ذلك[٢] الضلال ،

---

(١) روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين : سلوا محمدًا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف فترلت السورة /١٢ منه.

(٢) فلا يكون ذلك الإطلاق كفرًا منهم ، نعم يكون سوء أدب وقول حرام / ١٢ منه .

ولا شك أن إخوته ليسوا في ذلك[1] الحين أنبياء ، قال بعضهم : لم يقم دليل على أنهم صاروا أنبياء ، ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ من جملة المحكي ، ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ بعيدة منكورة ، وهو معنى تنكيرها ، ولإبهامها نصبت نصب الظروف المبهمة ، ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ جواب الأمر ، يخلص لكم وجهه عن إقباله بيوسف ، فيقبل بكليته عليكم ، ﴿وَتَكُونُوا﴾ عطف على يخل ، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد يوسف ، ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾: تائبين أو يصلح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم ، ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا ، أو روبيل ، أو شمعون، ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾: في قعر[2] البئر قيل : هو بئر بيت المقدس، ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: يأخذه ، ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: المسافرين ، ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ : عازمين على أن تفعلوا به شيئًا ، كأنه لم يرض بإضراره ، ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ أي: لم تخافنا عليه، ونحن مشفقون عليه مريدون له الخير ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾: إلى الصحراء ، ﴿يَرْتَعْ﴾ الرتع الاتساع في الملاذ، ﴿وَيَلْعَبْ﴾: بالاستباق[3] ، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: من أن يناله ضر ، ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾: لشدة مفارقته على ، ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ فإن أرضهم كانت مذأبة ، ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾: مشتغلون بلعبكم ، ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ اللام موطئة للقسم ، ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة أقوياء والواو للحال ، ﴿إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾: ضعفاء عاجزون وهو جواب القسم ، ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾: اتفقوا ، ﴿أَن يَجْعَلُوهُ

---

(١) فلا يجب عصمتهم ولا يشكل بقصدهم إهلاك أخيهم / ١٢ منه .

(٢) قيل: بئر على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب أو بئر بين مصر ومدين أو بأرض أردن/ ١٢ منه.

(٣) بدليل قوله: "ذهبنا نستبق" / ١٢ منه .

﴿فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ وجواب لما محذوف ، أي : فعلوا به ما فعلوا ، ﴿وَأَوْحَيْنَا[1] إِلَيْهِ[2] لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾، لتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا ، ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾: بوحي الله وإعلامه إياه ذلك ، أو هم لا يعرفونك حين تخبرهم ، كما قال تعالى : " فعرفهم وهم له منكرون " ، ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾، العشاء: آخر النهار، ويبكون حال ، ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نتسابق في الرمي أو العدو ، ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾: بمصدق، ﴿لَّنَا﴾: في هذه القصة ، ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾: عندك في القضايا لسوء ظنك بنا، ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾، وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب، وعلى قميصه حال من دم ، وجاز تقدمه على صاحبه ، لأنه ظرف ، أو محله النصب على الظرف، أي : فوق قميصه ، كما تقول : جاء على جماله بأحمال ، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾:

---

(١) أى إلى يوسف تبشيرًا له وتأنيسًا لوحشته مع كونه صغيرًا احتمع على إنزال الضرر به عشرة رجال من إخوته بقلوب غليظة قد نزعت عنها الرحمة وسلبت منها الرأفة فإن الطبع البشرى ــ دع عنك الدين ــ يتجاوز عن ذنب الصغير ويغتفره لضعفه عن الدفع وعجزه عن أيسر شيء يراد منه ، فكيف بصغير لا ذنب له ، بل كيف بصغير هو أخ له ولهم أب مثل يعقوب ، فلقد أبعد من قال إنهم كانوا أنبياء فى ذلك الوقت فما هكذا عمل الأنبياء ولا فعل الصالحين ، وفى هذا دليل على أنه يجوز أن يوحي الله إلى من كان صغيرًا ويعطيه النبوة حينئذ كما وقع فى عيسى ويحيى بن زكريا ، وقيل : معنى الوحي هنا الإلهام كقوله تعالى " وأوحى ربك الى النحل " (النحل:٦٨)، " وأوحينا الى أم موسى " (القصص:٧)، والأول أولى وقد قيل: إنه كان فى ذلك الوقت قد بلغ مبلغ الرجال وهو بعيد جدًّا فإن من كان قد بلغ مبالغهم لا يخاف عليه أن يأكله الذئب /١٢ فتوح .

(٢) لوحشته فى الجب وشدة فيه/ ١٢ وجيز .

سهلت، ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً ﴾: عظيمًا ، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾: أجمل، أو فـــأمري[١] صبر جميل، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾، أي : على احتمال ما تصفون مـــن هلاك يوسف ، وقد نقل أهم ذبحوا سخلة ولطخوا ثوبه بدمها فلما[٢] جاءوا بثوبـــه، قال يعقوب: ما رأيت كاليوم ذئبًا أحلم من هذا ، أكل ابني ، و لم يمزق عليه قميصه[٣]، ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾: مسافرون ، ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾، وهو الذى يطلب لهم المـاء ، ﴿فَأَدْلَى ﴾: أرسل ، ﴿دَلْوَهُ ﴾، في الجب فتدلى بها يوســـف فلمـــا رآه، ﴿قَـــالَ يَـــا بُشْرَى﴾: نادى البشرى :كأنه يقول : تعالى فهذا من أونتك ، قال بعضهم: بشـــرى اسم صاحب له ناداه[٤]، ﴿هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ ﴾: أخفى الواردون أمره مـــن بقيـــة السيارة ، ﴿بِضَاعَةً﴾ ، حال ، أي متاعًا للتجارة ، قالوا : هو بضاعة لنا من أهل هـــذا الماء ، أو ضمير الجمع لإخوة[٥] يوسف أى كتموا أنه أخوهم، وباعوه، فإنهم يســـتخبرون كل يوم منه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾: بيوسف ، ﴿وَشَرَوْهُ ﴾: باعه الـــواردون أو إخوته ، ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: زيف[٦] أو قليل ، ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾: قليلة، بدل من الثمـن ، والدراهم عشرون أو اثنان وعشرون أو أربعون ، ﴿وَكَانُوا ﴾، أي : إخوتـــه ، ﴿فِـيهِ ﴾:

---

(١) يعنى فصبر جميل إما مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف / ١٢

(٢) فأخذ يعقوب بثوبه ولطخ به وجهه وبكى ثم تأمل وقال: ما رأيت إلخ / ١٢ وجيز .

(٣) ثم قال: "بل سولت" / إلخ ١٢.

(٤) قيل تعلقه بالحبل وإخراجه من الجب دال على صغر سنه ، وغلام يرجح هذا المعـــنى ، لأنه ابن سبعة عشر / ١٢ ..

(٥) قاله ابن عباس قيل: إن يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام ، فأتاه يومئذ فلم يجده فيـــها فأخبر إخوته فجاءوا إلى السيارة ووجدوه عندهم فقالوا: هذا عبدنا أبق منا فاشـــتروه وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه / ١٢ منه .

(٦) ناقص العيار/ ١٢ .

في يوسف ، ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ : من الراغبين عنه أو كان الـــواردون زاهديـــن في يوسف فهم الذين باعوا بثمن بخس ، لأنه ملتقط وهم خائفون من انتزاعه فاســتعجلوا في بيعه فيكونوا راغبين عنه وفيه متعلق بمحذوف يبينه من الزاهدين ، لأن ما بعد الجـار والموصول لا يعمل فيما[1] قبله .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

(١) وجوز صاحب البحر تعليقه بالزاهدين وقال: في الظرف اتساع/ ١٢ وجيز .

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو العزيز[1] الذى كان على خزائن مصر ، ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾: راعيل أو زليخا ، ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾: منزله ، أي : أحسني تعهده ، ﴿عَسَى أَن يَنفَعَنَا﴾: يكفينا أمورنا أو نبيعه بالربح ، ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وكان عقيمًا ، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ أي : مكناه في مصر ، وجعلناه ملكًا ، مثل ما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز ، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ﴾، عطف على مقدر أى: مكنا لمصالح ولنعلمه ، ﴿مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا وقيل: معانى كتب الله تعالى ، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾: يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء قيل : الضمير ليوسف أى أراد إخوته شيئًا والله أراد شيئًا آخر ولا راد لما أراد ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: إن الأمر كله بيده، والمراد منه الكفار أو لا يعلمون لطائف تدبيره ، فالمراد منه أعم ، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: استكمل خلقه وتم كان سنه حينئذ ثلاثة وثلاثين أو بضعًا وثلاثين أو عشرين أو أربعين أو هو الحلم وقيل غير ذلك ، ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: نبوة وفقهًا في الدين ، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: فإنه محسن في عمله صابر على النوائب ، ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: طلبت[2] منه أن يواقعها ، ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ وكانت سبعة ، ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: أقبل وبادر اسم فعل واللام للتبيين كما في سقيالك ، ﴿قَالَ﴾: يوسف ، ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾:

---

(١) والملك غيره / ١٢ .

(٢) من راد يرود إذا جاء وذهب والمراودة منازعة فى الرود بأن يكون له مقصدًا مجيئًا وذهابًا ومعنى المفاعلة هاهنا إما المبالغة فى رودها أو الدلالة على اختلافهما فيه وكنى ، بمن المخادعة لأجل النكاح ولأجل ذالك عداه بعن كأنه قال: وخادعته عن نفسه و لم يصرح باسمها سترًا على الحرم والعرب يضيف البيوت للنساء فيقال: ربة البيت، وصاحبة البيت / ١٢ وجيز .

أعوذ بالله معاذًا ﴿إِنَّهُ﴾، أي : الشأن ، ﴿رَبِّي﴾: سيدي الذي اشتراني ، ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: أكرمني فلا أخونه وقيل إن الله ربي أحسن مترلتي فلا أعصيه ، ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾: المجازون الحسن بالسيئ أو لا يسعد الزناة ، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ[1] بِهِ﴾: قصدت مخالطته ، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: قصد مخالطتها لميل الطبع والشهوة الغير الاختيارى ، ﴿لَوْلاَ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ جوابه[2] محذوف أى لخالطها وما ذكره أكثر السلف هو أن رأى صورة أبيه عاضًّا على أصبعه[3] يعظه ، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل

---

(١) نقل محيي السنة عن بعض أهل الحقائق أن الهم همان هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى مثل هم امرأة العزيز فالعبد مأخوذ به ، وهم غير ثابت وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير مأخوذ به / ١٢ منه /.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل:" إذا تحدث عبدى بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها سيئة / ١٢ معالم .[أخرجه البخاري في "الرقاق" (٦٤٩١)، ومسلم في "الإيمان"، (١/٣٣٥)]

(٢) قال صاحب البحر ونعم ما قال: أن جواب لولا هو هو عين المقدم أو دل عليه المقدم وليس فى كلام العرب ولا فى قواعد النحو ما بينا فى ذلك نحو فارقت لولا أن عصمك الله معناه لولا العصمة لفارقت فتقديره هنا لولا أن رأى برهان ربه لهم لكن ما هم لرؤية برهان ربه فمن يجوز تقديم الجواب فقوله هم بها نفس الجواب ومن لم يجوز فمحذوف دال عليه المقدم نحو "إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها" (القصص:١٠)، هذا هو الكلام ولم يصح من أقوال السلف شيء دال على همه عليه السلام/ ١٢ وجيز .

(٣) قال في الفتح بعد ما ذكر الاختلاف: والحاصل أنه رأى شيئًا حال بينه وبين ماهم به والله أعلم بما هو وقد أطال المفسرون فى تعيين البرهان الذى رآه بلا دليل يدل عليه من السنة المطهرة / ١٢ .[لم يثبت في ذلك شيء يشتغل به]

ذلك التثبيت ثبتناه ، ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾: خيانة صاحبه ، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: الزنا، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ، من الذين اخلصهم الله تعالى لعبادته ، ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ فيه تضمير الابتدار ولذلك عدى بنفسه أو تسابقا إليه بحذف إلى ، ﴿وَقَدَّتْ﴾ : شقت ، ﴿قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾: من خلف ، وذلك لأنه فر منها وأسرعت وراءه واجتذبت ثوبه لتمنعه الخروج فانقد ، ﴿وَأَلْفَيَا﴾: صادفا ، ﴿سَيِّدَهَا﴾: زوجها ، ﴿لَدَا الْبَابِ﴾ فأحضرت كيدها وتبرأت ساحتها ونسبت إليه ، ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ليس جزاؤه إلا السجن أو أى شيء جزاؤه[1] إلا السجن ، ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ الشاهد كان صبيًّا في المهد أو رجلًا من أقارب زليخا أو من خاصة الملك ، ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ﴾ أي: فقال الشاهد: إن كان قميصه وسماه شاهد ، لأنه ثبت قول يوسف بكلامه قال بعضهم : شهد شاهد أى : حكم[2] حاكم فقال : إن كان إلخ ، ﴿قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾: فإنه إذا كان تابعها وهى دافعة عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع ، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فإنه دال على أنها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه إليها والجمع بين إن التي للاستقبال وكان على تأويل أن يعلم أنه كان قميصه ، ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ﴾: لما عرف خيانة امرأته ، ﴿إِنَّهُ﴾: إن هذا الصنيع ، ﴿مِن

---

(١) يعنى "ما" فى ما جزاؤه جاز أن يكون نافية وجاز أن يكون استفهامية / ١٢ .

(٢) هذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية العوفى عن ابن عباس وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم "أن شاهد يوسف طفل تكلم" / ١٢ منه .[أخرجه الحاكم (٢/٤٩٦)، وضعفه الشيخ الألباني كما في الضعيفة (٢/٢٧٢)]

﴿كَيْدِكُنَّ﴾ والخطاب لها ولسائر النساء ، ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ[1] يُوسُفُ﴾ أي : يا يوسف ، ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: اكتمه ولا تذكره ، ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الخَاطِئِينَ﴾: من القوم المتعمدين للذنب والتذكير للتغليب قيل: إنه كان قليل[2] الغيرة .

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

---

(١) وحيل النساء قد اشتهرت قال تعالى: " ومن شر النفاثات في العقَد" (الفلق:٤)/ ١٢ وجيز .

(٢) ولا شك أنه كان قليل الغيرة قال صاحب البحر تربة المصر اقتضت هذا ولذلك لا ينشأ فيها الأسد ولو أتى به إليها لأسرع له الموت وليس ببعيد أن يقال : إن قوله : إن كيدكن بصيغة الجمع براعة الاستهلال عذرها كأنه قال : مثل تلك الشنيعة ليست بأول قارورة كسرت منك فإنها عادة جميع النساء/ ١٢ وجيز .

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾، اسم مفرد لجمع[1] المرأة وتأنيثه غير حقيقى ، ﴿فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: تطلب من عبدها الفاحشة ، ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ، أي : خرق[*] حبه شغاف أي : حجاب قلبها ، فوصل إلى الفؤاد ، وحبًّا تمييز ، وفاعل شغف ضمير الفتى ، ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾، تسميته مكرًا لما علمت أهن أردن هذا القول أن تريهن يوسف أو لأهن أفشين[2] سرها ، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعتهن ، ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً[3]﴾ : ما يُتَّكَأُ عليه قال أكثر السلف المتكأ المجلس المعد فيه مفارش ومخاد[4] وطعام فيه ما يقطع بالسكين ، ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: لقطع ما في المائدة مما يحتاج إليه ، ﴿وَقَالَتِ﴾: حين أخذن السكاكين: ﴿اخْرُجْ﴾: يا يوسف ، ﴿عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ عظمنه وهبن ذلك الحسن وقيل: أكبرنه أى : حضن له من شدة الشبق فإن المرأة إذا أكبرت حاضت أو الهاء للسكت ، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: جرحنها من فرط الحيرة ، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: أصله حاشا فحذفت الألف تخفيفًا وهى من حروف الجر وضعت موضع التتريه والبراءة كأنه قال : براءة ثم قال : لله؛ لبيان من يبرئ ويتره كسقيا لك والمعنى تتريها لله من العجز وتعجبًا من قدرته على هذا الخلق الجميل ، ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾: فإنه لم يعهد للبشر مثل ذلك الجمال

---

(١) كلمة اسم لجماعة النساء أيضًا ولهذا لم يقل وقالت / ١٢ منه .

(*) في الأصل (خزف) ص٣٣٢.

(٢) يعني هي استكتمتهن فأفشينه عليها / ١٢ .

(٣) يقال اتكأونا عنده : أى طعمنا وعن مجاهد متكأ طعاما يجز جزًّا كأن المعنى يعتمد بالسكين لقطعه/١٢ .

(٤) جمع مخدة بالكسر / ١٢ .

وأعمل ما عمل ليس لمشاركتهما في نفى الحال وهو لغة الحجاز ، ﴿إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ فإن[1] جماله فوق جمال البشر ، ﴿قَالَتْ فَذٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ وضع ذلك موضع هذا رفعًا لمترلته واستبعاداً لمحله في الحسن ، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾: بالغ في عصمته اعترفت عندهن لما علمت أهن يعذرها ، ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ﴾ بحذف حرف الجر أي : ما أمر به ، ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾: من الأذلاء والنون الخفيفة يكتب في خط المصحف ألفًا على حكم الوقف ، ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾: من المعصية أصناف الدعوة إليهن لأهن تنصحن له مطاوعتها ، ﴿وَإِلاَّ ﴾ أى : وإن لم ، ﴿تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ : أمل ، ﴿إِلَيْهِنَّ﴾ بإجابة كلامهن، وقيل: إهن جميعًا دعونه إلى أنفسهن ، ﴿وَأَكُن مِّنَ الجَاهِلِينَ[2] ﴾ : من السفهاء الذين يعملون القبائح ، ﴿فَاسْتَجَابَ﴾: أجاب ، ﴿لَهُ رَبُّهُ﴾ : دعاءه ، ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: بأن عصمه الله حتى اختار السجن ، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾: لدعوات الملتجئين إليه ، ﴿العَلِيمُ ﴾: بأحوالهم ، ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾: ظهر للعزيز وأصحابه ، ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ [3] ﴾: على براءة يوسف من قدِّ القميص وكلام الطفل

---

(١) أخرج أحمد وغيره عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "أعُطى يوسف وأمه شطر الحسن" وقد وردت روايات عن جماعة من السلف فى وصف حسن يوسف والمبالغة فى ذلك / ١٢ فتح .[أخرجه أحمد (٢٨٦/٣)، والحاكم (٥٧٠/٢) وغيرهما وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي، ولفظ مسلم (٣٩٠/١) كما في حديث الإسراء: "فإذا أن بيوسف صلى الله عليه وسلم إذا هو قد أعطى شطر الحسن".]

(٢) لأن من لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سواء / ١٢ .

(٣) نقل عن ابن عباس أنها قالت لزوجها : هذا الغلام العبرانى قد فضحنى وهو يحكى عند الخلق الحكاية ، وأنا محبوسة [في الأصل: (محبوس)] فى بيتك محجوبة عن الخلق لا أقدر =

وغيرهما وفاعل بدا ضمير يفسره قوله ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ أي: إلى مدة يرون فيه رأيهم فإن المرأة خدعت لزوجها وحملت على سجنه ليظهر للناس أنه راودها عن نفسها .

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا

= أروح إليهم وأعتذر وأكذبه فإما أذنت لي أخرج وأعتذر أو احبسه كما أني محبوسة فحينئذ بدا لهم سجنه وأمر به فحمل على حمار وضرب أمامه بالطبل ونودي عليه في الأسواق إن هذا الغلام العبراني يريد خيانة سيده فجزاؤه أن يسجن قال أبو صالح : ما ذكر ابن عباس هذا الحديث إلا بكى ١٢/ وجيز.

ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾: أحدهما ساقى الملك والآخر خبازه اتهما بأنهما يريدان إهلاك الملك بالسم ، ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ أى: الشرابى ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾: في المنام ﴿أَعْصِرُ خَمْراً﴾ أي : عنبًا سماه باسم ما يئول إليه ﴿وَقَالَ الآخَرُ﴾ أي : الخباز ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾ : أخبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ : بتعبير ما قصصنا قال بعضهم : إنهما اخترعا تلك الرؤيا لاختبار يوسف ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ : في أعمالك وأقوالك أو من الذين يحسنون تعبير الرؤيا ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ : في نومكما ﴿إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا[1]﴾ التعبير في اليقظة أو معناه لا يأتيكما طعام من بيتكما تطعمانه وتأكلانه إلا نبأتكما بقدره ولونه ووقته قبل وصوله إليكم وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: "وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم" (آل عمران:٤٩) ﴿ذَلِكُمَا﴾ : العلم ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾: لا من التكهن والتنجيم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ[2]﴾ كأنه قال علمنى لأنى تركت ﴿مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم

---

(١) وصف نفسه بمزيد تعبير الرؤيا مما هو فوق علم العلماء فقالا: من أين لك هذا وأنت لست بكاهن ولا منجم؟! فقال : " ذلكما " الآية، وما قال ذلك إلا لأن يشرب فى قلوبهم الإيمان ويبغض لهما الشرك وفى الحديث:"لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير، لك من حمر النعم" / ١٢ وجيز .[أخرجه البخاري في "الجهاد"، (٣٠٠٩)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل"، (٢٧١/٥) ط الشعب]

(٢) عبر بتركت مع أنه لم يثبت قط بتلك الملة إجراء للترك مجري التجنب من أول أمره استجلابًا لهما لأن يتركا وقوم لا يؤمنون هم أهل مصر / ١٢ وجيز .

بالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ لتأكيد كفرهم كرر الضمير ﴿وَاتَّبَعْتُ[١] مِلَّــــةَ آبَــائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾ : ما صح وما استقام ، ﴿لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أيُّ شيء[٢] كان ﴿ذَلِكَ﴾ : التوحيد ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَــا وَعَلَــى النَّاسِ﴾ : على الرسل والمرسل إليهم فإهم أرشدوهم إلى فضــــل الله ونبــهوهم عليه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ ذلك الفضل، بل يعرضون عنــــه ﴿يَــا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ : ياساكنيه[٣] دعاهما إلى الإسلام فقال: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ : آلهة شتى واحد من فضة وواحد من ذهب وواحد من حديد وواحد من حجـــــر ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ[٤] القَهَّارُ ﴾ : الذى ذل كل شيء لعز جلاله ﴿مَا تَعْبُــدُونَ مِن دُونِهِ﴾: من دون الله خطاب لهما ولمن على دينهما ﴿إِلاَّ أَسْمَاءً سَــــمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ إلا أسماء خالية عن المعنى لا مسميات تحتها فإهم سمــــوا مــا لا يستحق الإلهية آلهة ثم يعبدونها ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ : بتسميتها ، ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ : حجة ﴿إِنِ الحُكْمُ﴾ : الأمر والنهي ﴿إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ﴾ : على لسان أنبيائه ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾ : المستقيم الذى لا عوج فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْــثَرَ النَّــاسِ

---

(١) لما ذكر رفض الشرك وعرفهما بالمعجزة نبوته أثبت لهما أنه من بيت النبــــوة ليتقــوى رغبتهما فى الاستماع إليه / ١٢ وجيز .

(٢) من ملك وإنس وجن / ١٢ وجيز .

(٣) نحو أصحاب الجنة أو معناه يا صاحبيَّ فيه فإضافتهما إليه على الاتساع نحو:" يا ســارق الليلة" / ١٢ منه .

(٤) أبرز بطلان ما هما عليه من الشرك فى صورة الاستفهام حتى لا ينفر طبعهما من المفاجأة بدليل البطلان وجاء بصفة القهار؛ لأن يخافوا من سطوته ومن لا يكــون لــه الغلبــة والقدرة لا يستحق الألوهية/ ١٢ وجيز .

﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ : فيهلكون في جهالتهم ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ[(١)] أَمَّا أَحَدُكُما﴾ أى: الشرابى ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾ : يعـــود منصبـــه إليـــه ﴿وَأَمَّـــا الآخَـــرُ﴾ أى: الخباز ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ قال بعضهم : لما عبر رؤياهمـــا قـــالا: ما رأينا شيئًا فقال : ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ : هـــــذا مـــا يئـــول إليه أمركما وهو لا محالة واقع صدقتم أو كذبتم وفى الحديـــــث "الرؤيـــا علـــى رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت(*)" وأيضًـــــا "الرؤيـــا لأول عـــابر(**)" ﴿وَقَالَ﴾ : يوسف ﴿لِلَّذِي ظَنَّ﴾ : علم يوســـــف ﴿أَنَّـــهُ نَـــاجٍ مِّنْـــهُمَا﴾ : أو الظان الشرابى ﴿اذْكُرْنِي﴾ : أذكر حالى ﴿عِنــــدَ رَبِّـــكَ﴾ أي : الملـــك كـــى يخلصنى[(٢)] ، ﴿فَأَنسَاهُ﴾ أي : الشرابى ، ﴿الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ أي : ذكره لربـــه أو معناه أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه فاستعان بغير[(٣)] الله تعالى ، ﴿فَلَبِثَ فِـــي

---

(١) لما ألقى إليهما(*) ما كان أهم من أمر الدين ناداهما ثانيًا لتجتمع أنفســـهما لســـماع الجواب/ ١٢ وجيز .

(*) في الأصل: إليها.

(*) صحيح أخرجه أبو داود وابن ماجه عن أبي رزين مرفوعا، وانظـــر صحيـــح الجـــامع (٣٥٣٥)، والسلسلة الصحيحة .

(**) ضعيف أخرجه ابن ماجه (٣٩١٥)، من حديث أنس مرفوعا، وانظر ضعيـــف ابـــن ماجه .

(٢) من جور امرأة العزيز / ١٢ وجيز .

(٣) قاله ابن عباس وعليه الأكثرون / ١٢ .[وهو قول ضعيف، والصواب كما قال ابن كثير (٢/٤٨٠) أن الضمير في قوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ عائد على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد.]

السِّجْنِ بِضْعَ[1] سِنِينَ ﴾ هو ما بين الثلاث إلى التسع وأكثرهم على أنه سبع سنين[2] .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ

---

(١) وعن أنس قال : أوحى إلى يوسف من استنقذك من القتل حين هَمَّ إخوتك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا رب ، قال : فمن استنقذك من الجب إذ ألقوك فيه؟ قال : أنت يا رب ، قال : فمن استنقذك من المرأة إذ همت بك ، قال أنت يا رب قال : فمالك نسيتني وذكرت آدميًا قال: جزعًا وكلمة تكلم بها لساني ، قال : فوعزتي لأخلدنك في السجن بضع سنين، فلبث فيه سبع سنين أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ / ١٢ فتح .[الأثر لا يصح، قال د/ أبو شهبة رحمه الله معلقا على هذا الأثر وأضرابه: أغلب الظن عندي أن هذا من الإسرائيليات، فقد صورت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل الكلمة التي قالها، مع أنه –عليه السلام– لم يقل هجرا ولا منكرا، فالأخذ في أسباب النجاة العادية، وفي إظهار البراءة والحق، لا ينافي قط التوكل على الله والبلاء للأنبياء ليس عقوبة وإنما هو رفع لدرجاتهم، وليكونوا أسوة وقدوة لغيرهم في باب البلاء" الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة (ص٢٣٠).]

(٢) منذ سجن إلى أن خرج / ١٢ وجيز .

تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿**وَقَالَ المَلِكُ**[١]﴾ : بعد مضى سبع سنين ، ﴿**إِنِّي أَرَى**[٢] **سَبْعَ بَقَرَاتٍ**[٣] **سِمَانٍ**﴾: وسبع بقرات مهازيل ، ﴿**يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ**[٤] **عِجَافٌ**﴾: ابتلعت المهازيل السمان والعجف نهاية الهزال ، ﴿**وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ**﴾ قد انعقد حبها ، ﴿**وَأُخَرَ**﴾ أى : وسبعًا أخر ، ﴿**يَابِسَاتٍ**﴾ : قد استحصدت والتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن[٥] عليها ، ﴿ **يَا أَيُّهَا المَلأُ**﴾ أى: الأشراف من العلماء والحكماء ، ﴿**أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ**﴾ : عبروها ، ﴿**إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ** ﴾ : عالمين بتعبيرها واللام لتقوية العامل فإن معموله مقدم عليه فضعف عمله فقوى باللام أو لتضمين تعبرون معنى تنتدبون[٦] ، ﴿**قَالُوا**﴾ : هذه ، ﴿**أَضْغَاثُ أَحْلامٍ**﴾: أضغاث الأحلام تخاليطها وأباطيلها والأحلام جمع حلم وهو الرؤيا لتضمنه أشياء

---

(١) الأعظم / ١٢ .

(٢) فى أرى جاء بالمضارع لحكاية الحال / ١٢ وجيز .

(٣) خرجن من نهر يابس / ١٢ وجيز .

(٤) وقياس جمع العجفاء عجف لكنه حمل على سمان الذى هو نقيضه وقال: عجاف ومن دأبهم حمل النقيض على النقيض كحمل النظير على النظير / ١٢ وجيز .

(٥) قد استغنى عن بيان حالها بما نص من حال البقرات / ١٢ .

(٦) ندب فانتدب أى: دعاه فأجاب كأنه قيل : إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها / ١٢ منه .

مختلفة جمعوا وإن لم يكن إلا حلم واحد أو للمبالغة[1] في وصف الحلم بالبطلان، **﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ﴾** أي: ذلك الأحلام التى هى الأضغاث ، **﴿بِعَالِمِينَ ﴾** أو المراد أهم اعترفوا بالعجز وقالوا لسنا في علم التعبير بنحارير، **﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾**: من صاحبى السجن ، **﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾**: تذكر يوسف بعد جماعة كثيرة من الزمان يعنى مدة طويلة **﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾**: إلى من عنده علمه فأرسل إليه فجاء وقال: **﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾**: الكثير الصدق ، **﴿أَفْتِنَا فِي﴾**: رؤيا ، **﴿سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾**: إلى الملك وأهله ، **﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾**: تأويلها أو فضلك ولما جرب كمال علمه كلمه كلام محترز وبناه على الرجاء لا على اليقين فربما اخترم[2] دون الرجوع وربما لم يعلموا ، **﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً[3]﴾**: على عادتكم حال ، **﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾**: لئلا يفسد ويحفظ من السوس، **﴿إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾**: في تلك السنين ، **﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾**: السبيع ، **﴿سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ﴾**: أصناف الأكل إلى السنين وهو لأهلهن على المجاز ، **﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾**: ما ادخرتم لأجلهن ، **﴿إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾** تحرزون للبذر والظاهر أن قوله: "تزرعون" على أصله بدليل قوله: "ثم يأتي" لا أنه[4] خبر بمعنى الأمر

---

(١) كما يقال: فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز وليس له إلا فرس واحد وعمامة فردة تزيدًا فى الوصف / ١٢ وجيز .

(٢) أى: ربما قطعه قاطع عند الرجوع فلا يرجع / ١٢ منه .

(٣) أى: دائبين مستمرين على عادتكم / ١٢ .

(٤) رد على الزمخشرى ومن تبعه فإنه قال : تزرعون خبر بمعنى الأمر بدليل قوله: "حصدتم" إلخ ، وأيضًا إذا كان أمرًا فأين تعبير الرؤيا فإن تعبير الرؤيا لا يكون إلا الإخبار فتضمن هذا الكلام من يوسف ثلاثة أنواع من القول أحدها: تعبير بالمعنى، الثانى: عرض رأي

=

وقوله: "فما حصدتم" اعتراض لاهتمامه عليه الصلاة والسلام بشأنهم يأمرهم بما فيه صلاحهم في أثناء التأويل ، **﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾** من الغيث أى : يمطرون ، **﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾** : العنب والزيتون وما يعصر قال بعضهم : ويدخل فيه حلب اللبن أيضًا، أوّل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بمجدبة وأكل العجاف السمان بأكل ما جمع في المخصبة في المجدبة ثم بشرهم بما يكون بعد المجدبة بإلهام الله تعالى إياه لا من تأويل رؤياه .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

= ونصح وهو قوله: "فما حصدتم فذروه فى سنبله"، والثالث: الإعلام بالغيب فى العام الثامن وهو قوله: "ثم يأتي" / ١٢ وجيز.

﴿وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾: بعد مراجعة الرسول ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ليخرجه ، ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾: إلى الملك ، ﴿فَاسْأَلْهُ[1] مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أراد أن يعلم الملك براءة ساحته ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبًا واحترامًا وهن يعلمن أيضًا براءته بإقرارها عندهن وفى الحديث[2] ''لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى'' وفيه[3] أيضًا ''لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه ــ والله يغفر[4] له حين سئل عن تعبير الرؤيا ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى أشترط أن يخرجونى'' ، ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: حين قلن: أطع مولاتك، فيه الاستشهاد بعلم الله تعالى على براءته أو الوعيد لهن على كيدهن أو تعظيم كيدهن ، ﴿قَالَ﴾: الملك لهن، ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾: ما شأنكن، ﴿إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾: هل وجدتن منه سوءً خاطبهن والمراد الأصلى امرأة العزيز ، ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تعجبًا من عفته ونزاهته ، ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ

---

(١) لم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن لأن السؤال عن أحد يهيجه ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد تهييج الملك فى التفتيش والتبيين عن حقيقة القصة، وأيضًا هذه العبارة أقرب من الأدب / ١٢ منه .

(٢) المخرج للبخارى ومسلم والترمذي / ١٢ منه .[أخرجه البخاري في "الأنبياء"، (٣٣٨٧)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل"، (٥/٢١٨) ط الشعب]

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده والترمذى / ١٢ .[هذا لفظ عبد الرزاق في مصنفه أخرجه عن عكرمة مرفوعا، كذا مرسلا كما في تفسير ابن كثير (٢/٤٨٢)، وذكره الهيثمي في "المجمع"، (٧/٤٠) وعزاه إلى الطبراني وقال: "فيه إبراهيم بن يزيد القرشي وهو متروك"، ولفظ أحمد مغاير تماما]

(٤) مثل هذه المقدمة مشعرة بتعظيم المخاطبة وتوقيره وتوفر حرمته كما تقول عفى الله عنك ما فعلت فى أمرى ورضى الله عنك ما جوابك عن كلامى / ١٢ .

﴿قَالَتِ امْرَأَةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ﴾: ثبت واستقر ، **﴿الحَقُّ﴾** قيل : أقبلن كلهن عليها فقررنها ، **﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾**[١] **﴿ذَلِكَ﴾**: الذى فعلت من رد الرسول ، **﴿لِيَعْلَمَ﴾**: العزيز ، **﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾**: بظهر الغيب حال من الفاعل أى: وأنا غائب أو من المفعول أو ظرف أى : بمكان الغيب ، **﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي﴾**: لا ينفذ ولا يسدد ، **﴿كَيْدَ الخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾** عن السلف أنه لما قال : ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل: ولا حين هممت[٢] فقال ذلك ، **﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾**: بطبعها ، **﴿لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾** إلا وقت رحمة ربى أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه ، **﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** قال بعضهم: قوله: "ذلك ليعلم" إلخ من كلام امرأة العزيز أى : اعترفت بما هو الواقع ليعلم زوجى أنى لم أخنه وما صدر منى المحذور الأكبر وإنما راودته مراودة فامتنع ولست أبرئ نفسى فإن النفس تتمنى وتشتهى ولذلك راودته: لأنها أمارة بالسوء إلا نفس من عصمه الله تعالى إنه غفور حليم وعند بعض المفسرين إن هذا القول أليق[٣] وأقرب ، **﴿وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾**:

---

(١) فيما نسب إلى / ١٢ .

(٢) أراد أن الأليق بشأن النبوة الاجتناب عن الهم وإن كان غير محظور فأجاب "وما أبرئ" / ١٢ وجيز من مصنف جامع البيان .

(٣) لأن الظاهر أن قوله: " ذلك ليعلم " من كلام امرأة العزيز داخل تحت قالت تعنى اعترفت بالحق، ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى غيبته و لم أرمه بالبهتان الذى رميته به خوفًا وحياء من بعلى ثم اعتذرت عما وقعت فيه من الميل والشهوة بقولها: " وما أبرئ نفسى " فإن النفس تتمنى وتشتهى ولذلك راودته لأنها أمارة بالسوء إلا نفس من عصمه الله إنه غفور للمذنب رحيم ومن ذهب إلى أن قوله: "ذلك ليعلم" من كلام يوسف يحتاج =

بيوسف ، ﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾: أجعله خالصًا ، ﴿لِنَفْسِي فَلَمَّا﴾: أتوا به ، ﴿كَلَّمَهُ﴾ وشاهد منه الكمال ، ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو منزلة ، ﴿أَمِينٌ ﴾ ، مؤتمن على الأشياء صادق ، ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾: ولني أمر خزائن[١] أرض مصر ، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾: لها، ﴿عَلِيمٌ ﴾ بوجوه التصرف فيها وقيل: حفيظ عليم كاتب حاسب أو عليم بسنين الجدب وسأل العمل لما في ذلك من مصالح الناس ليتصرف لفهم في القحط على الوجه الأحوط قيل:[٢] إن العزيز توفى أو عزل فجعل الملك يوسف مكانه فزوجه امرأته زليخا فوجدها عذراء وولد له منها ابنان ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾: أرض مصر ، ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا﴾: ينزل ، ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾: بعد الضيق والحبس أو يتصرف فيها كيف يشاء ، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾، فما أعد الله ليوسف في الآخرة أعظم وأجل مما[٣] خوله في الدنيا .

= إلى تكلف ربط بينه وبين ما قبله ولا قرينة على أنه من كلام يوسف إذ لم يكن يوسف حاضرًا وقت سؤال الملك وإقرار امرأة العزيز / ١٢ وجيز .

(١) قال مجاهد : أسلم الملك على يده، أو نقول التولى من يد الكافر جائز إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا باستظهاره / ١٢ وجيز .

(٢) نقله محيي السنة / ١٢ .

(٣) لما روى أن الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه وأجلسه على سرير مكلل بالدر والياقوت ودانت له الملوك وهو بنفسه يطيعه وأقام العدل وأحبه الرجال والنساء وباع الطعام لأهل مصر في السنة الأولى من القحط بالنقد ثم بالحلي ثم بالدواب ثم بالضياع ثم برقابهم وجاز ذلك في شرعهم ثم قال للملك: كيف ترى صنع الله بي فيما خولني فما ترى؟ قال: الرأي رأيك قال فإني أشهد الله وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أموالهم/ ١٢ وجيز .

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ ، لما ولاه ملك مصر الوزارة العدل اجتهد في العدل وتكثير الزراعات فدخلت السنون المجدبة وعم القحط حتى وصل بلاد كنعان

فجاءه إخوته ليشتروا منه الطعام ، ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾: يوسف ، ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ لم يعرفوه فإنه قد تقرر في أنفسهم هلاكه وكان مدة المفارقة أربعين سنة ، ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ[1]﴾: أصلحهم بعدهم وأوفر حمولاتهم بما جاءوا له ، ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ لما دخلوا عليه قال كالمنكر عليهم: لعلكم عيون جواسيس قالوا: معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد نبي من أنبياء الله تعالى قال : كم أنتم؟ قالوا: كنا إثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وله أخ من أمه احتبسه أبوه ليتسلى به عنه قال: ائتوني به حتى أعلم صدقكم، ﴿أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الكَيْلَ﴾: أتمه ، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾: المضيفين[2] ، ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾: ليس لكم عندى طعام أكيله لكم ، ﴿وَلاَ تَقْرَبُونِ﴾: لا تدخلوا بلادى وهو إما عطف على الجزاء أو نهى ، ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: نلح في طلبه من أبيه ، ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾: ما وعدناك ، ﴿وَقَالَ﴾: يوسف ، ﴿لِفِتْيَانِهِ﴾: لغلمانه ، ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾: ثمن[3] طعامهم ، ﴿فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: بأنها بضاعتهم ، ﴿إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾: وفتحوا أوعيتهم ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إذا عرفوا ذلك فإنهم لا يستحلون إمساكها أو إذا عرفوا كرامتهم علينا وبرنا عليهم أو فعل ذلك حذراً من ألا يكون عندهم بضاعة أخرى

---

(١) أصل الجهاز ما يعد من الأمتعة للسفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما تزف به المرأة إلى زوجها/ ١٢ وجيز .

(٢) فى هذا العصر والزمان ثم توعدهم بقوله: "فإن لم تأتوني به" / ١٢ .

(٣) قيل: كانت بضاعتهم النعال والأدم وفيه شبهة والظاهر أن متاعهم شيء صغير الجثة قليل الوزن حيث لم يعرفوا أنه في حملهم إلى بلادهم ودوابهم قادرات على حملها مع الكيل/١٢.

فلا يمكن لهم الرجوع أو رأى لؤم أخذ الثمن من أبيه وإخوته مع حاجتهم ، ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾: بعد ذلك إن لم نذهب بأخينا ، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نحن وهو الطعام، ونرفع المانع من الكيل ، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ فإنكم ذكرتم في يوسف مثل ما ذكرتم هنا بعينه فهل يكون أماني هنا إلا كأملي هنالك أي كما لا يحصل الأمان هناك لا يحصل هنا ، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً﴾ فاعتمد عليه ونصبه على التمييز ، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: فالله أسأل أن يرحمني بحفظه ، ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ أي: لا نطلب أو أي شيء نطلب وراء ذلك من الإحسان قيل: لا نبغي منك شيئًا في ثمن الكيل وقيل: هو من البغي بمعنى الكذب أي : لا نبغي في القول ولا نتزايد فيه ، ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ استئناف موضح لما نبغي ، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ مار أهله حمل إليهم الطعام من بلد آخر عطف على محذوف أي : ردت إلينا فنستظهر بها ونمير ويحتمل عطفه على ما ينبغي إذا كانت نافية ، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: عن المكاره ، ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: حمل بعير من الطعام لأن يوسف إنما يعطى كل شخص وقرا ، ﴿ذَلِكَ﴾: الذى جئنا به ، ﴿كَيْلٌ﴾: مكيل ، ﴿يَسِيرٌ﴾: قليل لا يكفينا أو ذلك أي : كيل بعير شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ، ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ﴾ ، تعطون ، ﴿مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾: عهدًا مؤكدًا بذكر الله تعالى ، ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ جواب القسم إذ معناه حتى تحلفوا لتأتنّني، ﴿إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلا أن تغلبوا فلا تقدروا على إتيانه أو إلا أن تهلكو جميعًا أي: لتأتني على كل حال إلا حال الإحاطة بكم ، ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ﴾: يعقوب، ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾: من العهد، ﴿وَكِيلٌ﴾: مطلع ويمكن أن يكون معناه الله تعالى وكيل على حفظ ذلك العهد نَكِلُ أمره إليه ، ﴿وَقَالَ يَا

﴿بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لأن لا يصيبكم[1] العين ، ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن[2] شَيْءٍ﴾ ، أي: لو أراد الله بكم سوءًا لا يدفع عنكم ما قلت لكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أى : من أبواب متفرقة في البلد ، ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي﴾: يدفع دخولهم متفرقين ، ﴿عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ﴾: من قضاءه عليهم ، ﴿مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ استثناء منقطع أى : لكن حاجة أى: شفقة في نفسه قضاها أى: أظهرها ووصى بها، أو معناه ما دفع عنهم بسبب دخولهم كذلك إلا إصابة العين وهى الحاجة التى[3] في نفس يعقوب ، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾: لذو يقين أو لذو عمل ، ﴿لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أن يعقوب لذو علم فإن المشركين لا يعلمون ما ألهم الله أولياءه .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ

---

(١) فإنهم لو كانوا مجتمعين لزاد فى أعين الناس عظمتهم قيل: لم يوصهم فى الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين وليس فيهم أيضًا أخو يوسف الذى هو مطرح حبه / ١٢ منه .

(٢) أي شيئًا فقد أصابهم ما شاء بهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك و تضاعف المصيبة بأخذ أخيهم بوجدان الصواع فى رحله / ١٢ منه .

(٣) على هذا الاستثناء متصل أى : ما دفع عنهم إلا العين لكن وصل إليهم مصائب / ١٢ منه.

زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ[1] **أَخَاهُ﴾** من أبويه في منزله وأجلسه معه في مائدته واسمه بنيامين **﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾**: ولا تحزن ، **﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**: في حقنا فيما مضى ، **﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾**: أصلحهم بعدهم ، **﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾**: المشربة[2] ، **﴿فِي رَحْلِ**[3] **أَخِيهِ﴾**: من أبويه وهي من

---

(١) روى أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به فقال: أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندى فأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى فقال يوسف: بقى أخوكم وحيدًا فأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك؟ قال من يجد أخا مثلك؟ لكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه / ١٢ وجيز .

(٢) بكسر الميم إناء يشرب منه وبفتحها الغرفة / ١٢ منه .

(٣) ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلاً وقيل: حتى خرجوا من العمارة ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وحبسهم / ١٢ معالم .

فضة أو من ذهب أو من زبرجد وكان يشرب فيها ويكيل بها للناس من عزة الطعام **﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾**: نادى مناد **﴿أَيَّتُهَا العِيرُ﴾** أى : القافلة **﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾** قال بعضهم : إن كان النداء بأمر يوسف فعلى[1] تأويل إنهم سرقوا يوسف من أبيه- عليه السلام- أو النداء برضى أخيه ، **﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾** أىُّ شيء ضاع عنكم **﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾**: من الطعام **﴿وَأَنَا بِهِ﴾**: بحمل من الطعام **﴿زَعِيمٌ﴾**: كفيل قاله المؤذن **﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾** قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم ثم استشهدوا بعلمهم على براءة ساحتهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتى[2] مجيئهم فقالوا **﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾**: لا نوصف بها قط ، **﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾** أى: السارق ، **﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾**: في ادعاء البراءة ، **﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾** أى : جزاء سرقته ، **﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾** أي: أخذ من وجد واسترقاقه ، **﴿فَهُوَ[3] جَزَاؤُهُ﴾** تقرير للحكم وقيل : جزاء لمن على أنها شرطية والجملة الشرط والجزاء خبر جزاؤه على إقامة الظاهر مقام الضمير وأصله فهو هو وضمير الثانى إلى جزاؤه **﴿كَذَلِكَ نَجْزِي[4] الظَّالِمِينَ﴾**: بالسرقة وشريعة إبراهيم أن السارق يدفع إلى المسروق منه ، **﴿فَبَدَأَ﴾**: المؤذن أو يوسف

---

(١) لأنه نبى الله فهو برئ من الافتراء البتة / ١٢ منه .

(٢) فإنهم قد اشتهروا بمصر بصلاح وعفة وكانوا ربطوا أفواه دوابهم لئلا تنال زرع الناس / ١٢ وجيز .

(٣) فجزاؤه مبتدأ ومن وجد فى رحله بمعنى أخذه خبر / ١٢ وجيز .

(٤) الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير فقال الرسول- عند ذلك-: لا بد من تفتيش أمتعتكم، فأخذ فى تفتيشها، وروى أنه ردهم إلى يوسف فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه / ١٢ معالم .

بعد ماردوا إليه ، ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ فتشها أولاً، ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾:[1] من أبويه ، ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الكيد ، ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: بأن علمناه إياه ، ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ فإن دين ملك مصر الضرب والتغريم في السارق دون الاسترقاق، ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، أي: لم يكن يتيسر له أخذه في دين الملك بحال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله تعالى بأن أجرى على ألسنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق فوجد السبيل إلى ذلك وجاز أن يكون منقطعاً[2] ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾: بالعلم كما رفعنا درجة يوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾: حتى ينتهى العلم إلى الله تعالى ، ﴿قَالُوا﴾ أى : إخوته ﴿إِن يَسْرِقْ﴾: بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ﴾ أى: يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعنى لا عجب فإن هذا طريقتهم ونحن براء منها وإما وصفهم إياه بالسرقة فإنه كان لجده أبى أمه صنم يعبده فأخذه سرًّا وكسره أو كانت عمته تحضنه بعد وفاة أمه فلما ترعرع أراد يعقوب أن يكون معه ويأخذه من عمته وكانت لا تطيق فراقه فعمدت إلى منطقة هى لها ورثتها من إسحاق فحزمتها[3] على يوسف تحت ثيابه ثم قالت: فقدت المنطقة اكشفوا أهل البيت فكشفوا فوجدوها مع يوسف وهو صغير فقالت: صار يوسف سلمًا لى فأمسكته، فإن السارق يُسْتَرَقُّ لمن سرق منه كما مر وكان يأخذ من البيت للسائل أشياء فيعطيه ففطن به إخوته ،

---

(١) قال قتادة : ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعًا ولا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأثما مما قذفهم به حتى إذا لم يبق إلا رحل بنيامين قال: ما أظن هذا أخذه، فقال إخوته: والله لا نترك حتى تنظر فى رحله فإنه أطيب لنفسك ولأنفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه فذلك قوله: "ثم استخرجها" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) أى: لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وإذنه / ١٢ منه .

(٣) أى: شدتها / ١٢ .

﴿فَأَسَرَّهَا[1] يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ ضمير أسرها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً﴾ يعنى قال في نفسه: أنتم شر منزلة في السرقة : لأن خيانتكم حقيقة وأنث الضمير لأن المراد منه جملة وهى بدل من أسرها وهو المنقول عن ابن عباس- رضى الله عنهما- وقيل: الضمير للإجابة أو للمقالة أو لنسبة السرقة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ[2] ﴾: في شأني من السرقة فإنه كذب وهذا أيضًا من جملة ما أسر يوسف ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ[3] إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: بدله فإن أباه مستأنس به على أخيه الهالك ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾: إلى الخلق فأحسن إلينا ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: أعوذ بالله[4] معاذًا من ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذاً لَّظَالِمُونَ ﴾: في فتواكم لو أخذنا غير السارق .

---

(١) ضمير أسرها إلى مثل الكراهة والحزازة التي دل عليها سياق الكلام / ١٢ وجيز .

(٢) روى أنهم دخلوا على يوسف فقال روبيل: لتردن علينا أخانا أو لأصيحن صيحة لا تبقى بمصر امرأة حامل إلا ألقت ولدها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل فخرجت من ثيابه فقال يوسف، لابن له صغير: قم إلى جنب روبيل فمسه ويروى خذ بيده فأتنى به فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه فقال روبيل : إن هاهنا لبذراً من بذر يعقوب ، فقال يوسف: من يعقوب؟ وروى أنه غضب ثانيًا فقام إليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الأرض وقال: أنتم يا معشر العبرانيون تظنون أن لا أحد أشد منكم فلما صار أمرهم إلى هذا ورأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا: "يا أيها العزيز إن له أبًا شيخًا كبيرًا" إلخ / ١٢ معالم .

(٣) أهل مصر يسمون نائب السلطان عزيزًا / ١٢.

(٤) فيه إشارة أن "معاذًا" مصدر لفعل محذوف "وأن نأخذ" متعلق به وحذف حرف الجر من أن وأن ليس بعزيز/١٢ .

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ
أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ
حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ
فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ
حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا
لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن
يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ
عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ
تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ
أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ
ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن
رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا
وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ
يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ
جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ
ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ
لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ
يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ
وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾: من يوسف وإجابته إياهم وبـاب الاسـتفعال للمبالغـة ﴿خَلَصُوا﴾: انفردوا واعتزلوا ، ﴿نَجِياً﴾: ذوى نجوى أو فوجا[1] نجيًّـا وكـان تناجيهم في تدابير أمرهم ، ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: في السن روبيل أو في الـرأى وهـو يهوذا أو في الرياسة وهو شمعون ، ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًـا مِّنَ اللَّهِ﴾: عهدًا وثيقًا بذكر الله ، ﴿وَمِن قَبْلُ[2] مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ ما صلـة أى: من قبل هذا قصرتم في شأنه[3] أو مصدرية عطف على مفعـول تعلمـوا أو موصولة أى : لم تعلموا ما قدمتموه[4] فهو من الفرط وهـو التقـدم ، ﴿فَلَـنْ أَبْرَحَ﴾: أفارق ﴿الأَرْضَ﴾: أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾: في الرجـوع ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: بخلاص أخى أو بخروجى أو بالمقاتلة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الحَـاكِمِينَ﴾ فحكمه الحق ، ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَـكَ سَـرَقَ﴾: علـى حسب الظاهر ، ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾: عليه ، ﴿إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾: بأن رأينـا إخـراج الصاع من متاعه، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾: فلا ندرى أنه سرق أو دسـت الصاع في رحله أو ما كنا حين عهدنا أن نأتى به للعواقب عالمين فلم نـدر أنـه

---

(١) على الأول نجيا مصدر وهو حال بحذف المضاف وعلى الثانى بمعنى مناجيًا كالعشير بمعنى المعاشر وإفراده لأنه صفة لموصوف مفرد اللفظ كالفرج / ١٢ .

(٢) وجوز الزمخشرى أن ما مصدرية مبتدأ ومن قبل خبره ، قال صاحب البحر: ذهل عـن قاعدة عربية وحق له أن يذهل وهى أن الظروف التى هى غايات إذا بنيت لا تقع خـبرًا ولا صلة ولا صفة ولا حالاً فلا يجوز عمرو جاء وزيد خلف، بل يقال خلفه، وكذلـك قال أبو البقاء / ١٢ وجيز .

(٣) على هذا الوجه ومن قبل عطف على لم تعلموا والجملة حالية / ١٢ .

(٤) يعنى على هذا الوجه يكون من الفرط بمعنى التقدم لا بمعنى التقصير وضمير الموصـول محذوف / ١٢ منه .

سيسرق ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾، أى: أرسل مصر واسألهم عن القصة، ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ﴾، أى: القافلة ، ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا﴾: توجهنا ﴿فِيهَا وَإِنَّا﴾: والله ﴿لَصَادِقُونَ[1] قَالَ﴾ أى: لما رجعوا وقالوا ليعقوب ما قالوا قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ : زينت وسهلت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً[2]﴾: عظيمًا قررتموه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أجمل، ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾: بيوسف وأخيه وأخيهما الذى توقف بمصر ﴿جَمِيعاً﴾: مجتمعين ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بحالي ﴿الْحَكِيمُ﴾: في أفعاله ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أعرض عنهم كراهة ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: يا شدة حزنى إليه تعالى فهذا أوانك والألف عوض عن ياء المتكلم ، ﴿وَابْيَضَّتْ[3] عَيْنَاهُ[4] مِنَ الْحُزْنِ﴾: عمى من كثرة العبرة التى لا يتمالك فيها نفسه ، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ[5]﴾: مملوء من الغيظ على أولاده لا يظهره ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ لا ﴿تَفْتَؤُا﴾ بحذف حرف النفى[6] فإنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتًا لابد في جوابه من اللام والنون

---

(١) فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه مع شدة وجد أبيه وفيه معنى العقوق وقطيعة الرحم قيل : قد أكثر الناس فيه والصحيح إنه عمل ذلك بأمر الله سبحانه أمره به ليزيد فى بلاء يعقوب / ١٢ معالم .

(٢) وإلا فمن أين يدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته وما هذا إلا فى ديننا / ١٢ منه .

(٣) قال مقاتل: مالم يبصر بهما ست سنين / ١٢ معالم .

(٤) كثرة البكاء محقت سواد عينيه فعمى / ١٢ منه .

(٥) قال الحسن : كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقى معه ثمانون عاماً لا تجف عينا يعقوب، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب / ١٢ معالم .

(٦) قال امرؤ القيس.

فقلت يمين الله أبرح قائماه　　　ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى.

/ ١٢ معالم ومنه .

المؤكدة أى : لا تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾: مشفيا(*) على الهلاك أو ذابيًا(**) من الغم أو من المرض مصدر وضع موضع الاسم ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ (١)﴾: الميتين ، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾ هو أصعب هم لا يصبر صاحبه على كتمانه فيبثه وينشره إلى الناس ، ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾: لا إليكم ولا إلى غيركم فخلونى وشكايتى ، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾: فإنى أعلم أن رؤيا يوسف صدق وإنى سوف أسجد له أو أخبره ملك الموت بحياة يوسف ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾: تفحصوا ﴿مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا﴾: لا تقنطوا ﴿مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾: من فرجه وتنفيسه ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ ﴾: فإن المؤمن لا يزال يطمع في رحمة الله تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا﴾: بعدما رجعوا إلى مصر ﴿عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾: شدة الجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ(٢) مُّزْجَاةٍ﴾ رديئة أو قليلة كانت دراهم رديئة أو الغرائر والحبائل أو الصوف والأقط أو حبة الخضراء أو الأدم والنعال ، ﴿فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ﴾: أتمه لنا، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾: برد أخينا أو بقبض هذه البضاعة المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ : أحسن الجزاء ، ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم﴾: قُبْحَ ﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: فرقتم بينهما وذللتموه حتى لا يستطيع أن يتكلم

(*) مشفياً – مشرفاً.

(**) ذابياً – ذائباً.

(١) قاله مجاهد وغرضهم منع يعقوب من البكاء والحزن والأسف شفقة عليه وإن كانوا هم سبب أحزانه ومنشأ همومه وغمومه / ١٢ فتح .

(٢) وأما أن البضاعة أى شيء ففيه اختلاف، ولا فائدة فى تحقيقها له / ١٢ وجيز .

بينكم بعد فقد يوسف إلا بذلة ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ[١]﴾: فإن فعلكم فعل الجهال ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ﴾ استفهام تقرير ﴿لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ وضع التاج وكان فوق جبهته مثل شامة بيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها فعرفوه أو هو من وراء ستر فرفع الحجاب فعرفوه، ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي[٢]﴾: من الأبوين ذكره لتعريف نفسه ولإدخاله في قوله: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالوصال ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾: الله ، ﴿وَيَصْبِرْ﴾: على المصائب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أى: أجره لإحسانه بالجمع بين الصبر والتقوى ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ﴾: اختارك ، ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالعلم والحسن ﴿وَإِن كُنَّا﴾: إن شأننا إنا كنا ﴿لَخَاطِئِينَ﴾: مذنبين ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ﴾: لا تعيير ولا مؤاخذة ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ متعلق بمتعلق الخبر أى لا مؤاخذة في هذا اليوم فكيف بما بعده من الأيام أو المراد من اليوم الدنيا أى: لا مؤاخذة في الدنيا وأما في الآخرة فبيد الله ولذلك قال ، ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ دعا لهم بالمغفرة ، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: فإنه يغفر الصغائر والكبار ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي[٣] هَذَا﴾ أى : القميص الذى كان عليه ، ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي

---

(١) لما أبدى عذرهم بقوله:"إذ أنتم جاهلون" دل على أن قوله: "هل علمتم" ليس تعتيبًا، بل هو حث على إنابتهم مع خفى معاتبة على وجود الجهل وأنه حقيق الانتفاء عن مثلهم فلله هذا الخلق الكريم / ١٢ وجيز .

(٢) زادهم فى الجواب لأنه سبق منه قوله:"هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه" وتوطئة لما ذكر بعد من قوله: "قد من الله علينا" / ١٢ وجيز .

(٣) وأخرج الحكيم الترمذى وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال: لما كان من أمر إخوة يوسف ما كان كتب يعقوب إلى يوسف، وهو لا يعلم أنه يوسف:

بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب بن إسحق بن إبراهيم إلى عزيز آل فرعون سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد، فإنا أهل بيت مولع بنا أسباب

يَأْتِ(١) بَصِيراً﴾: يصير بصيرًا ذا بصر قالوا: القميص من نسج الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفى ، ﴿وَأْتُونِي﴾: أنتم وأبى ، ﴿بِأَهْلِكُمْ(٢)﴾: نسائكم وذراريكم ، ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ

= البلاء كان جدى إبراهيم خليل الله ألقى فى النار فى طاعة ربه فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا وأمر الله جدى أن يذبح له أبي ففداه وكان لى ابن وكان أحب الناس إلى ففقدته فأذهب حزنى عليه نور بصرى وكان له أخ من أمه كنت إذا ذكرته ضممته إلى صدرى فأذهب عنى بعض وجدى وهو المحبوس عندك فى السرقة وإنى أخبرك لم أسرق ولم ألد سارقًا، فلما قرأ يوسف الكتاب بكى وصاح وقال: اذهبوا بقيمصي/ ١٢ فتح وزاد محيي السنة بعد قوله:"ولم ألد سارقاً" فإن رددته أتى وإلا دعوت إليك دعوة تدرك السابع من ولدك / ١٢ .

(١) على أن يأت هى التى من أخوات كان قيل: كان ذلك بوحي الله، وقيل: بعث إليه قميصه ليزول بكاؤه وينشرح صدره قال يهوذا: أنا أحمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء ، قيل : حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسير ثمانين فرسخًا / ١٢ فتح.

(٢) أى : جميع من شمله لفظ الأهل من النساء والذرارى قيل: كانوا سبعين وقيل: ثلاثة وتسعين / ١٢ فتح .

وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ﴾: خرجت ، **﴿الْعِيرُ﴾** : من مصر[1] **﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾**: لمن حضره[2] **﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾** هاجت ريح فجاءت برائحة قميصه من مسيرة ثمانية أيام **﴿لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ[3]﴾** أي: لولا تسفهوني وتنسبوني إلى نقصان عقل للهرم لصدقتموني وجواب لولا محذوف **﴿قَالُوا﴾**: الحاضرون ، **﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾**: لفي خطئك القديم من حب يوسف **﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾** أي : البريد قال البصريون: تقديره لما ظهر مجيء البشير فأضمر الرافع قال بعضهم: البشير يهوذا الذي جاء بقميصه ملطخًا بدم كذب **﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾**:

---

(١) قاصدة مكان يعقوب والأصح أنه قريب من بيت المقدس .

(٢) من أولاده وأحفاده وعشائره .

(٣) قال بعض العلماء : يقال شيخ مفند أي فاسد الرأي ، ولا يقال عجوزة مفندة لأن المرأة لم تكن لها قط رأي أصيل / ١٢ منه .

عاد ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾: بتعليمه ﴿مَا لاَ تَعْلَمُــــونَ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ﴾: يعقوب ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾: أخر الدعاء إلى السحر(*) أو إلى ليلة الجمعة(**) أو إلى أن يستحل لهم من يوسف ، ﴿إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ : في[١] موضع خارج عن البلد حين استقبلهم يوسف وأهل مصر ﴿آوَى﴾: ضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: أباه وخالته فإن أمه ماتت وعن بعض السلف أن أمه في حياة ،﴿وَقَالَ ادْخُلُــــوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾: من القحط والمكاره فالاستثناء متعلـــــق بـــالدخول المكيف بالأمن ، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ﴾: السرير ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُـــــجَّداً﴾ : أبواه وإخوته وكان سجود التعظيم شائعًا من لدن آدم إلى شريعة عيســـى عليـــه السلام فحرم في هذه الملة الغراء(***) وجعل السجود مختصًّا بجناب الرب تعــــالى شأنه قال بعضهم: المراد من السجود الانحناء ، وعن بعضهم معناه : خــــروا لله تعالى سجدًا شكرًا له والأول أصح ، ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾: الشمس والقمر أبواى وأحد عشرو كوكبًا إخوتى ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾: صدقًا وكان بين رؤياه وتأويله أربعون سنة أو ثمانون سنة أو خمس وثلاثون سنة أو ثماني

(*) صح ذلك عن ابن مسعود وغيره، كما في تفسير ابن كثير (٢/٤٩١).

(**) ورد في ذلك حديث مرفوع أخرجه ابن جرير بسند ضعيف، انظر المصدر السابق.

(١) روى أن يوسف جهز إلى أبيه مائتي راحلة وخرج فى أربعة آلاف من عظمـــاء مصـــر وخرج أهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب يمشى متكئًا على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس وقال: هذا يا يهوذا فرعون مصر؟ قال: لا، ولكن هذا ولدك فلما لقيه أبوه قال: السلام عليك يا مذهب الأحزان وسأله أول ما كلمه عن دينه/ ١٢ وجيز .

(***) وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد....." وقـــد روى من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم. راجع الإرواء (١٩٩٨).

عشرة سنة والله تعالى أعلم ، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: ولم يذكر الجب لأنه وعد مع إخوته لا تثريب عليكم بعد هذا ، وأيضًا عد لهم نعمًا غير معلومة لهم وإخراجه من الجب معلوم لإخوته ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾: البادية فإنهم كانوا أهل بادية ومواشى ﴿مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾: أفسد ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾: تدبيره ﴿لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بالأمور ﴿الْحَكِيمُ﴾ : الذى لا يفعل إلا على وفق الحكمة ﴿رَبِّ[1] قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ أي : بعضه وهو ملك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾: بعض تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾ : مبدع ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ، منصوب بالمنادى ﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾: ناصرى ومتولى أمرى ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي﴾: اقبضني ﴿مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ[2] ﴾: من آبائى وغيرهم سأل الوفاة على الإسلام واللحاق

---

(١) فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله علم أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حسن العاقبة فقال: "رب قد آتيتنى من الملك" / ١٢ معالم .

(٢) قال قتادة: لم يسأل نبى من الأنبياء الموت إلا يوسف، وفى القصة لما جمع الله شمله وأوصل إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربه عز وجل فقال هذه المقالة قيل كان عمره عند أن ألقى فى الجب سبع عشرة سنة وكان فى العبودية والسجن والملك ثمانين سنة إلى قدوم أبيه يعقوب ثم عاش بعد اجتماع شملهم حتى كمل عمره المقدار الذى سيأتى وتوفاه الله وليس فى اللفظ ما يدل على أنه طلب الوفاة في الحال ، ولهذا ذهب الجمهور إلى أنه لم يتمن الموت بهذا الدعاء فى الحال وإنما دعا به أن يتوفاه على دين الإسلام ويلحقه بالصالحين من عباده عند حضور أجله وقد عاش بعد ذلك سنين كثيرة وولد له من امرأة العزيز ثلاثة أولاد إفرائيم وميشا ورحمة امرأة أيوب المبتلا -عليه السلام- ولما مات دفنوه فى أعلى النيل فى صندوق من رخام وقيل: من حجارة المرمر لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه فبقى أربعمائة سنة إلى أن أخرجه موسى وحمله معه حتى =

بالصالحين إذا حان أجله وانقضى عمره وكلام بعض السلف وهو أنه ما تمنى نبى قط الموت قبل يوسف عليه السلام يشعر بأنه سأل منجزًا وهو جائز في ملتهم ويحتمل أن مراده أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام كما أن نوحًا عليه السلام أول من قال "رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى" الآية (نوح:٢٨)، وقالوا: أقام يعقوب عند يوسف أربعًا وعشرين سنة ثم مات وحمل جسده الشريف عند أبيه إسحاق عليه السلام بالشام ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أى: نبأ يوسف ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: عزموا على أمرهم ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: بيوسف وهذا كالدليل على أنه بالوحى لأنه لم تكن عندهم وما كان أحد من قومك يعلمه فيعلمك ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ : على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: لعنادهم وعدم إرادة الله تعالى قال بعضهم: نزلت حين سأل قريش واليهود عن قصة يوسف فلما أخبرهم رجاء إيمانهم ، ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الوحى ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: من جعل ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ : عظة ، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾: عامة لا تخص بهم .

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠

= دفنه بقرب آبائه بالشام فى الأرض المقدسة وهو الآن هناك / ١٢ فتح .[إخراج موسى لجسد يوسف عليهما السلام ودفنه له بقرب آبائه بالشام صحيح ثبت في حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه الحاكم (٢/٥٧١) وغيره.]

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

﴿وَكَأَيِّن﴾ أى: وكم[1]، **﴿مِّنْ آيَةٍ﴾**: دلائل دالة على وجوده وصفاته الحسنى **﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾** : على الآيات يشاهدوها **﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**: لا يتفكرون فيها **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾**: في الإقرار بخالقيته **﴿إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ[2]﴾**: لعبادتهم غيره إنهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات

---

(١) والمشهور أنه مركب من كاف التشبيه ومن أى / ١٢ وجيز .

(٢) يعبدون معه غيره كما كانت تفعله الجاهلية فإنهم مقرون بالله سبحانه الخالق لهم لكنهم كانوا يثبتون له شركاء فيعبدونهم ليقربوهم إلى الله كما قالوا: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" (الزمر:٢)، ومثل هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله المعتقدون فى الأموات بأنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه كما يفعل عباد القبور ولا ينافى هذا ما قيل من أن الآية نزلت فى قوم مخصوصين فالاعتبار بما يدل عليه اللفظ لا بما يفيده السبب من الاختصاص بمن كان سببًا لنزول الحكم ، قال ابن عباس فى الآية : سلهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض؟ فسيقولون: الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره ، وقال عطاء : كانوا يعلمون أن الله ربهم وهو خالقهم وهو رازقهم وكانوا مع ذلك يشركون وقال الضحاك: كانوا يشركون فى =

والأرض؟ قالوا: الله وهم يشركون به ، وعن الحسن البصرى أن هذا في المنافقين قال بعض السلف: ثمة شرك آخر لابد أن تشعره وهو الرياء ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ : عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ : فجأة مفعول مطلق ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾: فلا يستعدون لها ، ﴿قُلْ هَذِهِ﴾ أي: الدعوة إلى التوحيد ﴿سَبِيلِي﴾ : طريقتي ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾: بيان وتفسير للسبيل ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ : معرفة وحجة ﴿أَنَا﴾ : تأكيد لضمير أدعو ، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أي[1]: من آمن بي أيضًا يدعوا إلى الله تعالى، قال بعضهم : تم الكلام عند قوله: "إلى الله" و"على بصيرة" خبر أنا وما عطف عليه ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي: قل أنزهه تتريهًا عن الشريك ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾: يا محمد ﴿إِلاَّ رِجَالاً﴾ : لا نساء ولا ملائكة ﴿نُوحِي إِلَيْهِم﴾ : كما أوحينا إليك ﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ فإن أهلها أعقل من أهل البادية ، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم المكذبة فيعتبروا ﴿وَلَدَارُ﴾ : الحياة ﴿الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ : الشرك ، ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ :

= تلبيتهم يقولون: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك / ١٢ فتح.

(١) قال ابن عباس : يعنى أصحاب محمد كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية معدن العلم وكتر الإيمان وجند الرحمن قال عبد الله بن مسعود: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا افضل هذه الأمة أبرها قلوباً وأعمقها علمًا وأقلها تكلفاً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإلهم كانوا على الهدى المستقيم / ١٢ معالم التتريل .

يستعملون[*] عقولهم فيؤمنوا ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ متعلق بما دل عليه الكلام كأنه قيل : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا فتراخى نصرهم وتطاول عهدهم في الكفار حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم ، أو استيأسوا من نصرهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ فيه قراءتان التخفيف والتشديد وعلى الأول: الضمائر كلها لمن أرسل الرسل إليهم فإن الرسل دال عليهم وحاصله أنهم حسبوا كذب الرسل في الوعيد والوعد والضمائر للرسل يعنى قد خطر بخواطرهم خلف الوعد من الله تعالى في نصرهم ، وعن ابن عباس[1] رضى الله عنهما لأنهم كانوا بشرًا وتلا: "حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله" (البقرة:٢١٤)، وقيل معناه : ظنوا كذب القوم بوعد الإيمان وخلف وعدهم وعلى الثاني، الضمائر للرسل والظن بمعنى اليقين وهو شائع أى: أيقنوا تكذيب القوم لهم أو بمعناه أى : ظنوا أنهم يكذبهم من آمن بهم أيضًا يرتد عن دينهم لاستبطاء النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾ وهم أتباع الأنبياء، ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ أى : عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ : قصص المرسلين مع قومهم أو قصص يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ﴾ : عظة ﴿لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ﴾: القرآن ، ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾: يختلق ، ﴿وَلَكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ : من الكتب السماوية ﴿وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه العباد من أمر الدين ﴿وَهُدًى﴾ : من الضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ : ينال بها خير الدارين ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقونه.

اللهم اجعلنا منهم .

(*) بالأصل: تستعملون.

(١) رواه البخارى عن ابن عباس، والمراد الوسوسة وحديث النفس لا الظن المصطلح/١٢.

سورة الرعد مكية أو مدنية

وهي ثلاث وأربعون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾

﴿الــمر﴾ عن ابن عباس- رضي الله عنهما- : أنا الله أعلم وأرى ﴿تِلْـــكَ آيَـــاتُ الكِتَابِ﴾ أي : تلك الآيات التي في هذه السورة آيات القرآن، ﴿وَالَّذِي أُنــزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾ أي : القرآن كله، ﴿الحَقُّ﴾ لا هذه السورة وحدها وهو خـــبر والـــذي ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ[1] لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ لما فيهم من العنـــاد، ﴿اللَّـــهُ الَّـــذِي رَفَـــعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أي : أساطين جمع عماد أو عمود ﴿تَرَوْنَهَا﴾، صفـــة لعمـــد، وعن بعض السلف أن لها عمدًا ولكن لا ترى ، أو اســـتئناف للاستشـــهاد برؤيتـــهم للسماوات كذلك فضمير المؤنث حينئذ للسماوات ﴿ثُمَّ اسْتَوَى[2] عَلَى العَرْشِ﴾،

---

(١) لما ذكر أن المترل هو الحق بين أن أكثر الناس لا يؤمنون على سبيل الزجـــر والتـــهديد ثم ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد فقـــال : " الله الـــذي" الآيـــة/ ١٢ كبير .

(٢) وقال الإمام أبو الحسن على بن مهدي الطبرى تلميذ الأشعرى فى كتاب مشكل الآثـــار له فى باب قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " (طه:٥): اعلم أن الله فى الســـماء فوق كل شيء مستو على عرشه بمعنى أنه عال عليه ومعني الاستواء الاعتلاء كما تقـول العرب : استويت على ظهر الدابة ، واستويت على السطح ، بمعنى علوته، واســـتوت الشمس على رأسي واستوى الطير على عمة رأسي بمعنى علا فى الجو فوجـــد فـــوق رأسي، فالقديم جل جلاله وتعالت عظمته عال على عرشه بذاته بائن مـــن مخلوقاتـــه بقوله: " أأمنتم من فى السماء " (الملك:١٦)، وقوله: " يا عيسى إنى متوفيك ورافعـــك إلى " (آل عمران:٥٥)، وقوله : " ثم يعرج إليه " (السجدة:٥)، وزعـــم البلخـــى أن استواء الله على العرش هو الاستيلاء مأخوذ من قول العرب : استوى بشر على العراق، إذا استولى عليها، فالجواب أن الاستواء هاهنا ليس بمعنى الاستيلاء ، لأن الله مستول علـــى العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين أوجدهم ، كما هو المعلوم من الدين بـــالضرورة، فلا معنى حينئذ لتخصيص العرش بالاستيلاء عليه من دون سائر خلقه ، فبـــان بذلـــك بطلان قوله ، وكذلك أيضًا أن الاستواء هاهنا ليس هو الاستيلاء الذي هو من قـــول =

قال السلف : الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، وقيل: علا [1] عليه ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ذللهما لما أراد منهما ﴿كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أى : لدرجاتهما

= العرب: استوى فلان على كذا أى : استولى ، إذا تمكن منه بعد أن لم يكن متمكنا والبارئ عز وجل لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكنًا تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا انتهى.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري فى كتاب اختلاف المضلين ومقالات الإسلاميين : إن الله تعالى على عرشه كما قال:"الرحمن على العرش استوى" (طه:٥)، وذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال : فلولا أن الله تعالى على عرشه ما قال فى حق ملائكته: " يخافون ربهم من فوقهم " (النحل:٥٠)، ولما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الأيدى إلى السماء، قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى استوى استولى وملك وقهر مما يفيد التجدد والحدوث فى الملك - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا - بل هو مستول ومالك وقاهر على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين خلقهم وقالوا : إنه فى كل مكان وجحدوا أن يكون على عرشه ، كما قال أهل الحق وذهبوا فى الاستواء إلى القدرة فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة ، لأنه قادر على كل شيء وكيف يكون فى كل مكان ومنه الحشوش والخانات والمزابل وما أشبه ذلك من الأماكن المستقذرة- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- ولم يخبر عند أحد من المسلمين أن يكون الله في شيء من ذلك فبطل ما قالوه بالنقل والعقل وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك / ١٢ .

(١) قال البغوي فى تفسيره وجزم به بلا ذكر الاختلاف، وفى صحيح البخاري قال مجاهد : استوى على العرش : علا على العرش ، ونقل الذهبى عن محمد بن جرير الطبرى فى قوله : " ثم استوى على العرش الرحمن" (الفرقان:٥٩)، أى علا وارتفع فأيضًا نقل عنه أنه قال فى تفسير قوله : ثم استوى على العرش فى كل مواضعه أى : علا وارتفع وقد مر البحث مستوفى فى سورة الأعراف فارجع إليه/١٢ .

ومنازلهما ينتهيان إليها لا يجاوزانها ، أو إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا ﴿يُدَبِّرُ[1] الأَمْرَ﴾: جميع أمور ملكوته ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾: يوضحها، وينزلها مفصلة ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: لكي تتفكروا فيها فتعلموا كمال قدرته بحيث لا يعجز عن الإعادة والجزاء ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ[2] الأَرْضَ﴾: بسطها، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالا ثوابت ﴿وَأَنْهَارًا﴾: ضمها مع الجبال فإنها تخرج من الجبال أكثرها ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، ظرف لقوله: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي : صنفين أسود وأبيض، أكبر وأصغر، حلوًا وحامضًا قيل: أول ما خلق العالم خلق من كل نوع من الأشجار اثنين فقط كما خلق الإنسان من زوجين ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: يلبسه مكانه فيصير مظلمًا بعدما كان مضيئًا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيما فيها من الصنائع والبدائع، ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾: بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة صلبة إلى رخوة ومن غير ذلك وهى دالة على قدرته واختياره ﴿وَجَنَّاتٌ﴾: بساتين، ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ هى : نخلة لها رأسان وأصلهما واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: مختلفة الأصول ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾: في التمر طعمًا وشكلًا ، ورائحة وقدرًا مع أنها تستمد من طبيعة واحدة وهى الماء، بل وبعضها من أصل واحد فسبحانه من قادر ومختار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ : يستعملون عقولهم، ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾:

---

(١) وهذا التدبير والإنفاذ والإمضاء وهو من فوق العرش وهو ظاهر نظم القرآن الكريم/١٢ فتح.

(٢) لما قدر الدلائل السماوية أردفها بالدلائل الأرضية فقال : " هو الذي مد الأرض "/١٢ كبير .

يا محمد من إنكارهم النشأة الآخرة، ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ[1]﴾ أي : فعجبت في موضعه حقيق بأن تتعجب، أو أن تعجب من تكذيبهم إياك، بعد ما حكموا بصدقك فاعجب

---

(١) اعلم أنه أخطأ صاحب الفتح هاهنا خطأ بينًا وغلط غلطًا فاحشًا حيث قال ناقلاً عن القرطبي : والله تعالى لا يجوز عليه التعجب لأنه تغير النفس بشيء تخفى أسبابه وذلك في حق الله محال انتهى.

أقول هذا بناء على أصل فاسد وضعه نفاة الصفات فنفوا ذلك كثيرًا من الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة كالرحمة ، والغضب ، والمحبة ، والرضاء، والضحك والتعجب يقولون : إن هذه انفعالات نفسانية والله تعالى متره عنها ولا يدرون أنها انفعالات فينا لا في الله تعالى – تعالى الله عن ذلك- وكما أن ذاته تعالى ليس كذوات المخلوقات وصفاته أيضًا لا يشابه صفات المخلوقين ، وبيان ذلك أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق منفعل ، ونحن وذواتنا منفعلة فكونها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها لا يوجب أن يكون الله منفعلاً لها عاجزًا عن دفعها، فإن كل ما يجرى في الوجود فإنه بمشيئته وقدرته لا يكون إلا ما يشاء ، ولا يشاء إلا ما يكون ، له الملك وله الحمد وأما قولهم التعجب استعظام للمتعجب منه، فيقال: نعم، وقد يكون مقرونًا بجهل بسبب المستعجب منه وقد يكون لما خرج عن نظائره والله تعالى بكل شيء عليم فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما يعجب منه، بل يتعجب منه لخروجه عن نظائره تعظيمًا ، والله تعالى يعظم ما هو عظيم ، إما لعظمه أو لعظمته فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم ووصف بعض الشر بأنه عظيم فقال تعالى : " رب العرش العظيم " (التوبة:١٢٩)، وقال : " ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم " (الحجر:٨٧)، وقال : " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا وإذًا لآتيناهم من لدنا أجرًا عظيمًا " (النساء:٦٦،٦٧)، وقال: " لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم " (النور:١٦)، وقال : " إن الشرك لظلم عظيم " (لقمان:١٣)، ولهذا قال تعالى : " بل عَجِبْتُ ويسخرون " (الصافات:١٢)، على قراءة الضم فهنا هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة وقال النبي – صلى الله عليه وسلم- آثر هو وامرأته لضيفهما:"لقد عجب الله من صنيعكما =

من قولهم أو إن تعجب من شيء فاعجب من قولهم: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ مرفوع بأنه بدل من قولهم أو منصوب به وإذ نصب بما دل عليه قوله: ﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: هم الكاملون فى الكفر ﴿وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: يوم القيامة يسحبون بها فى النار، ﴿وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ : بالعقوبة، ﴿قَبْلَ الحَسَنَةِ﴾ أي : العافية سألوا نزول العذاب استهزاء أو يطلبون النقمة لا النعمة كقولهم:"عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب" ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ﴾: عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ﴾ أي : لذو إمهال وستر ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾: على كفرهم ومعاصيهم، وإن فسرت المغفرة بالعفو فعلى ظلمهم حال ولابد أن يفسر الظلم بمعاصي غير الكفر، ولا يناسب المقام فإنه إن

= البارحة" [أخرجه البخاري في "التفسير"، (٤٨٨٩) ومسلم في "الأشربة"، (٧٤٩/٤) ط الشعب]، وفى لفظ فى الصحيح "لقد ضحك الله الليلة" [أخرجه البخاري في "مناقب الأنصار"، (٣٧٩٨)]، وقال:"إن الرب ليعجب من عبده إذا قال رب اغفرلي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، يقول الله : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا" [أخرجه أحمد (٧٥٣ ط شاكر) وأبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٣) وغيرهم، وانظر صحيح الجامع (٢٠٦٩)، والصحيحة (١٦٥٣)]، وقال:"عجب ربك من شاب ليست له صبوة" [ضعيف، أخرجه أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر مرفوعا، وانظر ضعيف الجامع (١٦٥٨)]، وقال:" عجب ربك من راعي غنم على رأس جبل شظية- يؤذن ويقيم، فيقول الله : انظروا إلى عبدي" [صحيح، أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي عن عقبة مرفوعا، وانظر صحيح الجامع (٨١٠٢)، وراجع الإرواء]، أو كما قال ، ونحو ذلك هكذا قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - قدس الله روحه / ١٢ .

فسرت بما يعمه فلا يخفى[*] أن العفو من غير توبة فلا يصح بمذهب، وإن كان بعد التوبة فلا يلائم، لأنهم بعد التوبة ليسوا على الظلم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ ﴾ : لمن شاء ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا ﴾: هلا، ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾، لم يعتدوا بالآيات الباهرات واقترحوا مثل ما أوتى موسى وعيسى، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ﴾: لا عليك الإتيان بما اقترحوا كجعل الصفا ذهبًا ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾: نبي مخصوص يدعوهم إلى الهدى ، أو معناه أنت منذر ولكل قوم هاد يهديهم إذا أراد ، وهو الله ، وعن بعض السلف الهادي على بن أبي طالب[١] - رضى الله عنه - وأيضًا فى ذلك[٢] حديث؛ لكن قيل فيه نكارة شديدة[٣] .

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ

(*) فى الأصل المطبوع : "فلا يخ" ولعل الصواب ما أثبت .

(١) روي عن ابن عباس فى أحد الروايات قاله ابن أبي حاتم، وعن أبي جعفر محمد بن على نحو ذلك ونقل ابن أبي حاتم عن على أنه قال : الهادي رجل من بنى هاشم ، قال ابن الجنيد : هو على بن أبي طالب / ١٢ منه .

(٢) ذكره ابن جرير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية وضع عليه الصلاة والسلام يده على صدره فقال :" أنا المنذر وأومأ بيده إلى منكب على فقال : أنت الهادي يا على بك يهتدي المهتدون من بعدى" / ١٢ .

(٣) قاله الشيخ عماد الدين ابن كثير / ١٢ منه .[تفسير ابن كثير (٢/٥٠٢)]

مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ
حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن
دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ
ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ
فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ
دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ
كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾
وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ
وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن
دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ
وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ
فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ
عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ
وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ
يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ[1] كُلُّ أُنثَى﴾ من ذكر وأنثى سويّ الخلق أو ناقصه ، واحـــد وأكثر ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: تنقص، ﴿الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾: في مدة الحمـــل أو عـــدد الولد أو المراد نقصان غذاء الولد وازدياده وهو دم الحيض وغاض وازداد جاءا لازمـين ومتعديين، فإن كانا لازمين تعين أن يكون ما مصدرية ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾: بقدر معلوم وحد لا يجاوزه، وعنده ظرف للمقدار، ﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، مـا غاب عن الخلق وحضر ﴿الكَبِيرُ﴾ : العظيم القدر، ﴿المُتَعَالِ[2]﴾: المستعلى على كـل شيء أو متعال عما لا يليق بكماله ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِـــهِ﴾ كما يحيط علمه بعلانيته يحيط بسره ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾:طالب للخفــــاء، ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾: بارز به يراه كل أحد، وهو إما عطف علــــى مـــن أو علــى مستخف على أن من في معني الاثنين كأنه قال: سواء منكم اثنان مستخف وســارب، ﴿لَهُ﴾ الضمير لمن ، أى : لمن أسر وجهر واستخفى وسرب ﴿مُعَقِّبَـــاتٌ﴾: ملائكـــة يعقب بعضهم بعضًا فى الليل والنهار ﴿مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: ملكان من قدامـــه وورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: من بأسه وبلائه، أو من أجل أمر الله وبإذنه، فـــإذا جاء قدر الله خلوا عنه وعن بعض السلف المعقبات الحرس[3] حول السلطان يحفظونـــه بزعمهم من أمر الله قيل : مراده بهذا أن حرس الملائكة تشبه حرس هؤلاء لملوكهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: من النعمة أو النقمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِـــهِمْ﴾: مـــن

(١) ولما تقدم إنكارهم البعث لتفتت الأجزاء بحيث لا يتميز بينها نبه على إحاطـــة علمـــه بالخفيات فقال : " الله يعلم ما تحمل " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) أو المتعالي عن الخلق باستوائه على عرشه ، ومبائنته عن خلقه وهو الأولى / ١٢ فتـــح البيان.

(٣) قاله عكرمة وابن عباس والضحاك والظاهر أن مرادهم أنه ينكر عليهم اتخاذ الحرس فإنهم يحفظونه ولا يمكن الحفظ منه / ١٢ منه .

الأحوال الجميلة أو القبيحة وقد ورد "قال الرب : وعزتي[1] وجلالى وارتفاعى فوق عرشي ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجال ببادية كانوا على ما كرهته من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي ما يحبون من رحمتي" **﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ﴾**: لا راد له **﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾**: يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء **﴿هُوَ الَّذِي[2] يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾** نصبهما بالمفعول له بتقدير إرادة خوف وطمع ، أو التأويل بالإخافة والإطماع ، وعن بعض السلف الخوف للمسافر والطمع للمقيم **﴿وَيُنشِئُ﴾**: يخلق، **﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾**: من كثرة الماء، **﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾** هو اسم لهذا الصوت أو لملك موكل[3] بالسحاب **﴿بِحَمْدِهِ﴾**: متلبسًا بحمده **﴿وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾** : من خوف الله تعالى، **﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا﴾**: فيهلك، **﴿مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾**: يكذبون آياته ورسله، والواو للحال أو للعطف نزلت[4] فى كافر قال : مم ربك ؟ من ذهب أو فضة أو لؤلؤ ، وهو يجادل إذ أخذته صاعقة فأحرقته **﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ[5]﴾**: الحول أو القوة أو الأخذ أو المحال المماحلة وهى شدة

---

(١) نقله الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال الشيخ ابن كثير: وهذا غريب وفى إسناده من لا أعرفه [تفسير ابن كثير (٢/٥٠٥)]، هذا ما فى المنهية وفى الوجيز نقله الترمذي فى أربعينه وصححه/ ١٢ .

(٢) ولما خوف عباده بقوله: "وإذا أراد الله" أتبعه بما يشتمل على أمور دالة على قدرته وحكمته تشبه النعم من وجه والنقم من وجه فقال : " هو الذي " الآية/ ١٢ وجيز .

(٣) كما فى حديث رواه الإمام أحمد والترمذي / ١٢ .[صحيح، أخرجه أحمد (١/٢٧٤) والترمذي (٤/١٢٩)، وغيرهما، وراجع الصحيحة (١٨٧٢)]

(٤) نقله الحافظ أبو يعلى والبزار/ ١٢ وجيز .

(٥) وفى الشواذ بفتح الميم مفعل من حال يحول إذا احتال / ١٢ وجيز .

المماكرة والمكائدة ﴿لَهُ﴾: لله ﴿دَعْوَةُ[1] الحَقِّ﴾: دعوة الحق التوحيد ، وقيل : معناه العبادة والدعاء الحق لا الباطل ، كان له لا لغيره ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: الأصنام، ﴿مِن

(١) اعلم أن الدعاء نوع من أنواع العبادات المطلوبة من العباد ولو لم يكن فى الكتاب العزيز إلا مجرد طلبه منهم لكان ذلك مفيدًا للمطلوب قال الله تعالى : " ادعو ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفًا وطمعًا إن رحمة الله قريب من المحسنين " (الأعراف:٥٥،٥٦)،وقال سبحانه : " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى " (الإسراء:١١٠)، فهذه البينات دلت على أن الدعاء مطلوب لله عز وجل من عباده وهذا القدر يكفى فى إثبات كونه عبادة فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي من دعاء غير الله تعالي قال سبحانه : " فلا تدعوا مع الله أحدًا " (الجن:١٨)، و قال تعالى : " له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء " وقال سبحانه ناعيًا على من يدعو غيره ضاربًا الأمثال " إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم " (الأعراف:١٩٤)، وقال تعالى : " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا في الأرض " (سبأ:٢٢)، فكيف إذا صرح القرآن الكريم بأن الدعاء عبادة تصريحاً لا يبقى عنده ريب لمرتاب قال الله سبحانه : " ادعوني استجب لكم إن الذي يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين" (غافر:٦٠)، ومع هذا كله فقد جاءت السنة المطهرة بما يدل أبلغ دلالة على أن الدعاء من أكمل أنواع العبادة فأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وصححه والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة والحاكم من حديث النعمان بن بشير قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :"إن الدعاء هو العبادة" [صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٤٠٧)، وفى رواية مخ العبادة " ، ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الآية المذكورة [ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٣٠٠٣)]، فهذه القضية الشريفة قد اشتملت على تعريف المسند إليه وتعريف المسند وعلى ضمير الفصل ، وقد صرح أهل المعانى والبيان والأصول بأن كل واحد من هذه الثلاثة آلة من آلات الحصر وإن وجد أحدها يقتضيه ، فكيف إذا اجتمعت جميعًا وانضم إليها حرف التأكيد / ١٢ قاضى محمد بن على الشوكاني فى بعض رسائله/١٢ .

دُونِهِ ﴾: من دون الله – تعالى، أو المراد من الذين الأصنام، أي : الأصنام الذين يدعونهم من دون الله ﴿لاَ يَسْتَجِيبُونَ﴾ أي : الأصنام ﴿لَهُم﴾: لعبادهم، ﴿بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ﴾: إلا استجابة كاستجابة من بسط ﴿كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ﴾: يطلب منه أن يبلغ، ﴿فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ لأن الماء جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر أن يصل إلى فيه كالأصنام وعن بعض السلف كمثل الذي يناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يناله أبدًا ، فكيف يبلغ فاه ؟! وعن بعض معناه مثلهم كمثل من بسط كفيه ناشرًا أصابعه والماء لا يبقى فى الكف إذا نشرت الأصابع ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾: فى ضياع[1] لا منفعة فيه أو ما دعاؤهم ربهم إلا فى ضلال ؛ لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾: ينقاد ويخضع ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ ﴾: الملائكة، ﴿وَالأَرْضِ﴾: الثقلين ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ نصبهما بالمفعول له أو بالحال قيل: المراد من السجدة وضع الجبهة وهو من المؤمنين بالطوع ومن الكفرة وقت الضرورة[2] قيل: اللفظ عام والمراد منه الخصوص ﴿وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾: فى هذين الوقتين يسجد ظلال الكافر والمؤمن بكيفية لا نعرف، وهل يبعد أن يخلق الله – تعالى – فى الظلال عقولاً يسجد لخالقه كما خلق فى الجبال وتجلى له والمأوَّلة يأولونها إلى تصريفه إياها بالمد والتقليص فقالوا: تخصيص الوقتين لأن المد والتقليص فيهما أظهر والأظهر أن بالغدو ظرف ليسجد والتخصيص لأنهما أشرف أوقات العبادة أو المراد بهما الدوام ﴿قُلْ مَن[3] رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ أجاب عنهم فإنهم مضطرون إلى هذا

---

(١) في الوجيز نقله عن ابن عباس / ١٢ .

(٢) والشدة قال الله – تعالى: " فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله " (العنكبوت:٦٥)/ ١٢ منه .

(٣) قال الحافظ عماد الدين بن كثير عند قوله تعالى : " قل من رب السموات والأرض ": يقدر تعالى أنه لا إله إلا هو لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق السموات والأرض وهو =

لجواب ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ ألزمهم بأنكم تأخذون الأصنام ربًّا مع أنكم تسلمون أن الله – تعالى – رب السماوات والأرض ﴿لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا﴾: لا يقدرون على أن ينفعوا أنفسهم ويدفعوا عنها ضرًّا ، فكيف يملكون لكم ؟!﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: فلا يستوي المؤمن والكافر ، وقيل المراد: هل يستوي الإله الغافل عنكم والإله المطلع على أحوالكم؟، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ فلا يستوي الكفر والإيمان ، ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾: بل أجعلوا والهمزة للإنكار ، ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ صفة لشركاء ، ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ﴾: خلق الله وخلق الشركاء ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما اتخذوا شركاء خالقين حتى يتشابه عليهم الأمر، فيقولوا: هؤلاء خالقون كما أن الله – تعالى – خالق فاستحقوا العبادة أيضًا ، بل اتخذوا شركاء من أعجز الخلق ، ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: وحده لا شريك له فلا تشركوا فى عبادته غيره ، ﴿وَهُوَ الوَاحِدُ﴾: بالألوهية ، ﴿القَهَّارُ[1]﴾: الغالب ، ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ جمع واد ، وهو موضع يسيل فيه الماء ، فنسبة السيل مجاز للمبالغة ، ﴿بِقَدَرِهَا﴾ أي : أخذ كل واد بحسبه ، فالكبير يسع

= ربها ومدبرها ومع هذا قد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم وإنما كان عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة عبيد له ، كما كانوا يقولون فى تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وكما أخبر عنهم قوله – تعالى: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" (الزمر:٣)، فأنكر – تعالى – ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك ، وهو – تعالى – لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له ، ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم يزجرهم عن ذلك وينهاهم عن عبادة ما سوى الله فكذبوهم / إنتهى ١٢ .

(١) ولما وصف نفسه الأقدس بأنه القهار أتبعه بذكر مثال نافع من قهره وغلبته فقال : " أنزل من السماء " / ١٢ وجيز .

الكثير ، والصغير يسع القليل ، قيل: بمقدارها الذي علم الله أنه نافع ،﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا﴾ أي : الزبد الذي يظهر على وجه الماء من غليانه ، ﴿رَّابِيًا﴾: مرتفعًا على وجه السيل ، ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ[1] عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ أي : جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس وغير ذلك ، ﴿ابْتِغَاءَ﴾: طلب ، ﴿حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾: كالأوانى وآلات الحرث والحرب ، ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ أي : مما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء ومن للابتداء أو للتبعيض ، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي : مثلهما، فالحق كالماء الذي ينتفع به الناس بقدر وسع أنهارهم وأوديتهم ، ويمكث في الأرض وكالجواهر الأرضية المنتفعة بها في صواغ الحلي والأمتعة عنها ويدوم نفعها والباطل كالزبد الذى ليس له نفع ويزول بسرعة وإن علا بعض الأحيان على الماء الصافى وعلى الجواهر حين أذيبت ، وعن بعض السلف أراد من الماء القرآن[2] ، ومن الأودية القلوب احتملت القلوب منه على قدر يقينها وشكها فأما الشك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين فينفع الله به أهله ، وقالوا أيضًا : العمل السيئ يضمحل عن أهله كالزبد لا نفع له ولا يبقى وأما من عمل بالحق كان له ويبقى كما يبقى الماء الصافى والجواهر الخالصة ، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أي: يرمى به السيل منصوب على الحال ، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾: كالماء الصافي وخلاصة الفلزات ، ﴿فَيَمْكُثُ[3] فِي الأَرْضِ﴾ وبه ينتفع

---

(١) أى : ومما توقدون ينشأ زبد الماء أو بعضه زبد مثله / ١٢ .

(٢) وفي الحديث الصحيح يؤيد هذا التأويل وهو "مثل ما بعثت به من الهدي والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت ، ومنها أجادب فأمسكت الماء فانتفع الناس به ، بسقيهم وزرعهم ، ومنها قيعان فلا يمسك ولا ينبت" /١٢ وجيز.
[أخرجه البخاري في "العلم"، ومسلم في "الفضائل"، (٢٢٨٢)]

(٣) بدأ بالزبد إذ هو المتأخر والباطل كناية عنه ، وهو أيضًا متأخر وهذه طريقة حسنة ، يبدأ بتقسيم ما ذكر آخرًا ليكون بجنبه نحو "يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين =

الخلق ، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ ﴾: للإيضاح والتبيين ، ﴿لِلَّذِينَ[1] اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ﴾ وهم المؤمنون ، ﴿الْحُسْنَى ﴾: المثوبة الحسنى وهي الجنة مبتدأ ، والذين استجابوا خبره، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ ﴾ وهم الكفرة مبتدأ وقوله ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ ﴾ خبره ، أي : لو كان لهم جميع الدنيا ومثله فى دار الآخرة[2] لافتدوا به للتخلص من عذابه ، قيل : ضرب المثل لبيان الفريقين ، فقوله: "للذين" متعلق بيضرب ، والحسنى صفة مصدر ، أي : استجابوا الاستجابة الحسنى، وقوله: "لو أن لهم" إلخ ... كلام مبتدأ لبيان مآل الفريق الآخر ، ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ ﴾: المناقشة فيه وعدم غفر شيء من ذنبه، ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾: مرجعهم ، ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ جهنم ، أي : المستقر .

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ

= اسودت وجوههم" (آل عمران:١٠٦)، وقد يكون الأمر بالعكس نحو:" فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا" (هود:١٠٥)، فكان الله أعلم يبدأ بما هو أهم بالمقصود والذكر / ١٢ وجيز .

(١) ولما ضرب المثل للحق والباطل انتقل ما لأهلهما من الثواب والعقاب ، فقال : " للذين استجابوا " / ١٢ وجيز .

(٢) وهم فى الدنيا بخلوا بقليل منها / ١٢ .

عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿أَفَمَن[١] **يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ﴾**: فيؤمن به، **﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾**: القلب لا يعلم فلا يؤمن، والهمزة لإنكار تشابههما ، **﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَاب﴾**: العقول السليمة ، **﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾**: بما أمرهم في كتابه ، أو بالعهد الذي أخذ منهم حين أخرجهم من صلب آدم ، **﴿وَلاَ يَنقُضُونَ المِيثَاقَ﴾** : ذلك الميثاق أو مطلق الميثاق ، **﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾**: من صلة الرحم والإيمان بجميع الرسل ومراعاة الحقوق ، **﴿وَيَخْشَوْنَ**[٢] **رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَاب**[٣] **وَالَّذِينَ**[٤] **صَبَرُوا﴾**: على أمر الله تعالى أو على المصائب ، **﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾**، طلب مرضاته ، **﴿وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾**: بحدودها وبركوعها وسجودها على الوجه

---

(١) ولما بين حال المجيب ومن لم يجب أراد أن يبين أن بينهما بونًا بعيدًا فقال : " أفمن يعلم أنما أنزل " / ١٢ وجيز .

(٢) فلا يتجاوزون عن أمره / ١٢ .

(٣) فأجابوا داعي الله، وحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا / ١٢ وجيز .

(٤) فيما يليق فيه الصبر جاءت الصلة هنا بلفظ الماضى بخلاف ما تقدم ، لأن حصول تلك الصلات إنما هى مرتبة على حصول الصبر وتقدم عليها ولذلك لم تر صلة فى القرآن بالصبر إلا بصيغة الماضي إذ هو شرط مقدم على حصول التكاليف/١٢ وجيز .

الشرعي ، ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يؤدون الزكاة أي: من يجب عليه ، ﴿سِرًّا وَعَلانِيَةً [1]﴾: لم يمنعهم عن ذلك حال من الأحوال فى الليل والنهار وفسر بعضهم بوجه يشمل صدقة التطوع وهو الأولى، ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾: يدفعون، ﴿بِالْحَسَنَةِ [2] السَّيِّئَةَ﴾ أي : بالصالح [3] من العمل السيئ منه ، أو يجازون الإساءة بالإحسان ، إذا أذاهم أحد قابلوه باللطف ، ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: عاقبة الدنيا وهي الجنة ؛ لأنها التي ينبغي أن تكون عاقبة أهلها ومرجعهم ، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من عقبى الدار ، والعدن الإقامة ، أي : جنات يقيمون فيها ، أو في الجنة قصر يقال له عدن له خمسة آلاف باب ، أو مدينة من الجنة فيها الأنبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد ، والجنات حولها ، ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ صفة جنات عدن ، ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ عطف على فاعل يدخلون وجاز للفصل بالضمير ، ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يعني يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغهم كرامة [4] لهم، ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾: من أبواب منازلهم للتهنئة قائلين ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ متعلق بما تعلق عليه عليكم أو تقدير هذه بما صبرتم والباء

---

(١) والأولى تعميم الإنفاق لتكون السر لصدقة التطوع والعلانية للواجب / ١٢ وجيز .

(٢) فيه إشارة إلى أن التخلص من السيئة متعذر كما ورد:

إن تغفر اللهم تغفر جمًّا ... فأي عبد لك لا ألما

قاله – صلى الله عليه وسلم – حين قرأ إلا اللمم / ١٢ وجيز .[صحيح، أخرجه الترمذي والحاكم عن ابن عباس مرفوعا، وانظر صحيح الجامع (١٤١٧)]

(٣) كما ورد فى الحديث " أتبع السيئة الحسنة تمحها " .[حسن، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وغيرهم عن أبي ذر مرفوعا، وانظر صحيح الجامع]

(٤) كما قال تعالى : " والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان " الآية (الطور:٢١)/ ١٢ وجيز .

للسببية أو البدلية ، ﴿**فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾: جنة العدن ، ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ**﴾: بعد ما أوثقوه وأقروا وقبلوا وهذا قسيم الأولين، ﴿**وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ**﴾: بالكفر والمعاصى، ﴿**أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ أي: سوء عاقبة الدنيا وهو جهنم، ﴿**اللَّهُ يَبْسُطُ**[1]﴾: يوسع ، ﴿**الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**﴾: يضيقه، ﴿**وَفَرِحُوا**﴾ أي: مشركو مكة ، ﴿**بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: فرح بطروأشر ، ﴿**وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي**﴾: جنب، ﴿**الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ**﴾: نزر قليل مثل ما يستمتع به الراكب كتميرات[2].

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾

---

(١) ولما كان كثير من الأشقياء في نعم دنيوية وكثير من السعداء فى ضنك من العيش ، وهذا أمر مشكك أراد تبيين ما هو حقيقة الأمر فقال : " الله يبسط " / وجيز .

(٢) قال عبد الرحمن بن سابط: كزاد الراعي ، يزوده أهله الكف من التمر ، أو الشيء من الدقيق أو الشيء يشرب عليه اللبن / ١٢ فتح .

﴿وَيَقُولُ[1] الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كما قالوا: "فليأتنا بآية كما أرسل الأولون" (الأنبياء:٥)، حتى نعلم حقيقتها فنؤمن بها ، ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ كما أضلكم بأن طلبتم الآية بعد تلك الآيات البينات ، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾: يرشد إلى دينه، ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: من أقبل إليه ورجع عن العناد وحاصل الجواب أن الله أنزل آيات بينات دالة على صدقه بأوضح وجه لكن الله تعالى هو المضل والهادى وقد أضلكم الله تعالى فلا تهتدون إلى تلك الآيات ، بل وإن أنزلت كل آية ما اهتديتم بها ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، بدل من "مَنْ" ، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم[2] بِذِكْرِ اللَّهِ﴾: بالقرآن فلا يشكون فيه أو تطيب وتسكن قلوبهم عند ذكره أنسًا به، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: تسكن إليه ويزول عنها القلق ، وعن ابن عباس هذا فى الحلف إذا حلف المسلم في شيء يشك أخوه المسلم فيه اطمئن قلبه ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ ، ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ خبره وهو مصدر لطاب كبشرى قلبت ياؤه واواً والضمة ما قبلها ، عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أي : فرح وقرة عين ، أو اسم الجنة بلغة[3] الحبشة ، أو شجرة فى الجنة ، وذكروا في وصفها ما يطول الكتاب بذكره ، ﴿وَحُسْنُ مَئَابٍ﴾ أي : حسن المنقلب ، ﴿كَذَلِكَ[4]﴾: مثل ذلك الإرسال العظيم الشأن ، ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت، ﴿مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ

---

(١) ولما كان الفساد واللجاج من لوازم البطر والفرح عقبه بقوله: "ويقول الذين كفروا"/ ١٢ .

(٢) قيل: بذكر دلائله الدالة على وحدانيته / ١٢ منه .

(٣) هكذا قاله أبو هريرة وابن عباس أيضاً وكثير من السلف / ١٢ منه .

(٤) ولما ذكر أن أمته صارت فرقتين أراد أن يبين أن فرقة الضلال خلف لسلفهم لا أن إرسالك وضلالتهم شيء بدع غير معهود ، فقال : " كذلك أرسلناك " الآية/١٢ وجيز .

الذي أوحينا إليك ﴾ أي: القرآن ، ﴿**وهم**﴾ الواو للحال، ﴿**يكفرون بـــالرحمن** ﴾: بالبليغ الرحمة ، لا يشكرونه ، نزلت في قريش حين قيل لهم: "اسجدوا للرحمن قــــالوا وما الرحمن" (الفرقان:٦٠)، أو في أبي جهل حين قال : إن محمدا يدعو إلهين الله وإلهـــا آخر يسمى الرحمن ، ﴿**قل هو** ﴾ أي الرحمن ﴿**ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليـه متاب** ﴾: مرجعي ، ﴿**ولو أن**[1] **قرآنا سيرت به الجبال** ﴾ عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها ، ﴿**أو قطعت به الأرض**﴾: حتى تتصدع وتزايل قطعا أو شققت فجعلـــت أنهارا وعيونا ، ﴿**أو كلم به الموتى** ﴾، فتسمع وتجيب وجواب لـــو محـــذوف ، أي : لكان هذا القرآن ومع هذا هؤلاء المشركون كافرون به، وقال بعضهم: تقديره لما آمنوا به، فقد نقل في سبب[2] نزوله أنهم قالوا: يا محمد لو سيرت لنا جبال مكة حتى يتســـع أو قطعت بنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح ، أو أحييت لنا الموتى كمـــا كان لعيسى ، وقيل : جواب لو ما يدل عليه وهم يكفرون بالرحمن ، وقوله قل هـــــو ربي بينهما اعتراض ، ﴿**بل لله الأمر جميعا**[3] ﴾ هو إضراب عن معنى النفـــي الـــذي تضمنه لو أي : بل لله القدرة على كل شيء ، لو يشأ إيمانهم لآمنوا به وإذا لم يشـــاء لا ينفعهم إتيان ما اقترحوا من الآيات ، ﴿**أفلم ييأس**[4] **الذين آمنوا** ﴾: عن إيمـــانهم و لم

---

(١) ولما ذكر علة إرساله وهو تلاوته ، عظم هذا الوحي فقال : " ولو أن قرآنا " الآية/ ١٢ وجيز .

(٢) نقل ابن أبي حاتم عن أبي سعيد وكذا روي عن ابن عباس والشعبي وقتـــادة والثـــوري وغيرهم/ ١٢ منه .[وهو ضعيف]

(٣) وهذا نحو " ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبـــلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله " (الأنعام:١١١)/ ١٢ منه .

(٤) أي : ألم ييئسهم العلم بأن الله لو شاء لهدى الناس جميعا عن إيمانهم ، فيقترحون آيـــات تكون سببا لإيمانهم / ١٢ .

ينقطع رجاؤهم عنه مع ما عاينوا من لجاجهم ، ﴿أن لو يشاء الله﴾ متعلق بمحذوف ، أي : علما منهم أن لو يشاء الله - تعالى، ﴿لهدى الناس جميعا﴾ وقيل: متعلق[1] بآمنوا ، وفسر أكثر السلف أفلم ييأس بأفلم يعلم، فقيل : هو بمعنى العلم في لغة النخع، أو هوازن ، وقيل فسروه به ؛ لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون وقرأ جماعة من الصحابة والتابعين أفلم يتبين الذين آمنوا، قيل: نزلت حين أراد المسلمون أن تظهر آية مما اقترحوا ، ليجتمعوا على الإيمان، ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾: من خبائث أعمالهم ، ﴿قارعة﴾: داهية تفزعهم وتقلقهم ، ﴿أو تحل قريبا من دارهم﴾ أو تصيب القارعة من حولهم ، كما قال - تعالى - : " ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى " الآية (الأحقاف:٢٧)، ﴿حتى يأتي وعد الله﴾: الموت أو القيامة وعن بعض السلف ، أن المراد من الذين كفروا أهل مكة ومن القارعة السرية التى يبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهم، أو عذاب من السماء يترل إليهم ، أو تحل أنت يا محمد بنفسك قريبا[2] من دارهم وتقاتلهم حتى يأتي وعد الله - تعالى - أى: فتح مكة ، ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ

---

(١) أى : أو لم يقنط الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس من إيمان هؤلاء الكفرة فعلى هذا مفعول ييأس كالأول محذوف / ١٢ منه .

(٢) ليتعظوا ويعتبروا / ١٢ منه .

هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿**وَلَقَدِ**[1] **اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: أطلت لهم المدة ، ﴿**ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ أي: عقابي إياهم وهذا تسلية لنبينا عليه السلام ، ﴿**أَفَمَنْ**[2] **هُوَ قَائِمٌ**﴾: رقيب ، ﴿**عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾: من خير وشر فيحفظهما ويجازيها والخبر محذوف، أي: كمن لا يكون كذلك والهمزة لإنكار المساواة، ﴿**وَجَعَلُوا**[3] **لِلَّهِ شُرَكَاءَ**﴾ عطف على كسبت أو استئناف ، وقيل: نقدر الخبر المحذوف لم يوحدوه فقوله وجعلوا عطف[4] عليه ، وقيل تقديره أفمن هو قائم على كل نفس موجود وقد جعلوا لله شركاء فعلى هذا الواو للحال، ﴿**قُلْ سَمُّوهُمْ**﴾

---

(١) ولما قال : لا تزال تصيبهم بسبب صنيعهم قارعة شرع يظهر بعض صنائعهم ، فقال : استهزئ برسل من قبلك مثل تلك القبائح من عاداهم القديمة / ١٢ وجيز

(٢) ولما ذكر أن ما أصابهم ليس إلا بسبب كسبهم قال : " أفمن هو قائم " الآية/١٢ وجيز .

(٣) ولما علم أن لا يساويه ولا يناسبه شيء بين جهلهم وحمقهم ، فقال : " وجعلوا لله شركاء " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على أنه المستحق للعبادة / ١٢ منه .

بأسماء من القادر أو الرازق، أو الخالق، أو القاهر أو غيرها من مثل أسماء الله الحسنى حتى تعرفوا أنهم غير مستحقين للعبادة ، **﴿أَمْ﴾**، أي : بل ، **﴿تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ﴾**، أي : تخبرون الله -تعالى- بشركاء لا يعلمهم ، **﴿فِي الأَرْضِ﴾** وهو العالم بكل شيء، **﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ القَوْلِ﴾** أي: أم تسموهم شركاء بظاهر من القول لا حقيقة له أصلًا[1] ، **﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾**: كيدهم وما هم عليه من الضلال، **﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾**: عن طريق الهدى، **﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**: بالقتل والأسر وغيرهما ، **﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ[2]﴾**: يقيهم ويمنعهم منه ، **﴿مَّثَلُ الجَنَّةِ﴾** أي: صفتها التي هي مثل في الغرابة ، **﴿الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ﴾** من الشرك وهو مبتدأ خبره مقدر أي : فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقوله **﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾** حال من العائد المحذوف من الصلة أو هو خبر مثل الجنة كقولك: صفة زيد أسمر أو تقديره مثل الجنة[3] جنة تجرى ، **﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾**: لا ينقطع نعيمها، **﴿وَظِلُّهَا﴾**: كذلك ، **﴿تِلْكَ﴾** أي: هذه الجنة ، **﴿عُقْبَى﴾**: مآل، **﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الكَافِرِينَ[4] النَّارُ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ﴾** المراد مسلموا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، **﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾**: من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه ، **﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ﴾** أي : ومن أحزاب اليهود والنصارى، **﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾** أي : ما يخالف كتبهم أو رأيهم ،

---

(١) كتسمية الزنجى كافورًا / ١٢ منه .

(٢) ولما ذكر ما أعد للكفار أخذ يذكر ما أعد للمؤمنين فقال : " مثل الجنة " الآية/ الوجيز

(٣) المثل على الوجه الأخير بمعناه اللغوي وعلى الوجهين الأولين بمعنى الصفة/ ١٢ منه .

(٤) ولما بين حال القسمين وما أعد لهما عقب ببعض من القسمين فقال : " والذين آتيناهم الكتاب " الآية / ١٢ وجيز .

قال بعضهم : هذا في مؤمني أهل الكتاب حزنوا بقلة ذكر لفظ الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما نزل " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن " (الإسراء: ١١٠)، فرحوا وكفر المشركون به ، فقالوا : وما الرحمن ، **﴿قل﴾**: لهم، **﴿إنما أمرت أن أعبد**[١] **الله﴾**: وحده ، **﴿ولا أشرك به إليه أدعو﴾**: لا إلى غيره، **﴿وإليه﴾**: لا إلى غيره ، **﴿مئاب ﴾**: مرجعي للجزاء ، يعني قل لهم: هذا شغلي وأمري حتى يعلموا أن إنكارهم إنكار عبادة الله مع ادعائهم واتفاقهم وجوبها ، **﴿وكذلك﴾** أي : كما أنزلنا على قلبك الكتاب بلغاهم ، **﴿أنزلناه﴾** أي: القرآن حال كونه ، **﴿حكما عربيا ﴾**: حكمه مترجمة بلسان العرب، قال بعضهم: سماه حكما ؛ لأنه منه يحكم في الوقائع، أو لأن الله تعالى حكم على الخلق بقبوله ، **﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾**: بحقيقة ما معك وبطلان ما معهم، **﴿ما لك من الله من ولي ﴾**: ينصرك، **﴿ولا واق ﴾**: يمنع العقاب عنك وهذا في الحقيقة وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ

(١) قوله : "أن أعبد الله ولا أشرك به" هذا يدل على نفى الشركاء والأنداد والأضداد بالكلية ويدخل فيه إبطال كل من أثبت معبودا سوى الله - تعالى - سواء كان ذلك المعبود هو الشمس والقمر أو الكواكب ، أو الأصنام والأوثان والأرواح العلوية أو يزدان من على ما يقوله المجوس أو النور والظلمة على ما يقوله الثنوية وكما يجب عبادة الله وحده فكذلك يجب الدعوة إلى عبودية الله وحده كما قال: "إليه أدعوا وإليه متاب" / ١٢ مفاتيح الغيب المعروف بالكبير للإمام الرازي .

وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾: نساء وأولادًا كما هي لك، قيل: نزلت حين قال المشركون أو اليهود: ليست همة هذا الرجل إلا فى النساء ، **﴿وَمَا كَانَ﴾**: ما صح، **﴿لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾**: خارقة للعادة ، **﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** قيل: هذا جواب لسؤالهم توسيع مكة ، **﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾** أي: لكل مدة مضروب كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار ، **﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾**، أي : ينسخ الله تعالى ما يشاء من الأقدار ويثبت منها ما يريد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره يمحو ما يشاء إلا الشقاء[1] والسعادة والحياة ، والموت

---

(١) وإما أن السعادة والشقاء ومدة الحياة ووقت الأجل لا يغير ولا يمحا فالأحاديث والآثار دالة على خلاف ذلك فإن الصدقة وصلة الرحم تزيدان فى العمر وظاهر النظم القرآني العموم في كل شيء مما في الكتب فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر ويبدل هذا بهذا ويجعل هذا مكان هذا ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- وابن مسعود(*) وابن عباس وأبو وائل وقتادة والضحاك وابن(*) جريج -رضي الله عنهم- وغيرهم / ١٢ فتح البيان.

(*) تكررت لفظة: وابن في الأصل.

وعن كثير من السلف : أهم يدعون بهذا الدعاء[1] اللهم إن كتبتنا أشقياء فامحه واكتبنا سعداء ، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، ولكل وقت حكم يكتب على عباده[2] فيمحوا ما يشاء ويثبت بنسخ ما يستصوب نسخه، وإثبات ما يقتضيه حكمته، أو فيه تقديم وتأخير[3] تقديره لكل كتاب أي : منزل من السماء مدة مضروبة عند الله ـ تعالى ـ يمحو ما يشاء ويثبت حتى نسخت كلها بالقرآن ، ويمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت بدلها الحسنات أو هو الرجل يعمل بطاعة الله تعالى ثم يعود بمعصيته فيموت على الضلالة فهو الذى يمحو، والذى يثبت ما يشاء فلا يغفرها، أو يمحو الذنوب بالتوبة ويثبت هو الرجل يعمل بطاعته ويموت عليها أو يمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظة كالمباحات ويثبت ما يتعلق به جزاء ، أو قال[4] : قريش حين نزلت وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ما نراك يا محمد تملك من شيء، ولقد فرغ من الأمر فأنزلت هذه تخويفًا ووعيدًا لهم ، ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ هو اللوح المحفوظ الذى لا يبدل ولا يغير، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ الكتاب كتابان، كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت و كتاب لا يغير منه شيء، أو المراد منه علم الله ـ تعالى، ﴿وَإِن[5] مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾، أي :

---

(١) هذا الدعاء المنقول عن كثير من السلف كعمر بن الخطاب- رضى الله عنه-وابن مسعود- رضى الله عنه- وغيرهما مخالف لما قال ابن عباس- رضى الله عنه-/ ١٢ منه .

(٢) هذا غير الأول فإن الأول نسخ الأقدار وهذا نسخ الحكام كنسخ أحكام القرآن بعضه ببعض / ١٢ منه .

(٣) هذا قول الضحاك ويعني المراد من قوله لكل أجل كتاب بكل كتاب أجل /١٢ منه .

(٤) نقله ابن أبي نجيع عن مجاهد / ١٢ منه .

(*) تكرار رضى الله عنه ص٣٥٣.

(٥) ولما ذكر أن الأقدار يمحو ويثبت طمحت النفوس إلى العلم بأن إهلاك أعداء الدين هل هو من أي القسمين من المحو والإثبات فقال : " وإما نرينك بعض الذي نعدهم " الخ / ١٢ وجيز .

كيفما دارت الحال أريناك بعض ما أوعدناهم من عذابهم ، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل نزول عذابهم ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾: ما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة، ﴿وَعَلَيْنَا﴾: لا عليك، ﴿الْحِسَابُ﴾، أي : حسابهم وجزاؤهم فلا تستعجل بعذابهم ولا يهمنك إعراضهم ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾: أرض الكفر، ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: بما نفتح على المسلمين من بلادهم ونزيد في دار الإسلام وما ذلك إلا من آيات نصرتهم، وقال[1] بعضهم معناه: أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها فنخربها من أطرافها ونهلك أهلها ، أو ننقص أهلها وثمارها ، أفلا يخافون أن نفعل بهم ذلك ، أو نقصانها موت[2] علمائها وذهاب فقهائها ، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾: بما يشاء، ﴿لاَ مُعَقِّبَ[3] ﴾: لا راد ﴿لِحُكْمِهِ﴾ والنفي مع المنفي في موضع الحال، أي: نافذًا حكمه ، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا ، ﴿وَقَدْ[4] مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: الكفار الذين من قبل مشركي أهل مكة مكروا بأنبيائهم، ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ[5] جَمِيعًا﴾، فإن مكر الماكرين في جنب مكر الله تعالى كلا مكر، فإنه القادر

---

(١) هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة / ١٢ منه .

(٢) هذا أيضاً منقول عن ابن عباس- رضى الله عنه- ومجاهد- رضى الله عنه-/ ١٢ منه .

(٣) المعقب : الذي يكر على الشيء فيبطله / ١٢ منه .

(٤) ولما ذكر إقبال المسلمين وإدبار الكافرين عقب شيئًا هو السبب لإدبارهم فقال : "وقد مكر الذين" / ١٢ وجيز .

(٥) وصف تعالى نفسه بالمكر والكيد في القرآن كما وصف عبده بذلك فقال: "ويمكرون ويمكر الله" (الأنفال:٣٠) وقال : "إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً" (الطارق:١٦)، وليس المكر كالمكر ولا الكيد كالكيد ولله المثل الأعلى ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير/١٢(*).

(*) تكرر رقم /١٢ بالأصل.

على ما هو المقصود منه دون غيره، أو هو خالق جميع المكر فلا يضر مكر إلا بإذنه ، فلا تخف إلا من الله تعالي ، ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾، ويعد لها الجزاء ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: لمن تكون الدائرة والعاقبة المحمودة لهم أو للمسلمين في الدنيا والآخرة ، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، هم من اليهود والنصارى ، فإنهم عرفوا حقيته في التوراة والإنجيل ، أو من عنده علم الكتب هو الله تعالي ويؤيده قراءة من قرأ من عنده بكسر الميم والدال قال بعضهم المراد مؤمنوا أهل الكتاب ، ثم اعترض عليه بأن هذه الآية مكية ومن آمن منهم ما آمن إلا بعد الهجرة والله سبحانه وتعالى أعلم .

سورة إبراهيم مكية

وهي اثنتان وخمسون آية وسبع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾

﴿**الر كِتَابٌ**﴾ أي : هو كتاب، ﴿**أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ**﴾: بدعوتك إياهم إلى ما فيه، ﴿**مِنَ الظُّلُمَاتِ**﴾: أنواع الضلال، ﴿**إِلَى النُّورِ**﴾: الهدى، ﴿**بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**﴾: بأمره وتوفيقه ، ﴿**إِلَى صِرَاطِ**﴾ بدل من إلى النور، ﴿**الْعَزِيزِ**﴾: الغالب ، ﴿**الْحَمِيدِ**﴾: المستحق للحمد ، ﴿**اللَّهِ**﴾ عطف بيان للعزيز وعلى قراءة الرفع مبتدأ خبره قوله: ﴿**الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ أو خبر مبتدأ محذوف والذي صفته، ﴿**وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾ والويل اسم معنى كالهلاك، ﴿**الَّذِينَ**

يَسْتَحِبُّونَ ﴾: يختارون، ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾: يمنعون الناس عن دين الله تعالى، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، أي: يطلبون لها الاعوجاج، ويقولون للناس: إنها معوجة بحذف الجار وإيصال الفعل،﴿أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ ﴾: عن الحق ووصفه بالبعد مع أنه في الحقيقة للضال للمبالغة، ﴿وَمَا[1] أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ ﴾: بلغة، ﴿قَوْمِهِ ﴾: الذي هو بعث فيهم، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾: ما أمروا به فيفهموه بلا كلفة ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإن بعث إلى الأحمر والأسود بصرائح الدلائل ، لكن الأولى أن يكون بلغة من هو فيهم حتى يفهموا ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم ، ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ ﴾أي: بعد البيان، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾: باتباعه ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾: الذي ما شاء كان و لم يشأ لم يكن، ﴿الْحَكِيمُ ﴾: في أفعاله فيضل من يستحق الإضلال ، ويهدي من هو أهل الهداية، ﴿وَلَقَدْ[2] أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا[3]﴾ كاليد والعصا، ﴿أَنْ أَخْرِجْ ﴾ أي: بأن أخرج أو أن مفسرة ففي الإرسال معنى القول، ﴿قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾: بنعمائه عليهم من فلق[4] البحر والإنجاء من يد فرعون وغير ذلك أو بوقائعه في الأمم السالفة، ﴿إِنَّ

---

(١) ومن طلب الاعوجاج أنهم قالوا: ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي؟! فقال الله : " وما أرسلنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر أن كتب الرسل بلسان قومهم شرع فى حكاية رسول كتابه بعد القرآن ، أجل الكتب تسلية وتثبيتاً وتصبيرًا للنبي المصطفى – صلى الله عليه وسلم – فقال : " ولقد أرسلنا "/ ١٢ وجيز .

(٣) الجمهور على أن المراد بآياتنا تسع الآيات المشهورة / ١٢ وجيز .

(٤) وهذا التفسير رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – [المسند (١٢٢/٥) عن أبي بن كعب مرفوعا، وذكر ابن كثير (٥٢٤/٢) أن عبد الله بن أحمد رواه أيضا موقوفا وهو أشبه]، وهو =

﴿فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾، أي : ما صنعنا ببني إسرائيل أو ما نزل من البلاء على الأمم عبرة لمن يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه، ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ أي : واذكر إذ قال، ﴿مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم ﴾ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام وقيل بدل اشتمال من نعمة الله،﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴾ أي : والحال أنه يبغونكم ، ﴿سُوءَ العَذَابِ ﴾: أفضحه وهو ثاني مفعوليه، ﴿وَيُذَبِّحُونَ[1] أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: يتركونهن[2] أحياء ، ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: ابتلاء من حيث إنه أمهلهم فيه أو ذلكم إشارة إلى الإنجاء بمعنى النعمة.

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ

= قول كثير من السلف كمجاهد وقتادة وغيرهم وعلى هذا يكون التذكير لإسلام بعض أو يكون بعد كفرهم لعبادة العجل / ١٢ وجيز .

(١) الواو في ويذبحون إشارة إلى أن ذبح الأبناء أحد أنواع عذابهم وهم معذبون بأنواع أخرى من الاستعباد والتكاليف الشاقة و الإذلالات / ١٢ منه .

(٢) للخدمة / ١٢ .

أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ ﴾ عطف على إذ أنجاكم[1] أي: أذن وأعلم، ﴿رَبُّكُمْ ﴾: فقال، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾: يا بني إسرائيل نعمتي فأطعتموني ، ﴿لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾: في النعمة، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾: نعمتي، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ[2] ﴾، لمن كفر نعمتي ، ﴿وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ ﴾، عن خلقه وشكرهم ، ﴿حَمِيدٌ ﴾، مستحق للحمد في ذاته وإن لم يحمده الحامدون ، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾، من الكفار كلام مستأنف من الله تعالى أو من تمام كلام موسى والأول أظهر فقد نقل أن قصة عاد وثمود ليست فى التوراة ، ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي : بعد هؤلاء من الأمم المكذبة، ﴿لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ ﴾: لا يحصي عددهم لكثرتهم إلا الله تعالى ولهذا قال بعض السلف: كذب

---

(١) جاز أن يكون عطفًا على نعمة الله ، أي : اذكروا حين تأذن ربكم / ١٢.

(٢) جاء التركيب على ما عهد فى القرآن من أنه إذا ذكر الخير أسند إلى نفسه الأقدس وإذا ذكر الشر بعده عدل عن نسبته إلى نفسه وصرح فى لأزيدنكم بالمفعول، ولم يذكره فى جانب العذاب وإنّ كان المعنى عليه رجاء ورحمة ثم نبه موسى قومه على أنه أوعد على الكفر لا لأنه محتاج إلى شكركم فقال وقال موسى "إن تكفروا" الآية ١٣ وجيز.

النسابون[1] ، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَات ﴾: المعجزات الواضحات، ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾، أي : الكفار عضوها من الغيظ أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وإلى ما نطقت ألسنتهم به من قولهم:" إنا كفرنا بما أرسلتم به" ، أي : هذا جوابنا ليس عندنا غيره أو وضعوا أيديهم على أفواههم كما يفعل ذلك من غلبة الضحك ، أي : ضحكوا وتعجبوا ووضعوها عليها مشيرين للأنبياء بالسكوت أو أخذ الكفار أيدي الرسل ووضعوها على أفواه الرسل ليسكتوهم أو الرسل لما أيسوا منهم، وضعوا أيديهم على أفواه أنفسهم، وسكتوا ووضعوا الكفار أيدي أنفسهم على أفواه الرسل، ردًّا أو تكذيبًا لهم، أو منعًا لهم من الكلام، أو سكتوا عن الجواب يقال للرجل إذا أمسك عن الجواب: رد يده فى فيه، ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ ﴾، على زعمكم، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ [2] ﴾ : موقع فى الريبة، ﴿قَالَتْ﴾: لهم ، ﴿رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ ﴾، أي : فى تفرده بوجوب العبادة له ، ﴿شَكٌّ ﴾: فاعل الظرف، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: لا يستحق العبادة إلا من ابتدعهما من غير مثال سبق، ﴿يَدْعُوكُمْ ﴾: إلى طاعته، ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: بعض ذنوبكم الذي يُكَفَّر بالإيمان فإن المظالم لا يُكَفَّرُ بالإيمان[3] للذمي خصوصًا، وقيل من

---

(١) قاله ابن مسعود وعروة بن الزبير: يعني أنهم يدعون علم الأنساب .

(٢) صفة توكيد بادروا أولاً إلى التكذيب المحض ثم أخبروا أنهم فى ترددهم كأنهم نظروا بعض نظر اقتضى انتقالهم من التكذيب المحض إلى التردد ، أو هما قولان من طائفتين طائفة بادرت بالتكذيب وطائفة شكت وهذا الشك أيضاً كفر ، قالت لهم رسلهم : أفي الله شك/ ١٢ وجيز.

(٣) سيما إذا كان المال موجودًا وقيل للتبعيض لأن الإسلام يجب ما قبله ويبقى ما يستأنف بعده من الذنوب / ١٢ وجيز.

صلة، وقيل بمعنى البدل، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: فلا يعاجلكم بالعذاب، ﴿قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: فمن أين لكم المتبوعية، ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾: تمنعونا، ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: حجة ومعجزة ظاهرة دالة على فضلكم وصحة دعواكم كأنهم اقترحوا آية أظهر مما جاءوا به من المعجزات[1]، ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: في الجنس والصورة، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، فاختصنا بالنبوة والمتبوعية من فضل الله، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: ليس هذا في وسعنا، بل شيء يتعلق بمشيئة الله تعالى وإذنه، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فنحن نتوكل عليه في الصبر على معاداتكم، ﴿وَمَا لَنَا﴾: وأي عذر لنا في، ﴿أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾: طرق الرشاد، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾ جواب قسم محذوف، ﴿عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ونحن متوكلون ومن توكل على أحد فليتوكل على الله لا على غيره أو فليثبت المتوكلون على توكلهم فإنه إذا قيل للمتوكل توكل فمعناه[2] اثبت.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ

(١) فإنهم قد جاءتهم رسلهم بالحجج والمعجزات الباهرات / ١٢ .

(٢) فلا تكرار بوجه بل الأمر الأول لاستحداث التوكل والثاني للثبات فيه وفي الحث على التوكل مبالغات / ١٢ وجيز .

عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ حلفوا بأن لا محالة يكون أحد الأمرين، إما إخراجكم وإما عودكم، والأنبياء ما كانوا على ملة الكفرة، فلذلك قالوا العودة بمعنى الصيرورة، **﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾** إلي الرسل، **﴿رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ﴾** أي : أرضهم، **﴿مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ﴾** أي: وعدي هذا ، **﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾**، موقفه بين[1] يدي الله فى القيامة، **﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾**: تخويفي وعذابي، **﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾**، استنصرت الرسل ربها على قومها وسألوا منه الفتح على أعدائهم أو استفتحت الأمم الفتح كما قالوا:" اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر" الآية أو الضمير للرسل والأمم أي: سألوا كلهم نصر المحق وهلاك المبطل، **﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾**: متكبر معاند للحق كأنه قال استفتحت الرسل فنصروا وأفلحوا وخاب أو استفتح الكفار فلم يفلح وخاب، **﴿مِّن وَرَائِهِ[2] جَهَنَّمُ﴾** أي : أمامه

---

(١) فإنه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة وقيل: خاف قيامي عليه وحفظي لأعماله/ ١٢ منه .

(٢) على الوجه الثاني من وضع الظاهر موضع المضمر فإن الظاهر أن يقال حينئذ خابوا/ ١٢ منه .

وبين يديه وقيل: من وراءه حياته، ﴿وَيُسْقَى﴾ تقديره من وراءه جهنم يلقى فيها ويسقى،﴿مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾: ما يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم قيل ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر عطف بيان للماء ، ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: يتكلف جرعه يعني يشربه قهرًا، فإنه لا يضعه في فمه حتى يضربه الملك بمطراق من حديد، صفة الماء أو حال من ضمير يسقى،﴿وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾: لا يقارب أن يسيغه، فكيف يكون إلا ساغه وهي جواز الشراب على الحلق بسهولة، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي : أسبابه من الشدائد ، ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من جميع جوانبه وقيل: كل مكان من أعضائه ، ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: ليستريح، ﴿وَمِن وَرَائِهِ﴾ بين يديه، ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي : له عذاب آخر أدهى وأمر ، فإن أنواع عذاب الله تعالى لا يحصيها إلا هو ، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ ، ﴿أَعْمَالُهُمْ[1] كَرَمَادٍ[2]﴾، خبره أو تقديره فيما يقص عليكم مثل الذين كفروا وقوله أعمالهم كرماد مستأنفة كأنه قيل : كيف أعمالهم ؟ فقال : أعمالهم كرماد ، أو أعمالهم بدل وكرماد خبره ، ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ العصف اشتداد الريح فهو في المبالغة كنهاره صائم يعني لا ينتفعون بأعمالهم ولا يجدونها كرماد ذرته الريح هل يجد أحد منه ذرة، ﴿لاَّ يَقْدِرُونَ﴾: في القيامة، ﴿مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ[3]﴾: لحبوطه، ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى عدم وجدان أعمالهم،

---

(۱) قوله: "أعمالهم" إلخ الصالحة كالصدقة وصلة الأرحام وفك الأسير وإقرار الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك أو عبادتهم الأصنام في عدم الانتفاع بها أو الأعمال التي أشركوا فيها غير الله تعالى / ١٢ فتح .

(٢) كما تقول: صفة زيد عرضه مصون وماله محفوظ / ١٢.

(٣) منها ولا يرون له أثرًا في الآخرة يجازون به ويثابون عليه، بل جميع ما عملوه في الدنيا باطل ذاهب كذهاب الريح بالرماد عند شدة هبوبها وهو فذلكة التمثيل، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- لا يقدرون على شيء من أعمالهم ينفعهم كما لا يقدر على الرماد إذا أرسل في يوم عاصف / ١٢- ١٢ فتح البيان .

﴿هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ﴾ فإنه الغاية في البعد عن الحق، ﴿أَلَمْ تَرَ[1]﴾: يا محمد والمراد خطاب أمته، ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لا بالباطل في خلقه حكم ومصالح ، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يعدمكم، ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيد﴾: يخلق خلقًا آخر مكانكم أطوع منكم فإن من قدر على خلق السماوات والأرض قدر على مثل ذلك، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعسر ومن كان كذلك فحقيق بأن يعبد رجاء لثوابه وخوفًا من عقابه، ﴿وَبَرَزُوا[2] لِلَّه جَمِيعًا﴾: خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا، ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: رؤسائهم الذين استكبروا عن عبادة الله – تعالى – ، أو تكبروا على الناس، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: في الدين جمع تابع، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾، دافعون، ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ حال ومن للتبيين، ﴿مِن شَيْءٍ﴾، مفعول ومن للتبعيض، ﴿قَالُوا﴾ أي: الرؤساء جوابًا عن الضعفاء ، ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ أي : لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم لكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ، أو لو هدانا الله ووفقنا للإيمان لهديناكم ، أي : إنما أضللناكم لأنا كنا على الضلال، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ هما مستويان علينا، ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ[3]﴾: مهرب نقل أن بعض أهل النار قالوا لبعضهم : تعالوا نبكي ونتضرع ، فإنما أدركوا الجنة بالبكاء والتضرع ، فلما

---

(١) ولما ذكر حال من ينكر الآخرة ومآله عقبه بدليل واضح على الإعادة فقال : " ألم تر" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ثبت بالبرهان قدرته الكاملة عطف وعقب قوله: "وبرزوا" ليكون كالنتيجة للأولى/ ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع من كفرة الأنس أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وأتباعه من الإنس فقال تعالى : " وقال الشيطان " الآية/١٢ وجيز.

رأوا ذلك لا ينفعهم ، قالوا : تعالوا نصبر فإنما أدركوها بالصبر فصبروا صبرًا لم يـــر مثله، فلما لم ينفعهم قالوا:" سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص".

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ ﴾

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ[1] **لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾**: لما فرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة، والنـــار النار، **﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ﴾**: وعدًا من حقه الإنجاز أو أنجزه وهو الوعـــد

---

(١) قيل: هذا بعد تعيين كل قوم لمنازلهم من الجنة والنار ولكنه في الموقف فقد نقـــل مـــن حديث عقبة بن عامر "أن الكافرين يقولون: وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشـــفع لنا؟ فقيل شفيعكم إبليس، فقاموا إليه، فقام خطيبًا وقال:﴿إن الله وعدكم﴾ الآيــة"/١٢ وجيز .

بالبعث وأن الناجي من اتبع الرسل، ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ إنه غير كـائن والنـاجي عـابد الصنم، ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾، كما قال يعدهم ويمنيهم، وما يعدهم الشـيطان إلا غـرورًا، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾: ليس لي عليكم دليل ولا حجة، أو ليـس لي تسلط فألجئكم إلى الآثام، ﴿إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾: لكن دعوتكم[1] ، ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِـي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾: حيث أجبتموني، وما أطعتم ربكم مـع ظـهور حجته، ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمغيثكم ، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾: بمغيثي ، ﴿إِنِّـي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، أي: إني جحدت وتبرأت أن أكون شريكًا لله - تعالى -، فما مصدرية ، ومن متعلقة بأشركتموني، أي: كفرت اليوم بإشـراككم[2] إياي في الدنيا ، وقيل: كفرت بسبب إشراككم إياي فى الدنيا ، وقيل: ما[3] بمعـنى من، ومن متعلقة بكفرت ، أي : كفرت قبل إشراككم ، أي : حين أبيت السـجود بالذي أشركتمونيه[4] وهو الله تعالى، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ابتداء كـلام من الله، أو تتمة كلام إبليس[5] ، ﴿وَأُدْخِلَ[6]﴾ والمُدْخِل الملائكة ، ﴿الَّذِينَ آمَنُـوا

---

(١) إشارة إلى أن الاستثناء منقطع ، قال الزمخشري أي إلا دعائي إياكم بوسوستي وليـس الدعاء من جنس السلطان لكنه على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ، فعنـده أن الاستثناء متصل / ١٢ منه .

(٢) منقول عن قتادة والأول هو الوجه / ١٢ .

(٣) نحو سبحان ما سخركن لنا / ١٢ .

(٤) يقال شركنيه فلان ، أي : جعلني له شريكًا / ١٢ .

(٥) وهو الظاهر / ٢١ وجيز .

(٦) ولما تم مقاولة الضعفاء مع الرؤساء، ومقاولة الشيطان، الذي هو رأسهم ورئيسـهم، يذكر حال أهل النجاة كما هو عادة القرآن فقال : " وأدخل الذين آمنوا " الآيـة/١٢ وجيز.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: أدخل بأمر الله تعالى وإذنه، ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾: ويحيي بعضهم بعضًا، والملائكة تحييهم بالسلام ، ﴿أَلَمْ[1] تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ ﴾ أي : قصد[2] ، ﴿مَثَلاً﴾: ووضعه، ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ هي كلمة التوحيد ، ونصبها بتقدير جعل كلمة، ويكون تفسيرًا لقوله ضرب الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾: هي النخلة[3] أو شجرة في الجنة، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾: في الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا ﴾: غصونها ورأسها، ﴿فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي ﴾: هذه الشجرة، ﴿أُكُلَهَا ﴾: ثمرها، ﴿كُلَّ حِينٍ ﴾ عينه الله تعالى لإثمارها، أو صيف وشتاء، صباح ومساء، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾: بإرادة خالقها وكلمة التوحيد كشجرة أصلها في أرض قلب المؤمن ، وثمرها صوالح أعمال المؤمن ، وفرعها في السماء ، يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء ، والشجرة لا تكون شجرة إلا بعرق وأصل وفرع، كذلك الإيمان لا يتم إلا بتصديق وإقرار وعمل ، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ فإن فيها زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني ، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾: هي الشرك، ﴿كَشَجَرَةٍ ﴾ أي : كمثل شجرة ، ﴿خَبِيثَةٍ ﴾ وهي الحنظلة[4]، ﴿اجْتُثَّتْ ﴾

---

(١) لما تقرر أن الوعد الحق ما قاله الله وأذن له ، والوعد الباطل ما قاله الشيطان ووعده ، ضرب لهما مثلاً تقريبيًا للفهم فقال : " ألم تر كيف " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) يقال فلان ضرب البلد ، أي : قصده / ١٢ منه .

(٣) هي النخلة بهذا فسره النبي – صلى الله عليه وسلم – رواه ابن أبي حاتم [وكذا أحمد وابن مردويه بسند جيد كما في الدر المنثور للسيوطي (١٤٣/٤)]، وفي البخارى ما يؤيده [أخرجه البخاري في "التفسير"، (٤٦٩٨)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "صفات المنافقين"، (٢٨١١)]، وهو قول مسروق ومجاهد وعكرمة وغير واحد/ ١٢ منه .

(٤) رواه ابن أبي حاتم وغيره عن أنس عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم / ١٢ منه.[أخرجه ابن أبي حاتم بسند رجاله ثقات، وانظر تفسير ابن كثير (٥٣٢/٢)]

اقتلعت وأخذت جثتها بالكلية ، ﴿مِن فَوْقِ الأَرْضِ﴾ لأن عروقها قريبة منه، ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ استقرار، فإن الكفر لا أصل له، ولا يصعد للكافر عمل، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: بالحجة عندهم، ﴿فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فلا يزلون عنه بحال، ﴿وَفِي الآخِرَةِ[1]﴾: في القبر، عن ابن عباس، من دام على الشهادة في الدنيا، يلقنه الله تعالى إياها في قبره، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: لا يلقنهم إياها في قبورهم ، فيقولون في جواب الملكين لا ندري[2]، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ[3]﴾، ولا اعتراض .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ

---

(١) وعن عثمان بن عفان- رضى الله عنه- قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم إذا فرغ عن دفن الميت، وقف عليه وقال: "استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل" أخرجه أبو داود / ١٢ فتح .[صحيح، أخرجه أبو داود والحاكم وغيرهما، وانظر صحيح الجامع].

(٢) كما صرح في الصحيح / ١٢ .[أخرجه البخاري في "الجنائز"، (١٣٧٤)]

(٣) ما يشاء فعله ، لا راد لما أراد ، لكن لا يفعل باختياره واقتداره، إلا ما فيه حكم ومصالح، ولما قال: "ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء"، ذكر من أحوالهم وأعمالهم ما يدل على أنهم مستحقون للعقاب فقال : " ألم تر إلى الذين بدلوا " الآية/١٢وجيز .

ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ**﴾ أي : نفس نعمته ، ﴿**كُفْرًا**﴾ فإن كفار قريش أنعم الله – تعالى – عليهم بمحمد – عليه الصلاة والسلام –وغيره من النعم ، فكفروا ذلك، فسلبت منهم فبقوا مسلوبي النعمة، حاصِلًا لهم الكفر بدل النعمة، وقحطوا وأسروا وقتلوا، أو بدلوا شكر نعمته كفرًا بأن وضعوه مكانه ، ﴿**وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ**﴾: الذين اتبعوهم ، ﴿**دَارَ الْبَوَارِ**[1] ﴾: الهلاك ، ﴿**جَهَنَّمَ**﴾ عطف بيان، ﴿**يَصْلَوْنَهَا**﴾: يدخلونها حال، ﴿**وَبِئْسَ الْقَرَارُ**﴾ أي : بئس المقر جهنم، ﴿**وَجَعَلُوا**[2] **لِلَّهِ أَندَادًا**﴾ أمثالاً، ﴿**لِّيُضِلُّوا**﴾ الناس ، ﴿**عَن سَبِيلِهِ**﴾ عن دينه ، والإضلال نتيجته فجعل غرضًا مثل لدوا للموت ، ﴿**قُلْ تَمَتَّعُوا**﴾ بلذاتكم ، ﴿**فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ**[3] **إِلَى النَّارِ**﴾ والأمر للتهديد ، ﴿**قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا**﴾ أي : ليقيموا[4] ﴿**الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً**﴾ منصوبان بالظرفية، أي: وقتي سر

---

(١) وعن على بن أبي طالب وغيره ، أنها نزلت في قتلى بدر وقليب بدر أو بوارهم ، وعلى هذا جهنم منصوب بيصلون المقدر والمذكور هو المفسر / ١٢ .

(٢) يعني زادوا إلى كفر نعمته، أن صيروا له أندادًا، أمثالاً في عبادته ليضلوا/١٢ منه .

(٣) ولما أمر بأن يقول للكافرين المشركين بقوله قل تمتعوا كأن النفس توجه إلى ما يقال للمؤمنين الموحدين، فقال: "قل لعبادي" / ١٢ وجيز .

(٤) فاللام مقدر كما هو مذهب الزجاج والكسائي وجماعة من النحويين، وهذا كأنه أولى من تقدير أقيموا الصلاة وأنفقوا ويقيموا وينفقوا جواب الأمر لقلة الحذف، ولأن قوله: "من قبل أن يأتي" يناسب الأمر لا الجواب، والأمر الغائب بعد قل واقع، نحو قل لهم إن ينتهوا يغفر لهم / ١٢ وجيز .

وعلانية، أو على المصدر، أي: اتفاقهما أو على الحال، أي: ذوى سر وعلانية، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيشتري المقصر ما يتدارك به تقصيره ، ﴿وَلاَ خِلاَلٌ﴾ لا مودة ، يعني مودة تكون بميل الطبيعة لكن مودة المتقين لما كانت[1] لله تنفعهم.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ ، ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ خبره ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: بعضها، ﴿رِزْقًا﴾ مفعول له أو حال أو مصدر، فإن أخرج بمعنى رزق، ﴿لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾ لأجل انتفاعكم، ﴿الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ سراجًا ونورًا وحسبانًا وغير ذلك، ﴿دَائِبَيْنِ﴾ وهو مرور الشيء على عادة مطردة، يعني: يجريان لمصالح العباد دائمًا، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ، ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ﴾ من تبعيضية، ﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ بلسان القال والحال، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ لا تطيقوا عدها فضلاً عن القيام بشكرها، ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ﴾ على النعمة بترك شكرها، ﴿كَفَّارٌ[2]﴾ لها وقيل: يشكر غير منعمه ويجحده.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى

---

(١) فإن مودة التقوى نافعة ، ولما ذكر أن لا شيء من البيع والخلال ينفع ، كأن قائلاً قال : فمن الحاكم؟ قال: " الله الذي " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) وقيل: ظلوم يشكو في شدة ويجزع، كفار يجمع ويمنع ولما قال : " إن تعدوا نعمة الله " الآية ، ذكرهم نعمة أنعمها عليهم وهم كفروا بها فقال "وإذ قال" أي : وذكرهم بأيام الله إذ قال إبراهيم : " رب اجعل " الآية / ١٢ وجيز .

زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ**﴾ مكة شرفها[1] الله - تعالى، ﴿**آمِنًا**﴾ ذات أمن ، يذكر الله كفار مكة أنه إنما وضعت أول ما وضعت على عبـــادة الله وحـــده، ﴿**وَاجْنُبْنِي**﴾ بعدني، ﴿**وَبَنِيَّ**﴾ المراد أبناؤه من صلبه، ﴿**أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّـــهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ**﴾ أسند إلى السبب، ﴿**فَمَن تَبِعَنِي**﴾ على ديني، ﴿**فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾ بعضي لفرط اختصاصه بي ، ﴿**وَمَنْ عَصَانِي**[2] **فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ تقدر إن تغفــر له، ولا يجب عليك شيء، قيل: معناه ومن عصاني فيما دون الشرك أو إنك غفور بعد الإنابة، ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي**﴾ بعضها أي: إسماعيل، ﴿**بِـــوَادٍ غَـــيْرِ ذِي زَرْعٍ**[3]﴾ أي: مكة، ﴿**عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾ الذي في علمك أنه يحـــدث في ذلـــك

---

(١) والظاهر أن الدعاء حين صار المكان بلدًا / ١٢ وجيز .

(٢) قوله ومن عصاني فيه طباق معنوي لأن التبعية طاعة / ١٢ .

(٣) غير ذى زرع، روي أن هاجر لما ولدت إسماعيل، غارت منها سارة، فروي أنه ركـب البراق هو والطفل وأمه، فجاء مكة بيوم واحد من الشام، فأقامهما ورجع من يومـــه بوحي من الله، فلما ولى دعا بهذا، وليس في الوادي ماء وكأنه طلب من الله لهما المـاء، بقوله: "غير ذى ذرع عند بيتك المحرم" / ١٢ وجيز .[انظر القصة مطولة في صحيـــح البخاري (٣٣٦٤)]

الوادي[1] ، قال بعض المفسرين: هذا دعاء بعد بناء البيت بعد الدعاء الأول بزمـــان، ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ أي: أسكنتهم كي يقيموا الصلاة عند بيتك، وتوسيط النـداء للإشعار بأنها المقصودة بالذات والغرض من إسكانهم، ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّـــاسِ﴾ أفئدة من أفئدتهم، ﴿تَهْوِي﴾ تسرع، ﴿إِلَيْهِمْ﴾ شوقًا، وعن السلف لو قـــال: أفئـــدة الناس لازدحم إليه فارس والروم والناس كلهم، ولكن قال: من الناس فـــاختص بـــه المسلمون، ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ نعمتك وقد اســـتجاب الله دعاءه، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ فلا حاجة إلى الطلب لكنا ندعـــوك إظهارًا للعبودية، أو ما نخفى من الوجد بإسماعيل وأمه، حيث أسكنتهما بواد غـير ذى زرع ، وما نعلن من الدعاء،﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ﴾ صفـــة شيء ، ﴿وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ هو من تتمة كلام إبراهيم، أو مبتدأ من الله، ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ﴾ أي: وأنا كبير وآيس من الولد ، ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ وهـــو في تسع وتسعين ، ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ وهو فى مائة واثنتي عشرة، وهذا دليل علي أن الدعاء بعد[2] بناء البيت ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ لمجيبه، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّـــلاةِ﴾ محافظًا عليها معدلاً لأركانها، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ واجعل منهم من يقيمها، وهو يعلم مـن الله -تعالى- أن في ذريته بعضًا من الكفار، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ[3]﴾ فيما سألتك كله،

---

(١) قوله فى ذلك الوادي إلخ، فإن موضع البيت نحو جبل يأتيه السيل ويأخذ عـــن يمينـه وشماله، قال بعض هذا الدعاء بعد بناء البيت بعد الدعاء الأول بزمان ، وهو الأرجـــح كما يجيء المرجح / ١٢ وجيز .

(٢) فإن الدعاء الأول في طفولية إسماعيل، و لم يكـــن إســحاق، اللـــهم إلا أن يقـــال: إن الدعاء والحمد في زمـــن مختلفـــة، جمـــع الله جميعـــهم وحكـــى عنـــهم / ١٢ وجيز .

(٣) هو عطف جملة على جملة بتوسط ربنا للتضرع / ١٢ .

أو عبادتي، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ[1]﴾ وهذا قبل أن يتبين أنه عـــدو لله - تعـــالى، قيل: أراد وفقهما على الإيمان، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ[2]﴾ يثبت ، ﴿الْحِسَابُ﴾.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

---

(١) كانت أمه مؤمنة كما قيل ، و لم ييأس من إيمان والده / ١٢ وجيز .

(٢) قيام الحساب مجاز عن ثبوته، نحو قامت الحرب على ساق، ولما ذكر قريشًا نعمة مـــن نعمة الله أنعمها عليهم وهم كفروا بها و لم يشكروها، وتلك النعمة بناء جدهم- الذي افتخروا به - البيت للتوحيد ودعاءه من قوله: "واجنبني وبني أن نعبد الأصنـــام"، وأتم حكايته، رجع إلى ما كان فيه بأحسن وجه حين فصل حكاية دعائه إلى قوله: "يـــوم الحساب"، فقال: " ولا تحسبن الله غافلاً " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ إذ أجل المشركين وأنظرهم ، ﴿غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ والآية تسلية لمحمد - عليه الصلاة والسلام - وتهديد للمشركين، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يؤخر عذابهم ، ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ لا تقر في أماكنها لهول ذلك اليوم، ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين، أي: إلى المحشر، كما قال - تعالى: "مهطعين إلى الداع" (القمر:٨) ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعيها لا ينظر أحد أحدًا ، ﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ فعيونهم شاخصة يديمون النظر ولا يطرفون لمحة، ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ في ذلك اليوم، ﴿هَوَاءٌ﴾ خالية[1] عن الفهم خلاء ، قال بعضهم: أمكنة أفئدتهم خالية لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت عن أماكنها، ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ﴾ يا محمد ، ﴿يَوْمَ﴾ مفعول ثان لأنذر، ﴿يَأْتِيهِمُ العَذَابُ﴾ يوم القيامة، ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أشركوا، ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾ أمهلنا، ﴿إِلَى أَجَلٍ﴾ حد من الزمان ، ﴿قَرِيبٍ[2]﴾ سألوا الرد إلى الدنيا ، ﴿نُّجِبْ﴾ جواب للأمر ، ﴿دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجابون بقوله: ﴿أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾ حلفتم في الدنيا ، ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ جواب القسم، أي : أقسمتم أنكم لا تنتقلون إلى الآخرة، ولا معاد لكم، فذوقوا وباله ، ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والعصيان، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ من أحوالهم فما اعتبرتم، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم، ﴿وَعِندَ اللَّهِ﴾ مكتوب، ﴿مَكْرُهُمْ﴾ فهو مجازيهم، ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ في العظم، ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ﴾ مهيأ لإزالة الجبال،

---

(١) خالية عن الفهم يقال للبليد: قلبه هواء، أي: لا رأي له، أو معناه كالهواء، فإن الهواء أبداً في اضطراب لا سكون له، قيل: هذه الصفات الخمس لهم عند الحساب لذكرها عقيب قوله: "يوم يقوم الحساب"/ ١٢ وجيز .

(٢) إلى أجل قريب ، ولا يبعد أن قولهم ربنا أخرنا عند سكرات موتهم ومعاينة أمور الآخرة ومن مات فقد قامت قيامته / ١٢ وجيز .

وعن بعضهم معناه : وما كان مكرهم لتزول إلخ والجبال مَثَلٌ لأمر[١] محمد – صلى الله عليه وسلم – فإن نافية واللام مؤكدة لها، ومن قرأ بفتح لام لتزول فإن مخففة، واللام هي الفاصلة، وعن بعضهم معناه: وإن كان شركهم لتزول كقوله تعالى : "تكاد السموات يتفطرن منه" الآية . وعن علي – رضي الله عنه : إن الآية في نمرود[٢] حيث اتخذ تابوتًا وربط قوائمه الأربع بنسور ومكر حتى طرن إلى جانب السماء ثلاثة أيام، وغابت الدنيا عن نظره يريد محاربة إله السماء ، فلما هبط إلى الأرض سمعت الجبال خفيق التابوت ففزعت ظنًّا من حدوث القيامة ، فكادت تزول عن أماكنها.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ من نصرهم فى الدارين، أضاف[٣] إلى المفعول الثاني إيذانًا بأنه لا يخلف الوعد أصلاً، **﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾** يغالِب ولا يغالَب، **﴿ذُو انتِقَامٍ﴾** لأوليائه، **﴿يَوْمَ﴾** بدل من يوم يأتيهم العذاب أو ظرف للانتقام، **﴿تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾** أي: والسماوات غير السماوات فتكون الأرض من فضة والسماء[٤] من ذهب أو الأرض خبزة بيضاء يأكلها المؤمن من تحت

---

(١) قوله: مثل لأمر محمد إلخ يعني: ما كان مكرهم لتزول منه شرائع الله التي هي كالجبال الراسيات فى التمكن والثبات، وقرأ ابن مسعود وما كان مكرهم/١٢وجيز .

(٢) قوله: إن الآية في نمرود، قال الرازي: قال القاضي: وهذا بعيد جدا؛ لأن الخطر فيه عظيم ولا يكاد العاقل يقدم عليه وما جاء فيه خبر صحيح معتمد ولا حجة فى تأويل الآية البتة / ١٢.

(٣) يعني: أن مخلفاً متعد إلى مفعولين، قال الفراء وغيره: جازت إضافته إلى أيهما شاء، وهنا مضاف إلى الثاني ولو أضاف إلى الأول لأوهم أنه يجوز أن يخلف غير رسله وعده، ولما قدم وعده اندفع الوهم لدلالته على أن الاعتناء بشأن الوعد أتم وأن الإخلاف إنما لم يجز في الوعد ، لكونه وعدًا لا لكونه مع الرسل ، قيل: مخلف هنا متعد إلى واحد، نحو لا يخلف الميعاد ونصب رسله بالوعد كأنه قال: مخلف ما وعد رسله / ١٢ وجيز .

(٤) كذا قال السلف / ١٢ .

قدميه، أو تكون السماوات جنانًا والأرض نيرانًا، أو المراد تغيير هيئتها تبسط وتمد مد الأديم[1] العكاظي[2] وتكور شمسها وتنتشر نجومها وتخسف قمرها ،﴿وَبَرَزُوا ﴾ من قبورهم ، ﴿لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ﴾ لمجازاة الله الواحد الغلاب فلا مستجار لأحد إلى غيره، ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ ﴾ كل كافر مع شيطان في غل أو بعض الكفار مع بعض أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم، ﴿فِي الأَصْفَادِ ﴾ في الأغلال متعلق بمقرنين أو حال من ضميره ، ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصانهم ، ﴿مِّن قَطِرَانٍ ﴾ ما يطلى به الإبل الجربي، فيحرق الجرب بحرِّه وحدته والجلد فيصير كيًا ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وهو أسود منتن، وعن بعض السلف هو النحاس المذاب، وهذا التفسير لمن قرأ قطرٍ وهو النحاس، وانٍ وهو المتناهي حره، ﴿وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ تعلوها، ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ﴾ أي: فعل هم ذلك ليجزي الله، ﴿كُلَّ نَفْسٍ ﴾ من الكفار، ﴿مَّا كَسَبَتْ ﴾ أو معناه برزوا ليجزي الله كل نفس من المؤمن والكافر ما كسبت من خير وشر ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ لأنه لا يخفى عليه شيء ولا يشغله شيء عن شيء ، ﴿هَذَا ﴾ أي: القرآن، ﴿بَلاغٌ ﴾ كفاية في الموعظة، ﴿لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾ تقديره بلاغ لينصحوا ولينذروا به[3]، أو تقديره ولينذروا به أنزل ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ يستدلوا بالآيات على وحدانيته، ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ ذووا العقول الخالصة .

---

(١) قوله: تمد مد الأديم إلخ وهذا قول ابن عباس ولا يبعد أن الصواب قول حبر الأمة؛ لأن الغرض من الآية التهويل والتخويف ، وأرض الفضة أرض الجنة لا أرض يوم القيامة والكلام في أرض القيامة ولهذا قال: "وبرزوا" إلخ .

(٢) من أسواق العرب في الجاهلية بموضع يبعد عن مكة ثلاثة أيام وهو بين نخلة والطائف .

(٣) فيكون عطف على جملة / ١٢ منه .

سورة الحجر مكية

وهي تسع وتسعون آية وست ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿الـر تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة ، **﴿آيَاتُ الكِتَابِ﴾** القرآن ، **﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾** أي : تلك آيات جامعة لكونها آيات كتاب كامل ، وقرآن يبين الأحكام ، **﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** حين موهم ، أو يوم القيامة ، أو حين اجتمع[1] بعض

(١) رواه الطبراني عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وابن أبي حاتم والترمذى [رواه الطبراني من حديث جابر مرفوعا، وفيه خالد بن نافع الأشعري، قال أبو داود متروك، =

المسلمين مع الكفار في النار ، فيقول الكفار معهم: ما أغنى عنكم الإسلام فغضب الله - تعالى - على الكفار وأخرج المسلمين من النار، وما كافة تكفه عن الجر، فجاز دخوله على الفعل والمترتب في أخبار الله - تعالى - كالماضي فى تحققه، ولذلك أجرى المضارع مجرى الماضى، فدخلت رُبَّ عليه مع أنه لا يجوز دخولها عليه، **﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾** حكاية ودادتهم بلفظ الغيبة كقولك: حلف بالله ليفعلن، **﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾** في الدنيا بدنياهم[1]، **﴿وَيُلْهِهِمُ﴾** يشغلهم ، **﴿الأَمَلُ﴾** عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة ، **﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ[2]﴾** سوء عملهم وهذا من باب الإيذان بأن غضب الله - تعالى - حل عليهم فلا ينفعهم نصح ناصح، وقيل: منسوخة بآية القتال[3]،**﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن﴾** أهل ، **﴿قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾** أجل مؤقت مكتوب عند الله - تعالى - لا يهلكهم حتى يبلغوه، جيء بين الصفة والموصوف وهما لها كتاب وقرية بالواو تأكيدًا للصوقها بالموصوف ، **﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ [4]﴾** لا

= قال الذهبي: هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك، فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره، وبقية رجاله ثقات" كذل في المجمع للهيثمي (٧/٤٥). وأخرجه أيضا الطبراني وابن أبي عاصم في السنة وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعا، وقال الشيخ الألباني في ظلال الجنة : "حديث صحيح، وليس عند الترمذي كما ذكره]، وهو قول ابن عباس وأنس بن مالك ، روى عنهما ابن جرير، وهكذا روى عن مجاهد والضحاك وقتادة وأبي العالية وغيرهم / ١٢ .

(١) واتفقت السلف على أن التمتع في الدنيا من أخلاق الهالكين/ ١٢ وجيز .

(٢) ولما أوعدهم بهذا الوعد الشديد استبطأ بعض النفوس حلول عذابهم فقال : " وما أهلكنا" الآية : ١٢ وجيز

(٣) لأن ظاهر قوله ذرهم أمر بعدم التعرض / ١٢ منه .

(٤) أنث الفعل فى ما تسبق وذكر فى يستأخرون حملاً على اللفظ والمعنى / ١٢ منه .

يتأخرون عنه ، ﴿وَقَالُوا[١] يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ أي : القـــرآن وهـــذا استهزاء منهم، ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ[٢] لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي : هلا تأتينا هم يشهدون بصدقك ، قيل : هلا تأتينا هم للعقاب علـــى تكذيبنـــا لك ، ﴿مَا نُنَزِّلُ المَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ أجاب الله - تعالى - عنها بأن إنزالهم لا يكـــون إلا تنزيلاً متلبسًا بحق عند حصول الفائدة ، وقد علم الله أهم معرضون عن الحق ، وإن شاهدوا الملائكة، قال- مجاهد: بالحق أي بالعذاب، ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِيـــنَ[٣]﴾، أي: لو نزلنا الملائكة ما أخر عذاهم، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـــافِظُونَ﴾ من التحريف والزيادة والنقص، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رسلاً، ﴿فِي شِـيَعِ﴾ في فرق ، ﴿الأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِم﴾ حكاية حال ماضية ، فإن ما لا يدخل إلا على مضارع بمعني الحال أو ماض قريب من الحال، ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهـــذا تسلية لمحمد - صلى الله عليه وسلم ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ ندخل الاستهزاء والتكذيـــب ، ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ حال من المجرمين ، أو بيان الجملة أو مثل ذلك السَّلْك نسلك الذكر[٤] ونلقيه فى قلوهم مكذبًا به غير مقبول ، ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُـــنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ أي : قد مضت سنة الله - تعالى - بأن يسلك الكفر فى قلوهم أو بـــإهلاك

---

(١) ولما أثبت العذاب والانتقام عنهم فى وقت ما بين من أعمـــالهم وأقوالهـــم مـــا يبـــين استحقاقهم للعذاب فقال " وقالوا يا أيها الذى " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) سبو نبي الله بعد الاستهزاء / ١٢ .

(٣) ولما قالوا: " يا أيها الذي نزل عليه الذكر " مستهزئين دل علـــى أهـــم أنكـــروا أن الله أنزل الذكر؛ أثبت بوجوه مؤكدة فقال : " إنا نحن نزلنا الذكـــر " الآيـــة / ١٢ وجيز

(٤) على هذا ضمير نسلكه إلى الذكور وهو غير بعيد، بـــل لا يبعـــد أن يكـــون أشـــد ملائمة/١٢.

من كذب الرسل من الأمم الماضية، ﴿وَلَوْ[1] فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ على هؤلاء المشركين، ﴿بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّو[2]﴾ أى: المشركون، ﴿فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون فينظرون إلى ملكوت الله - تعالى - وعبادة الملائكة ، أو ظل الملائكة فيه يصعدون والكفار ينظرون ذلك ، ﴿لَقَالُوا﴾ من غلوهم فى العناد ، ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ أغشيت وسدت بالسحر أو حيرت كما يتحير السكران ، ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ[3]﴾ سحرنا محمد بذلك.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

---

(١) ولما قال نسلكه فى قلوبهم ، أثبت هذا المعني بقوله: " ولو فتحنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون / ١٢ .

(٣) ولما قال: "ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء" ، أي: نحدث لهم في السماء أمرًا بديعًا لما كانوا برؤيته يؤمنون، ثم بين أن في السماء والأرض ما هو أبدع وهم معرضون عنه، فقال:" ولقد جعلنا " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر منازل الشمس والقمر، أو المراد من البروج الكواكب، ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالنجوم، ﴿لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ فلا يقدر[1] أن يطلع على أحوالها، ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ استراقه اختلاسه سرًّا، وعن بعضهم أن الشياطين كانوا غير محجوبين عن السماوات ، فلما ولد عيسى – عليه السلام – منعوا عن ثلاث سماوات ، ولما ولد محمد – صلى الله عليه وسلم – منعوا من كلها بالشهب ، والاستثناء منصوب متصل من كل شيطان ، أو منقطع ، ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ لحقه ، ﴿شِهَابٌ﴾ شعلة نار ساطعة، ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهرة لأهل الأرض، ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالًا ثوابت ، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ مقدر بمقدار معين، قيل: ضمير فيها للجبال والأشياء، الموزون جواهرها كالذهب وغيره، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس والمشارب، ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ عطف على معايش، أي: جعلنا في الأرض من رزقه على الله – تعالى – ونفعه لكم كالخدم والعيال والدواب، أو عطف على محل لكم، أي: جعلنا المعايش فيها لكم ، ولمن رزقه على الله – تعالى – كالعبيد والإماء وسائر الحيوانات ، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ[2]﴾

---

(١) في البخاري إن الشياطين يركب بعضهم فوق بعض إلى السماء الدنيا؛ يسترق السمع من الملائكة ، فيسمع الكلمة فيلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما يلقيها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء / ١٢ منه .[أخرجه البخاري في "التفسير"، (٤٧٠١)، وفي غير موضع من صحيحه].

(٢) عند كثير من السلف ، أن الخزائن على حقيقتها ، وهي التي تحفظ في أمكنتها فإن للريح مكاناً ، وكذا لنمطر ، ولكل مكان ملك وحفظة ، فإذا أمر الله بإخراج شيء منه أخرجته الحفظة بقدر ما أمر الله ، وفي الأحاديث الصحاح ما يدل على صحة ما قال / ١٢ وجيز .

ضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور ، وقد نقل في الحديث[١] ، خزائن الله - تعالى - الكلام ، إذا أراد شيئًا قال له: كن فكان، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ ما نعطيه، ﴿إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ تعلقت به مشيئتنا فإن المقدورات غير متناهية والموجودات متناهية، وقيل المراد من الشيء: المطر وما من عام أكثر مطرًا من العام الآخر، لكن الله - تعالى - يقسمه حيث شاء ، عامًا يكثر في بلد ، وعامًا يقل ، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ أي: حوامل شبه الريح إذا جاءت بخير من سحاب ماطر بالحامل، أو بمعنى الملاقح، أي: للشجر والسحاب يقال ألقحها الفحل، إذا ألقى عليها الماء فحملته، وعن كثير من السلف[٢] أن الله - تعالي - يرسل الريح فيحمل الماء من السماء ، ثم يجري السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة ، ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ جعلناه لكم سقيا[٣]، ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ حافظين بل نحن نحفظه عليكم في العيون والآبار والأنهار، ولو شاء الله - تعالى- لأغاره وذهب به، أو معناه: نحن نترل المطر، وهو في خزائنتنا ، لا في خزانتكم ، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون بعد فناء الخلق ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ كل من هلك من لدن آدم[٤] وكل من هو حي ومن سيأتي إلى آخر الدنيا ، أو المستقدمين[٥]

---

(١) رواه الحافظ البزار / ١٢ منه ، وأبو الشيخ / ١٢ فتح .[وقد ذكره ابن كثير في "التفسير"، (٢/٥٥٠) من طريق البزار، وفي سنده حيان بن أغلب بن تميم، قال البزار: لا يرويه إلا أغلب وليس بالقوي، وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين، ولم يروه عنه إلا ابنه.]

(٢) كعبد الله بن مسعود وابن عباس وإبراهيم النخعي وقتادة / ١٢ .

(٣) أي : نصيباً من الماء / ١٢ .

(٤) قوله : كل من هلك إلخ الأول هو قول ابن عباس وأكثر السلف / ١٢ منه .

(٥) قاله الحسن – رضى الله عنه.

الخير والمبطئين عنه ، أو المستقدمين في الصف الأول والمستأخرين منه، فإن رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رغب في الصف الأول ازدحموا عليه ، أو أناس يستقدمون في الصفوف لئلا[1] يرو النساء، وبعضهم يستأخرون لينظروا إليهن، أو المراد في صـف القتال، ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ**﴾ للجزاء ، ﴿**إِنَّهُ حَكِيمٌ**[2] **عَلِيمٌ**﴾ باهر الحكمـة واسع العلم.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ

---

(١) روى الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم عن أبي الجوزاء عن [ابن عبـــاس: أن(*)] امرأة حسناء كانت تصلى فتقدم بعض لئلا ينظر إليها وتأخر بعض لينظروا إليها إذا سجدوا من تحت أيديهم فترلت ، قال الشيخ ابن كثير : في هذا الحديث نكـــارة شديدة / ١٢ منه .[تفسير ابن كثير (٢/٥٥٠)، وقد صحح الحديث الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٩٧)، وعقد في الصحيحة (٢٤٧٢) بحثا فيه موردا طرقـــا ومناقشا الحافظ ابن كثير في استنكاره له، فراجعه فإنه مفيد]

(*) غير موجودة بالأصل.

(٢) ولما نبه منتهى الخلق وهو الحشر؛ أنبأهم مبدأ أصلهم وما جـــرى لعدوهـــم إبليـــس ليحذرهم من كيده، فإنه هو الذى أخرج أصلكم من محل الراحة إلى مقر التكليـــــف والتعب فقال: ولقد خلقنا الإنسان " الآية / ١٢ وجيز .

لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ﴾ أرد آدم، **﴿مِن صَلْصَالٍ﴾** طين يابس يصوت إذا نقر أو من طين منتن من صَلَّ اللحم إذا أنتن وهو كزلزال، **﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾** أي: كائن من طين أسود، **﴿مَّسْنُونٍ ﴾** أي: أملس أو منتن أو مصبوب كالجواهر المذابة تصب في القوالب، **﴿وَالْجَانَّ﴾** أي: إبليس وهو أبو الشياطين، أو أبو الجن مطلقًا، **﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾** من قبل خلق آدم ، **﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾** نار الحر الشديد، أو نار لا دخان لها ، وعن بعضهم من نار الشمس.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ أي : اذكر وقت قوله **﴿لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾** **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾** عدلت صورته وأتممت خلقته، **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾** إضافة الروح للتشريف، **﴿فَقَعُوا﴾** فاسقطوا، **﴿لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾** وقد مر أن المأمورين بالسجود جميع الملائكة أو جمع خاص منهم، **﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾** أي: لكن هو أبى

السجود، وجاز أن يكون الاستثناء متصلاً، وجملة أبى أن يكون حينئذ مستأنفة ، **﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ[1]﴾** أيُّ غرض لك في، **﴿أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ﴾** اللام لتأكيد النفي، أي: لا يصح مني ويستحيل أن أسجد، **﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾** استكبر واستعظم نفسه، **﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾** من تلك المنزلة التي أنت فيها من الملأ الأعلي ، **﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾** مطرود من الخير والشرف باعتبار الكرامة عند الله تعالى لا باعتبار النوع، **﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾** أي: تلك اللعنة لا تزال متصلة لاحقة بك إلى يوم القيامة، وهذا بُعدُ غاية[2] يضربها الناس، **﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾** أخر أجلي، **﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ[3]﴾** آخر الدنيا، **﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾** وهو[4] نفخة الأولى، أمهله الله استدراجًا له وابتلاء وامتحانًا للخلق، قيل: سأل الإمهال إلى يوم يبعثون لئلا يموت؛ لأنه لا يموت حينئذ أحد ، فلم يجب إلى ذلك وأمهل إلى آخر أيام

---

(١) ظاهره يقتضي أن الله تعالى تكلم مع إبليس بغير واسطة؛ لأنه قال فى الجواب: "لم أكن لأسجد لبشر خلقته"، فقوله: خلقته خطاب الحضور لا خطاب الغيبة، فقول بعض المتكلمين، أنه – تعالى – أوصل هذا الخطاب إلى إبليس على لسان بعض رسله ضعيف/١٢ فتح .

(٢) لا أنه انتهت اللغة حينئذ/ ١٢ وجيز .

(٣) قوله: يوم يبعثون إلخ .. ولا يبعد أن يقال: إن يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم واحد، وتغيير الكلام للمتقين؛ لأنه قدم مر في سورة الأعراف أنه قال: "أنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين" (الأعراف:١٤،١٥)، فإنه يدل على الإجابة، والملعون كان عالماً بأن لا يسأل ما لا يجاب عنه / ١٢ وجيز .

(٤) قاله ابن عباس / ١٢ .

التكليف فهو ميت، بين النفختين أربعين سنة، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: أقسم[1] بإغوائك إياي، ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ[2]﴾ المعاصي، ﴿فِي الأَرْضِ﴾، أو معناه بسبب غوايتك إياي ، أقسم لأزينن الخ.. ، ﴿وَلأُغْوِيَنَّهُمْ﴾، أحملنهم علي الغواية، ﴿أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، أي : إلا عبادك الموصوفين بالإخلاص لطاعتك حلل كونهم من أولاد آدم.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ إشارة إلى قول إبليس: لأغوينهم إلا عبادك أي: هذا هو الذي حكمت به وقدرت على عبادي، وهو حق مستقيم، كما قال تعالى: "ولكن حق القول مني" (السجدة:١٣) الخ .. أو تهديد، كما تقول لخصمك: طريقك على أي لا تفلت مني ، أو الإشارة إلى تخلص المخلصين من إغوائه الدال عليه الاستثناء، أي: تخلُّصهُم طريق حق علي أن أراعيه لا انحراف عنه، أو الإخلاص طريق علي من غير اعوجاج يؤدي إلى الوصول إلى كرامتي ولقائي، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي: ليس لك حجة وتسلط على أحد منهم، فمن أين لك الاختيار في غوايتهم، ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ لكن من اتبعك هو من الغاوين، أو الاستثناء متصل ويكون كالتصديق لقول إبليس، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ أي:

---

(١) وفي الفتح: والفقهاء قالوا : الإقسام بصفات الذات صحيح واختلفوا في القسم بصفات الأفعال، ومنهم من فرق بينهما، ولأن جعل الإغواء مقسم به غير متعارف، قاله الكرخي، قلت : وإقسامه هنا بإغواء الله ، ولا ينافي إقسامه في موضع آخر بعزة الله التي هي سلطانه وقهره؛ لأن الإغواء له هو من جملة ما يصدق عليه العزة / ١٢ .

(٢) لذرية آدم والمرجع يفهم من الكلام قال في الآية الأخرى: "لأحتنكن ذريته إلا قليلاً" (الإسراء:٦٢)/١٢ وجيز .

الغاوين، ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد للضمير، ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ[1]﴾ سبعة أطباق ، وعن علي - رضى الله عنه - إن أبواب جهنم هكذا، ووضع إحدى يديه على الأخرى، أي : بعضها فوق بعض أو سبعة منازل لكل مترل باب، ﴿لِّكُلِّ بَابٍ﴾ طبقة أو مترل، ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أتباعه، ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ افرز له، ومنهم حال من الجزاء، أو من ضمير الظرف .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

(١) قوله: "سبعة أبواب" إلخ قال الخطيب: تخصيص هذا العدد؛ لأن أهلها سبع فرق، وقيل: جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات انتهى، أقول الحكمة في تخصيص هذا العدد، لا ينحصر فيما ذكر ، بل الأولى تفويضها إلى جاعلها، وهو الله سبحانه إلا أن يرد به خبر صحيح، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيجب المصير إليه / ١٢ فتح .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ عن الكفر والفواحش ، ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ بساتين وأنهار ، ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي : يقال لهم ادخلوها ، ﴿بِسَلَامٍ﴾ سالمين من الآفات ، وقيل مسلمًا عليكم ، ﴿آمِنِينَ ﴾ من المكاره ، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حسدٍ وحقدٍ، ﴿إِخْوَانًا﴾ في المودة وهوحال، ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ متواجهين وهما صفتان أو حالان ، وعن علي - رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم(*) - رضى الله عنهم ، ﴿لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ[1] نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ[2] الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ[3] الأَلِيمُ ﴾ وقد نقل[4] أنه - صلى الله عليه وسلم - خرج على أصحابه ، وهم يضحكون فقال أتضحكون وبين أيديكم النار؟!، فنزل جبريل بهذه الآية، "وقال: يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي؟"، ﴿وَنَبِّئْهُمْ[5] عَن

(*) أخرجه سعيد بن منصور وابن مردويه عن علي كما في الدر المنثور للسيوطي (١٨٩/٤).

(١) ولما تقدم ذكر ما في النار وما في الجنة وهو للمتقين، كما قال: "إن المتقين فى جنات"، وقد علم أن الموصوفين بالتقوى كانوا في الدنيا صواحب حقد وحسد ، وهو مناف للتقوى، رفع الالتماس والتنافي بقوله : " نبئ عبادي " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) فمن اتقى عن الشرك ووقع في سوء بجهالة ، فإني أرحمه وأغفر له / ١٢ وجيز .

(٣) لم يقل من جهة المقابلة وإني أنا المعذب المؤلم ، ليعلم أن جهة العفو والرحمة أرجح ولله الحمد / ١٢ وجيز .

(٤) نقله ابن جرير وابن أبي حاتم / ١٢ وجيز [ذكره الهيثمي في "المجمع"، (٤٦/٧) وقال: "رواه الطبراني، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف"].

(٥) قوله : ونبئهم إلخ ليتحقق أن رحمته واسعة ، وأن عذابه أليم ، ذكر العرب بأحوال من يعرفونه ممن عصى وكذب الرسل؛ فحل بهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ليعتبروا ، فبدأ بذكر جدهم الأعلى وما جرى لقوم ابن أخيه لوط ثَمَّ فَثَمَّ/١٢ وجيز

ضَيْفِ[١] إِبْرَاهِيمَ ﴾ ذكر لهذه هذه القصة عقيب هذه الآية ، لتحقق أن رحمته واسعة وعذابه أليم، ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا ﴾ نسلم عليك ﴿سَلامًا قَالَ[٢] إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ خائفون؛ لأنهم ما أكلوا من طعامه ، ودخلوا بغير إذن ، ﴿قَالُوا لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ[٣] عَلِيمٍ ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل، وهو إسحاق والأضياف ملائكة في صور البشر، ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ، ﴿عَلَى أَن﴾ أي : أنه ، ﴿مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ والولد في هذه الحال كالمحال، ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾بأي شيء تبشرون، فإن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ، ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق واليقين، ﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ[٤] ﴾ من الآيسين ، ﴿قَالَ ﴾، إبراهيم لهم: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ أي: لم استنكر ذلك قنوطًا، بل استبعادًا عاديًا، من استفهامية إنكارية ، فكأنه قال: لا يقنط أحد إلا الضالون ، ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لهم: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ[٥] ﴾ شأنكم، ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ وما الذي جئتم به، ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ أي : قوم لوط ، ﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ﴾ استثناء متصل من ضمير المجرمين ، أي : إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم ، ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ استئناف ، وجاز أن يكون استثناءً منقطعًا عن قوم ، فإن القوم موصوفون بالإجرام دونهم حينئذ، إنا لمنجوهم جرى مجري خبر لكن و لم يكن

---

(١) والضيف أصله المصدر ، و الأفصح أن لا يثنى ولا يجمع ، ولا حاجة إلى تكلف إضمار أصحاب ضيف / ١٢ وجيز .

(٢) قال بعد ما أجاب سلامهم / ١٢ وجيز .

(٣) وهذا الغلام هو إسحاق ، كما وقع في موضع آخر من القرآن .

(٤) عما يمكن من رحمته / ١٢ .

(٥) فإنه علم أن البشارة لا تحتاج إلى جمع ، فلابد لهم من أمر عظيم / ١٢ وجيز .

مستأنفًا ، ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾ استثناء ، من ضمير لمنجوهم ، ﴿قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الغَابِرِينَ﴾ الباقين مع الكفرة لتهلك معهم ، وإنما علق[1] مع أن التعليق[2] من خواص أفعال القلوب لتضمن التقدير معنى العلم ، أو لأنه أجرى مجرى قلنا، قال بعضهم: هذا من كلام الله – تعالى- لا من كلام الملائكة[3]، وجاز أن يكون من كلامهم، وإسناد التقدير إلي أنفسهم لما لهم من القرب إلى الله – تعالى.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾

---

(١) قدرنا و لم يقل قدرناها / ١٢ .

(٢) التعليق هاهنا بإدخال أن على الاسمين ، قال الرضي : ومن المعلقات إن المكسورة إذا لم يكن فتحها بإدخال اللام على الخبر / ١٢ .

(٣) وهو الظاهر / ١٢

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ﴾ لوط لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لا أعرفكم أو تنكركم نفسي وتنفر منكم مخافة شركم، ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: ما جئناك لتعرفنا أو ما جئناك لشرك، بل جئناك بما يسرك وهو ما أوعدت به أعداءك من العذاب، فيشكون فيه ولا يصدقونك، ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ باليقين من عذابهم، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ اذهب بهم في الليل، ﴿بِقِطْعٍ﴾ في طائفة، ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ سر خلفهم لتطلع على حالهم حتى لا يتخلف منهم أحد، ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ[1] مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ما وراءه إذا سمعتم الصيحة بالقوم وذروهم، ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ إلى حيث أمركم الله، ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا، ﴿إِلَيْهِ﴾ مقضيًا، ﴿ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ مبهم مفسر بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ﴾ ودابرهم آخرهم، أي: يستأصلون عن آخرهم، وهو بدل من ذلك الأمر ، ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح، ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ أي سدوم ، قرية قوم لوط، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بأضياف لوط طمعًا في ركوب الفاحشة منهم، ﴿قَالَ﴾ لوط ، ﴿إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ[2]﴾ بفضيحة ضيفي، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تلك الفاحشة ، ﴿وَلاَ تُخْزُونِ﴾ لا تخجلوني فيهم، من الخزاية وهي الحياء، ﴿قَالُوا

---

(١) قوله: "ولا يلتفت"، نهوا عن الالتفات، لئلا يروا عذابهم فيرقوا ويرحموا، أو هو كناية عن مواصلة السير وترك التأني، لأن الالتفات لابد له مّن أدنى توقف، ويدل على ذلك قوله:"وامضوا حيث تؤمرون" / ١٢ الخ ...

(٢) اعلم أن قول الملائكة: جئناك بالحق متأخر عن مجيء أهل المدينة، ومقاولته لهم، ألا ترى إلى قولهم: إنا رسل ربك، وإنما جيء على هذا النسق لدلاله كل على أمر مستقل يصلح أن تساق له القصة الأول تفريج لهم عن الصابرين ونصرة الله، أيٍّ نصر وانتقامه من أعدائهم، والثاني ذكر مساوئ الأمم وسوء الأحدوثة عنهم ، وقد جاء ذلك مرتباً في سورة هود/ ١٢ وجيز .

﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ[1] عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: عن ضيافة أحد من العالمين، أو أن تجير منهم أحدًا، ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجوهن واتركوا أضيافي وعن كثير من السلف أن المراد من البنات نساء القوم، فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم[*]، ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ لا محال قضاء وطركم بمحال المباشرة دون المنكر، ﴿لَعَمْرُكَ﴾ أي: لعمرك[2] قسمي، ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾، حيرتهم وغوايتهم، ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون عن ابن عباس[**] - رضى الله عنهما - ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد - عليه الصلاة والسلام - وما سمعت الله - تعالى - أقسم بحياة أحد غيره، وعن بعض المفسرين أن الضمير لقريش والجملة اعتراض، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ هي ما جاءتهم من الصوت العاصف حال كونهم داخلين في وقت طلوع الشمس، ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ أي: المدينة، ﴿سَافِلَهَا﴾ صارت منقلبة، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ قبل التقليب أو

---

(١) هذا دليل على أنه كان يقوم بالنهي عن المنكر فأوعدوه/١٢ وجيز .

(*) ويؤيد هذا التأويل ما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي ابن ماجه وابن حبان مرفوعا وغيرهم بسند حسن عن أبي هريرة مرفوعا: "إنما أنا لكم الوالد أعلمكم...." وانظر صحيح الجامع (٢٣٤٦)]

(٢) قوله: "لعمرك" ، قيل: الخطاب من الملائكة للوط وكثير من السلف أنه خطاب من الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وعلى هذا فعل المضارع لاستحضار عمههم ١٢، وفى الفتح جاءت الأحاديث الصحيحة فى النهي عن القسم بغير الله ، فليس لعباده أن يقسموا بغيره ، وهو سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

(**) أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل وغيرهم بهذا اللفظ، ورواه أبو يعلي مختصرا بسند جيد، كما في المجمع (٤٦/٧).]

معه، أو التقليب للمتوطنين والحجارة للمسافرين، ﴿مِّن سِجِّيلٍ ﴾ من حجر وطين، وقد مر في سورة هود، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ[1] ﴾ المتفرسين، من توسمت في فلان كذا، إذا عرفت وسم ذلك وَسِمَتُهُ فيه، ﴿وَإِنَّهَا ﴾، أي: تلك المدينة، ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ بطريق ثابت يسلكه الناس و لم يندرس آثارهم وهو تنبيه لقريش ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالله ورسله فيعرفون أن ذلك انتقام لأوليائه من أعدائه، ﴿وَإِن كَانَ ﴾ أي: إنه كان ، ﴿أَصْحَابُ الأَيْكَةِ ﴾ قوم شعيب ، والأيكة الشجر الملتف، ﴿لَظَالِمِينَ ﴾ بالشرك وقطع الطريق ونقص المكيال والميزان، وكانوا قريبًا من قوم لوط بعدهم فى الزمان ، ومستأمنين لهم فى المكان، ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالصيحة وعذاب الرجفة وعذاب يوم الظلة ، ﴿وَإِنَّهُمَا ﴾ مدينة لوط وأصحاب الأيكة ، ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ لبطريق واضح ظاهر .

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا

---

(١) قوله: "للمتوسمين" قال مجاهد : للمتفرسين ، وأخرج البخارى في التاريخ والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السني وأبو نعيم وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم:" اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ: " إن في ذلك لآيات للمتوسمين " [وهو ضعيف، انظر ضعيف الجامع، وراجع الضعيفة (١٨٢١)]، والفراسة على نوعين ، أحدها ما يوقعه الله في قلوب الصلحاء ، فيعلمون بذلك أحوال الناس بإصابته الحدس والنظر والظن والتثبت، والثاني: ما يحصل بدلائل التجارب والأخلاق وللناس في هذا العلم تصانيف قديمة وحديثة/ ١٢ فتح البيان في مقاصد القرآن .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾

﴿**وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ**﴾ وهو مدينة بين المدينة والشام يسكنها ثمود، ﴿**الْمُرْسَلِينَ**﴾ أي: صالحًا، ومن كذب نبيًا فقد كذب الرسل بأجمعهم، ﴿**وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا**﴾ معجزات، كما في الناقة من غرائب الآيات ، ﴿**فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ**﴾ ما استدلوا بها علي صدق نبيهم - عليه الصلاة والسلام ، ﴿**وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ**﴾ من أن تنهدم، أو من عذاب الله، يحسبون أن الجبال تحميهم منه، ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ**﴾ داخلين في الصباح ، ﴿**فَمَا أَغْنَى عَنْهُم**﴾ ما دفع عنهم العذاب ، ﴿**مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ من البيوت الوثيقة والزراعة والأموال ، ﴿**وَمَا**[1] **خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾، خلقًا متلبسًا بالحق "ليجزي الذين أساؤوا بما

---

(١) ولما ذكر قصص الأمم السالفة ليتعظ بها المشركون ، فيؤمنوا بالقيامة والبعث عقبه بما يدل على البعث فقال : " وما خلقت السموات " الآية / ١٢ وجيز .

عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى" (النجم: ٣١)، ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، ﴿فَاصْفَحِ﴾ يا محمد عن المشركين ، ﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ يعني عاملهم معاملة الحليم الصفوح ، وهذا قبل القتال، فإنما هذه مكية والأمر بالقتال بعد المهاجرة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الذي خلق كل شيء فقادر على الإعادة ، ﴿الْعَلِيمُ[١]﴾ بجميع الأحوال فيجازي بما علم منهم، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا﴾ هي السبع الطوال[٢] من البقرة إلى الأعراف ثم يونس، نص عليه ابن عباس وغيره - رضي الله عنهم، أو من البقرة إلى براءة على أن الأنفال وبراءة سورة واحدة، وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: أوتي النبي - عليه الصلاة والسلام - السبع الطوال، وأعطي موسى ستًّا، فلما ألقى الألواح رفعت ثنتان وبقي أربع، أو المراد فاتحة الكتاب، روي ذلك عن عمر وعلي - رضى الله عنهما -، وفي البخاري قال - صلى الله عليه وسلم -: "أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم[*]"، ﴿مِّنَ الْمَثَانِي﴾ بيان

---

(١) لما صبَّره على أذى قومه ، وأمره بأن يصفح الصفح الجميل ، أتبع ذلك بذكر النعم العظيمة ، التي خص الله - تعالى - محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بها لأن الإنسان إذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز فقال : " ولقد آتيناك " الآية/١٢ كبير .

(٢) جمع طويلة ، روى النسائى بإسناد صحيح عن ابن عباس - رضى الله عنه - أن السبع المثاني السبع الطوال ، وأنكر بعضهم هذا القول ، لأن هذه السورة مكية ، وأكثر الطوال مدنية ، وأجيب بأن المراد من الإتيان إنزالها إلى السماء الدنيا ، والمكية والمدنية في ذلك سيان وضعف بأن إطلاق لفظ الإتيان على ما لم يصل بعد إليه خلاف الظاهر ، لكنك خبير خصوصًا في مقام الامتنان بأن تنزيل المتوقع منزلة الواقع له نظائر في القرآن العظيم، منها قوله - تعالى - : " كما أنزلنا على المقتسمين " (الحجر: ٩٠)، على التفسير الأول المختار / ١٢ منه .

(*) أخرج البخاري في "التفسير"، (٤٧٠٤).

للسبع لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والعبر ثُنّيت في تلك السورة؛ أو لأن الفاتحة تثنى في كل صلاة فيقرأ فى كل ركعة، ﴿وَالْقُرْآنَ[1] الْعَظِيمَ[2]﴾ إن أريد به جميع القرآن، فمن عطف الكل على البعض، وإن أريد به الفاتحة كما دل عليه حديث البخاري، فمن عطف أحد الموصوفين على الآخر، وعن بعض السلف القرآن كله مثاني؛ لأن الأنباء والقصص ثُنِّيت فيه ، فعلى هذا المراد بالسبع أسباع القرآن ، ﴿لاتَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا تطمح ببصرك طموح راغب متمن، ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا[3] بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ أصنافًا من الكفار، أي: استغن بما آتاك الله - تعالى - من القرآن عما فى الدنيا من الزهرة الفانية، ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا أو عن بعضهم لا تحزن على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا، ﴿وَاخْفِضْ[4] جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي : ارفق بهم ، ﴿وَقُلْ[5] إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ تقديره أنا النذير لمن لا يؤمن عذابًا مثل ما أنزلنا عليهم، والمقتسمون المتحالفون الذين تحالفوا على مخالفة الأنبياء وأذاهم، كما قال - تعالى - في قوم صالح : "تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله" ، أي : نقتلهم ليلاً ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أي : جعلوا كتبهم المنزلة عليهم أجزاء، فأمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو معناه اقتسموا كتبهم

---

(١) القرآن اسم يقع على الكل وعلى البعض / ١٢ .

(٢) لما بين الله لرسوله ما أنعم به عليه من هذه النعمة الدينية ، نفره الله عن اللذات العاجلة الزائلة فقال : " لا تمدن عينيك " الآية / ١٢ فتح .

(٣) وعن سفيان بن عيينة ، قال : من أعطي القرآن فمد عينيه إلى شيء مما صغر القرآن فقد خالف القرآن ، ألم تسمع قوله : " ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم " إلى آخر الآية ، ثم لما نهاه عن الالتفات إليهم فقال : " ولا تحزن عليهم " الآية / ١٢ فتح .

(٤) لما أمره بما يستلزم التهاون بالكفار وبما معهم أمره أن يتواضع للمؤمنين ، فقال : "واخفض" الآية / ١٢ فتح .

(٥) لما أمر رسوله بالزهد في الدنيا وخفض الجناح للمؤمنين أمره أن يقول : "أنا النذير المبين"/١٢.

وجزءوه أجزاءً، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، فعلى هذا من القسمة لا من القسم، والقرآن يطلق على جميع الكتب السماوية، وعن بعضهم هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإيمان برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويجزءون القرآن، يقولون: سحر، ويقولون: مفترى، ويقولون: أساطير الأولين، فأنزل الله تعالى بهم خزيًا فماتوا شر ميتة، أو اقتسموا القرآن منهم من قال: سحر ، ومنهم من قال: كذب ، ومنهم[1] من قال: أساطير الأولين ، فعلى هذا الذين جعلوا القرآن عضين بيان للمقتسمين ، وهو جمع عضة ، وأصلها عِضْوَة ، فِعْلَة من عضَّى الشاة ، إذا جعلها أعضاء ، وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش ، ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ أي: نسأل عن لمية تحالفهم واقتسامهم وجعلهم القرآن عضين، أو عن كل ما فعلوا، يقول: لم فعلتم كذا وكذا ، أو سؤال توبيخ لا استعلام، ﴿**فَاصْدَعْ**﴾ أظهر ، ﴿**بِمَا تُؤْمَرُ**﴾ به من الشرائع، ولا تخفه، وعن مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة، وعن[2] بعضهم مازال - صلى الله عليه وسلم - مستخفيًا حتى نزلت فخرج هو وأصحابه، ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ لا تلتفت إلى أقوالهم ، ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**[3]﴾ كان عظماء المستهزئين خمسة نفر من كبار قريش ، مات كل

---

(١) وأما قول المفسرين إن قريشًا استهزءوا واقتسموا ، فمن قائل: البعوض لي ، ومن قائل: الذباب لي ، ومن قائل: النمل لي ، ومن قائل: العنكبوت لي ، ومن قائل: الأنعام لي ، ففيه إشكال ، فإن بعض هذه السور مثل البقرة وغيرها مدنية والسورة مكية / ١٢ وجيز .

(٢) قاله أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود / ١٢ .[وأخرجه أبو نعيم في دلائله كما في الدر المنثور (١٩٩/٤) من طريق السدى الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والسدى متهم بالكذب، والكلبي كذلك]

(٣) اختلفوا في عدد هؤلاء المستهزئين وأسمائهم وكيفية استهزائهم، ولا حاجة إلى شيء منها والقدر المعلوم أنهم طائفة لهم قوة ورياسة أظهروا السفاهة مع الرسول الكريم ، فأفناهم الله وأزال كيدهم / ١٢ كبير .

واحد منهم في أقرب زمان ، ﴿**الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ عاقبة أمرهم، ﴿**وَلَقَدْ**(١) **نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ**﴾ من أذاك ، ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾، فاشتغل بتسبيحه وتحميده وتوكل على الله تعالى ﴿**وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ**(٢)﴾ المصلين ، ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ الموت المتيقن لحاقه.

اللهم أمتنا على أحسن الأحوال والأعمال.

---

(١) لما ذكر – تعالى – أن قومه يسفهون عليه ويستهزءون ، قال له: "ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون" ، لأن الجبلة البشرية يقتضي ذلك ، فعند هذا قال له: "فسبح بحمد ربك"، فأمره بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة ، لأن الإقبال على الطاعات سببٌ لزوال ضيق القلب والحزن ، لأنه إذا اشتغل الإنسان بالعبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية ، ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا حقيرة، خَفَّ على القلب فقدانها ووجدانها، فلا يستوحش من فقدانها، ولا يستريح بوجدانها، وعند ذلك يزول الحزن والغم / ١٢ كبير .

(٢) وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [حسن أخرجه أحمد وأبو داود عن حذيفة، وانظر صحيح الجامع (٤٧٠٣)]، أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم فى التاريخ وابن مردويه والديلمى عن أبي مسلم الخولاني قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: "ما أوحى إلى أن أجمع المال وأكن من التاجرين، ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" [انظر الدر المنثور (٢٠٣/٤)، وأخرجه البغوي في "شرح السنة"، (٢٣٧/١٤) بسند مرسل، وفيه أيضا شرحبيل بن مسلم مختلف فيه]، وروى بطرق كثيرة / ١٢ فتح البيان وكذا فى المعالم .

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها

وهي مائة وثمان وعشرون آية وستة عشر ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾

﴿أَتَى[(١)] أَمْرُ اللَّه﴾ أي: القيامة التي هي بمترلة الواقع في تحققه، أو العذاب الذي وعده نبينا فيمن[(*)] خالفه، ﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فإنه لا محالة واقع ، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ[(٢)]﴾

---

(١) روي أنه لما نزلت وثب النبي -عليه الصلاة والسلام- ورفع الناس رءوسهم فترلت "فلا تستعجلوه" / ١٢ منه .

(*) في النسخة (ن): من .

(٢) ولما نزه ذاته الأقدس عن الشريك شرع يصف نفسه بصفات الكمال من الأمر والخلق فبدأ بالأمر لأنه مقدم وأعلى وكان ما يشركون لا تصرف له أصلاً ، قال : " يترل الملائكة " الآية م ١٢ وجيز .

ما مصدرية أو موصولة بحذف مضاف أي : إن مشاركة ما يشركون رد لما قالت الكفرة لو صح ما تقوله فالأصنام تشفع لنا ، ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ[1]﴾ بالوحي ، ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ من أجل أمر الله تعالى، ﴿عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا﴾ أي : بأن اعلموا متعلق بالروح[2] أو بدل منه ، ﴿أَنَّهُ﴾ إن الشأن ، ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ عقوبتي لمن عبد غيري رجع إلى مخاطبتهم بما هو المقصود ، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ متلبسًا ، ﴿بِالْحَقِّ﴾ لتجزى كل نفس بما كسبت ، ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزه نفسه عن مشاركة غيره فإنه هو الخالق وحده ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق ، ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ﴾ أي : جنسه ، ﴿مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ﴾ حين استقل ، ﴿خَصِيمٌ﴾ يخاصم ربه ويكذب رسله ، ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهر الخصومة ، ﴿وَالأَنْعَامَ﴾ منصوب بما أضمر عامله ، ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ أو عطف على الإنسان وخلقها لكم مستأنفة يبين ما خلق لأجله ، ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما يدفأ به من البرد ، فإن من أشعارها بيوتًا ولباسًا وملاحف ، ﴿وَمَنَافِعُ﴾ بالنسل والدر والركوب وغيرها ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قدم الظرف للاختصاص كأن الأكل من الصيد والطيور ليس هو المعتدل بل بمنزلة التفكه ، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة ، ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردّونها بالعشي من مراعيها إلى مراحها ، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ حين تخرجونها إلى المراعي بالغداة وقدم الأول ، لأن الزينة إذا أقبلت ملأى البطون ممتلئة الضروع أظهر ، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ، ﴿إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ إن لم تكن الأنعام ، ﴿إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ﴾ بكلفة ومشقة ، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلَ﴾ عطف على الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم ،

---

(١) الذي بمنزلة الروح للجسد / ١٢ منه .

(٢) لما كان الروح بمعنى الوحي يمكن أن يكون متعلقًا وجاز أن يكون مفسرة ؛ لأن الروح لما كان بمعنى الوحي دل على القول / ١٢ منه .

﴿وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً[1]﴾ عطف على محل لتركبوها أو تقديره ولتتزينوا بها زينةً، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أي : ويخلق لكم ما لم يحط به علمكم ، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أوجب على نفسه بفضله ولطفه بيان مستقيم الطريق أو معناه طريق الحق[2] على الله تعالي يصل إليه لا محالة من يسلكه والمراد بالسبيل الجنس ، ﴿وَمِنْهَا﴾ أي : وبعض السبيل ، ﴿جَائِرٌ﴾ مائل عن الحق ، ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ، ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى قصد السبيل .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن

---

(١) وتغيير النظم حيث لم يقل ولتتزينوا بها ليعلم أن المقصود من الخلق الركوب وأما التزين بها فحاصل بالعرض ولأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله / ١٢ منه .

(٢) يعني قصد السبيل الذي هو الإسلام مؤد إلى رضاه ولقائه وثوابه نحو:"هذا صراط علي مستقيم" (الحجر :٤١) / ١٢ منه .

يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

﴿**هُوَ الَّذِي**[١] **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ**﴾ من جانبه أو من السحاب ، ﴿**مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ**﴾ ما تشربونه ومياه العيون والآبار مما أنزل من السماء ، ﴿**وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ**﴾ أى : في الشجر ﴿**تُسِيمُونَ**[٢]﴾ ترعون أنعامكم والمراد من الشجر الجنس الذى ترعاه المواشي، وقيل هو كل نبت من الأرض ، ﴿**يُنبِتُ لَكُم بِهِ**﴾ أي : بسبب الماء ﴿**الزَّرْعَ**[٣] **وَالزَّيْتُونَ**[٤] **وَالنَّخِيلَ**[٥] **وَالأَعْنَابَ**[٦] **وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ**[٧]﴾ أي : بعض كلها لأن ما يمكن من الثمار لم ينبت في الأرض كله ، ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ**

---

(١) ولما أمتن عليهم بإيجادهم بعد العدم وإيجاد ما ينتفعون به امتن عليهم بما هو قيام حياتهم وحياة كل حيوان وما يتولد ويحصل منه من الزرع والضرع فقال هو (الذي) إلخ/١٢ وجيز.

(٢) أي : في جنس الشجر ترعون أنعامكم وتقديم فيه لرعاية الفواصل أسأم الماشية جعلها ترعي وسامت رعت حيث شاءت / ١٢ وجيز .

(٣) التي فيه قوت العالم .

(٤) فيه الاستصباح والائتدام والاطلاء / ١٢ .

(٥) فاكهة وقوت / ١٢ .

(٦) فيه قوت وهو فاكهة .

(٧) وكل الثمرات لا يكون إلا في الجنة وفي الأرض بعض منها للتذكرة وفي قوله: "من كل الثمرات" إشارة إلى أن تفصيلها لا يكاد يحصر كما أن تفصيل ما خلق كذلك/١٢وجيز .

يَتَفَكَّرُونَ ﴾ على وجوده وكمال قدرته ووحدته ، ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْـــلَ وَالنَّـــهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ**[١]﴾ أي : هيأها لمنافعكم حال كـــون الكل مسخرات تحت قدرة الله تعالى وسلطانه ، ﴿**إِنَّ فِي ذَلِـــكَ لآيَـــاتٍ لِّقَـــوْمٍ يَّعْقِلُونَ**﴾ فإن من له عقل يفهم أنواع دلالاتها ولا يحتاج إلى إمعان نظر كـــأحوال[٢] النبات ﴿**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ**﴾ عطف على الليـــل ، ﴿**فِـــي الأَرْضِ**﴾ مـــن الحيوانـــات والجمادات ، ﴿**مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ**﴾ أشكاله ، ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾ فـــإن اختلاف أشكالها دال على حكمته وقدرته ، ﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ**﴾ جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع بـــه ، ﴿**لِتَـــأْكُلُوا مِنْـــهُ لَحْمَـــا طَرِيـــاً**﴾ أي : الســـمك ، ﴿**وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً**﴾ كاللؤلؤ والمرجان ، ﴿**تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِـــرَ**﴾ المخر شق الماء بصدرها أو صوت جري الفلك بالرياح ، ﴿**فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِـــهِ**﴾ سعة رزقه أي : سخر البحر للأكل والاســـتخراج والتجـــارة للربـــح ، ﴿**وَلَعَلَّكُـــمْ تَشْكُرُونَ**[٣]﴾ نعمه وإحسانه ، ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ**﴾ جبالاً ثوابـــت ، ﴿**أَن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب فإنه لما خلق الأرض كانت تتحرك فقـــالت

---

(١) فيه رد على الفلاسفة والمنجمين لأنهم يعتقدون أن هذه النجوم هي الفعالة المتصرفـــة في العالم السفلي فأخبر سبحانه أنها مذللات تحت قهره وإرادته / ١٢ .

(٢) قوله: كأحوال النبات إلخ فإن النظر في ذلك يحتاج إلى فضل تأمل فإن الجنة الواحدة إذا مرت عليها أيام في الأرض لحقها من نداوة الأرض ينشق أعلاها فتصعد منه شجرة إلى الهواء وتغوص أسفلها في عمق الأرض ثم ينمو ثم يخرج الأوراق والأغصـــان والأنهـــار والثمار المشتملة على طباع مختلفة وطعوم وألوان وروائح وأشكال وكل ذلك بتقديـــر قادر مختار / ١٢ وجيز .

(٣) ولا تكفرونه بالشرك.

الملائكة: ما هي بمقر أحد فأصبحت الملائكة وقد خلقت الجبال و لم تدر الملائكة مم خلقت ، ﴿وَأَنْهَاراً﴾ أي : وجعل فيها أنهارًا لأن في ألقى معنى الجعل ، ﴿وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم ، ﴿وَعَلامَاتٍ﴾ كالجبال والتلال والوهاد وغيرها فإنها علامات للطرق ، ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي : بجنس النجم خصوصًا القريش خصوصًا يهتدون في البراري والبحار فإن لقريش بذلك علمًا لم يكن مثله لقوم غيرهم فالشكر عليهم أوجب ، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ وهو الله سبحانه ، ﴿كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ وهو كل معبود من دون الله تعالى وغلب جانب أولي العلم فجاء بمن أو المراد الأصنام وجعلها من أولي العلم بزعمهم أو للمشاكلة وحق الكلام أن يقال : أفمن لا يخلق كمن يخلق وعكس للتنبيه على أنهم جعلوا الله بالإشراك من جنس المخلوقات العجزة شبيهًا بها ، ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفوا فساد ذلك ، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ لا تضبطوا عددها لكثرتها فكيف تطيقون القيام بشكرها ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لا يعاقبكم بتقصير في شكرها ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ، ﴿وَاللَّهُ[1] يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ من عقائدكم وأعمالكم ، ﴿وَالَّذِينَ[2]﴾ أي : والآلهة الذين ، ﴿يَدْعُونَ﴾ أي : يعبدونهم ، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً﴾ فكيف تجوزون شركتهم مع الله الخالق لاسيما ، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ بخلق الله أو بخلقهم الناس بالنحت والتصوير ، ﴿أَمْوَاتٌ﴾ أي : هم أموات لا أرواح لهم ، ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ في وقت من الأوقات لا يعقب موته حياة فهم أغرق في الموت من النطف أيضًا ،

---

(١) ولما أثبت لنفسه الإحسان وأن الخلق مغرقون في إنعامه وأنه قادر مطلق أراد أن يثبت له إحاطة العلم صريحًا فقال : " والله يعلم " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما أثبت الإحسان والقدرة والعلم لنفسه أراد أن ينفي كل ذلك عن آلهتهم ليظهر التباين فقال : " والذين " الآية / ١٢ وجيز .

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ لا يعرفون وقت بعثهم فإن الأصنام تبعث فتتبرأ من عبادهما وقيل: ضمير يبعثون إلى عبدهم يعني هم جهلاء فلا يستحقون الإلهية .

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ بعد ذكر حجج وحدانيته أخبر بالنتيجة ، ﴿فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ لا يتأملون في الحجج وإن كانت واضحات ويستكبرون عن اتباع الرسل بخلاف من يؤمن بالآخرة فإنه طالبٌ الدلائل متبع للحق ، ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم وهو في موضع الرفع بمحذوف أي: حق أن الله تعالى يعلم سرهم وعلانيتهم حقًّا ، ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ لا يثيبهم ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ السائل الحاجُّ يسألون هؤلاء المكذبين ، ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أي : ما يدعي نزوله مأخوذ من الكتب المتقدمة ليس بمترل من الله تعالى، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ هي لام العاقبة فإن قولهم هذا أدَّاهم إلى حمل أوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء بمصيبة أصابتهم في الدنيا لكفرهم ، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ﴾ أي : ليحملوا أوزار أنفسهم وبعض أوزار ، ﴿الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ يعني خطيئة إغوائهم لغيرهم ، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من مفعول يضلون أو من فاعله ، ﴿أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ أي : بئس شيئًا يزرونه صنيعهم .

قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ليهدموا ما أسس الله تعالى من بنيان دينه ، ﴿فَأَتَى اللَّـهُ﴾ أي : أَمْرُ الله تعالى ، ﴿بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ أي : من جهة أساطين ما بنوا عليه وخُربت من أصله وأُسّه ، ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ[1] مِن فَوْقِهِمْ﴾ وصار سبب هلاكهم ، ﴿وَأَتَاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ لا يتوقعون وهذا على سبيل

(١) والأظهر أن ذلك على سبيل التمثيل / ١٢ منه .

التمثيل وعن ابن عباس[١] -رضي الله عنهما- أن المراد به نمرود[٢] حين بنى الصرح ليصعد إلى السماء فهبت الريح وألقت رأسها في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته وكان طولها خمسة آلاف ذراع ، ﴿ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلهم ، ﴿وَيَقُولُ﴾ الله تعالي تقريعًا[٣] وتوبيخًا، ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ في زعمكم ليدفعوا العذاب عنكم ، ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ﴾: تحاربون ، ﴿فِيهِمْ﴾ في سبيلهم ، ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ هم السادة في الدارين إظهارًا للشماتة وزيادة للإهانة ، ﴿إِنَّ الخِزْيَ اليَوْمَ وَالسُّوءَ﴾ العذاب ، ﴿عَلَى الكَافِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ حال من مفعول تتوفى، ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ سالموا وانقادوا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ كفر وعدوان ، ﴿بَلَى﴾ أي: فقالت الملائكة بلى، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم ، ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي : كل صنف بابها المعد له ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مترل ، ﴿المُتَكَبِّرِينَ﴾ عن عبادة الله جهنمُ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن مجاهد أيضًا / ١٢ منه .

(٢) ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد به نمرود بن كنعان حيث بنى بناءً عظيمًا ببابل طوله في السماء خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها فأهب الله الريح فخر ذلك البناء عليه وعلى قومه فهلكوا وكان أعظم أهل الأرض تجبرًا في زمن إبراهيم عليه السلام ونمروذ بضم النون والذال المعجمة وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة والأولى أن الآية عامة في جميع المبطلين الماكرين الذين يحاولون إلحاق الضر بالمحققين المؤمنين ومعنى المكر هنا الكيد والتدبير الذي لا يطابق الحق وفي هذا وعيد للكفار المعاصرين له -صلى الله عليه وسلم- بأن مكرهم سيعود عليهم كما عاد مكر مَنْ قبلهم على أنفسهم / ١٢ .

(٣) فإهانتهم جامعة بين الفعل والقول/١٢ .

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ أنزل ، ﴿خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ مكافأة ، ﴿فِي هَذِهِ﴾ الحياة ، ﴿الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ لهم ، ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ دار الآخرة ، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو مخصوص بالمدح أو بدل من دار المتقين ، ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ كل ما يشتهون يجدون فيها لا في الدنيا ، ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا الجزاء ، ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الشرك وقيل: فرحين ﴿يَقُولُونَ﴾ أي : الملائكة ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمُ﴾ لا يلحقكم بعد مكروه وقيل: يبلغونهم سلام الله تعالى ، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ المعدة لكم حين تبعثون ويمكن أن يكون المراد دخول أرواحهم الجنة قبل البعث كما في الحديث[1] ، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ هَلْ يَنظُرُونَ[2]﴾ أي : هل ينتظر الكفرة ، ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ ، لقبض أرواحهم ، ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ ، العذاب والهلاك أو القيامة يعني مآلهم إما أن يموتوا حتف أنفهم أو يقتلوا فكأنهم لا ينتظرون إلا فرداً من هذين لكن المؤمنون ينتظرون أنواع رحمة الله تعالى بعد الموت ، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي : مثل فعلهم من التكذيب ، ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتعذيبهم ، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فاستحقوا به عذاب الله تعالى

---

(١) الذي رواه مالك في الموطأ والترمذى قال -صلى الله عليه وسلم: (إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه) وقد صححه الترمذي وغيره ، قال المحققون : هذا غير مختص بالشهداء / ١٢ وجيز ومنه .

(٢) لما ذكر طعن الكفار في القرآن كقولهم: أساطير الأولين، ثم أتبع ذلك بوعيدهم وتهديدهم ثم أردف حال المؤمنين ووعد لهم كما هو دأب القرآن رجع إلى حال الكفرة فإن المقصود بيان حالهم (هل ينظرون) الآية : ١٢ وجيز .

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي : وبال سيئات عملهم ، ﴿وَحَاقَ﴾: أحاط ، ﴿بِهِم﴾ جزآء ، ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا نعبد غيره ، ﴿مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ﴾ أي : ما عبدنا نحن ، ﴿وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي : البحيرة والسائبة وغيرهما ومضمون كلامهم أنه لو كان تعالى كارهًا لما فعلنا[1] ولما مكننا منه وقيل: إنما قالوا استهزاء، ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الشرك وتحريم الحلال ورد الرسل ، ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ أي : ليس الأمر

(١) حاصله أنهم استدلوا على عدم قبح أعمالهم بأنها برضاه فمذهبهم أن المشيئة ملزوم لا تنفك عن الرضاء كمذهب المعتزلة بعينه هداهم الله / ١٢ وجيز ومنه .

كما زعمتم من عدم الكره كيف وقد أنكرنا عليكم أشد الإنكار بلسان رسلنا وإنما عليهم التبليغ لا الإهداء ، **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ[1]﴾** أي : بعثناهم بذلك الأمر فكيف يتمسكون بمشيئته؟! **﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾** فلا يشرك ولا يحرم حلاله ، **﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ﴾** وجبت ، **﴿عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾** إذ لم يوفقهم ولم يهدهم فالله تعالى عنهم غير راض؛ بل أراد شقاوتهم ، **﴿فَسِيرُوا﴾** يا معشر قريش ، **﴿فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾** حتى تعرفوا أنهم في سخط من الله تعالى، **﴿إِن[2] تَحْرِصْ﴾** يا محمد ، **﴿عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾** من أراد الله تعالى إضلاله ولا يغير إرادته القديمة بحرصك على هدايتهم ، **﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ[3] ﴾** ينصرونهم وينجونهم من عذابه عطف على إن الله أي : إن تحرص على هدايتهم فلا فائدة فيه ، لأن الله لا يهديهم وليس لهم ناصر فمجموع المعطوف والمعطوف عليه علة للجزاء قائمة مقامه.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ[4] أَيْمَانِهِمْ﴾ غلظوا في الحلف ، **﴿لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ[5] بَلَى﴾** يبعثهم ، **﴿وَعْداً﴾** ، مصدر مؤكد لنفسه فـإن بلي دال على وعـد الله تعالى

---

(١) هو كل معبود من دون الله / ١٢ معالم .

(٢) ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم في كمال الشفقة على من بعثه الله إليهم وقد أنزل عليه ومنهم من حقت عليه الضلالة اغتم قلبه الرحيم للضالين فقال الله : " إن تحرص على هداهم " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر فيه إقناط من هدايتهم يذكر ما يشعر على سبب الإقناط فقال : " وأقسموا بالله جهد أيمانهم " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) نصبه على أنه مصدر أو حال كما مر .

(٥) ونعم قول من قال: أمر البعث مجملاً عقلي لا حاجة إلى مخبر فإنا نرى من يظلم صالحًا كمال الظلم، وماتا فلو لم يكن بعده قصاص فأين العدل وحاشا الله أن يرضى بذلك ولا ينتقم منه / ١٢ وجيز .

بعثهم ، ﴿عَلَيْهِ﴾ إنجازه لامتناع خلف وعد ﴿حَقًّا﴾ صفة أخرى لوعدًا، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ أهم يبعثون ، ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ أي : يبعثهم ليبين ، ﴿لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ الضمير لمن يموت والمختلف فيه هو الحق ، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ في إقسامهم لا يبعث الله من يموت ، ﴿إِنَّمَا[1] قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن﴾ أي : احدث ، ﴿فَيَكُونُ[2] ﴾ فيحدث وهو بيان سهولة الأشياء له حتى يعلم أن البعث لا يتعسر على الله بوجه .

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةًۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِى تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم

---

(١) ولما كان إنكارهم البعث لحسبالهم أن البدن الممزق إحياؤه بعيد عن العقل قال : " إنما قولنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما بين أن ما أراد لا يتخلف ولا شيء عليه عسير أخذ يبين أنه تعالى لما أراد نصرة دين نبيه وعد أن العاقبة للمتقين خاب سعيهم وجهدهم في خلاف مراد الله ورجع عليهم شؤم مكرهم وبين كذب ما أقسموا بأن الآخرة والبعث بعد الموت ثابت فقال : " والذين هاجروا " الآية / ١٢ وجيز .

بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ أي : في رضاه وحقه ، ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ ، عذبوا وأوذوا والمراد المهاجرون إلى الحبشة وغيرها كعثمان بن عفان رضي الله عنه- وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه- وغيرهما ، ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بثوية[1] ، ﴿حَسَنَةً﴾ وهي أن مكنهم الله تعالى في البلاد وحكمهم على رقاب العباد فصاروا أمراء حكامًا وللمتقين إمامًا أو مباءة حسنة وهي المدينة ، ﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مما أعطي لهم في الدنيا ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ قيل الضمير للكفار فإن المؤمنين يعلمون ، ﴿الَّذِينَ[2] صَبَرُوا﴾ منصوب أو مرفوع على المدح ، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ[3] وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً﴾ لا ملائكة رد على من قال: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا ، ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أهل الكتاب ليخبروكم أهم بشر لا ملائكة ، ﴿إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ كأنه جواب قائل: بم أرسلوا ؟ فقال : أرسلناهم بالمعجزات والكتب وقيل صفة رجالاً ، وقيل : متعلق بما

---

(١) إشارة إلى أن حسنة صفة مصدر محذوف / ١٢ منه .

(٢) أي : هم الذين صبروا على الأذى ومفارقة الوطن لاسيما حرم الله المحبوب على القلوب، فكيف لمن كان مسقط رأسه وأول مس جلده ترابها؟ / ١٢ وجيز .

(٣) ولما ذكر ومدح الصابرين المتوكلين وقدوتهم وإمامهم الأنبياء مخاطباً لنبيه : " وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً " الآية / ١٢ وجيز .

أرسلنا ، وقيل : بما تعلمون أو بنوحي ، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: يا محمد ، ﴿الذِّكْرَ﴾: القرآن ، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني لتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل لعلمك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه ، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيما أنزلنا إليك فيهتدون ، ﴿أَفَأَمِنَ[١] الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المكرات ، ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ كأهل مكة ، ﴿أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ كما خسف بقارون ، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ لا يعلمون مجيئه إليهم ، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: في المعايش واشتغالهم بها من أسفار ونحوها من الأشغال الملهية ، أوتقلبهم في الليل والنهار[٢] ، ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ الله ، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ أي : في حال خوفهم من أخذه لا بغتة أو على تنقص بأن يأخذ شيئًا بعد[٣] شيء حتى يستأصلوا ، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لا يعاجلكم بعقوبته ، ﴿أَوَلَمْ[٤] يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ ما موصولة مبهمة ، ﴿مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ﴾ بيانه أي : يميل ويدور ، ﴿عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ جمع الشمال باعتبار معنى ما خلق[٥] الله تعالى، ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ حال من الظلال كل شيء له ظل يسجد ظله لله تعالى ولا يبعد ذلك عن قدرة الله تعالى أو

---

(١) ولما ذكر أن الإنزال للتبيين والتفكر ناسب إن يسأل أن بعد تبيينك وتفكرهم آمنوا إن لم يطيعوا أنواع العقوبة فقال : " أفأمن الذين " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) قول مجاهد والضحاك / ١٢ .

(٣) من قولك: تخوفته وتخونته إذا انتقصته ، وقيل: هذا لغة بني هذيل / ١٢ .

(٤) ولما بين قدرته على تعذيب الماكرين أراد تنبيههم على أنه يجب عليهم أن يكونوا طائعين فقال : " أو لم يروا " الآية / ١٢ وجيز .

(٥) فإنما خلق الله أشياء كثيرة لكل شيء منها جانبان فوحد الضمير باعتبار اللفظ كما وحد الضمير في ضلاله وجميع الشمائل رعاية للمعنى كما جمع قوله سجدا وهم داخرون / ١٢ منه .

سجودها انقيادها لما قدر له من التفيؤ ، أو حال من ضمير ظلاله قال كثير من السلف: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله تعالى، ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾: صاغرون حال من ضمير ظلاله لأنه في معنى الجمع وجمعه بالواو والنون للتغليب ، أو لأن الدخور والسجود من أوصاف العقلاء[١] واليمين يمين الفلك أي : الجانب الشرقي والشمال الجانب الغربي أو المراد من اليمين والشمائل جانبا كلّ شيء استعارة من يمين الإنسان وشماله ، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾: ينقاد[٢] ، ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ والدبيب هي الحركة الجسمانية فجاز أن يكون بياناً[٣] لما في السماوات أيضًا ﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾ عطف على ما في السماوات عطف خاص على عام فإن في السماوات غير الملائكة من الأرواح ، ﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن عبادته ، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ حال[٤] أوبيان أو تأكيد لنفي الاستكبار ، ﴿مِّن[٥]

---

(١) فإنه لما وصفه بوصف العقلاء جمعه جمعهم / ١٢ منه .

(٢) فسرنا السجود بالانقياد ليشمل السجود المتعارف وغيره / ١٢ منه .

(٣) كما أنه بيان لما في الأرض / ١٢ .

(٤) فإن من خاف أحدًا لا يستكبر عليه / ١٢ .

(٥) قوله تعالى : " يخافون ربهم من فوقهم " وكم في القرآن الكريم من أمثالها ونظائرها مما يدل على فوقية الله تعالى على خلقه ومبائنته من جميع مخلوقاته قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في النقض على المريسى : وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سماواته فقال الإمام أبو سليمان الخطابي في كتابه شعار الإيمان إن إنكار الفوقية شيء سرقه المتأخرون من الفلاسفة وفي ذلك رد لكتاب الله وسنة رسوله ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، وقال الإمام أبو حنيفة : من أنكر الله عز وجل في السماء فقد كفر وقال الإمام مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان ، وسئل الإمام أحمد: ما تقول في من قال إن الله ليس على العرش ؟ قال: كلامهم كله يدور على الكفر، وأيضًا قال: ما فطر العباد إلا على أن =

فَوْقِهِمْ[1]﴾ أي : حال كون الرب قاهرًا عاليًا[2] لهم(*)، وهو القاهر فوق عباده ، أو

= ربهم في السماء وقال الإمامان أبو حاتم وأبو زرعة : إن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف أحاط بكل شيء علمًا ، ليس كمثله شيء وهو السميع والبصير انتهي.

وقال الإمام البخاري في كتاب خلق الأفعال: قال ابن المبارك : لا نقول كما قالت الجهمية أنه في الأرض ها هنا بل على العرش استوى، وقيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: نعرفه بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: من لم يقر بأن الله استوى على عرشه فوق سبع سماواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، ثم ألقي على بعض المزابل لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة ، وقال الحافظ الذهبي : ما أدركنا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا يقولون : إن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف وأحاط بكل شيء علمًا وهكذا يقولون في جميع الصفات القدسية انتهى.

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه "مختلف الحديث" : ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله عز وجل هو العلي الأعلى وأن الأيدي ترفع بالدعاء إليه والأمم كلها أعجميها وعربيها تقول : إن الله في السماء ما تركت على فطرتها انتهى.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه "اختلاف المضلين" ومقالات الإسلاميين : فلولا أن الله تعالى على عرشه ما قال في حق ملائكته: "يخافون ربهم من فوقهم" ولما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الأيدي إلى السماء انتهى/١٢ .

(١) الذي فوقهم على العرش / ١٢ .

(٢) لما بين أن كل ما سوى الله سواء كان من عالم الأرواح أو من عالم الأجسام فهو منقاد خاضع لجلال الله وكبريائه أتبعه بالنهي عن الشرك وبالأمر بأن كل ما سواه فهو مِلْكُه ومُلْكُه وأنه غنيٌّ عن الكل فقال : " لا تتخذوا إلَهَين اثنين " الآية/١٢ كبير .

(*) في النسخة (ن): عاليًا عليهم.

معناه يخافون من فوقهم ، أي : أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم ، وقيل : أي يخافون والحال أن الملائكة من فوق ما في الأرض من الدواب فمن دونهم أحق بالخوف ، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ فإن الاثنينية تنافي الإلهية[١] ، ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ﴾ فإن الوحدة من لوازم الألهية ، ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ كأنه قال : فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غيري ، ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾ أي : الطاعة ، ﴿وَاصِباً﴾ دائمًا فإن طاعة غير الله تنقطع ، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ[٢]﴾ مع أنه

---

(١) يعني ذكر العدد مع المعدود ويدل عليه إيماءً إلى أن الاثنينية تنافيها / ١٢ .

(٢) يعني بعد ما عرفتم أن إله العالم واحد وكل ما سواه محتاج إليه في كل حال فبعد العلم بهذا كيف يعقل أن يكون للإنسان رغبة في غير الله تعالى أو رهبة عن غير الله تعالى فلهذا قال على سبيل التعجب : " أفغير الله تتقون " / ١٢ كبير .

تعالى خالق الأشياء وحده ، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ[1] فَمِنَ اللَّـهِ﴾ ما شرطية ، أي : أي شيء اتصل بكم من النعم فهو من الله تعالى ، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ إليه لا إلى غيره تتضرعون ، ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ وهم الكفار ، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعم واللام لام العاقبة ، ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ أمر وتهديد ، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: عاقبة أمركم ، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أي : لأصنامهم التي لا علم لهن فضمير الجمع لما ، ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ ، كما مر "هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا" (الأنعام:١٣٦)، ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ سؤال توبيخ ، ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ من إثبات الشريك وغيره ، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾: يقولون: الملائكة بنات الله تعالى، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه له من قولهم ، ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي : البنون والجملة مبتدأ وخبر، أو تقديره يجعلون لهم[2] ما يشتهون ، أي : يختارون لأنفسهم البنين ، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾: أخبر ، ﴿أَحَدُهُم بِالأُنثَى﴾ بولادتها ، ﴿ظَلَّ﴾ صار ، ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من الكآبة وهو كناية عن شدة الغم ، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ مملوّ غمًا وغيظًا ، ﴿يَتَوَارَى﴾: يستخفي ، ﴿مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ﴾ الضمير لما ولفظه مذكر ، أي : متفكرًا في أن يتركه ، ﴿عَلَى هُونٍ﴾: على ذل ، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾: يخفيه ، ﴿فِي التُّرَابِ﴾ فإنهم كانوا يدفنون البنات أحياء ، ﴿أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ حيث يجعلون لمن تنزه عن الولد أخس الولد عندهم ، ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾: صفة النقص ،

---

(١) يعني أن جميع النعم من الله تعالى ثم إذا اتفق مضرة تزيل شيئًا من تلك النعم فإلى الله يجار أي : لا يستغيث أحدًا إلا الله لعلمه بأنه لا مفزع للخلق إلا هو فكأنه تعالى قال لهم : فأين أنتم عن هذه الطريقة في حال الرخاء والسلامة؟ / ١٢ كبير .

(٢) فعلى هذا "لهم" عطف على الله و"يشتهون" على البنات / ١٢ منه.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ الكمال المطلق والنزاهة عن صفات الخلائق ، ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾: المتفرد بكمال الغلبة والحكمة التامة .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

﴿وَلَوْ[1] يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ بما كسبوا من المعاصي ، ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير للأرض لدلالة الدابة عليها ، ﴿مِن دَابَّةٍ[2]﴾ وعن بعض السلف كاد الجعل[3] يهلك في جحره بذنب ابن آدم ، وعن بعضهم معنى من دابة : من مشرك يدب على

---

(١) لما حكى عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين أنه يمهل هؤلاء الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة إظهاراً للفصل والرحمة والكرم فقال : " ولو يؤاخذ الله الناس " الآية/١٢كبير .

(٢) سمع أبو هريرة –رضي الله عنه– رجلاً يقول إن الظالم لا يهلك إلا نفسه، فقال: لا والله الحبارى تموت في وكرها بظلم الظالم / ١٢ وجيز .

(٣) الجُعَل كـ"صرد": دويبة في تاج الأسامي الجعل سركين غلطان وفي حياة الحيوان هو كصرد جمعه جعلان بالكسر دويبة معروفة شديد السواد في بطنه لون حمرة ومن شأنه جمع النجاسات / ١٢ .

الأرض فإنه لو أهلك الآباء الكفرة لم تكن الأبناء ، ﴿وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ انقضاء عمرهم المقدر فيتوالدون ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ أي : وقته ، ﴿لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي : لا يمهلون لحظة ، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ أي : ما يكرهون لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة والأموال ، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ فسر الكذب بقوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ كما قال تعالى: "ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي إن لي عنده للحسني " (فصلت:٥٠) ، ﴿لاَ جَرَمَ[١]﴾ أي : ليس الأمر كما زُعم كسب قولُهم هذا ، ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ[٢]﴾ مقدمون إلى النار من الفرط وهو السابق إلى الماء أو منسيون من أفرطت فلانًا خلفي إذا نسيته ومن قرأ بكسر الراء فهو من الإفراط بالمعاصي ، ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: رسلاً ، ﴿إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ فأصروا على ما هم عليه و لم يتبعوا رسلنا فلك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة ، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ أي : الشيطان ناصرهم الآن وهم تحت نكاله ومن هو ناصره فالويل عليه ، وقيل: المراد من اليوم يوم القيامة ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة ، ﴿وَمَا[٣] أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: للناس ، ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: من أمر الآخرة ، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على

---

(١) معنى لا جرم يأتي في سورة "حم" "المؤمن" واختار هاهنا هذا المعنى لتعلم كلا معنييه/١٢منه .

(٢) ولما استوفى الكلام في عنادهم وجهلهم بحيث يظن ظان أنهم أجهل الأمم وأضل أكد في نفي هذا الظن بالقسم تسلية لرسوله -صلى الله عليه وسلم- فقال : " لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ولما أعلم أنهم في خلاف وضلال أراد التحريض في تبيين الحق لهم وإهدائهم فقال: (وما أنزلنا عليك الكتاب) الآية / ١٢ وجيز .

محل لتبين ولا يجوز أن يقال إلا تبييناً لأنه فعل المخاطب لا المنـزل بخلاف الهداية والرحمة ، ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[1] وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا[2] إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ[3] ﴾ لا لمن هو أصم فيتدبر في دلالته على البعثة المختلف فيها .

وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ دلالة على كمال قدرته ، ﴿نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾: لما كان الأنعام اسم جمع وحد ضميره ومن قال: جمع نَعَم فالضمير للبعض

---

(١) أي: لقوم في علم الله أنهم يؤمنون فإن ما أنزلنا حياة لأرواحهم وشفاء لما في صدورهم ولما أراد التشبيه قال : " والله أنزل من السماء ماء " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) تصير الأرض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها كذلك القلب " إن في ذلك " الآية/١٢ .

(٣) كأنه في كونه آية دالة على إمكان البعث لا يحتاج إلا إلي حس السمع و لا يحتاج معه إلى كثير عمل بالقلب من عميق الفكر / ١٢ وجيز .

فإن اللبن لبعضها أو من للتبعيض ، ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ﴾ هو ما في الكرش من الثفل ومن للابتداء ، ﴿وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾: صافيًا ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث ، ﴿سَائِغاً لِّلشَّارِبِينَ﴾ هنيئًا يجري على السهولة في حلوقهم ، ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ﴾ متعلق بمحذوف أي ونسقيكم من ثمراتهما يعني عصيرهما ، ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ استئناف لبيان الإسقاء ، ﴿مِنْهُ[1] سَكَراً﴾ وهو الخمر والآية قبل تحريمه وتذكير الضمير لأنه يرجع إلى المضاف[2] المقدر أعني العصير قيل من ثمرات متعلق بتتخذون ومنه تكرير التأكيد ، وقيل : تقديره ومن ثمراتهما ثمر تتخذون منه فتتخذون صفة لمبتدأ محذوف ، ﴿وَرِزْقًا[3] حَسَنًا﴾ كالخل والدبس ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم قيل: ناسب ذكر العقل ها هنا فإنه أشرف ما في الإنسان ولهذا حرم السكر صيانة لعقولهم ، ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ألهمها وأرشدها ، ﴿أَنِ اتَّخِذِي﴾ أي : بأن اتخذي أو أن مفسرة للوحي وتأنيث الضمير لأن المراد منه الجمع ، ﴿مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوي إليها ، ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ضمير الجمع للناس يعني أرشدنا النحل باتخاذ المسكن لأنفسها من الجبال والأشجار ومما يبنون لها في أي موضع كان أو منهما ومن البيوت فإنه قد يكون بيوت الناس مسكنه ، ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ التي تشتهينها ، ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ في الجبال والبراري والأودية في ذهابك إلى رعيك وإيابك إلى بيتك ، ﴿ذُلُلاً﴾ حال كون السبل مُذَلَّلَةً سهلها لك أو اسلكي أنت حال كونك ذللاً منقادة لما أمرتك به ، ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو

---

(١) ولما كان اللبن ليس فيه معالجة لأحد قال نسقيكم والسكر والنحل والدبس يحتاج إلى معالجة قال: "تتخذون" / ١٢ وجيز .

(٢) مع أن المرجع بحسب الظاهر الثمرات / ١٢ .

(٣) وفيه إيماء إلى أن السكر ليس من الرزق الحسن قيل: السكر الطعم وقال الطبري: السكر في كلام العرب ما يطعم / ١٢ وجيز .

حال كونك ذللاً منقادة لما أمرتك به ، ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ، ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أبيض وأصفر وأحمر وأسود ، ﴿فِيهِ شِفَاءٌ[1] لِّلنَّاسِ﴾ في الحديث:[2] (عليكم بالشفائين العسل والقرآن) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله وإحكام أمره ، ﴿وَاللَّهُ[3] خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ[4] الْعُمُرِ﴾ أخسه وهو الهرم وعن علي -رضي الله عنه- أنه خمس[5] وسبعون سنة ففيه ضعف القوى وسوء الحفظ وقلة العلم ، ﴿لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾: ليصير إلى حالة شبيهة بالطفولية في أكثر الأشياء ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما يصنع ، ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يريد .

---

(١) في بعض الأحاديث ما يدل على أنه شفاء لكل داء وصرح بذلك ابن مسعود، فالتنوين للتعظيم ولما كان أمر النحل عجيب في بنائها البيوت المسدسة وفي أكلها الأزهار المتنوعة وفي طواعيتها لأميرها وكان النظر في ذلك محتاجاً إلى تأمل ختم بقوله : " إن في ذلك " الآية / ١٢ وجيز .[حديث "عليكم بالشفاء ، العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور" أخرجه ابن عدى في "الكامل" (٢/١٨٣) عن سفيان بن وكيع: ثنا أبي عن سينان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله مرفوعا...فذكره. وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة" تحت حديث (١٥١٤).]

(٢) رواه ابن ماجة وابن جرير .[وضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة" (١٤١٥).]

(٣) ولما أثبت كمال قدرته في الأربعة المتقدمة نبه على قدرته التامة في أنفسنا فقال : " والله خلقكم " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) ولا يقيد بسن مخصوص ويتفاوت بالأشخاص قيل: أرذل العمر للكافر ولذلك قال تعالى "ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" (التين:٥،٦)،فال عكرمة : من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر / ١٢ وجيز .

(٥) وعن قتادة وهو خمس وتسعون / ١٢ .

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾

﴿**وَاللَّهُ**[١] **فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**﴾ بسط على واحد وضيق على آخر ، ﴿**فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا**﴾: في الرزق ، ﴿**بِرَادِّي**﴾: بمعطي ، ﴿**رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾ أي : مماليكهم ، ﴿**فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ**﴾: فيستوون في الرزق عن ابن عباس رضي الله عنه- وغيره يقول الله تعالى: " لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟!" فهو رد وإنكار على المشركين حيث لا يرضون أن يكون حيوانًا مثلهم شريكًا لهم ويقولون مخلوقات الله شركاؤه في

---

(١) ولما ذكر خلقنا وإماتتنا وتفاوتنا في العمر أراد ذكر تفاوتنا في الرزق فقال : " والله فضل " الآية / ١٢ وجيز .

ألوهيته تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ حيث يتخذون معه شركاء والباء لتضمين الجحود معنى الكفر ، وقيل: معناه جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهو بشر مثلكم فكان ينبغي أن تَرُدوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في المطعم والملبس ثم جعل عدم ردهم إلى المماليك من جملة جحود النعمة ، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ[1]﴾ أي : من جنسكم ، وقيل: المراد خلق حواء من آدم ، ﴿أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ[2] وَحَفَدَةً﴾ أولاد الأولاد، أو بني امرأة الرجل أي : الربائب أو الخدم فعلى هذا تكون عطفًا على أزواجًا لا على بنين أو البنات أو الأختان أي : الأصهار والحفد[3] في اللغة الخدمة ، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ اللذائذ ، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾: الأصنام ، ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ حيث يضيفونها إلى غيره ، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ[4] لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: لا المطر ولا النبات والثمار ، ﴿شَيْئًا﴾ بدل من رزقًا أي : لا قليلاً ولا كثيرًا وإن جعلت رزقًا مصدرًا فمعوله أي : لا يملك أن يرزق شيئاً ، ﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أي : لا يستطيع تلك الآلهة أن يتملكوه أو لا استطاعة لهم أصلاً ، ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا[5] لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾: لا تشبهوه بخلقه فإن ضرب المثل تشبيه ذات

---

(١) لما امتن بالرزق جعل يمتن بما هو من مصالحه ويستأنس به والمراد بالأنفس الجنس/١٢.

(٢) و لم يذكر البنات لأن الآية للامتنان والبنات عند أكثرهم مكروه/١٢ وجيز .

(٣) ومنه إليك نسعى ونحفد أي نسرع في الطاعة / ١٢ وجيز .

(٤) عن قتادة قال: هذه الأوثان التي تعبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقًا من السماوات والأرض ولا ضرًا ولا حياة ولا نشورًا/١٢ .

(٥) أقول يحتمل أن يكون المراد أن عبدة الأوثان كانوا يقولون إن إله العالم أجل وأعظم من أن يعبده الواحد منا، بل نحن نعبد الكواكب أو نعبد هذه الأصنام ثم إن الكواكب والأصنام عبيد الإله الأكبر الأعظم والدليل عليه العرف فإن أصاغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملك وأولئك الأكابر يخدمون الملك، فكذا هاهنا فعند هذا قال الله تعالى لهم =

بذات أو وصف بوصف وتعالى عن ذلك ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ خطأ ماتضربون ، ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ قيل: معناه لا تضربوا لله المثل فإنه يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون، ثم علمهم كيف تضرب فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكاً﴾ لا عبدًا[1] حرًا ، ﴿لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَّمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ هو تمثيل[2] للكافر والمؤمن فالكافر رزقه الله مالًا فلم يقدم فيه خيرًا فهو كالعبد لا يملك شيئًا وإن كان هو متصرفًا فيه ، والمؤمن أعطاه الله مالاً فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه في رضاه سرًّا وجهراً فهو كالحر يتصرف في ماله ولا يسلب عنه أبدًا ، أو مَثَّل الصنم بالمملوك العاجز ومثَّل نفسه الأقدس بالحر المالك الذي رزقه الله مالاً يتصرف فيه كيف يشاء فالتسوية بينهما مع الاشتراك في النوعية ممتنعة فكيف بالقادر الغني المطلق والصنم العاجز على الإطلاق؟! وجمع الضمير في يستوون ، لأن معناه هل يستوي الأحرار والعبيد؟! ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كل الحمد له لأنه وحده مُولي النعم كلها ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ، أنه وحده مُولي النعم فيعبدون غيره ، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ﴾ أي : جعل رجلين مثلاً ، ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾: ولد أخرس ، ﴿لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الصنائع لنقصان جسده وعقله ، ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾

= اتركوا عبادة هذه الأصنام والكواكب ولا تضربوا لله الأمثال التي ذكرتموها وكونوا مخلصين في عبادة الإله الحكيم القدير واتركوا دليلكم الذي عولتم إليه وهو قولكم الاشتغال بعبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من الاشتغال بعبادة نفس الملك لأن هذا قياس والقياس يجب تركه عند ورود النص فلهذا قال إن الله يعلم أنه لا مثل له في الخلق وأنتم لا تعلمون بشيء من ذلك وفعلكم هذا هو عن توهم محض وخاطر باطل وخيال مختل / ١٢ كبير مع الفتح .

(١) فإن كل حر عبد من عباد الله / ١٢ منه .

(٢) قاله ابن عباس وقتادة واختاره بن جرير / ١٢ منه .

ثقل ، ﴿عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ حيثما يرسله سيده في أمر ، ﴿لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لا يَكْفِ مُهِمَّ مُرْسِلِهِ ، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ، فَهِمٌ منطيق ذو رشد ينفع الناس أحسن نفع ، ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ، ﴿عَلَى صِرَاطٍ[1] مُّسْتَقِيمٍ﴾: مسيرة صالحة لا يرجى منه شيء إلا وهو يأتي بأمثل منه فالأول: هو الأصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل ومع ذلك كلفة إلى عابدها تحتاج إلى أن يخدمها ، والثاني: هو الله القادر المتكلم النافع الصمد المستغني مطلقًا المحتاج إليه ما عداه ، أو مثل للكافر والمؤمن وقد نقل أن الأول في عبد رجل[2] من قريش والثاني في عثمان بن عفان والأبكم الذي هو مولاه ينفق عليه عثمان وهو يكره الإسلام ويأباه .

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ

---

(١) ولما قال: إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون وضرب المثل وصف نفسه بأنه عالم قادر قال: "ولله غيب السموات" / ١٢ وجيز .

(٢) نقله ابن جرير عن ابن عباس ومراده أن الممثل به في قوله: "ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا" عبد رجل من قريش وفي قوله: "ضرب الله مثلاً رجلين" عبد لعثمان وحاصله أن الممثل به موجود لا مخيل كما هو شأن أكثر المثل / ١٢ منه .

جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يختص به علم ما غاب عن العباد ، ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ قيام القيامة في السرعة والسهولة ، ﴿إِلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أو أمرها أقرب منه بأن يكون في أقل من ذاك الزمان وأو للتخيير أو بمعني بل ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على إعادة الخلائق دفعة.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم﴾ دليل على كمال قدرته ، ﴿مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ حال كونكم ، ﴿لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ﴾ أنشأ ، ﴿لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ[1]﴾ التي هي سبب معرفتكم الجزئية والكلية ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم فلا تعبدون غير موليها ، ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة ، ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ الجو الهواء المتباعد من الأرض ، أي : في هواء العلو ، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ فيه ، ﴿إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ والآيات خلق الطير بهيئة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن فيه الطيران وإمساكها في الهواء مع ثقل جثة الطير ولا ينتفع بها إلا كل مؤمن ، ﴿وَاللَّهُ[2] جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ

---

(١) ولما ذكر السمع والبصر والفؤاد وهي الحس والعقل ذكر مدركها فقال : " ألم يروا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر الطير الذي ليس له إلا الوكر في مثل الأشجار، وقد خلق له من الرياش التي منها الطيران وهي دافعة عنه ضر الحر والبرد عقبه امتناناً لمن لا يتمكن من الطيران وليس =

سَكَناً﴾: موضعًا تسكنونها كالبيوت الحجرية والمدرية والسكن بمعنى المسكون ، أي : ما يسكن إليه بأن خلق الآلات ثم علمكم الترصيف ، **﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾** هي القباب المتخذة من الأدم والأنطاع ، **﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾** تجدونها خفيفة[1] ، **﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾** ترحالكم في سفركم ، **﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾**: وقت حضركم أو نزولكم ، **﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾**: هي للضأن ، **﴿وَأَوْبَارِهَا﴾**: هي للإبل ، **﴿وَأَشْعَارِهَا﴾** هي للمعز ، **﴿أَثَاثاً﴾** من الفرش والأكسية وغيرهما ، **﴿وَمَتَاعًا﴾** ما يتمتعون به ، **﴿إِلَى حِينٍ ﴾** مدة متطاولة أو إلى أجل معلوم ، **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ**[2] **لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً﴾** تستظلون بها من الحر كالأشجار وغيرها ، **﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً﴾** جمع كِنٍّ وهو ما يستكن به من الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال والحصون ، **﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾** القمصان والثياب ، **﴿تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾** والبرد واكتفى بأحد الضدين عن الآخر أو خصه بالذكر ؛ لأن الحجاز بلاد الحر ، **﴿وَسَرَابِيلَ﴾** لباس الحرب كالدروع ، **﴿تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾** تمنعكم الطعن والقطع والرمي ، **﴿كَذَلِكَ﴾** مثل تمام هذه النعم التي مر ذكرها ، **﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾** لتستعينوا بها على الطاعة ، **﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾**: تنظرون في نعمه فتؤمنون به أو تنقادون لحكمه وعن عطاء إنما نزل القرآن على قدر معرفة العرب هم أصحاب جبال وأوبار وأشعار ألا ترى إلى قوله: "سرابيل

= معه ما يدفع به ضر البرد والحر بذكر ما هو دافع عنه فقال : " والله جعل لكم من بيوتكم " الآية / ١٢ وجيز .

(١) يعني خففه عليكم في أوقات السفر والحضر جميعاً أو خفف عليكم حملها ونقلها يوم ترحالكم وضربها يوم نزولكم وإقامتكم في مكان / ١٢ منه .

(٢) ولما كانت بلاد العرب غالبًا عليها الحر امتن عليهم بذكر ما يكنهم من الحر فقال : " والله جعل لكم " الآية / ١٢ وجيز .

تقيكم الحر" وما يقي من البرد أعظم لكنهم أصحاب حر ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا عن قبول كلامك ، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ لا يضرك إعراضهم ، ﴿يَعْرِفُونَ﴾ أي : المشركون ، ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ وأن كلها من الله ، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا[١]﴾ بعبادهم غيره ويقولون : إنها بشفاعة آلهتنا ، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾: الجاحدون عنادًا وذكر الأكثر ؛ لأن بعضهم لنقصان عقلهم لم يعرفوا أنها من الله أو الأكثر بمعنى الجميع ، وعن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قرأ على أعرابي أتاه : " والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا" قال الأعرابي : نعم "وجعل لكم من جلود الأنعام" إلى آخر النعم فقال: نعم، فلما بلغ "كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون" ولى الأعرابي، فأنزل الله "يعرفون نعمة الله" إلى "وأكثرهم الكافرون"[*] .

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟

---

(١) يعترفون أنها من الله ثم يقولون: حصلت بسبب الآلهة / ١٢ منه ، ونقل البغوي عن الكلبي قال : هو إنه لما ذكر لهم هذه النعمة قالوا : نعم هذه كلها من الله ولكنها حاصلة بشفاعة آلهتنا / ١٢ .

(*) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٢٦٠) وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢٣٨/٤) وعزاه لابن أبي حاتم في "تفسيره".

يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿وَيَوْمَ[1] نَبْعَثُ﴾ أي : اذكر هول هذا اليوم ، ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني رسولها يشهد لهم وعليهم ، ﴿ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار لأنه لا عذر لهم ، ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ولا هم يسترضون أي : لا يكلفون بإرضاء ربهم لأن الآخرة ليست بدار عمل ، ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾: عذاب جهنم عطف على "يوم نبعث" ، ﴿فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ ﴾: يمهلون ، ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءهُمْ﴾ أوثانهم التي جعلوها شركاء لله ، ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ ، نعبدهم ، ﴿مِن دُونِكَ﴾ كأن هذا القول منهم التماس بأن يشاركهم في عذابهم ، ﴿فَأَلْقَوْا﴾ آلهتهم ، ﴿إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ[2] إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي : أجابوهم بالتكذيب[3] وقالوا: لسنا شركاء الله ومادعوناكم إلى عبادتنا بل عبدتم أهواءكم وليس ببعيد إنطاق الله الأصنام ، ﴿وَأَلْقَوْا﴾: الكفار ، ﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ استسلموا لحكمه ، ﴿وَضَلَّ﴾ ضاع وبطل ، ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من شفاعة آلهتهم ونصرتها ، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾: الناس ، ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن

---

(١) ولما ذكر إنكارهم لنعمة الله ذكر لهم هول يوم لا ينفع فيه ندم نادم فقال : " ويوم نبعث " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) يعني قالوا لهم: إنكم لكاذبون /١٢.

(٣) أجاب شركاؤهم عابديهم بالتكذيب وقالوا: حاشا لله أن نكون شركاء له وما دعوناكم إلى عبادتنا؛ بل عبدتم أهواءكم وشركاءهم عام من صنم ووثن وملك وشيطان فيكذبهم من له نطق وانطق الله الأوثان / ١٢ وجيز .

دخوله في الإسلام ، ﴿زِدْنَاهُمْ[1] عَذَابًا فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾: بسبب إفسادهم فإنهم ضالون مضلون ، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ أي : اذكر هذا اليوم وهوله ، ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ نبي كل أمة بعث من قومه ، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمد ، ﴿شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ﴾: على أمتك ، ﴿وَنَزَّلْنَا﴾ حال بإضمار قد ، ﴿عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا﴾: بيانًا بليغًا ، ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاجون إليه من أمور الدين ، ﴿وَهُدًى﴾: من الضلال ، ﴿وَرَحْمَةً﴾: للجميع ، ﴿وَبُشْرَى﴾ وبشارة ، ﴿لِلْمُسْلِمِينَ[2] ﴾ خاصة وحاصله أن الله أمره أن يخوف أمته بيوم شهادته -عليه الصلاة والسلام- على أمته حال كونه مسئولاً عن تبليغ أحكام الله المبينة في القرآن والأمة عن قبولها كما قال تعالى: " فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين " (الأعراف:٦)، " فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانو يعملون " (الحجر:٩٢).

إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ

---

(١) قال ابن مسعود وابن عباس: المزيد عقارب أنيابها كالنخل الطوال وأنهار من صفر مذاب/١٢ وجيز .

(٢) ولما قال في وصف القرآن : تبيانًا لكل شيء وصل به ما يقتضي التكاليف فرضًا ونفلاً وأخلاقًا وآدابًا وعقبه بآية جامعة لأصول التكليف كلها تصديقًا لذلك فقال : " إن الله يأمر بالعدل " الآية / ١٢ وجيز .

إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوۡ
شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ
وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ
قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ
صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ
أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ
لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ
عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ[١] بِالْعَدْلِ﴾ ، بالتوسط في الأمور اعتقادًا وعملاً **﴿وَالإِحْسَانِ[٢]﴾**: إلى الناس وعن ابن عباس العدل التوحيد ، والإحسان الإخلاص فيه ، **﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾**: صلة الرحم ، **﴿وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ﴾**: ما غلظ من المعاصي كالزنا ، **﴿وَالْمُنكَرِ﴾** وما تنكره الشريعة ، **﴿وَالْبَغْيِ﴾**: العدوان على الناس ، **﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ**

---

(١) قوله تعالى "إن الله يأمر" الآية ، قال ابن مسعود: هي أجمع آية في القرآن للخير والشر/١٢ منه .

(٢) إلى الخلق كلهم ولهذا قيل: من أحسن إلى الجميع سوى هرة في بيته لم يكن محسنًا/١٢ وجيز .

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون ولله در من قال[1]: لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة ولعل إيرادها عقيب قوله: "ونزلنا عليك الكتاب" للتنبيه عليه ، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ البيعة التي بايعتم على[2] الإسلام أو كل عهد وميثاق ، ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: أيمان البيعة بعد توكيدها بذكر الله أو الأيمان مطلقًا ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: شاهدًا بتلك البيعة والواو للحال ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديدًا لمن نقض الأيمان ، ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾: في نقض الأيمان ، ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ﴾: أفسدت ، ﴿غَزْلَهَا﴾ مصدر بمعنى المفعول ، أي: ما غزلته ، ﴿مِن بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ أي: نقضت بعد إحكامه وفتله ، ﴿أَنكَاثًا﴾ جمع نكث وهو ما ينكث فتله ثاني مفعولي نقضت بتضمين معنى الجعل أو بأنه بمعني صيرت، أو مفعول مطلق لنقضت وهو مثل لمن نقض عهده بعد توكيده وقد نقل أن في مكة كانت امرأة حمقاء تفعل[3] ذلك ، ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ﴾ حال من اسم كان ، ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ أي: مفسدة[4] ودغلاً، وهو ثاني مفعولي تتخذون ، ﴿أَن تَكُونَ﴾ أي: بسبب أن تكون ، ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة ، ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر عددًا وعُددًا ، ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾: من جماعة أخرى كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر وأعز منهم فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون الأكثرين ، ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ يختبركم الله بكونهم أربى لينظر أنكم متمسكون بحبل الوفاء أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين

---

(١) قائله القاضي البيضاوي / ١٢ منه .

(٢) وكل من دخل في الإسلام فقد بايع ولم يرد بيعة الرضوان؛ لأن السورة مكية والوفاء بالعهد من العدل والإحسان ، ونقضه من الفحشاء والمنكر / ١٢ وجيز .

(٣) فيكون الممثل به موجودًا لا مخيلًا / ١٢ .

(٤) أي: لا تكونوا مثلها متخذي أيمانكم مفسدة بينكم/١٢ .

وفقرهم أو ضمير به راجع إلى الأمر بالوفاء ، ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾: في الدنيا فيجازي كلٌ بعمله ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾: متفقة الكلمة والدين ، ﴿وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَّشَاءُ﴾ عدلاً منه ، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: فضلاً منه ، ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾: يوم القيامة بنقير وقطمير ويجازيكم ، ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ صرح بالنهي بعد النهي مبالغة ، ﴿دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾: مكرًا وخديعة ، ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ[1]﴾ عن محجة الإسلام ، ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا[2]﴾: عليها ، ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾: العذاب في الدنيا ، ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي : بسبب صدكم غيركم عنه فإن الكافر إذا رأى المؤمن قد غدر لم يبق له وثوق بالدين فانصد عن الإسلام ، أو لأن من نقض البيعة جعل ذلك سنة لغيره ، أو بصدودكم عن الوفاء ، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾: في الآخرة ، ﴿وَلاَ[3] تَشْتَرُوا﴾: لا تستبدلوا ، ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: بيعة رسوله ، ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾: عرضًا يسيرًا من الدنيا ، ﴿إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ﴾: من الثواب على الوفاء ، ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي : من أهل العلم والتمييز ، ﴿مَا عِندَكُمْ﴾: من أمتعة الدنيا ، ﴿يَنفَدُ﴾: ينقضي ، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾: دائم لا ينقطع ، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على الوفاء أو على أذى الكفار ، ﴿أَجْرَهُم﴾ ثاني مفعولي نجزين فإنه بمعنى نعطين ، ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ بجزاء أحسن من أعمالهم ، قيل معناه : نجزيهم بما ترجح فعله من أعمالهم وهو الواجب

---

(١) المراد من قدم أقدامكم ، قال الزمخشري : وحَّدو نكر للدلالة على أن ذلك قدم واحد عظيم فكيف بالكثير/١٢ منه .

(٢) فتهلكوا بعد ما كنتم آمنين، والعرب تقول "لكل مبتلى بعد عافية أوساقط في ورطة بعد سلامة به زلت قدمه" / ١٢ معالم .

(٣) ثم نهاهم سبحانه عن الميل إلى عرض الدنيا والرجوع عن العهد لأجله فقال : " ولا تشتروا " الآية / ١٢ فتح .

والمندوب ، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾: نرزقه رزقًا حلالاً وقناعة وحلاوة طاعة وانشراح صدر ، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: ولنعطينهم ، ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَإِذَا[1] قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أردت قراءته ، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: سل الله أن يعيذك من وساوسه وهو أمر ندب ، ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾: تسلط ، ﴿عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ﴾: تسلطه ، ﴿عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾: يحبونه ويطيعونه ، ﴿وَالَّذِينَ هُم بِهِ﴾: بالله أو بسبب الشيطان ، ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(١) ولما قال: "ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء" وأعقبه بما يؤيده حتى ختم بالحث على الأعمال الصالحة التي في القرآن تبيينها وذكر أن الإيمان شرطها والمؤمن من هو سالم من غوائل الشيطان وهو الذي يحول بينه وبين فهم القرآن وصالحة الأعمال أمر أن يستعيذ من خداعه ووساوسه ويلجأ إلى ربه فقال : " فإذا قرأت القرآن " الآية/١٢ وجيز .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ *﴾

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا[1] آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾: رفعناها وأنزلنا غيرها لمصالح ، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾: أعلم بمصالح عباده في التبديل والنسخ ، ﴿قَالُوا[2] إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ ، أي : قالت الكفرة وهو جواب إذا وما بينهما اعتراض أو حال ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾: جبريل عليه السلام ، ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متلبسًابالحكمة ، ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على إيمانهم حين تأملوا وفهموا مصالح النسخ ، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ معطوفان على محل ليثبت أي : تثبيتًا وهدايةً وبشارةً ، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ ، كان غلام لبعض[3] بطون قريش، وكان بيَّاعاً فربما كان -صلى الله عليه وسلم- يجلس إليه ويكلمه ولسانه أعجمي لا يعرف من العربي إلا قدر ما يرد الجواب فقال المشركون : هو الذي[4] يعلمه القرآن ، وقد نقل أن كاتب وحيه الذي ارتد افترى هذه المقالة ، ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ﴾: لغة الرجل

---

(١) ولا يبعد أن يقال المراد من الذين يتولونه الفجار من المسلمين، ولما ذكر تسلط الشيطان لأوليائه بين بعض ما أنتج تسلطه فقال: "وإذا بدلنا" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) من تعليم الشيطان ووساوسه / ١٢ منه .

(٣) قاله سعيد بن المسيب / ١٢ منه .

(٤) وأما نسبة تعلمه من سلمان فباطل ؛ لأن الآية مكية وقد أسلم سلمان بالمدينة/١٢ وجيز.

الذي يُمِيلُون قولَهم عن الاستقامة ، ﴿إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا﴾: القرآن ، ﴿لِسَانٌ عَرَبِـيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه من لا يعرفه؟![1] ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ لاَ يُؤْمِنُـونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾: إلى الحق فيتفوهون بكلمات هي أضحوكة لمن يسمع ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾: في الآخرة ، ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ﴾: بـالله ، ﴿الَّذِيـنَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: فلا يخافون عقابه ، ﴿وأُوْلَئِكَ﴾: المفترون بهذا الافتراء ، ﴿هُـمُ الكَاذِبُونَ ﴾: الكاملون في الكذب، فإن الطعن بمثل هذه الخرافات أعظم الكـذب ، ﴿مَن كَفَرَ[2] بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ مبتدأ خبره محذوف دل عليـه قولـه: "فعليـهم غضب" ، ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ على كلمة الكفر استثناء[3] متصل ، ﴿وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِـنٌّ بِالإِيمَانِ﴾: لم يتغير عقيدته ، ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً﴾: طاب به نفسًـا ، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ جزاءً لمن شرح ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ عـن[4] ابـن عباس: إنها نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون ليرتد فوافقهم مكرهًا وجـاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذراً[5] والإجماع على جواز كلمة الكفر عنـد الإكراه لكن الأفضل تركه وإن قتل، ﴿ذَلِكَ﴾: الكفر بعـد الإيمـان أو غضـب الله عليهم ، ﴿بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَـوْمَ

---

(١) يعني هب أنه تعلم منه المعني لكن من أين تلقف لفظه والقرآن كما هو معجز بحسـب المعني معجز بحسب اللفظ / ١٢ وجيز .

(٢) وإنما قال: "إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون" ذكر أن من المفترى من هو ألد وأشـد الكاذبين ومنه من ليس من الكاذبين حقيقة فقال : " من كفر بالله " الآية/١٢وجيز .

(٣) لأن الكفر لغة يعم القول والعقيدة كالإيمان / ١٢ منه ووجيز .

(٤) رواه البيهقي وغيره / ١٢ منه .[وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢٤٨/٤) وعـزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.]

(٥) فقبل رسول -الله صلى الله عليه وسلم- عذره / ١٢ وجيز .

الكَافِرِينَ ﴾ أي : قومًا كفروا في علم الله وخلقهم على الكفر ، ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ**﴾: ختم ، ﴿**اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ و أَبْصَارِهِمْ**﴾ فلا يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون الحق ، ﴿**وأُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ** ﴾: الكاملون في الغفلة ، ﴿**لاَ جَرَمَ**[١]﴾: حقًا ، ﴿**أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ** ﴾ ، إذ اشتروا برأس مالهم العذاب المخلد ، ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا**﴾ أي : ربك لهم لا عليهم وليهم وناصرهم وهم المستضعفون الذين كانوا بمكة ما تيسرت لهم الهجرة مع المهاجرين ، ﴿**مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا**﴾ عذبوا[٢] وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك ، ﴿**ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا**﴾ على المشاق للدين ، ﴿**إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا**﴾ بعد الهجرة والجهاد والصبر ، ﴿**لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ يغفر ذنوبهم ويرحمهم فينعم عليهم .

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) قد بسطنا تحقيق معنى لا جرم في سورة حم المؤمن / ١٢ منه .

(٢) وهم المستضعفون الذين كانوا بمكة ما تيسرت لهم الهجرة مع المهاجرين/١٢ وجيز .

ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بغفور رحيم أو بتقدير اذكر ، ﴿تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ تحتج عن ذاتها وتسعى في خلاصها ، ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء ﴿مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون ﴾: بنقص أجورهم ، ﴿وَضَرَبَ[1] اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً﴾ أي : جعلها مثلاً لمن أنعم الله عليه فكفر بالنعمة فأنزل الله عليه النقمة ، ﴿كَانَتْ آمِنَةً﴾ أي : كمكة[2] كانت ذات أمن ، ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾: مستقرة لا يزعج أهلها خوف ، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾: أقواتها ، ﴿رَغَدًا﴾: واسعًا ، ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من نواحيها ، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ قد جرت الإذاقة عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في الشدائد فيقولون ذاق فلان البؤس، واستعار اللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف، ثم إن أهل مكة لما استعصوا فدعا عليه السلام عليهم بسبع كسبع يوسف أصابتهم حتى أكلوا العظام المحرقة والجيف ، وأما الخوف فمن سطوة سرايا المؤمنين حتى فتح الله على أيديهم ، ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: بسبب صنيعهم ، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ[3]﴾: من نسبهم

---

(١) ولما بين أن كل نفس لا تجزى إلا جزاء عملها في الآخرة غير مظلومين في ذلك ضرب مثلاً أنموذجًا في تحقق ما بين فقال: "وضرب الله" إلخ / ١٢ وجيز .

(٢) كما نقل عن ابن عباس: القرية المضروب بها المثل مكة ضرب مثلاً لغيرها مما يأتي بعدها / ١٢ وجيز .

(٣) وهذا صريح في أن القرية المضروبة مثلاً ليست قرية مقدرة كما جوزه الزمخشري بل هي قرية كانت موجودة / ١٢ وجيز .

وأصلهم ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ من الجوع والخـــــوف والقتــل ، ﴿وَهُــمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: حال التبساهم بالظلم ، ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أمرهم الله بـــأكل الحلال وشكر النعمة بعد أن هددهم وزجرهم عن الكفر ، ﴿حَلالاً طَيِّبًا﴾ مفعول كلوا والظرف حال أو بالعكس ، ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إن كنتم تطيعون الله وحده ، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ[1] عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِــــلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ عـــدد عليـــهم ماحرم الله لا ما حرموا من عند أنفسهم من البحائر والسوائب وغيرهما بعد ما أمرهــم بتناول[2] ما أحل لهم وقد مر تفسيره مفصلاً في سورة البقرة ، ﴿وَلاَ تَقُولُـــوا لِمَــا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ وصف ألسنتهم الكذب مبالغة في كذبهم كأن الكذب مجهول وألسنتهم تعرفه وتصفه بكلامهم هذا كقولهم: وجهــــها يصف الجمال والكذب مفعول تصف وما مصدرية أي : لا تقولوا هذا حلال وهـــذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب يعني : لا تحللوا ولا تحرموا بمجرد قول ينطق به ألسنتكم من غير حجة ، أو نصب الكذب بلا تقولوا واللام في لما تصف كاللام في لا تقولوا لمــا أحل الله لك هذا حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب أو متعلق بتصـف على إرادة القول ، أي : لا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من الأنعام والحرث بالحل والحرمة فيقول هذا حلال وهذا حرام ، ﴿لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّـــهِ الْكَـــذِبَ﴾ الــلام لام العاقبة ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ ﴾: لا ينجون من عذابه ،

---

(١) أمرهم الله بأكل الحلال المستلذ وشكر النعمة بعد أن هددهم عن الكفر ولما قال : " مما رزقكم الله حلالاً " شرع يبين ما هو حرام ليظهر الحلال فقال: "إنما حرم " الآيـــة/١٢ وجيز .

(٢) فلا يدل على حصر المحرمات في تلك الأشياء كأنه قال الحرمة محصورة في تلك الأشـياء لا تجاوز إلى البحائر والسوائب / ١٢ منه ووجيز .

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ أي : ما يفترون لأجله أو ماهم فيه منفعة قليلة ، ﴿وَلَهُمْ﴾: في الآخرة ، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ وَعَلَى[1] الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ في سورة الأنعام وهو : " على الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر " (الأنعام:١٤٦) الآية ، ﴿مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾: بالتحريم ، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ فاستحقوا التضييق عليهم وهذا إشارة إلى أن تحريم بعض الأشياء على المؤمنين لمضرة فيه وعناية في شأنهم وأما تحريم بعض الأشياء على اليهود فجزاء نكالهم وتضييق عليهم كما قال تعالى: " فبظلم من الذين هادوا " الآية (النساء:١٦٠)، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ﴾ لا عليهم أي : لهم بالنصر والرحمة ، ﴿عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ أي : متلبسين[2] بها أو بسببها، وعن بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل ، ﴿ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ ، حالهم ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾ من بعد التوبة ، ﴿لَغَفُورٌ﴾: كثير المغفرة ، ﴿رَّحِيمٌ[3]﴾: واسع الرحمة لهم فيثيبهم علىأعمالهم وجاز أن يكون لغفور رحيم خبر إن الأولي وإن ربك من بعدها تكرير وتأكيد .

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ

---

(١) ولما ضرب مثلاً لمن لم يشكر نعم الله من المشركين بين مثلاً آخر من أهل الكتاب فقال : " وعلى الذين هادوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) غير عارفين بعقابه غير مدبرين للعاقبة ملتذا بهواه لا يبالي بمعصية مولاه مغترًّا بالحال عن المآل/ ١٢ وجيز .

(٣) ولما أمر قريشًا ونهاهم وهم مفتخرون بجدهم إبراهيم -عليه السلام- مقرون بحسن سيرته ووجوب اتباعه ذكره في آخر السورة وأوضح منهاجه فقال : " إن إبراهيم" الآية / ١٢ وجيز .

فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي : مأمومًا مقصودًا يقصده الناس ليأخذوا منه الخير[1] أو مؤتمًا به مقتدى فُعْلة بمعنى مفعول كرحلة ونخبة ، أي : ما يرتحل إليه وما ينتخب أي يختار أو أمة لأنه وحده مؤمن[2] والناس كلهم كفار، أو لكماله واستجماعه فضائل لا توجد إلا في أمة ، ﴿قَانِتًا﴾: مطيعًا ، ﴿لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ ، مائلاً عن الباطل ، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما زعم قريش أنهم على ملة إبراهيم[3] وهم مشركون ، ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ لقلائل نعمه[4] فكيف بالكثير ، ﴿اجْتَبَاهُ﴾ للنبوة ، ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ عبادة الله وحده ، ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي كونه حبيب الخلائق

(١) قاله ابن مسعود / ١٢ .

(٢) قاله مجاهد / ١٢ .

(٣) من وقف على علم القرآن علم أن إبراهيم -عليه السلام- كان غارقًا في بحر التوحيد/١٢ كبير .

(٤) علم ذلك من أنعمه فإن أفعل جمع قلة / ١.٢ منه .

ومن أولاده الأنبياء ، ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي : جمعنا له خير الدارين ومن دعائه عليه السلام: "وألحقني بالصالحين"، ﴿ثُمَّ[1] أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: يا محمد ، ﴿أَنِ اتَّبِعْ﴾ أي: بأن أو تفسيرية ، ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ وهذا أدل دليل على عظمته فإن مثل أفضل الخلائق قاطبة مأمور باتباعه، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما يزعم قومك ، ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه ، ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: اليهود، فإن موسى عليه السلام أمرهم بتعظيم الجمعة[2] فأبوا إلا شرذمة منهم ، وقالوا: نريد يومًا فرغ الله فيه من الخلق وهو السبت فأذن الله لهم في السبت وغلظ وشدد الأمر فيه عليهم فابتلاهم بتحريم صيده فما أطاعوا إلا الشرذمة التي رضوا بيوم الجمعة وعن قتادة اختلفوا فيه أي : استحله بعضهم وحرمه بعضهم ، وقيل : أي : إنما جعل وبال السبت ، أي : المسخ على الذين حرموه تارة وحللوه أخرى وهو الاختلاف ، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيجازي كل فريق بما يستحقه ، ﴿ادْعُ[3] إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: دينه ، ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: بالقرآن[4] ، ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾: مواعظ القرآن وقيل المراد القول

---

(١) ولما وصفه صلى الله عليه وسلم بتلك الأوصاف الحسنى أمر نبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال : " ثم أوحينا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ذكره مجاهد وفي صحيح البخاري ومسلم ما يدل على ذلك/١٢ منه .[أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس فيه تبع اليهود غدا، والنصارى بعد غد".]

(٣) ولما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم مأمور باتباع خليله أمر حبيبه بما هو الأصل والمقصود من اتباعه وإرساله فقال : " ادع إلى سبيل ربك " الآية / ١٢ وجيز .

(٤) قاله ابن عباس -رضي الله عنه- / ١٢ .

اللين بلا تغليظ وتعنيف ، ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق وحسن خطاب[1] وقيل نسختها آية القتال ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي : قد علم الشقي والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم أنت إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات فإنما عليك البلاغ ، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ السورة مكية وهذه الآيات[2] مدنية نزلت[3] حين وقعت أحد وفعلوا ما فعلوا بحمزة -رضي الله عنه- فحين نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فلما نزلت كفر عن يمينه ، وعن بعضهم أن هذا أمر بالعدل في الاقتصاص والمماثلة في استيفاء[4] الحق مطلقاً ، ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾: عن المجازاة بالمثلة ، ﴿لَهُوَ﴾ أي : الصبر ، ﴿خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ من الانتقام للمنتقمين وعلى ما فسرنا الآية محكمة وعن بعضهم ، هذا هو الأمر بالصبر عن القتال والابتداء به فنسخت بسورة براءة وعلى كل تقدير الآية في غاية المناسبة مع قوله : " ادع إلى سبيل ربك " الآية ، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾: بتوفيقه وعونه ، ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على من خالفك وقيل: على ما فعل بالمؤمنين ، ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ في ضيق صدر من مكرهم فإن الله كافيك وناصرك ، ﴿إِنَّ اللَّهَ

---

(١) وتوضيح مقصود بمثل مثال ودليل ظاهر الدلالة / ١٢ وجيز .

(٢) من هاهنا إلى آخر السورة/ ١٢ منه .

(٣) كذا قاله عطاء بن يسار وفيه حديث مرسل وذكر الحافظ البزار بطريق متصل وفيه ضعف/١٢ منه .[وأخرجه الترمذي (٣٣٤٩) من حديث أبي بن كعب -رضي الله عنه- وقال الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٥٠١): حسن صحيح الإسناد]

(٤) فلا يلزم أن يكون تلك الآيات في تلك السورة مدنية / ١٢ وجيز .

مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ المحرمات أو الشرك بتأييده ومعونته ، ﴿وَالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ[1] ﴾ في العمل وقيل: بالشفقة على خلقه.

اللهم اجعلنا منهم برحمتك الواسعة .

---

(١) قيل لهرم بن حيان عند الموت: أوص فقال إنما الوصية في المال ولا مال لي ولكني أوصيك بخواتيم سورة النحل / ١٢ فتح .[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢٥٦/٤) وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن سعد وابن شيبة وهناد وابن رير وابن المنذر وابن أبي حاتم.]

سورة بني إسرائيل

مكية وقيل إلا قوله: "وإن كادوا ليفتنونك" إلى ثمان آيات

وهي مائة وإحدى عشرة آية واثنا عشر ركوعا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾

﴿سُبْحَانَ﴾ اسم بمعنى التسبيح ، أي : أنزهه تتريهًا من جميع القبائح التي يضيفها إليه أعداء الله تعالى مجد الله نفسه وعظم شأنه لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه ، ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمدٍ[1] صلى الله عليه وسلم ، ﴿لَيْلاً﴾ أي : في بعض الليل،

---

(١) فإنه صلى الله عليه وسلم قال : أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل: أصبت الفطرة ، قال: ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل له : من أنت؟ فقال : جبريل ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل وقد أُرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل : من أنت؟ فقال : جبريل، قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيي وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت؟ قال: جبريل فقيل : ومن معك؟ قال : محمد ، فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال: قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف فإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل ، فقيل: ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل: وقد بعث إليه ؟ ، قال: بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل: من أنت ؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل : وقد بعث إليه ؟ ، قال: بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل: من أنت ؟ قال: جبريل ، فقيل: ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل : وقد بعث إليه ؟ ، قال: بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من أنت ؟ قال: جبريل ، فقيل: ومن معك ؟ قال: =

فإنه مع تنكيره دال على تقليل مدة الإسراء ، ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ مسجد مكة أو من مكة لا من المسجد ويطلق على مكة كلها مسجد الحرام ، ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ الذي ببيت المقدس ببدنه الأشرف والأصح، بل الصحيح أن الإسراء في اليقظة بعد البعثة مرة(١) واحدة وإن كان في المنام قبلها ، ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأنهار وببركات الدين والدنيا ، ﴿لِنُرِيَهُ﴾ أي : محمدًا، ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ الكبرى عجائب سماواته وغرائب آياته ، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد مصدقين ومكذبين ،

= محمد ، فقيل : وقد بعث إليه ؟ ، قال بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة فإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها قال : فأوحى إلى ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتي انتهيت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال : فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب! خفف عن أمتي فحط عني خمسًا فرجعت إلى موسى قال: ما فعلت ؟ قلت قد حط عني خمسًا ، قال : إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسًا حتى قال : يا محمد هى خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون، صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت" رواه الشيخان واللفظ لمسلم .[البخاري ومسلم (١/٣٨٨) ط الشعب]

(١) لا كما قال بعضهم: كان مرات جمعاً بين الأحاديث / ١٢ .

﴿الْبَصِيرُ ﴾ فيجزيهم وفق ما يستحقون ، ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كثيراً ما يقرن بين ذكر محمد وموسى -عليهما السلام- والقرآن والتوراة ، فأولاً ذكر شرف سيدنا محمد رسول الله ثم شرع في فضل كليمه موسى[1] ، ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا﴾ أن مفسرة ، ومن قرأ بالغيبة فأن ناصبة ولام العاقبة محذوفة أي: لئلا ، ﴿مِن دُونِي وَكِيلاً ﴾: ربًّا تَكِلُون إليه ، ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ نصب على الاختصاص وعلى قراءة الخطاب جاز نصبه بالنداء ، ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ﴾: نوحاً ، ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الحمد فيه تذكير لنعمة إنجائهم من الغرق ثم الحث للذرية على الاقتداء به.

﴿وَقَضَيْنَا﴾: أوحينا وحيًا مقضيًّا مقطوعًا ، ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾: التوراة، ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جواب قسم محذوف ، ﴿فِي الأَرْضِ﴾ بالمعاصي ، ﴿مَرَّتَيْنِ[2]﴾ مخالفة أحكام التوراة ، ثم قتل يحيى وزكريا ، ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ تستكبرن عن طاعة الله أو تظلمن الناس ، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾: عقاب ، ﴿أُولاهُمَا﴾ ، أي : أولى الإفسادتين، ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ هم جالوت وجنوده ، أو ملك الموصل سنجاريب أو بُخْت نَصَّر فأذلهم وقهرهم وقتلهم ، ﴿أُوْلِي﴾: ذوي ، ﴿بَأْسٍ﴾: قوة ، ﴿شَدِيدٍ فَجَاسُوا﴾: ترددوا لطلبكم ، ﴿خِلالَ﴾: وسط ، ﴿الدِّيَارِ﴾ للقتل والغارة والسبي ، ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ فإنه قضاء مبرم ، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾: الدولة، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بأن سلط داود على جالوت فقتله أو دانيال علىجنود بخت نصَّر ، ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ حتى عاد أمركم كما كان ،

---

(١) وكان بينهما في تلك الليلة حكاية مراجعة إلى الله لخمسين صلاة فرضت بأمر موسى وصلاحه مشهور مسطور في كتب الأحاديث/١٢ وجيز .[وقد تقدم ذكر الحديث قريبا.]

(٢) قتل زكريا أولهما، والثانية قتل حبرار مياحين أنذرهم سخط الله/١٢ وجيز .

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾: مما كنتم وهو من ينفر مع الرجل من قومه أو جمع نفـر ، أي : أكثر عددًا مما كنتم ، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي : الإحسان والإساءة كلاهما مختصان[1] بها لا يتعدى النفع والضر إلى غيركم ، وقيل: أتـى باللام دون على في قوله وإن أسأتم فلها للازدواج، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ عقوبـة المـرة ، ﴿الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا﴾ تقديره بعثناهم ليسوءوا ، ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ يهينوكم ومن قرأ ليسـوء فالضمير لله أو للوعد أو للبعث ، ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ عطف على ليسـوؤا ، ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي : كما خربوا أولاً بيت المقدس بعثناهم ليخربوا ثانيًا، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾: يهلكوا ، ﴿مَا عَلَوْا﴾ مفعول يتبروا ، أي : ليهلكوا كل شيء غلبوه ، ﴿تَتْبِيراً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ يا بني إسرائيل بعد انتقامه منكم برد الدولة إليكم ، ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾: إلى المعصية ، ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة وعن بعض السلف عادوا فبعث الله عليهم المسـلمين ، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً[2]﴾ محبسًا أو بساطًا كما يبسط الحصير ، ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ للحالة أو الطريقة التي ، ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ أسدّ الحـالات ، ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ﴾ أي : بأن ، ﴿لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ[3]﴾ عطف

---

(١) فاستعمل اللام للدلالة على الاختصاص لا للازدواج وكلام الزمخشري دال على ذلـك فانظر/ ١٢ منه .

(٢) ولما ذكر من اختصه بالإسراء ومن آتاه التوراة وأن التوراة هدى لبني إسرائيل وذكر مـا قضى إليهم بذنوبهم تنبيهًا وردعًا عن المعاصي بين أن كتابنا يهدي وبين حـال مـن يهتدي به ومن لا يهتدي به فقال : " إن هذا القرآن " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) قوله : "وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة" إلخ دل بمفهومه على أن من آمن لا يعدله عذاب أليم والعمل الصالح ليس شرطًا من نجاته عن تلك العقوبة ولا شك أن قـد وقـع في الصدر الأول هنات وسقطات بعضها مذكور في القرآن وبعضها في الأحاديث الصحاح وإنكار ذلك مكابرة، ولما بين إعطافه على المؤمنين بإثابتهم والانتقام من أعدائهم ذكـر =

على أن لهم ، ﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ ، أي : يبشرهم بثواهم وعقاب أعدائهم .

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

= لطفًا آخر على الإنسان مؤمنهم وكافرهم في صورة قهر فقال : " ويدع الإنسان " الآية / ١٢ وجيز .

عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ ﴾

﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ أي: يسأل الله عند غضبه الشر على نفسه وأولاده وأمواله ، ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ أي: مثل مسألته الخير ، ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾: يسارع إلى ما لا يعلم خيريته لكن الله تعالى صبور عليهم لا يجيب جميع مسألته لطفًا وإنعامًا، ﴿وَجَعَلْنَا[١] اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ[٢]﴾ تدلان على قدرة خالقهما وحكمته ، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، الإضافة بيانية ، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً[٣]﴾ مضيئة أو مبصرة للناس من أبصره فبصر[٤] وعن ابن عباس كان القمر وهو آية الليل يضيء كما تضيء آية النهار وهي الشمس فمحونا آية الليل محوه السواد الذي في القمر ، وسئل عن[٥] علي ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك! أما تقرأ القرآن فمحونا آية الليل فهذه محوه ، وروي عن آخرين من السلف[٦] ما يدل على ذلك ، ﴿لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لتطلبوا في النهار أسباب معاشكم ، ﴿وَلِتَعْلَمُوا[٧] عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾

---

(١) ثم عدّ ما عدّ للكل من إنعام عام ظاهرة باهرة دالة على قدرته الكاملة فقال : " وجعلنا الليل " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) كلام السلف كما سنذكره دال على أن آيتين مفعول جعلنا وقوله: "الليل والنهار" ظرفان في موقع المفعول الثاني "فمحونا آية الليل" وعلى ما ذكرنا ليست الإضافة بيانية/١٢ وجيز .

(٣) قال الكسائي: أبصر النهار إذا أضاء بحيث يبصر فيه الأشياء / ١٢ منه .

(٤) فيكون متعديًا، أي يجعل الناس بصراء / ١٢ منه .

(٥) كما وراه ابن جرير وغيره من طرق متعددة/ ١٢ .

(٦) مثل قتادة والحسن وغيرهما / ١٢ منه .

(٧) ظاهر القرآن، على أن قوله لتبتغوا ولتعلموا متفرع على المحو والإبصار كما قال : "يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج " (البقرة:١٨٩)، وليس ببعيد أن =

لولا محو آية الليل لكان الليل مثل النهار مضيئاً فما عرفنا عدد السنين ولا جنس الحساب ، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ ، مماتحتاجون إليه ، ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾: بيناه بحيث لا يلتبس ، ﴿وَكُلَّ[1] إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ ، أي : ما قضي عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة وشقاوة وكانوا يتيمنون بسنوح الطير ويتشاءمون[2] ببروحها فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ، ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ أي : لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه ، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً﴾ مفعول نخرج ، أو حال من مفعوله المحذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة من قرأ يخرج بالياء وفتحه ، ﴿يَلْقَاهُ﴾ صفة ، ﴿مَنشُورًا﴾ إما حال من مفعول يلقى أوصفة أخرى أي : يجده منشورًا لكشف غطائه ، ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ أي : يقال له ذلك ، ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ﴾ الباء[3] مزيدة في الفاعل ، ﴿الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ أي : حاسبًا عليك تمييز يعني كفيت أنت في محاسبة نفسك لا تحتاج

= يقال النقصان الذي في نور القمر في أوائل الشهر وأواخره داخل في المحو فلو كان القمر دائمًا بدرًا كنور الشمس أو كان بعض الليالي كالنهار مضيئًا فلا يمتاز أحدهما من الآخر لكل أحد ولا يختص النهار بطلب المعاش ولا الليل بالسكن ولا يعرف الجميع عدد السنين والحساب ولا يتميز أوسط الشهر عن الأول والآخر ويكون مجيء الشهر الفلاني وذهابه مجرد اصطلاح من غير تعبير وبيان / ١٢ وجيز .

(١) ولما قال: "وكل شيء فصلناه تفصيلاً" أتبعه تفاصيل أحوال البشر من حين حياته إلى موته بأنها مضبوطة من غير مزيد ونقصان فقال : " وكل إنسان ألزمناه "/١٢وجيز .

(٢) البارح من الصيد ما مر من ميامنك إلى مياسرك والسانح عكسه / ١٢ قاموس .

(٣) الباء مزيدة في فاعل كفى فلا يحفظ التأنيث في كفى حين كان فاعله مؤنثًا مجرورًا مع أن الظاهر تأنيثه نحو : " ما آمنت قبلهم من قرية " (الأنبياء:٦)، " وما تأتيهم من آية" (الأنعام:٤)/ ١٢ .

إلى من يحاسبك وتذكير حسيبًا[1] لأن مثل هذه الأمور يتولاها الرجال كأنـــه قـــال : كفى بنفسك اليوم رجلاً حسيباً ، ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْســـهِ﴾: لا ينجـــي غيره، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لا يضر ضلاله غيره ، ﴿وَلاَ تَزِرُ﴾: لا تحمــل ، ﴿وَازِرَةٌ﴾ نفس حاملة ، ﴿وِزْرَ أُخْرَى﴾ نفس أخرى، بل لا تحمل إلا وزرها ، ﴿وَمَـــا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ يبين لهم ما يجب عليه فلا يُدْخِل أحدًا في النـــار إلا بعد إرسال الرسل إليه كما قال تعالى: " كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتـــها" الآيـــة (الملك : ٨)، فعلى هذا الظاهر أن يقال: إن من نشأ في شاهق جبل و لم يسمع رســـولاً فهومعذور وكذا المجنون الدائم المطبق وكذا الأطفال[2] مطلقًا ، لكن الشيخ الأشـــعري ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة بأن يأمرهم الله بدخول النار فمن أطاع نجا ودخـــل الجنة وانكشف علم الله فيه لسابق السعادة، ومن عصى دخل النار داخرًا وانكشـــف تقدم شقاوته وحكاه عن أهل السنة والجماعة وهومختار البيهقي ومحققي العلماء والنقـاد وعلى هذا أحاديث[3] منها ما هو صحيح ومنها ما هو حسن ومنها ما هـــو ضعيـــف

---

(١) مع أن النفس مؤنث / ١٢ منه .

(٢) أي : أطفال المؤمنين والكافرين / ١٢ منه .

(٣) وفي حديث رواه البيهقي وقال إسناده صحيح أربعة يحتجون يوم القيامـــة : أصـــم لا يسمع شيئاً وأحمق وهرم ومن مات في فترة فيرسل الله إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا ومن لم يدخلها يسحب إليها" وروى غير البيهقي مثل هـــذا المعنى بعبارات مختلفة وقد صرح الأشعري أن الأطفال يمتحنون يوم القيامة بمثل ما نقلنـا في الحديث وقال: على هذا أهل السنة والجماعة، ولما بين سبحانه أنه لا يعذب أحـــدًا قبل بعثة الرسول بين بعد ذلك علة إهلاكهم ، قـــال : " وإذا أردنـــا " الآيـــة / ١٢ وجيز.[الحديث أخرجه الطبراني (٢١٧٩) والضياء في "المختارة" (٤٦٣/١) وهـــو في "المسند" (٢٤/٤) وصحيح ابن حبان (١٨٢٧) وانظر "الصحيحة" (١٤٣٤)]

ولولا التزام الاختصار لذكرنا نبذًا منها مع تحقيق المسألة رداً وإثباتًا ، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَـا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ متنعميها بالفسق والمراد بالأمر الأمر القدري يعني سخرهم الله إلى فعل الفواحش فاستحقوا العقوبة فإن الله لا يأمر بالفحشاء ، قيل معناه كثرنـا يقال : أمرت الشيء إذا كثرته وقراءة من قرأ آمرنا يؤيده ومن قـرأ أمَّرنـا فمعنـاه جعلناهم أمراء ، وقيل : أمرناهم بالطاعة على لسان رسول وفيه بعد ؛ لأنه يبقى حينئذٍ تخصيص المترفين غير بين الوجه وكذلك التقييد بزمان إرادة الإهلاك فتدبر ، ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ أي : كلمة العذاب ، ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً[1] ﴾: استأصلناها، ﴿وَكَمْ﴾ أي : كثيرًا مفعول ، ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ تميـيز لِكَـم ، ﴿مِـن بَعْـدِ نُوحٍ﴾ كعاد وثمود فإن بين آدم ونوح عشر قرون كلهم علـى الإسلام ، ﴿وَكَفَـى بِرَبِّكَ﴾ الباء مزيدة على الفاعل ، ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿خَبِيراً[2] بَصِيراً ﴾ وهما منصوبان على التمييز أو الحال فإن الذنوب هي أسباب الهلكة وهو تعالى عالم بها فمعاقب عليها ، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ﴾ أي : همته مقصورة على الدنيا ، ﴿عَجَّلْنَـا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدل البعض من له فإن ضميره لمن وهو في معني الكثرة ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا﴾ يدخلها ، ﴿مَذْمُوماً مَّدْحُوراً ﴾ مطرودًا قيل : الآية في المنافقين يغزون مع المسلمين وليس غرضهم إلا الغنائم ، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَـعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ حقها من السعي وهو الإتيان بالأوامر والانتهاء عن النواهـي ، ﴿وَهُـوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ﴾: الجامعون للشرائط الثلاثة ، ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾: مقبولاً عنده

---

(١) استأصلناها وغير المترفين الذين فيها لما رضوا بفعلهم وسكتوا عن النـهي اسـتحقوا العذاب قال الله تعالى : " واتقوا فتنة لا تصيـبن الذيـن ظلمـوا منكـم خاصـة " (الأنفال:٢٥)، فقال كثير من السلف : المراد من الفتنة ترك نهي المنكر / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر أنه خبير بصير يعاقب على الذنوب رغب في الآخرة وزهد من الدنيا فإن الدنيا رأس كل خطيئة فقال : " من كان يريد العاجلة " / ١٢ وجيز .

مثابًا عليه ، ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلاء وَهَـٰؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ﴾ أي: كل واحد من الفريقين أعني هؤلاء الذين أرادوا الدنيا وهؤلاء الذين أرادوا الآخرة نمدهم ونزيدهم من عطاء ربك فنرزق المطيع والعاصي وهؤلاء منصوب بتقدير أعني أو بدل من كلًّا ، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ ممنوعًا في الدنيا عن مؤمن ولا عن كافر ، ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في الدنيا فمنهم الغني والفقير والحسن والقبيح والصحيح والمريض وغير ذلك ونصب كيف بفضلنا على الحال ، ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ أي : التفاوت في الآخرة أكثر وأكبر ونصبها على التميز ، ﴿لاَّ تَجْعَلْ[1] مَعَ اللّهِ إِلَـهاً آخَرَ﴾ الخطاب لكل أحدٍ أو للرسول[2] والمراد أمته ، ﴿فَتَقْعُدَ﴾ تصير ، ﴿مَذْمُوماً﴾: من الملائكة والمؤمنين ، ﴿مَّخْذُولاً﴾ من الله .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا

---

(١) ولما تقرر بما مضى أنه القادر المعطي المانع أنتج أنه الواحد المتره عن النقص والشريك فقال إن كنت تريد الآخرة لا تجعل مع الله إلهًا آخر/١٢ .

(٢) فإنه رأس الكل وسيدهم وهو المخاطب في الكلام / ١٢ وجيز .

مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ أمر أمرًا قطعيًّا ، ﴿أَلاَّ﴾ أي: بألا ، ﴿تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ فإنه المستحق للعبادة وحده ، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً[1]﴾ أي: وبأن تحسنوا هما إحسانًا ، ﴿إِمَّا﴾ إن شرطية وما زائدة[2] ، ﴿يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فاعل يبلغن ، ﴿أَوْ كِلاهُمَا﴾ ومن قرأ يبلغان فأحدهما بدل البعض من الضمير ، ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ هو صوت دال على تضجر وهو مبني على الكسر والتنوين والتنكير ومن قرأ بالفتح فعلى التخفيف يعني إن عاش أحد والديك أو كلاهما حتي يشيب ويكون كلاً عليك فلا تسمعهما قولاً سيئًا حتى التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ، ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾: لا تزجرهما ، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ ، جميلاً بتأدب وتوقير ، ﴿وَاخْفِضْ[3] لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ تذلل لهما واخضع جعل للذل جناحًا وأمره بخفضه مبالغة في التواضع لهما ،﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ من فرط رحمتك عليهما ، ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ رحمة مثل رحمتهما على في حال صغري، وعن حذيفة أنه استأذن رسول الله

---

(١) عطف على أن لا تعبدوا وجاز أن يقدر أحسنوا هما إحسانًا/١٢ .

(٢) ولزيادتها جاز دخول النون المؤكد على الفعل ومذهب سيبويه كما ذكره صاحب البحر جواز مثل إن يبلغن بدون زيادة ما / ١٢ وجيز .

(٣) قال القفال فيها أمران: أحدهما أن الطير إذا ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه وهذا من حسن التدبير والاتفاق فكأنه قال اكفل والديك بضمهما إلى نفسك كما فعل ذلك بك حال صغرك والثاني أن الطير ينشر جناحه للطيران والارتفاع وحين ترك الطيران يخفض جناحه فهو كناية عن السكون والتواضع / ١٢ وجيز .

صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو في صف المشركين فقال: (دَعْهُ يَلِه غَيْرُك)[*] ، ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من قصد البر والعقوق ، ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾: قاصدين للصلاح مطيعين لله ، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ﴾ هم التائبون من الذنب الراجعون عن المعصية إلى الطاعة ، ﴿غَفُورًا وَآتِ[1] ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ من صلة الرحم والبر عليهم وعن على بن الحسين: أراد به قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾ بأن تصرف مالك في غير حق ، وعن[2] السلف لو أنفقت مدًا في غير حقه صرت مبذرًا، ولو أنفقت جميع مالك في الحق لم تكن مبذرًا[3] ،﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أصدقاءهم وأتباعهم وأمثالهم في الشرارة ، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ، جحودًا منكرًا لأنعم الله فلا تتبعوه ولا تكونوا مثله ، ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ وإن أعرضت عمن أمرتك أن تؤتيه من الأقارب وغيرها حياء من ردهم وليس عندك شيء تعطيه حين سألك ، ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه ، ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾ يعني : إذا سألك أقاربك ومن أمرناك بإعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لفقد النفقة فعدهم وعدًا بسهولة ولينٍ مثل أن تقول: إذا جاء رزق الله فسنصلكم

(*) لم يأتِ في ترجمة "حذيفة بن اليمان" رضي الله عنه أنه استأذن النبي ﷺ في قتل أبيه. وإنما ورد ذلك في ترجمة "عبد الله بن أبي مالك" ابن أبي ابن سلول" انظر ترجمته في "الإصابة" للحافظ بن حجر (٤/٩٥).

(١) ولما أمر بالبر إلى أقرب الأقارب وهما الأبوان أمر بصلة باقي الأقارب / ١٢ وجيز .

(٢) قاله ابن مسعود ومجاهد / ١٢ منه .

(٣) في الصحيحين (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا)/١٢ منه .[أخرجه البخاري (١٤٤٢) ومسلم (٤٧/٣) ط الشعب]

إن شاء الله كذا فسرها السلف[1] وقيل : القول الميسور الدعاء لهم مثـــل رزقنـــا الله وإياكم ، ﴿وَلاَ [2] تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ لا تمسكهما[*] عند البذل كـــل الإمساك حتى كأهَا مقبوضة إلى عنقك ، ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا﴾ بالخير ، ﴿كُـــلَّ البَسْـــطِ﴾ تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر ، ﴿فَتَقْعُدَ﴾ تصير ، ﴿مَلُومًـــا﴾ يلومـــك النـــاس ويذمونك إن بخلت ، ﴿مَّحْسُورًا[3] ﴾ نادمًا إن بسطت كل بسط وأيضًا دابة عجـزت عن السير ضعفًا تسمى حسيرًا فعلى ما فسرنا من باب اللف والنشر وجاز أن يكونـــا متعلقين بالإسراف فإن المسرف ملوم عند الله والناس نادم عن فعله ، أو بكل من البخل والسرف قيل : نزلت حين وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه و لم يجد مـــا يلبسه للخروج حين أذنوا للصلاة ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ﴾ ، يوسع ، ﴿الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيق لمن يشاء ، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: يعلم سرهم وعلنـــــهم فيوسع على من يرى مصلحته في التوسعة له، ويضيق على مـــن يعلـــم مصلحتـــه في

---

(١) كمجاهد وسعيد والحسن وقتادة وغيرهم / ١٢ منه .

(٢) ولما أمر بالإيتاء وهى عن التبذير الممنوع توجه إلى طريق الإيتاء فقال : " ولا تجعل يدك " الآية / ١٢ وجيز .

(*) في الأصل: تمسكها ما.

(٣) وهذا أمر في شأن المتعارف في الناس كما أنه لا يجوز السفر الطويل من غير زاد ولا ماء في مفازة وصاحب التوكل حق التوكل مستثنى ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم- (لـــو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير يغدو خماصًا ويروح بطانًا ، ولمـــا نهى العباد عن الشح والإسراف للملومية و المحسورية أجاب عما سيعرض في بعض مـــن الأذهان فقال : " إن ربك " الآية / ١٢ وجيز .[أخرجه أحمـــد (١/٣٠) والـــترمذي (٢/٥٥-بولاق) والحاكم (٤/٣١٨) قال الترمذي:"حديث حسن صحيـــح" وقـــال الحاكم:"صحيح الإسناد" وأقره الذهبي. وانظر "الصحيحة"]

تضييقه، وفي الحديث (إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه) .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ فقر وفاقة وكانوا يئدون بناهم مخافة الفقر ، **﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾**: ذنبًا عظيمًا والخطأ[1] الإثم ،

(١) يقال: خَطِئ خِطأً كأثم إثماً وقرأ ابن عامر خطأ اسم يضاد الصواب وقيل لغة فيه كحذر وحذر ومثل ومثلٍ / ١٢ منه .

﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى[1]﴾ نهي عن مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه فضلاً عن مباشرته ، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾: بئس طريقًا طريقه ، ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا[2] النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: قتله ، ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ ، بردة وزنًى بعد إحصان وقتل معصوم عمدًا ، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ غير مستوجب القتل ، ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾ وهو الوارث لأنه يلي أمره بعده ، ﴿سُلْطَاناً﴾: تسلطًا على القاتل بقتله أو أخذ الدية أو عفوه ، ﴿فَلاَ يُسْرِف﴾ أي: الولي ، ﴿فِّي الْقَتْلِ﴾ بأن يقتل غير القاتل أو يمثل بالقاتل، أو معناه لا يسرف القاتل[3] فيه بأن يقتل من لا يحق قتله وقراءة لا تسرفوا يؤيده ، ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً﴾ استئناف أي : لا يسرف الولي لأن الله نصره ولطف عليه حيث أوجب القصاص له وأمر الناس بمعونته ، وعلى الوجه الثاني معناه : فإن المقتول منصور لا محالة يقتل به الظالم ، ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا[4] مَالَ الْيَتِيمِ﴾ فضلاً أن تتصرفوا فيه ، ﴿إِلاَّ بِالَّتِي﴾ أي: إلا بالطريقة التي ، ﴿هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ حتى يصير بالغاً فادفعوه إليه ، ﴿وَأَوْفُوا[5] بِالْعَهْدِ﴾ الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملوهم أو بما عاهدكم الله من تكاليفه ،﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ عنه أو مطلوبًا يطلب من العاهد أن لا

---

(١) ولما كان الزنا كقتل الولد في تضييع النسب ذكر في عقبه فقال : " ولا تقربوا الزنى " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) ولما خص نهى القتل بالأولاد لاعتيادهم أعقبه بالتعميم فقال : " ولا تقتلوا النفس " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) منقول عن مجاهد / ١٢ منه .

(٤) ولما كانت الشريعة لإحصان الدماء والفروج والأموال التي هي عديل الأرواح ذكر الأشياء الثلاثة أحدها عقيب الآخر فقال : " ولا تقربوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٥) ولما كان قبول الأوامر والوصايا من الوفاء بالعهود قال: (وأوفوا بالعهد) / ١٢ .

يضيعه ، ﴿وَأَوْفُوا[1] الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ من غير تبخيس ، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان العدل وهو لفظ رومي عُرّبَ، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ عاقبة من آل إذا رجع ، ﴿وَلاَ[2] تَقْفُ﴾ لا تتبع ، ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ[3]﴾ ما لم يتعلق به علمك من قول وفعل فيدخل فيه شهادة الزور والكذب والبهتان ، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وأولئك قد يجيء لغير العقلاء ، ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ ، من جوز تقديم مفعول ما لم يسم فاعله ؛ لأنه في المعنى مفعول سيما إذا كان ظرفًا فعنده أن عنه فاعل مسئولاً ، ومن لم يجوز فعنده أن في مسئولاً ضمير يرجع إلى كل أولئك أي كان كل واحد منها مسئولاً عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ، أو ضمير عنه راجع إلى صاحب كل واحد ، ﴿وَلاَ تَمْشِ[4] فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾ وهو التكبر أي : ذا مرح ، ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾ لن تجعل فيها خرقاً لشدة وطأتك ، ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ بتطاولك وكبرك وهو تهكم بالمتكبر ، وعن بعضهم أنك لن تقطع الأرض حتى تبلغ آخرها ولا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها فأنت عاجز أو ما أقبح منه التكبر ، ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما مر من قوله

---

(١) ولما وصى في مال اليتيم ثم عم الوصية بوفاء العهد على الإجمال عقبه بتفضيل أمر جزئي ليعلم منه الاهتمام التام في الاجتناب عن المظالم فقال: "وأوفوا الكيل " الآية/١٢ وجيز .

(٢) ثم توجه إلى النهي عن كل ما لا يليق فقال : " ولا تقف " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) نقل عن محمد بن الحنفية أن المراد منه شهادة الزور عن قتادة لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، وعن ابن عباس لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم/١٢ منه .

(٤) ولما كان الكبر من أقبح خصال الفؤاد الذي هو مسئول عنه قال : "ولا تمش " الآية/١٢ وجيز .

"ولا تجعل مع الله" وهي خمسة وعشرون خصلة ، ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ أي : المنهي عنه لا المأمورات ، ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ مبغوضًا، و من قرأ سيئة فذلك[1] إشارة إلى ما نهى عنه خاصة واسم كان ضمير لكل ومكروهاً خبر بعد خبر أو بدل من سيئه أو حال من ضمير كان ، ﴿ذَلِكَ﴾ أي : الأحكام المتقدمة ، ﴿مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ﴾ وهي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ، ﴿وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾ كرره لأنه المقصود والتوحيد رأس كل حكمة ، ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ من الله والملائكة ومن نفسك ، ﴿مَّدْحُوراً﴾: ملعونًا والمراد من هذا الخطاب اهتداء أمته عليه السلام ، ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ[2] رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ أي : أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد؟ فالهمزة[3] للإنكار ، ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ المَلاَئِكَةِ إِنَاثًا﴾ بناتًا لنفسه كما قلتم الملائكة بنات الله تعالى ، ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً﴾ إضافة الولد إلى الله تعالى ثم تفضيل أنفسكم عليه حين تنسبون إليه ما تكرهون ثم جعل الملائكة إناثًا وأي خطأ وقولٍ أعظم من هذا .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن

---

(١) من قوله: "ولا تجعل مع الله إلهاً آخر" إلى هذه الغاية / ١٢ .

(٢) ولما كان لكفار قريش رذيلتان قبيحتان أنكر عليهم أحدهما ثم تلاها الثانية فقال : " أفأصفاكم " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) فتقولون: لابد لنا البنون، وتكرهون البنات حتى تقتلوهن هل في ذلك حكم الله وأمره؟ ١٢/ .

فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا مكررًا، **﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾** العبر والأمثال والحجج والأحكام أو بينا فيه مكررًا إبطال إضافة البنات إليه ، **﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾**: يتدبروا ويتعظوا ، **﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾**: عن الحق ، **﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾**: لطلبوا إلى من له الملك سبيلاً[1] بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ، أو معناه إن كان الأمر كما زعمتم أهم آلهة شفعاء فهم طالبون[2] الوسيلة والتقرب إلى الله تعالى محتاجون إليه فكيف تسموهم آلهة وتعبدوهم ، **﴿سُبْحَانَهُ**

---

(١) قول قتادة قريب من هذا الوجه / ١٢ منه .

(٢) نحو "أولئك الذين يدعون يبتغون إلى رهم الوسيلة" (الإسراء:٥٧)/ ١٢ .

وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُواًّ﴾: تعاليًا ، ﴿كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ إجماع السلف أن للأشياء تسبيحات[1] لا يسمع [لا يسمع الله إياه] إلا من يَسْمع(*)، وقال المتأخرون لكل شيء تسبيح بلسان حاله وهو دلالته على صانع قديم واجب لذاته ، ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وفي البخاري عن ابن مسعود: "كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل"(**) ، والأحاديث الدالة على التسبيح القالي(•) للحيوانات والجمادات كثيرة وفي مسند الإمام أحمد عن رسول الله -صلى الله عليه- وسلم [قال:"إن نبي الله نوحا"](***) لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال: "آمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء"(****)، وعن ابن عباس وبعض من السلف[2] إنما يسبح ما كان فيه روح من حيوانات ونبات ،﴿إِنَّهُ كَانَ

---

(١) في سنن النسائي نهى عليه الصلاة والسلام عن قتل الضفدع فقال: "نقيقها تسبيح"/١٢ منه.

(*) ما بين المعكوفتين زيادة من حاشية النسخة.

(**) أخرجه البخاري في "المناقب" / باب: علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٩).

(•) أي: بلسان المقال.

(***) سقطت هذه العبارة من الكتاب فأثبتاها هاهنا.

(****) والحديث أخرجه أحمد في "مسنده" (٢/١٧٠) والبخاري في " الأدب المفرد" من طريق: الصقعب بن زهير عن زيد بن أسلم قال حماد: أظنه عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو...فذكره.

قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على "المسند" (٦٥٨٣): "إسناده صحيح على ما فيه من شك حماد بن زيد".

وصححه الشيخ الألباني في " الصحيحة" وقال: "هذا سند صحيح".

(٢) كالحسن والضحاك / ١٢ .

حَلِيمًا﴾: لا يعاجل من عصاه بالعقوبة ، **﴿غَفُورًا﴾** لمن رجع وتاب ، **﴿وَإِذَا**[1] **قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا ﴾** يحجبهم عن فهم ماتقرؤه عليهم والانتفاع به أو حجابًا لا يرونه عند قراءة القرآن فإن المشركين الذين في عزمهم أن يؤذوه يمرون به ولا يرونه ، **﴿مَّسْتُورًا﴾** لا يرى ذلك الحجاب أو ذا ستر كسيل مفعم أي : ذو إفعام[2] ، **﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾**: أغطية ، **﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾** أي : كراهة أن يفقهوا القرآن ، **﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾**: ثقلا لئلا يسمعوا سماع انتفاع ، **﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾** من غير ذكر آلهتهم وأصله يَحِد وَحْده فهو مصدر يقع موقع الحال ، **﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ**[3] **نُفُورًا﴾** ، نفرة من التوحيد أو جمع[4] نافر ، **﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾** أي : ما يستمعون بسببه ولأجله من الهزء والتكذيب ، **﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾** ظرف لأعلم ، **﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾** حين هم ذوو نجوى يتناجون بالتكذيب ، **﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾** بدل من إذ هم بوضع الظاهر موضع المضمر ، **﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾** سُحِرَ فَجُنَّ وعن بعضهم مشتق من السَّحر وهو الرئة[5] أي : رجلاً مثلكم ، **﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾** مثلوك بساحر وشاعر وكاهن ومجنون ، **﴿فَضَلُّوا﴾**: عن طريق الحق ، **﴿فَلاَ**

---

(١) ولما تقرر في قوله: (ليذكروا وما يزيدهم إلا نفوراً) أنهم في حضيض من الغباوة التفت إلى سيد أولي الفهم فقال : " وإذا قرأت القرآن " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) إفعام ملءٌ يقال أفعم الإناء ملأه، وأفعم المسك والعود البيت بريحه وأفعمت الرجل ملأته غضبًا/ ١٢ صراح .

(٣) نزلت حين قرأ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– القرآن ومر بالتوحيد قال: يا معشر قريش قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فنفروا وولّوا / ١٢ وجيز .

(٤) فعلى هذا "نفورًا" حال / ١٢ .

(٥) أي : ذو سحر وركة فيكون مثلكم/١٢ منه .

يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ إلى الرشاد أو هم متحيرون ليس لهم سبيل يسلكونه ، ﴿**وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا** ﴾ بعد الموت ، ﴿**وَرُفَاتًا**﴾: ترابًا ، ﴿**أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾ الهمزة لتأكيد الإنكار والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون فما بعد إن لا يعمل فيما قبله ، ﴿**خَلْقًا جَدِيدًا**﴾ مصدر أو حال ، ﴿**قُلْ**﴾ جوابًا لهم ، ﴿**كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا**﴾ وهما أشد امتناعًا من العظام والرفات في قبول الحياة ، ﴿**أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ**[1]﴾ وهو الموت[2] ، أي : لو فرضتم أنكم صرتم حجارة أوحديدًا أو موتًا هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء ، وعن مجاهد في تفسيره أي : السماء والأرض والجبال ، ﴿**فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا**﴾ إذا كنا حجارة أو خلقًا شديدًا ، ﴿**قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ**﴾: يحركون ، ﴿**إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ**﴾ تعجبًا وتكذيبًا ، ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا**﴾ فكل ما هو آت قريب ، أن يكون اسم عسى وكان تامة وقريبًا خبره أو اسم عسى ضمير البعث وما بعده خبره ، ﴿**يَوْمَ يَدْعُوكُمْ**﴾ ربكم من قبوركم ، ﴿**فَتَسْتَجِيبُونَ**﴾: تجيبون بحمده ﴿**بِحَمْدِهِ** ﴾ متلبسين[3] بحمده حين لا ينفعكم الحمد، وعن ابن عباس: أي بأمره وعند بعض: أنه خطاب للمؤمنين، وقد ورد أهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك ، ﴿**وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ**﴾: في الدنيا أو في البرزخ ، ﴿**إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ "كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم" (المؤمنون: ١١٢،١١٣) .

---

(١) هكذا فسره ابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك ونقل الإمام مالك عن الزهري /١٢ منه .

(٢) لأنه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم منه /١٢ فتح .

(٣) والظاهر أن الخطاب للكفار إذ الكلام كان معهم فهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد/ ١٢ وجيز .

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿وَقُل[1] لِّعِبَادِي﴾: المؤمنين قولوا التي هي أحسن ، **﴿يَقُولُوا﴾**: الكلمة ، **﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** يعني في محاوراتهم ومخاطباتهم فيقولوا[2] جواب الأمر والمقول محذوف ، **﴿إِنَّ**

---

(١) ولما أمر تعالى بإبلاغ قوله : " قل كونوا حجارة " الآية وفيها نوع من التهكم والتبكيت وربما استن به المؤمنون فخاطبهم نحوه من عند أنفسهم مما فيه نحو غلظة فنهاهم عن ذلك فقال : " قل لعبادي " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) تذكر قولنا في قوله تعالى: "قل لعبادي الذين آمنوا" (إبراهيم: ٣١)/ ١٢ منه.

﴿الشَّيْطَانَ يَنزَغُ﴾ يهيج الشر ، ﴿بَيْنَهُمْ﴾ فإذا لم يكونوا على لين الكلام فلربما يفضي إلى المخاصمة والمشاجرة ، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُواً مُّبِيناً﴾ وعن الكلبي ، أنها نزلت حين شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحش كلام المشركين وسوء خلقهم فقيل: الكلمة التي هي أحسن أن يقولوا يهديك الله، وقيل: هذا قبل الإذن في الجهاد ، ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيوفقكم للإنابة والطاعة الظاهر أنه خطاب للمؤمنين وحث على المداراة ، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ وقيل: ربكم أعلم تفسيرًا للكلمة التي هي أحسن أي : يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار ومعذبون وما يشبهها ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ ليس أمرهم موكولاً إليك إنما أنت نذير فما عليك إلا التبليغ وحسن المعاشرة وطيب الكلام في النصح والله الهادي ، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فإنه خلقهم على قوابل مختلفة ومراتب متفاوتة في الفهم وقبول الفيض من مفيض الحكمة فليس لأحد أن يستبعد في نبوة يتيم أبي طالب عليه السلام وفي سيادة الجوَّع العراة رضي الله عنهم وأرضاهم ، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بمزيد العلم اللدني لا بوفور المال الدني ، ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً[1] ﴾ إشارة إلى وجه تفضيله فعلم من هذا أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل فإن كتابه أشرف الكتب " ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون" (الأنبياء:١٠٥)، وما وقع في الصحيحين من النهي عن التفضيل بين الأنبياء فمحمول[*] على التفضيل بالتشهي والعصبية ولا خلاف

---

(١) ولما ذكر فضل الأنبياء وأن بعضهم أفضل الخلائق ومع ذلك هم معترفون بالعبودية لا يستطيعون الشفاعة إلا بإذنه فكيف بحجر جماد فقال : " قل ادعوا الذين " الآية/١٢ وجيز.

(*) أخرجه البخاري في "أحاديث الأنبياء" / باب: قول الله تعالى ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ (٣٤١٤) ومسلم في "الفضائل" / باب: من فضائل موسى عليه السلام (٥/٢٢٥) ط الشعب.

أن محمداً رسول الله أفضلهم ثم إبراهيم ثم موسى على المشهور عليهم الصلاة والسلام ، **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾** أنها آلهة ، **﴿مِّن دُونِهِ﴾** كالملائكة وغيره ، **﴿فَلاَ يَمْلِكُونَ﴾** فلا يستطيعون ، **﴿كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾** بالكلية ، **﴿وَلاَ تَحْوِيلاً﴾** إلى غيركم أو تحويل حال من العسر إلى حال اليسر نزلت حين شكى المشركون قحطهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ**[1] **الْوَسِيلَةَ﴾** ، الذين صفة أولئك ويبتغون خبره أي : هؤلاء الذين تعبدونهم يطلبون القربة إلى الله كالملائكة وعيسى وأمه وعزير والشمس والقمر[2] ، **﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾** بدل من فاعل يبتغون أي : يطلب من هو أقرب منهم الوسيلة فكيف لغيره ، **﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾** فكيف يستحقون الألوهية ، **﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾** حقيقًا بأن يحذر منه كل شيء حتى الرسل من الملائكة والبشر، وعن ابن مسعود أنها نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن فأسلم[3] الجنيون

---

(١) اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين وقد ذكرنا أن المشركين كانوا يقولون: ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله وهم الملائكة ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي يروه تمثالاً وصورة واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل وليس المراد الأصنام لأنه تعالى قال في صفتهم: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى لا يليق بالأصنام، وإذا ثبت هذا فتعين أن المراد الملائكة والمسيح وعزير والجن، ثم إنه تعالى احتج على فساد مذهبهم أن الإله المعبود هو الذي يقدر على إزالة الضر وإيصال المنفعة وهذه الأشياء التي يعبدونها وهي الملائكة والجن والمسيح وعزير لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع فوجب القطع بأنها ليست آلهة / ١٢ كبير .

(٢) صرح بذلك هؤلاء ابن عباس ومجاهد / ١٢ منه .

(٣) كذا ذكره البخاري / ١٢ منه .[أخرجه البخاري (٤٧١٥)].

والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ بالموت ، ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيدًا﴾ بأنواع العذاب وعن مقاتل وغيره الأول في قرية المؤمنين والثاني في الكفار ، ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ، ﴿مَسْطُوراً وَمَا مَنَعَنَا[1] أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ أي: ما صرفنا عن إرسال الآيات المقترحة لقريش كفسحة مكة وجعل الصفا ذهباً ، ﴿إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ أي : إلا تكذيب من هو قبلهم وقومك مثلهم طبعًا فلو أرسلناها وكذبوا بها لاستأصلناهم فقد جرت سنتنا على أن لا نؤخر من كذب بالآيات المقترحة فليس عدم إرسالها إلا العناية فإنه سهل علينا يسير لدينا ، ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ بسؤالهم ، ﴿مُبْصِرَةً[2]﴾ آية بينة ، ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ ، كفروا بها أو فظلموا أنفسهم بسببها فإنهم منعوا شربها وعقروها فعاجلناهم بالعقوبة ، ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ﴾ المقترحة أو مطلق الآيات ، ﴿إِلاَّ تَخْوِيفاً ﴾ للعباد ليؤمنوا والباء زائدة أو المفعول محذوف وبالآيات حال، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ أي : واذكر إذ أوحينا إليك ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ هم في قبضته وتحت مشيئته فهو حافظك منهم فامض لما أمرك ولا تهبهم ، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ هي[3] قصة المعراج والرؤيا من الرؤية عن ابن عباس وغيره هي

---

(١) ولما قال بعض القرى نهلكها وبعضها نعذبها في وقت معين عندنا تقتضي حكمتنا أراد أن يبين أن مكة ما جاء وقت خرابها ولا وقت عذابها فقال : " وما منعنا أن نرسل " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) واختار تلك الآية من بين الآيات المقترحة للأولين لأن آثار إهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم / ١٢ وجيز .

(٣) فإنها كانت في المنام أولا ثم في اليقظة بالجسم والعين فالمعنى الرؤيا التي أريناك في اليقظة تعبيرًا كذا قاله ابن عباس وغيره كما رواه البخارى / ١٢ وجيز .[أخرجه البخاري (٤٧١٦)]

رؤيا عين ، ﴿إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ فقد أنكر بعضهم ذلك وكفروا وزاد إيمان بعضهم فما هي إلا اختبار وفتنة وعن بعضهم أن المراد بهذه الرؤيا رؤيا عام الحديبية رأى عليه السلام أنه دخل هو وأصحابه مكة فتوجه إليها قبل الأجل فصده المشركون ورجع إلى المدينة وكان ذلك فتنة وشكًّا في قلوب بعض حتى دخلها في العام القابل كما قال تعالى: " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق " الآية (الفتح:٢٧)، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ أي : وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة وهي شجرة الزقوم يقال طعام ملعون أي : مكروه ضار وملعون أكلها وصفت به مجازًا للمبالغة أو لأن منبتها أصل الجحيم وهي أبعد مكان من رحمة الله ، وفتنتها أنهم قالوا: محمد يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أن فيها شجرة وقالوا: لا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر فجاء أبو جهل بهما وقال يا قوم: زقموا فهذا ما يخوفكم به محمد ، ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ، ﴿إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا[1]﴾ تمردًا وعتوًّا عظيمًا .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ

---

(١) ولما قال إن بعض الأشياء للفتنة والاختبار ومنه التخويف ولا يزيدهم إلا طغيانًا أراد أن يذكر رأس الفتنة ورئيس أهل الطغيان فقال (وإذ قلنا) / ١٢ وجيز .

بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ قد مر الخلاف في أن المأمورين جملة الملائكة أو ملائكة الأرضين ، **﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ﴾** أى : لمن خلقته ، **﴿طِينًا﴾** حال من (مَن) أو من ضميره أو نصبه بنزع الخافض ، **﴿قَالَ﴾**: إبليس **﴿أَرَأَيْتَكَ﴾** أي : أخبرني والكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب ، **﴿هَـذَا﴾** مفعول أرأيت ، **﴿الَّذِي﴾** صفة هذا ، **﴿كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾** أي : أخبرني عن هذا الذي فضلته علي بأن أمرتني بسجوده لم كرمته علي فمتعلق الاستخبار محذوف يدل عليه الصلة ، **﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** اللام توطئة القسم وجوابه ، **﴿لأَحْتَنِكَنَّ﴾** لأستأصلن ، **﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾**: بالإغواء ، **﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾** لا أقدر أن أقاومهم وكأنه لعنه الله تفرس من خلقه فإنه قد جبل بشهوة ووهم وغضب ، **﴿قَالَ﴾**: الله :**﴿اذْهَبْ﴾** أي: خليتك وأنظرتك فامض لما قصدت ، **﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾** أي: جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب ، **﴿جَزَاءً مَّوْفُوراً﴾**: مكملاً ونصب جزاء بما في جزاؤكم من معنى تجازون أو بإضمار تجازون وجاز أن يكون حالاً فإنه مقيد بموفورا ،

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾: استخف ، ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾: أن تستفزه ، ﴿بِصَوْتِكَ[1]﴾: بدعائك إلى معصية الله وعن ابن عباس كل داع دعا إلى معصية الله فهو شيطان يصوته ، وقيل هو الغناء والمزامير ، ﴿وَأَجْلِبْ﴾ : صِحْ ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ الخيل الفرسان والرجل اسم جمع للراجل ، أي : صح عليهم بأعوانك من راكب وراجل وهو كل راكب وماش في المعصية ، وعن قتادة أن له خيلاً ورجالاً من الجن والإنس ، قيل : هذا تمثيل لتسلطه بشخص كثير الغارة صوت على قوم فاستفزهم وأقلقهم عن أماكنهم وأجلب عليهم بجنده فاستأصلهم ، والمعنى تسلط عليهم بكل ما تقدر والمراد من الأمرين أمر القدري أو أمر تهديد ، ﴿وَشَارِكْهُمْ[2] فِي الأَمْوَالِ﴾

---

(١) ولا بعد أن يكون المراد من استفزازه بصوته صفيره كصفير راعي الغنم حين يريد أن تسعى أو ترجع غنمه ومثل ما قلنا يكاشف أهل القلب / ١٢ وجيز .

(٢) عن ابن عباس أن الشركة في الأولاد هي الموءودة وفي رواية أخرى عنه هو تسميتهم الأولاد عبد الحارث وعبد الشمس وعبد العزى وعبد الدار ونحوها هذا ما في المعالم ، أقول أراد بقوله: نحوها كل اسم فيه نسبة العبد إلى غير الله تعالى مثل عبد الحارث وعبد النبي وعبد الرسول وغيرها وفيها من أعظم مقاصد الشيطان لما فيها من الشرك في التسمية كما مر في تفسير قوله "جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون" (الأعراف : ١٩٠) ، قال فى المدارك : معنى إشراكهم فيما آتاهما الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم انتهى، وقال القاري في شرح المشكاة: ولا يجوز مثل عبد الحارث وعبد النبي ولا غيره مما شاع بين الناس انتهى، وقال ابن حجر مكي في التحفة : ويحرم ملك الملوك؛ لأن ذلك ليس لغير الله تعالى وكذا عبد النبي والكعبة أو الدار أو العلي أو الحسين لإيهام التشريك انتهى، والأعلام كما يقصد بها المعاني العلمية كذلك قد يلاحظ معها المعاني الأصلية بالتبعية كما صرح به أهل المعاني وكان اسم أبي بكر في الجاهلية عبد الكعبة واسم أبي هريرة عبد الشمس فغيرهما النبي صلى الله عليه وسلم وسماهما =

كل ما أُنفق في حرام أو جُمع من حرام ﴿وَالأَوْلادِ[1]﴾ ، ببعثهم على الزنا حتى يكون الولد منه وعلى قتلهم خشية إملاق وعلى تسميتهم بعبد الشمس ونحوه وغير ذلك ، ﴿وَعِدْهُمْ﴾ المواعيد[2] الباطلة كشفاعة الآلهة وكرامة الآباء ، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ والغرور تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب ، ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي : المخلصين، ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: تسلط على إغوائهم ، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ أي : كفى الله لأنّ يكل أولياءه فيعصمهم منك ، ﴿رَبُّكُمُ[3] الَّذِي يُزْجِي﴾: يجري ، ﴿لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: لتطلبوا من رزقه وتتجروا ، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ حيث هيأ لكم ما تحتاجون ، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾: خوف الغرق ، ﴿فِي الْبَحْرِ ضَلَّ﴾: زال عن خاطركم ، ﴿مَن تَدْعُونَ﴾: كل من تدعونه ،

= صديقًا وعبد الرحمن ، وقد قدمنا بعضا من هذا البحث في سورة الأعراف في قصة آدم وحواء فلا نعيده والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

(١) وعلى تسميتهم بمثل عبد الشمس وما مجّسوه وما هودوه / ١٢ وجيز .[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٤٨/٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس]

(٢) المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الأمل/ ١٢ بيضاوي ، وزاد في الكبير وإيثار العاجل على الآجل وبالجملة فهذه الأقسام كثيرة وكلها داخلة في الضبط الذي ذكرناه وإن أردت الاستقصاء فطالع ذم الغرور من كتاب إحياء علوم الدين للشيخ الغزالي حتى يحيط عقلك بمجامع تلبيس إبليس/١٢ .

(٣) ولما وصف المشركين في بطلان اعتقادهم بأن أصنامهم ضار نافع وأتبع ذلك بقصة إبليس وتمكينه من وسوسته أراد ذكر ما يدل على وحدانيته وأنه هو النافع الضار المتصرف في خلقه ذاكراً لإحسانه إليهم في البر والبحر فقال : " ربكم الذي " الآية/١٢ وجيز .

﴿إِلاَّ إِيَّاهُ﴾: الله وحده فحينئذ لا يخطر ببالكم سواه فتدعونه وحده ، ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾، من الغرق ، ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾: عن التوحيد ، ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً﴾ يعني سجية الإنسان نسيان النعم وجحدها ، ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ الهمزة للإنكار والفاء عطف على محذوف أي : أنجوتم من البحر فآمنتم من ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي : يقلبه الله وأنتم عليه وبكم حال من مفعول يخسف أو الباء للسببية متعلق بيخسف وذكر الجانب إشارة إلى أنهم إذا وصلوا الساحل أعرضوا وأن الجوانب[1] بقدرة الله ، ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: المطر الذي فيه الحجارة أو الريح التي ترمي بالحصباء ، ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴾: يحميكم من العذاب ، ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: في البحر ، ﴿تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ﴾: ريحًا تكسر كل شيء تمر عليه ، ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بسبب كفركم أو كفرانكم ، ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ، التبيع المُطَالِبُ أي : لا تجدوا أحدًا يطالبنا بما فعلنا انتقامًا منا ، ﴿وَلَقَدْ[2] كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾: بأشياء كثيرة منها العقل والنطق وحسن الصورة ، ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ على الدواب والسفن ، ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ ، المستلذات ، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ أي : كثيرًا بينًا وافرًا ولا يلزم من هذه الآية على ما فسرنا تفضيل الملائكة نعم يلزم نفي الأفضلية الكثيرة الوافرة ولا يلزم من نفي هذه الأفضلية نفي مطلقها .

---

(١) وجانب البر وجانب البحر سيان عند قدرته فإن الخسف تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء وهما بخلق الله وإرادته/١٢ وجيز .

(٢) ولما امتن عليهم من إزجاء الفلك وتنجيتهم من الغرق وكفرانهم نعمه أراد تتميم ذكر النعم فقال : " ولقد كرمنا بني آدم " الآية / ١٢ وجيز .

﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾

﴿يَوْمَ[(١)]﴾ أي : اذكر يوم ، **﴿نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾** أي : نبيهم[(٢)] كيا أُمَّةَ فُلان، أو بكتابهم الذي أنزل عليهم أو بكتاب أعمالهم أو إمام هدي وإمام ضلالة كيا متبعي محمد -عليه السلام- ويا متبعي شيطان ،و عن محمد بن كعب هي جمع أم كخفاف

(١) ولما ذكر الأنواع من كرامات الإنسان في الدنيا ذكر أشياء من أحوال الآخرة فقال : " يوم ندعوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) قوله أي : نبيهم كيا أمة فلان إلخ ، الوجه الثالث قول ابن عباس والحسن والضحاك وغيرهم يعني ينادون بيا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وهو الأرجح لما رواه الحافظ البزار وصححه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولقوله تعالى: " وكل شيء أحصيناه في إمام مبين" (يس:١٢)، ولقوله : " كل أمة تدعى إلى كتابها " (الجاثية:٢٨)؛ ولأنه ذكر عقيبه (فمن أوتي كتابه بيمينه) / ١٢ منه وكذا في وجيز.[ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٥١/٤) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنه-]

فلا يفتضح أولاد الزنا ويلزم إجلال عيسى والحسن والحسين عليهم السلام ، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ كتاب أعماله ، ﴿بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ فلا ينقص من أجورهم أدنى شيء والفتيل الخيط المستطيل في شق النواة ، ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ﴾: الدنيا ، ﴿أَعْمَى﴾: عمى القلب فلم ير رشده ، ﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾ لا يرى طريق النجاة قيل أعمى الثاني أفعل التفضيل كالأجهل ، ﴿وَأَضَلُّ[1] سَبِيلاً﴾ منه في الدنيا ، وقد نقل عن بعض السلف أن معناه من كان في هذه النعم التي قد مر وهو قوله : " ربكم الذي يزجي لكم " الآية ، أعمى وهو يعاين فهو في أمر الآخرة التي لم يعاين و لم ير أعمى وأضل ، ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إن مخففة ، أي : إن الشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة قيل: نزلت في ثقيف[2] حين قالوا: لا نؤمن حتي تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب لا نحنّي في الصلاة ، أي : لا ننحني ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللات سنةً من غير أن نعبدها[3] فإن خشيت أن

---

(١) ولما عدد نعمه على بني آدم ثم ذكر حالهم في الآخرة من إيتاء الكتاب باليمين للسعداء وعمى الأشقياء أتبع ذلك ما هو به الأشقياء في الدنيا من المكر والخداع على سيد السعداء المقطوع له بالعصمة فقال : " وإن كادوا " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) نقله محيي السنة عن ابن عباس / ١٢ منه .[وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣٥٣/٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه]

(٣) ومن الفوائد الجليلة في هذه الآية أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا، فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانًا وطواغيت تعبد من دون الله والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وأعظم شركا عندها وبها، فإن اللات على ما نقله ابن خزيمة عن =

يسمع العرب لم أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك ، وقيل نزلت حين قال قريش: لا ندعك يا محمد أن تستلم الحجر الأسود حتى تمس آلهتنا وقيل قالوا: نؤمن بك أن تمس آلهتنا، وقيل غير ذلك ، ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: من الأحكام ، ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾: غير ما أوحينا إليك ، ﴿وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾: لو اتبعت مرادهم يؤمنوا بك ولكنت لهم وليًا ، ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ لولا تثبيتنا لك وعصمتنا ، ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ﴾: لقاربت أن تميل ، ﴿إِلَيْهِمْ﴾: إلى اتباع مرامهم ، ﴿شَيْئًا قَلِيلاً ﴾

= مجاهد: رجل كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره يعبدونه ويعظمونه ولم يكونوا يعتقدون أن اللات خلقت السماوات والأرض، بل كان شركهم باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى كشرك أهل الشرك من أرباب المشاهد بعينه من النذور لها والتبرك بها والتمسح بها وتقبيلها واستلامها وما طلبوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا مجرد مس آلهتهم كما قالوا: نؤمن بك أن تمس آلهتنا وما التمسوا منه إلا التمتيع باللات سنة من غير عبادة كما قالوا على ما رواه البغوي عن ابن عباس: وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فحدث نفسه ما عَلَيَّ أن أفعل ذلك والله تعالى يعلم أني لها كاره بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر وخطر خطرة بقلبه الأشرف فتوعد بهذا الوعيد الشديد والتهديد الأكيد فالرزية كل الرزية ما ابتلي به القبوريون من أهل الزمان فإنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه بالقبور فإنا لله وإنا إليه راجعون، بل كثير منهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا فإذا قيل له بعد ذلك بشيخك ومعتقدك الوالي الفلاني تلكأ وأبى واعترف بالحق وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين وثالث ثلاثة ، فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين ، أي رزء للإسلام أشد من الكفر وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه وأي منكر يجب إنكاره إنْ لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبًا فاللهم انصر من نصر الحق واهدنا إلى سواء السبيل / ١٢ .

لكن عصمناك فما قاربت من الركون مع قوة اهتمامك بإيمانهم فضلاً من الركون وقيل خطر خطرة بقلبه الأشرف و لم يكن عزمًا والله قد عفى الخلق عنه والأول هو الأولى ، **﴿إذًا﴾**: لو قاربت ، **﴿لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ**[1] **الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ﴾** أي : عذاب الدنيا والآخرة ضعف ما يُعذب به غيرك بمثل هذا الفعل فإن المقربين على خطر عظيم وأصله عذابًا ضعفًا في الحياة ، أي : مضاعفًا فأقيمت الصفة مقام الموصوف بعد ما حذف ثم أضيفت كما يقال: أليم الحياة ، أي: عذابًا أليمًا في الحياة ، **﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾**: يدفع عنك عذابنا ، **﴿وَإِن كَادُوا﴾** إن مخففة مثل الأول ، **﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾**: يزعجونك ، **﴿مِنَ الأَرْضِ﴾**: أرض مكة أو المدينة ، **﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾** قيل: نزلت حين هم قريش بإخراج الرسول من بين أظهرهم ، **﴿وَإِذًا﴾**: لو خرجت ، **﴿لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ﴾**: لا يبقون بعد خروجك ، **﴿إِلاَّ قَلِيلاً ﴾**: إلا زمانًا قليلاً وقد كان كذلك فإنه قد وقع على أكثرهم بعد سنة واقعة بدر ، وقيل نزلت في المدينة حين قالت اليهود : إن الشام مسكن الأنبياء وأنك إن كنت تسكن فيها آمنّا بك فوقع ذلك في قلبه الأشرف لكن السورة مكية[2] بتمامها عند الأكثر فالأول أقرب ، **﴿سُنَّةَ﴾** أي: سن الله ذلك سنة ، **﴿مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾** وهو أن يهلك كل أمة أخرجوا رسولهم فالسنة لله وإضافتها إلى الرسل ؛ لأنها من أجلهم ، **﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾**: تغييرًا .

---

(١) وفي الآية دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع مترلته ولذلك قال الله تعالى : " يا نساء النبي " (الأحزاب: ٣٠) وقد ورد أنه لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم (اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين) / ١٢ وجيز .

(٢) فتوجيه الآية كما نقل محيي السنة عن الإمام الكلبي أن الكفار بأجمعهم هموا أن يستفزوه من أرض العرب بتظاهرهم عليه فلم ينالوا منه ما أملوا / ١٢ وجيز .

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿أَقِمِ(١) **الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾**: زوالها(٢) واللام للتأقيت ، **﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْـلِ﴾**: ظلمته فيدخل فيه صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، أو المراد من الدلوك الغروب وأصل لغته الانتقال ، **﴿وَقُرْآنَ الفَجْرِ﴾** صلاة الصبح سميت قرآنا كما سميت الصـلاة ركوعًا وسجودًا تسمية للشيء باسم ركنه وجزئه عطف على الصلاة ، **﴿إِنَّ قُـرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾**: يشهده(٣) ملائكة الليل وملائكة النهار ، **﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾** أي :

---

(١) ولما ذكر كيدهم وأن الله بفضله حماه منه أمره أن يتوجه إلى ما هو شأنه وأن لا يشـغل قلبه بشانئه والصلاة أشرف العبادات بعد الإيمان فقال : " أقم الصـلاة " الآيـة/١٢ وجيز.

(٢) كذا فسره السلف / ١٢ وجيز.

(٣) هكذا فسره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رواه الترمذى والنسائى / ١٢ .[أخرجه الترمذي (٣٣٥٥) وقال الشيخ الألباني في "صحيح الـترمذي" (٢٥٠٧): صحيـح الإسناد]

بعضه ، ﴿فَتَهَجَّدْ﴾: اترك الهجود والتهجد ترك الهجود للصلاة كالتأثم والتحرج[1] ، ﴿بِهِ﴾: بالقرآن ، ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فضيلة لك، فإنه قد غفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر فجميع نوافله زيادة في رفع درجته ، أو معناه فريضة زائدة لك على الصلاة المفروضة ، وعن كثير من السلف أن التهجد واجب عليه ونصبها بالعلية على التوجيه الأول أو بتقدير فرضها فريضة أو حال من ضمير به ، ﴿عَسَى أَن يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا[2]﴾ أي :

---

(١) أي : جانب الإثم والحرج فتهجد أي : جانب النوم ويقال تهجد أي : نام / ١٢ منه.

(٢) وعن مجاهد قال: يجلسه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال: يقعده على الكرسي، ذكر القولين البغوي في المعالم وفي الفتح حكي هذا القول يعني أن الله سبحانه يجلس محمدًا -صلى الله عليه وسلم- معه على كرسيه ابن جرير عن فرقة منهم مجاهد وقد ورد في ذلك حديث وحكى النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال : من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم مازال أهل العلم يتحدثون بهذا الحديث / ١٢ .[أثر مجاهد هذا باطل كما قال الشيخ الألباني في "الضعيفة" وقال: ومما يدل على ذلك -أي بطلانه- أنه ثبت في "الصحاح" أن المقام المحمود هو الشفاعة العامة الخاصة بنبينا عليه الصلاة والسلام. ومن العجائب التي يقف العقل تجاهها حائرا أن يفتي بعض المتقدمين بأثر مجاهد هذا كما ذكره الذهبي في "العلو" (ص١٠٠-١١٧،١٠١-١١٨) عن غير واحد منهم، بل غلا بعض المحدثين فقال: لو أن حالفا حلف بالطلاق ثلاثا أن الله يقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش واستفتاني، لقلت له صدقت وبررت!.

وقال الذهبي -رحمه الله- "فأبصر -حفظك الله من الهوى- كيف آل الغلو بهذا الحديث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر، واليوم يردون الأحاديث الصريحة في العلو، بل يحاول بعض الطغام أن يرد قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ". وأثر عبد الله بن سلام ذكره الذهبي في "العلو" وقال: "هذا موقوف ولا يثبت إسناده وإنما قاله مجاهد].

في مقام ، ﴿مَّحْمُودًا[1] ﴾ أو تقديره فيقيمك مقامًا ، أي : في مقام هو مقام الشفاعة لأمته يحمده فيه الأولون والآخرون ، ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي﴾: المدينة ، ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ أي : إدخالاً مرضيًّا، ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾: من مكة ، ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ[2]﴾ إخراجًا حسنًا مرضيًّا نزلت حين أمر بالهجرة، أو أدخلني الجنة وأخرجني من الدنيا أو أدخلني القبر وأخرجني منه وفيه أقوال أُخر ، ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ ملكا وعزًا قويًّا مظهرًا للإسلام على الكفر أو حجةً بينةً تنصرني على من خالفني ،﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ﴾: الإسلام ، ﴿وَزَهَقَ﴾ هلك ، ﴿الْبَاطِلُ﴾: الشرك ، ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: مضمحلاً غير ثابت وكان – صلى الله عليه وسلم- يقول ذلك يوم[3] فتح مكة، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ من للبيان قدم على المبين لكونه أهم ، ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾: لأمراض القلوب من الشك والنفاق والزيغ ، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: يحصل في القلب الإيمان والحكمة والرغبة في الخير ، ﴿وَلاَ يَزِيدُ﴾: القرآن ، ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ، ﴿إِلاَّ خَسَارًا﴾: نقصانًا وخذلانًا لكفرهم به ، ﴿وَإِذَا[4]

---

(١) والمقام المحمود مقام الشفاعة العامة و"عسى" تفيد الإطماع والله أكرم أن يطمع من غير أن ينفذ وهذا من جنس كلام الملوك ولهذا قيل : عسى من الله واجب ولما أمره بإقامة الصلاة بالتهجد ووعده ببعثه مقامًا محموداً وذلك في الآخرة عقبه بأمره بما يشمل الدنيا والآخرة فقال : " وقل رب " الآية / ١٢ وجيز .

(٢) والظاهر أنه عام في الأمور الدنيوية من جميع مورده ومصادره / ١٢ وجيز .

(٣) في الصحيحين أنه دخل مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : " جاء الحق وزهق الباطل " الآية / ١٢ منه .[أخرجه البخاري في "المغازي" / باب: أين ركز النبيﷺ الراية يوم الفتح؟ (٤٢٨٧) ومسلمفي "الجهاد والسير" / باب: فتح مكة (٤/٤١٩) ط الشعب.]

(٤) ولما بين أن القرآن لا يزيد للبعض إلا الخسران أراد أن يبين أن حرمان البعض من كفران نعمة الله أعم من أن يكون النعمة قرآناً أو غيره فقال : " وإذا أنعمنا " الآية/١٢ وجيز .

﴿أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ﴾: بمال وعافية ، **﴿أَعْرَضَ﴾**: عن طاعة الله ، **﴿وَنَئَا بِجَانِبِهِ﴾** والنائى بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره أي : بعد عنا أو استكبر عن طاعتنا ، **﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾** من المصائب والنوائب ، **﴿كَانَ يَئُوسًا﴾**: شديد اليأس قَنِطَ أن يعود له بعد ذلك خير ، **﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾**: دينه ونيته وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة[1] أو على طبيعته التي جبلت عليها ، **﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً[2] ﴾**: أسدَّ طريقًا وسيجزي كل عامل بعمله، وهو وعيد للمشركين كما قال تعالى: " وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون "(هود :١٢١،١٢٢) .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ

---

(١) يقال: طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب من الطريق نقل عن الصديق الأكبر – رضي الله عنه– أنه قال لم أر آيه أرجى من هذه لا يشاكل بالعبد إلا العصيان ولا يشاكل بالرب إلا الغفران / ١٢ وجيز .

(٢) ولما ذكر مكر اليهود وخداعهم من قبل في قوله : " وإن كادوا ليستفزونك " الآية إلى أن وصل الكلام إلى قوله : " كل يعمل على شاكلته " أعقبه بشيء من تعنتهم ومكرهم فقال : " ويسألونك " / ١٢ وجيز .

لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿وَيَسۡأَلُونَكَ﴾ أي : اليهود والأحاديث الواردة في نزول هذه الآية مشعرة بأنها نزلت في المدينة والأصح أن السورة كلها مكية فأجيب بأنه نزلت مرتين ، أو أنه نزل في المدينة عليه وحي بأن يجيبهم عما سألوا بالآية المتقدم إنزالها عليه في مكة ، وما ذكره الإمام أحمد يدل على أنها مكية فإنه نقل عن ابن عباس أن قريشًا قالت لليهود أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه فترلت، ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾: روح بني آدم أو جبريل أو ملك عظيم ، ﴿قُلِ الرُّوحُ[1] مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ، مما استأثر

(١) وفي الآية ما يزجر الخائضين في شأن الروح المتكلفين لبيان ماهيته وإيضاح حقيقته أبلغ زجر وقد أطالوا المقال في هذا البحث وغالبه، بل كله من الفضول الذي لا يأتي بنفع في دين ولا دنيا وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر ومائة قول فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد أن علموا أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه و لم يطلع عليه أنبياءه ولا أذن لهم بالسؤال عنه فضلاً من أممهم المقتدين بهم فيا لله العجب، حيث تبلغ أقوال أهل الفضول والقانعين بالمعقول من المنقول إلى هذا الحد الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله بالكلام فيه و لم يستأثر بعلمه وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه ولذا رد ما قيل في حده قديمًا وحديثًا ثم ختم سبحانه هذه الآية بقوله : " وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً " ١٢/ فتح .

بعلمه ، ﴿وَمَا أُوتِيتُم[١] مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ ، أي : ما اطلعتم من علمه إلا على القليل يعني في جنب علم الله قليل وأمر الروح مما لم يطلعكم الله عليه ، وقد روي أن اليهود قالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً فنزلت " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام" (لقمان: ٢٧) الآية، ﴿وَلَئِن[٢] شِئْنَا﴾ اللام توطئة القسم ، ﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ جواب القسم ساد مسد جواب الشرط[٣] ، ﴿بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي : إن شئنا محونا القرآن عن مصاحفكم وصدوركم ، ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴾: من يصير وكيلاً علينا باسترداده ، ﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي : لكن رحمة ربك تركته غير مذهوب به أو الاستثناء متصل يعني: إن نالتك رحمته تسترده عليك كأن رحمته تصير وكيلاً عليه ، ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ حيث أنزل عليك الكتاب وأبقاه ، ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ[٤]﴾ وإن فرض أن كلهم بلغاء ، ﴿عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ﴾ في البلاغة والإخبار عن المغيبات ، ﴿لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ لعدم قدرتهم وهو جواب القسم الدال عليه اللام ، ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ[٥] ظَهِيراً ﴾: معينًا وناصرًا في الإتيان ، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّنا مكرّرًا ، ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من

---

(١) الخطاب عام دل على ذلك حديث صريح / ١٢ وجيز .

(٢) ولما كان مكرهم وسؤالهم عن الروح لأجل أن يزيد في القرآن شيئًا من عنده حاشاه بين أن القرآن محفوظ من عند الله فقال : " ولئن شئنا " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) ودال عليه / ١٢ .

(٤) ذكر الجن لأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الثقلين ولأن الجن تقدر على الغرائب/١٢ .

(٥) فالقرآن كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله / ١٢ معالم .

كل معنى هو كالمثل في الغرابة والحسن ، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُورًا﴾ ، جحـــودًا للحق وهو في معنى الكلام المنفي فلذلك جاز الاستثناء ، ﴿وَقَالُوا لَن[1] نُّؤْمِنَ لَـــكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ﴾: أرض مكة ، ﴿يَنبُوعاً ﴾: عينًا لا ينضـــب ولا ينقطـــع ماؤها ، ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ أي : بستان ، ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَّعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْـــهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً ﴾ حتى نعرف فضلك علينا، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾ أن ربك إن شاء فعل ، ﴿عَلَيْنَا كِسَفاً﴾ أي : قطعًا فلا نؤمن لك حتى تفعل يعنون قوله تعالى : " أو نسقط عليهم كسفًا مـــن السماء" (سبأ:٩)، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴾ ، كفيلاً بماتقول شاهدًا بصحته أو مقابلاً معاينة نراه وهو حال من بالله وحال الملائكة محذوفة أي قبيلاً وقبـــلاء ، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾: من ذهب ، ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾: تصعد في سـلم ونحن ننظر ، ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾: صعودك وحده ، ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَـــا كِتَابـــاً نَّقْرَؤُهُ﴾ أي : مكتوبًا فيه إلى كل واحد هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ويكون فيـه تصديقك ، ﴿قُلْ﴾ ، أي : رسول الله ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجبًا من تمردهم، أو تتريـــهًا لله من أن يأتي أو يشاركه أحد في قدرته ، ﴿هَلْ كُنتُ إلاَّ بَشَراً﴾ كســـائر النـــاس ، ﴿رَّسُولاً ﴾ كسائر الرسل وهم لم يقدروا و لم يأتوا بمثل ما قلتم فكيف أقـــدر علـــى ذلك؟! .

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا

(١) لما تحداهم بأن يأتوا بمثله هذا وتبين عجزهم وغلبوا أخذوا يتعللون بافتراء آيات ســـت فِعْلَ الحَائِرِ المبهوت، "وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا" الآية / ١٢ وجيز .

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُّؤْمِنُوا﴾ مفعول ثان ، أي: ما منعهم الإيمان بعد ، **﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾** بعد نزول القرآن الذي هو معجزة ، **﴿إِلاَّ أَن قَالُوا﴾** فاعل منع ، **﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا﴾** أي : إلا قولهم هذا أي لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان إلا إنكارهم أن يرسل الله بشرًا ، **﴿رَّسُولاً قُل﴾** جوابًا لشبهتهم ، **﴿لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾** كما تمشون ، **﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾**: ساكنين في الأرض ، **﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً[1]﴾** أي : من جنسهم يهديهم، لأن انتفاع الجنس من الجنس أكثر

---

(١) فيه إعلام من الله سبحانه بأن الرسل ينبغي أن يكونوامن جنس المرسل إليهم فكأنه اعتبر في تتريل الرسول من جنس الملائكة أمرين: الأول كون سكان الأرض ملائكة والثاني كونهم ماشين على الأقدام غير قادرين على الطيران بأجنحتهم إلى السماء إذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا إليها وسمعوا من أهلها ما يجب معرفته وسماعه فلا تكون في بعثة الملائكة إليهم فائدة ثم ختم الكلام بما يجري التهديد فقال: "قل كفى بالله شهيدًا بيني =

فرحمتنا دعتنا إلى أن أرسلنا إليكم بشرًا من جنسكم وبشرًا وملكًا منصوبان على الحال من رسولاً أوموصوفان برسولاً ، ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ﴾ أي: كفى الله ، ﴿شَهِيداً﴾ حال أو تمييز ، ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنتم عاندتم أوعلى أني رسول إليكم وأظهرت المعجزات ، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ فيعلم إبلاغي وعنادكم فيجازي كلاًّ ما يستحقه من الإنعام والهداية والانتقام والإزاغة ، ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ ، يهدوهم وينصروهم، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ يمشون بها وعن[1] أنس يقول : قيل يا رسول الله: "كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال : الذي أمشاهم علىأرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم" أو يسحبهم الملائكة إلى النار ، ﴿عُمْياً وَبُكْماً وَصُماًّ﴾ هذا في حال دون حال فيكون هذا بعد الحساب أو عميًا عما يقرأ عينهم بكمًا عن حجة وعذر يقبل منهم صمًا عما يُلذّ مسامعهم ، ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾: سكن لهبها ، ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ توقدًا بأن نبدل لحومهم وجلودهم فتعود متلهبة بهم، قيل ونعم ما قيل كأنهم لما كذبوا الإعادة بعد الإفناء جازاهم الله بدوام الإعادة بعد الإفناء ، ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾: ترابًا ، ﴿أَئِـنَّا﴾ الهمزة لتأكيد الإنكار والعامل في إذا ما دل عليه قوله:﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ فإن ما

= وبينكم" ، ثم علل كونه سبحانه شهيدًا كافيًا بقوله: "إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا" ثم بين سبحانه أن الإقدار والإنكار مستندان إلى مشيئته فقال : " ومن يهد الله " الآية / ١٢ فتح .

(١) هذا الحديث مروي في الصحيحين / ١٢ وجيز .[أخرجه البخاري في "الرقاق" / باب: الحشر (٦٥٢٣) ومسلم في "صفة القيامة" / باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً (٦٧٢/٥) ط الشعب.]

بعد إن لا يعمل فيما قبله ، ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾: مصدر أو حال ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: ألم يعلموا ، ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ فإن خلقهم ليس بأشد من خلق السماوات والأرض ، ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً﴾ ، أي : القيامة عطف على أو لم يروا ، ﴿لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ أو معناه أو لم يعلموا أن من قدر على خلق هذه الأجسام قادر على أن يخلقهم مثل ما كانوا أي : يعيدهم ويجعل لإعادتهم أجلاً مضروبًا ومدةً مقدرةً لابد من انقضائها[1]، ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾: بعد قيام الحجة ، ﴿إِلاَّ كُفُوراً﴾ جحودًا[2] بذلك الأجل أو بذلك الخلق ، ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ ، أنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده ، ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ خزائن رزقه ونعمه ، ﴿إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ لبخلتم ، ﴿خَشْيَةَ الإِنفَاقِ﴾ أي : مخافة النفاد يقال: أنفقَ التاجرُ ذهبَ مالهُ ، ﴿وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً﴾: بخيلاً .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

---

(١) فعلى هذا المراد من الخلق إعادتهم وقوله: "وجعل" عطف على يخلق وليس فيه مانع /١٢ وجيز .

(٢) ومن كفورهم أنهم علموا كمال قدرته- وأد أولادهم خشية إملاق، ولما قالوا: (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) فطلبوا الأنهار لتكثر أقواتهم وتتسع معايشهم بين الله سبحانه أنهم لا يقنعون بل يبقون على بخلهم وشحهم فقال : " قل لو أنتم " الآية/١٢وجيز.

وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾

﴿**وَلَقَدْ**[(١)] **آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**﴾ اليد والعصا والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وعن بعضهم بدل السنين ونقص الثمرات فلق البحر وحل العقدة التي بلسانه ، وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وقال "صحيح حسن" والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تفسيره أن يهوديَّيْن سألا النبي – صلى الله عليه وسلم– عن هذه الآية "ولقد آتينا موسى تسع آيات" فقال لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت فقبَّلا يدَيه ورجلَيه"(*)

---

(١) ولما حكى عن قريش تعنتهم باقتراح آيات ست سلى نبيه –صلى الله عليه وسلم– بما جرى على موسى وقومه مع فرعون فقال : " ولقد آتينا موسى " الآية / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤/٢٤٠) والترمذي (٣٣٥٣–تحفة) وابن ماجه (٣٧٠٥) مختصراً والحاكم في "المستدرك" (١/٩) والنسائي (٧/١١١).

فقال بعض المحدثين: لعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوي بالتسع الآيات، فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين عليه ويدل عليه الآية التي بعده ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر" الآية، **﴿فَاسْأَلْ﴾**: يا محمد ، **﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** عن الآيات ليطمئن قلبك ويظهر للمشركين صدقك ، **﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾** ظرف لآتينا أوتقديره سل عن بني إسرائيل زمان ما جاءهم موسى حتى يخبروك عما وقع فيه ، **﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾** فتتخبط عقلك ، **﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ[1] مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ﴾**: الآيات ، **﴿إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾**: بينات تبصرك صدقي وهو حال ، **﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا[2]﴾**: هالكًا ملعونًا أومصروفًا عن الخير مطبوعًا على الشر ، **﴿فَأَرَادَ﴾**: فرعون ، **﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ﴾**: يخرج موسى

= من طريق : شعبة، عن عمرو بن مرة، عبد الله بن سلمة، عن صفقان بن عسال...فذكره.

قال الترمذي : "حسن صحيح" وقال الحاكم "حديث صحيح لا نعرف له علة بوجه من الوجوه و لم يخرجاه" وأقره الذهبي.

والحديث ضعفه الشيخ الألباني في "ضفيع ابن ماجه" .

(١) قال ابن عباس -رضي الله عنه- علم فرعون ولكنه عاند قال الله تعالى: "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا" (النمل:١٤)، وهذه القراءة وهي نصب التاء أصح في المعنى وعليه أكثر القراء لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه ولا يثبت عن على رفع التاء لأنه روي عن رجل عن مراد عن على وذلك الرجل مجهول و لم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائى / ١٢ معالم .

(٢) يقال: ما بثرك عن هذا أي : صرفك ومنعك وهذه المحاكاة بينهما بعد مدة من دعوته لفرعون لا أول الأمر/١٢ منه .

وقومه من أرض مصر ، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ﴾: التي أراد أن يخرجكم منها، وهذا بشارة للمؤمنين بفتح مكة فإن هذه السورة نزلت قبل الهجرة ، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ أي : الدار الآخرة يعني القيامة ، ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾: جميعًا إلى الموقف ونحكم بينكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ أي : ما أنزلنا القرآن إلا متلبسًا بالحق المقتضي لإنزاله فيه أحكام الله وأوامرة ونواهيه ، ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ(١)﴾ وما نزل إلا بالحق الذي اشتمل عليه أو ما وصل إليك يا محمد إلا محروسا محفوظًا من تخليط وتبديل، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا﴾: لمن أطاعك ، ﴿وَنَذِيرًا ﴾: لمن عصاك ، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾: نزلناه مفرقًا منجمًا على الوقائع في ثلاث وعشرين سنة ، ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾: مَهَلٍ وتؤدة ، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾: نجومًا بعد نجوم ، ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا﴾ أي : سواء آمنتم به أم لا هو حق لا يزيد ولا ينقص منه شيء ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ ، من قبل القرآن ، أي عالمي أهل الكتاب ، ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: القرآن ، ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾: يسقطون على وجوههم وذكر الذقن للمبالغة في الخشوع وهوتعفير اللحى على التراب أو أنه ربما خر على الذقن كالمغشي عليه لخشية الله واللام لاختصاص الخرور بالذقن ، ﴿سُجَّدًا﴾: شكرًا لإنجاز وعده ولأن جعلهم ممن أدركوا هذا الرسول المنزل عليه هذا الكتاب ، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾: عن خلف الوعد ، ﴿إِن كَانَ﴾: إنه كان ، ﴿وَعْدُ رَبِّنَا﴾ في الكتب السالفة بإرسال رسول خاتم الرسل،

---

(١) يقال أنزلت فلم ينزل إذا عرض له مانع من نزوله فقال: "وبالحق نزل" لإزالة هذا الاحتمال وقوله: "وبالحق أنزلناه" من دور على قوله: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن) الآية وهكذا طريقة كلام العرب وأسلوبه يأخذ في شيء ويستطرد منه إلى آخر ثم يعود إلى ما ذكره أولاً / ١٢ وجيز .

﴿لَمَفْعُولاً﴾ ، واقعًا كائنًا ، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ[1]﴾ حال كونهم باكين لما أثـر فيهم مواعظه كرره لتكرار الفعل منهم ، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ سماع القرآن ، ﴿خُشُوعًا[2] ﴾: خضوعًا لربهم ، ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ نزلت حين يقول عليه السـلام في سجوده يا رحمن يا رحيم فسمع رجل من المشركين وقال: إنه يزعم أنـه يدعـو واحدًا وهو يدعو اثنين والدعاء بمعنى التسمية وهو متعد إلى مفعولين كدعوته زيـدًا ثم يترك أحدهما فيقال دعوت زيداً و المراد من الله والرحمن الاسم لا المسمى وأو للتخيـير أي : سموا بهذا الاسم أو بهذا ، ﴿أَياًّ مَّا تَدْعُوا﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه ومـا مزيدة للإبهام الذي في أي ، ﴿فَلَهُ﴾ الضمير لمسمي الاسمين فإن التسـمية للـذات لا للاسم، ﴿الأَسْمَاءُ الحُسْنَى[3]﴾ أي : أيَّ هذين الاسمين سميتم فهو حسـن؛ لأن لـه ألأسماء الحسنى وهذان الاسمان منها ، ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ أي: بقـراءة صلاتـك

---

(١) والبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن أبي هريرة ?رضي الله عنه- قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يلج النار رجل بكي من خشية الله حتى يعود اللـبن في الضرع ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم) أخرجه الترمذي والنسائي وعن ابن عباس -رضي الله عنه- مرفوعًا عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي / ١٢ فتح .

(٢) ولما ذكر مقالات موسى وفرعون وإنجائه للتوحيد وإهلاكه مع قومه لادعائهم الشـركة وبهذا البيان أنذر قريشًا ثم قال مخاطبًا لهم : " آمنوا به أو لا تؤمنوا) والإيمان يسـتلزم التوحيد الذي هو المطلوب الأصلي عنهم أمر نبيه أن يدفع عنهم شبهة نشأت لهم فقـال (قل ادعوا) الآية / ١٢وجيز.

(٣) فكأنه تعليم في أذكار السجود حين مدح سجود العلماء ولما قال (ادعوا الله أو ادعـوا الرحمن) يخطر بالبال هل ندعوه جهرة أو خفية فقال : " ولا تجهر بصلاتك " الآية/١٢ وجيز .

فيسمعها المشركون فيسبون القرآن ، ﴿وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ ولا تخفها عمن خلفك من أصحابك ، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ﴾: بين الجهر والمخافتة ، ﴿سَبِيلاً ﴾ وسطًا وكان ذلك قبل الهجرة والمراد من الصلاة الدعاء ، ﴿وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما قالت اليهود عزير ابن الله عليهم لعائن الله ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما أثبته النصارى والمشركون فإنهم أثبتوا الربوبية للمسيح والأصنام ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ ، ناصر من الذل لا يحوم الدخور(*) جنابه ليحتاج إلى ولي يتعزز به، وعن القرطبي أن الصابئين والمجوس يقولون : لولا أولياء الله لذل. أثبت لنفسه الأقدس الأسماء الحسنى ونزه نفسه عن النقائص كمضمون "قل هو الله أحد" (الإخلاص:١)، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾: عظمه عن الولد والشريك والولي عظمة تامة قد جاء في حديث أنه عليه السلام سماها آية العز وفي بعض الآثار ما قر في ليلة في بيت فيصيبه سرقة[١] أو آفة .

(*) كذا في الاصل وفي نسخة : لا يحوم الذل حول جنابه.

(١) ذكرهما الشيخ عماد الدين ابن كثير في تفسيره وما خرجهما، هذا ما في المنهية والوجيز وفي الفتح عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يعلم أهله هذه الآية "الحمد لله" إلخ الصغير من أهله والكبير، أخرجه ابن جرير وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن عبد الكريم بن أبي أمية قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات "الحمد لله الذي" إلى آخر السورة، وروى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول: "آية العز الحمد لله" إلخ /١٣.[أخرجه أحمد ي "مسنده" (٤٣٩/٣) وذكره الهيثمي في "المجمع" (٥٢/٧) وأشار إلى انه طرقا يصلح بها. وذكر السيوطي في "الدر المنثور" (٣٧٦/٤) ونسبه لأحمد والطبراني.]

سورة الكهف مكية

قيل إلا "قوله واصبر نفسك" الآية.

وهي مائة وإحدى عشر آية واثنا عشر ركوعًا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾

﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾ رتب الحمد على إنزاله القرآن على عبده سيد السادات عليه الصلوات والتسليمات؛ لأنه أجل نعم وأعظم كرم، فإنه سبب جميع السعادات ﴿**وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**﴾ شيئًا من العوج، لا في ألفاظه، ولا في معانيه ﴿**قَيِّمًا**﴾: مستقيمًا معتدلا لا إفراط فيه ولا تفريط، فقيل قيما على سائر الكتب مصدقا

لها، منصوب بقدر، أي: جعله قيما، أو حال من الكتاب على أن عطف و لم يجعل بياني حتى لا يلزم العطف قبل تمام الصلة كأنه قال: أنزل على عبده الكتاب الكامل الذي لا يسمى غيره في جنبه الكتاب ﴿لِيُنْذِرَ﴾: الكافرين ﴿بَأْسًا﴾: عذابًا ﴿شَدِيدًا﴾: صادرًا ﴿مِن لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَات أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾: الجنة ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ﴾: في الأجر ﴿أَبَدًا﴾: دائمًا ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ أي: ينذرهم ببأس شديد وخصهم من بين الكفار بالذكر لغلظ كفرهم ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ[1]﴾ أي: يقولون عن جهل وافتراء وضمير به إما إلى الولد أو إلى الاتخاذ أو إلى القول ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾: الذين قالوا ذلك ﴿كَبُرَتْ﴾: عظمت مقالتهم هذه في الكفر ﴿كَلِمَةً﴾ تمييز، وهو أبلغ من كبرت كلمتهم ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صفة للكلمة[*] مفيدة لاستعظام اجترائهم، فإن هذه الكلمة الردية الشنيعة التي لو خطرت ببال لا يليق أن تظهر بحال هم تكلموا بها ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾: قاتل ﴿نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ إذا أعرضوا عن الإيمان، شبهه لما تداخله من الأسف على إعراضهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على فراقهم وآثارهم ﴿إِن لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿أَسَفًا﴾ لفرط[2] الحزن ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾: مما يصلح أن يكون زينة ﴿زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾: نختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا[3]﴾: في تناوله وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾: من الزينة

---

(١) وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه، وإما لأنه في نفسه محال لا يتفق تعلق العلم به، وهذا من الثاني/١٢وجيز.

(*) وفي النسخة (ن): لكلمة.

(٢) ولما منعه من هلاك نفسه تأسفًا لله بقوله: "إنا جعلنا ما على الأرض" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) فلابد منهم من لم يحسن العمل، فلا تحزن على من قضينا عليه الشقاوة/١٢وجيز.

﴿صَعِيدًا جُرُزًا[1]﴾: مثل أرض ملساء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء في إزالة بهجته وإبطال حسنه يعني نميت الحيوانات، ونجفف النباتات وهو ترغيب في الزهد عنها. ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ بل أحسبت ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾: الغار الواسع في الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ هو لوح من رصاص، أو حجر موضوع على باب كهفهم مكتوب فيه أسماؤهم، أو اسم لذلك الجبل أو الوادي، أو لقرية[2] هم خرجوا منها ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا﴾: آية ﴿عَجَبًا﴾ فإن قصتهم بالإضافة إلى ما خلقنا على وجه الأرض من أنواع الحيوانات وغيرها ليس بعجيب. ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ[3] إِلَى الْكَهْفِ﴾: صاروا إليه

---

(١) فيه إشارة إلى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها، وتسلية له صلى الله عليه وسلم عما تضمنته أيدي المترفين من زينتها، إذ مال الكل إلى الفناء، ولما كان لنبلوهم أيهم أحسن عملا دالا على البعث الذي نفاه المعاندون أتى بواقعة مبينة للبعث فقال: "أم حسبت" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) جميع ما نقلنا في تفسير الرقيم أقوال السلف واختار ابن جرير إنه فعيل بمعنى مفعول أي: مرقوم أي: شيئًا مكتوبًا نحو كتاب مرقوم/١٢منه. وفي المراد من الرقيم اختلاف كثير والظاهر أنه الفئة المذكورون هنا، وقيل: هم قوم حالهم كأصحاب الكهف أخبر الله عن حال أصحاب الكهف و لم يخبر عنهم/١٢وجيز.

(٣) الفتية جمع فتى وهو الطري من الشباب، فكانوا في سن الشباب مردًا، وكانوا سبعة خرجوا من مدينتهم خائفين على إيماهم من قومهم الكفار، حيث أمروهم بعبادة غير الله وكذلك ملك المدينة، أمرهم بما ذكر، واسمه دقيانوس ومدينتهم اسمها أفسوس عند أهل الروم؛ لأنها من مدائنهم، واسمها عند العرب طرسوس، فلما أمروهم بعبادة غير الله ذهب كل واحد منهم إلى بيت أبيه وأخذ منه زادًا ونفقة وخرجوا فارين هاربين حتى أووا إلى كهف في جبل قريب من المدينة، فاختفوا فيه، وصاروا يعبدون الله ويأكلون ويشربون ويبعثون أحدًا منهم خفية ليشتري لهم الطعام من المدينة وهم خائفون من اطلاع أهل المدينة عليهم فيقتلوهم لعدم دخولهم في دينهم، فجلسوا يومًا =

وسكنوا فيه هم من أهل الروم، قصد دقيانوس تعذيبهم ليرجعوا إلى الشرك فهربوا بدينهم إلى الكهف[1] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ ترحمنا بها وتسترنا من أعين قومنا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾: يسر لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾: الذي نحن فيه من الفرار عن الكفار ﴿رَشَدًا﴾: نصير بسببه راشدين مهديين ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ أي: ضربنا عليها حجابًا من أن تسمع يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات، فحذف المفعول كما يقال: بنى على امرأته أي: القبة ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ﴾ ظرفان لضربنا ﴿عَدَدًا﴾ أي: ذوات عدد ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾: ليتعلق علمنا تعلقا حاليا، أو لنعلم علم المشاهدة ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ المختلفين منهم ﴿أَحْصَى﴾ أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ أي: أضبط أمدًا لزمان لبثهم فإنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك كما قال تعالى: "قال قائل منهم كم لبثتم" الآية، أو المراد من الحزبين غيرهم، فقد ذكر أن أهل قريتهم تنازعوا في مدة لبثهم ولصدارة أي لما فيه من معنى الاستفهام علق لنعلم عنه فهو مبتدأ، وأحصى الذي هو فعل ماض خبره، وأمدًا مفعوله .

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ

= بعد الغروب يتحدثون فألقى الله عليهم النوم وذلك قوله تعالى: "فضربنا على آذانهم" إلخ /١٢فتح.

(١) هكذا ذكره المفسرون من السلف والخلف/ ١٢منه.

إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾: الصدق، **﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾**: شبان **﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾**: بالتثبت **﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾**: قويناهم بالصبر والثبات **﴿إِذْ قَامُوا﴾**: بين يدي دقيانوس ملكهم حين دعاهم إلى الكفر، وأوعد بأنواع العذاب، ثم القتل إن خالفوا **﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾** فإنه يأمرهم بعبادة الأصنام **﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا[1]﴾** أي: إن دعونا غير الله، والله لقد قلنا قولا ذا بعد عن الحق **﴿هَؤُلَاءِ﴾** مبتدأ **﴿قَوْمُنَا﴾** عطف بيانه **﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ[2] آلِهَةً لَوْلَا﴾**: هلاَّ **﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾** أي: على عبادهم[3] **﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾**: بدليل واضح فإن دينًا لا دليل عليه فهو باطل **﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾**: فإنهم افتروا عليه أن له شركاء **﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ[4]﴾** خطاب بعضهم لبعض

---

(١) قوله: "لقد قلنا إذاً شططا" إلى قوله: "فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا" استدل تعالى على عدم الشركاء بعدم الدليل عليها، فثبت أن الاستدلال بعدم الدليل على عدم المدلول طريقة قوية، ثم قال: "فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا" يعني أن الحكم بثبوت الشيء مع عدم الدليل عليه ظلم وافتراء على الله وكذب، وهذا من أعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد/ ١٢مفاتيح الغيب المعروف بالكبير.

(٢) وفي هذا الإخبار معنى الإنكار وفي الإشارة إليهم تحقير لهم/١٢فتح.

(٣) قال الزمخشري: وفي الآية دليل على فساد التقليد، وأنه لابد في الدين من الحجة حتي يثبت ويتضح/١٢فتح.

(٤) خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال شامل لمفارقة الأوثان ومعتقدات قومهم فهو اعتزال جسماني وقلبي/١٢وجيز.

والعامل فيه الجزاء ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ عطف على مفعول اعتزل، وهم يعبدون الأصنام مع الله ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ﴾: يبسط ﴿لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: رحمة يستركم بها من قومكم ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ﴾: الذي أنتم فيه ﴿مِرْفَقًا[1]﴾: ما تنتفعون به[2] ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾: لو رأيتهم ﴿إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ﴾: تميل[3]، ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ فلا يقع شعاعها عليهم لتحترق أبدانهم ولباسهم ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: جهته، ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم وتعدل عنهم، ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾: متسع، ﴿مِنْهُ﴾: من الكهف فلا يؤذيهم حر الشمس وينالهم روح الهواء وذلك إذا كان باب الكهف على بنات[4] النعش فيقع الشعاع على جنبيه وهم في وسطه فيحلل عفونته ويعدل هواءه، وعند بعضهم أن الله صرف عنهم الشمس بقدرته وحال بينها وبينهم لا لأن باب الكهف على جانب لا تقع الشمس إلا على جنبيه ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ حيث أرشدهم إلى غار كذلك ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ﴾: و لم يرشده ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾: من يلي أمرهم ويرشده.

---

(١) أي: من أمركم الذي أنتم فيه ما تنتفعون به من أمر المعيشة وغيره. هنا جمل محذوفة دل عليها ما تقدم، والتقدير: "فأووا إلى الكهف" فألقى الله عليهم النوم واستجاب دعائهم "وترى الشمس" الآية/ وجيز.

(٢) وإنما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه، أو أخبرهم به نبي عصرهم/١٢فتح.

(٣) وتعدل وتتنحى/١٢فتح.

(٤) بنات النعش وهي الكبرى والصغرى هفت ستاركان در شمال وجنوب جهار ازوى دانعش وسه رابناة كويند/١٢صراح.

﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا**﴾: لانفتاح عيونهم ليصل إليها روح الهواء جمع يقظ، كأنكاد في نكد ﴿**وَهُمْ رُقُودٌ**﴾: نيام ﴿**وَنُقَلِّبُهُمْ**[١] **ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَال**﴾: لئلا تأكل الأرض لحومهم، عن ابن عباس في كل سنة مرة، وعن بعضهم مرتين ﴿**وَكَلْبُهُمْ**[٢]

---

(١) ظاهر كلام المفسرين أن التقليب من فعل الله ويجوز أن يكون من ملك بأمر الله والأول أولى/١٢فتح.

(٢) قال مجاهد اسم كلبهم تطمورا وعن الحسن اسمه قطمير وقيل: ريان وصهيان قيل كان كلبا أعز، وقيل: فوق القلطى، ودون الكرزي والقلطي كلب صيني وقيل كان أصفر =

﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ[1]﴾ بالفناء وقيل: بالعتبة خارج الكهف؛ لأن الملك لا يدخل بيتًا فيه كلب[*] والأصح أنه كلب صيد لأحدهم وقد نقل أنه كلب تبعهم فطردوه فأنطقه الله وقال: أنا أحب أحباء الله ناموا وأنا أحرسكم، **﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾**: نظرت إليهم **﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ﴾** هربت وأعرضت عنهم **﴿فِرَارًا﴾** حال أو مفعول له أو مصدر **﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا[2]﴾**: خوفًا يملأ صدرك لمهابتهم **﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾**: كما أنمناهم آية بعثناهم كذلك **﴿لِيَتَسَاءَلُوا[3] بَيْنَهُمْ﴾**: ليسأل بعضهم بعضًا مدة لبثهم فيعرفوا حالهم فيزداد يقينهم **﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا[4] يَوْمًا أَوْ**

= وقيل أسمر اللون، ولا أدري أي تعلق لهذا التدقيق والتحقيق بتفسير الكتاب العزيز وما الذي حملهم على هذا الفضول الذي لا مستند له في السمع ولا في العقل/١٢فتح.

(١) وفي هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للصالحين وللأنبياء والعلماء المخالطين للأولياء والأصفياء/١٢.

(*) وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة"، أخرجه البخاري في "اللباس"، باب: التصاوير، (٥٩٤٩)، وفي مواطن كثيرة من صحيحه، ومسلم في اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان، (٢١٠٦).

(٢) وسبب الرعب الهيبة التي ألبسهم الله إياها، وقيل طول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم ووحشة مكانهم، ذكره المهدي والنحاس والزجاج والقشيري ويدفعه قوله: "لبثنا يومًا أو بعض يوم" فإن ذلك يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئًا ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدة قال ابن عطية: والصحيح في أمرهم أن الله عز وجل حفظ بهم الحالة التي ماتوا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية فلم يبل لهم ثوب ولم تتغير لهم صفة ولم ينكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليهم أهم، ذكره القرطبي/١٢فتح.

(٣) واللام للصيرورة نحو لدوا للموت/١٢.

(٤) وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب/١٢فتح.

بَعْضَ[1] يَوْمٍ[2]﴾ فإنه غالب مدة نوم نائم كأهم دخلوا غدوة وانتبهوا عشية، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ كأنه حصل لهم بعض تردد في طول مدهم لطول أظفارهم وأشعارهم ﴿فَابْعَثُوا﴾ يعني لا يصل علمكم إليه فاتركوا المقال وابعثوا ﴿أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾: فضتكم، ﴿هَذِهِ﴾ فإنه كان معهم دراهم ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أي: إلى المدينة التي خرجتم عنها وهي طرسوس ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا﴾ أي: أهل تلك المدينة ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾: أحل وأطهر، فإن في المدينة المؤمن والكافر ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: في الذهاب والإياب والمعاملة حتى لا يطلع على حاله أحد ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: لا يفعلن ما يؤدي إلى شعور أحد بكم ﴿إِنَّهُمْ﴾: أهل المدينة ﴿إِنْ يَظْهَرُوا﴾: يظفروا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بأفضح أنواعه ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: كرهًا والعود بمعنى الصيرورة، أو كانوا على دينهم فهداهم الله للإيمان ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾: إن دخلتم في دينهم ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما أنمناهم وأيقظناهم أطلعنا عليهم ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: ليعلم من يطلع عليهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بالبعث ﴿حَقٌّ﴾: يقاس الموت والبعث بتلك الرقدة، والإيقاظ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ آتية ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فإن من حفظ أبداهم من التفتت ثلاثمائة سنين يمكن له حفظ النفوس إلى أن يحشر أبداها ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾ ظرف لأعثرنا ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: أمر دينهم، فإن لأهل ذلك الزمان[3] شكًا في البعث فمنهم من قال: يبعث الأرواح لا الأجساد فيبعثهم

---

(١) وقد استدل ابن عباس أن الصحيح أن عددهم سبعة؛ لأنه قال في الآية: "قال قائل منهم كم لبثتم" وهذا واحد، وقالوا في جوابه: "لبثنا يومًا أو بعض يوم" وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا: "ربكم أعلم بما لبثتم" وهو قول جمع آخرين فصاروا سبعة/١٢منه.

(٢) الظاهر صدور الشك من المسئولين/١٢.

(٣) صرح بذلك ابن عباس وعكرمة وغير واحد من السلف/١٢منه.

الله حجة لمن يقول تبعث الأرواح والأجساد معًا، أو التنازع في البنيان فقال المسلمون: نبني عليهم مسجدًا يصلي فيه الناس، لأنهم على ديننا والمشركون يقولون: نبني بنيانًا لأنهم من أهل نسبنا أو التنازع في مدة لبثهم وعددهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي: المرتابون في البعث[1] ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ أي: سدوا عليهم باب الكهف وذروهم على حالهم فإن ربهم أعلم بحالهم وقيل: هذا يدل على أن التنازع في مدة اللبث أو العدد ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ وهم المؤمنون وكانوا غالبين في ذلك الوقت ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ حكى أن المبعوث إلى الطعام لما أخرج الدرهم للطعام أخذوا درهمه واتهموه بوجدان كنز؛ لأن الدرهم على ضرب لم يروه فسألوه عن أمره فقال: أنا من هذه المدينة وعهدي بها عشية أمس وضربه ضرب دقيانوس، فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى ولي أمرهم فأخبرهم بأمره فقام متولى البلد وأهلها معه حتى انتهى إلى الكهف فقال: دعوني أتقدم في الدخول فعمى عليهم المدخل وأخفى الله عليهم فبنوا ثم مسجدًا، وعن بعضهم: دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم ثم كلمهم وودعهم فتوفاهم الله ﴿سَيَقُولُونَ﴾: القائلون أهل الكتاب والمؤمنون في عهد نبينا عليه الصلاة والسلام ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ أي: هم ثلاثة رجال ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: يرمون رميًا بلا علم كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه، فإنه لا يكاد يصيب، وإن أصاب فبلا قصد والقائل بهما أهل الكتاب ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ والقائل هم المؤمنون ﴿وَثَامِنُهُمْ[2] كَلْبُهُمْ﴾ وفائدة

---

(١) لئلا يتطرق الناس إليهم كما حفظت تربة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالحظيرة/١٢فتح.

(٢) روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد وكان يعقوبيًا: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطوريًا: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال =

هذا الواو بين الصفة والموصوف تأكيد لصوقها به والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهي التي آذنت بأن هذا القول منهم لا عن رجم بالغيب، بل عن دليل وعلم ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من الناس وقد صح[1] عن ابن عباس أنه قال: أنا من ذلك القليل كانوا سبعة[*] ﴿فَلَا تُمَارِ[2]﴾: لا تجادل ﴿فِيهِمْ﴾: في شـأن الفتية ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾: سهلا هينًا، فإن معرفته لا يترتب عليه كثير فائدة، فلا تُجَهِّلْهُمْ ولا ترد عليهم ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: لا تسأل عن قصتهم أحدًا منهم، فإنهم لا يقولون إلا ظنًّا بالغيب.

= المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين بعدما حكى قول النصارى فقال: "سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم" /١٢معالم.

(١) نقله ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني عنه/١٢منه.

(*) الدر المنثور للسيوطي (٣٩٣/٤) وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وصحح سنده.

(٢) قال ابن عباس: يقول حسبك ما قصصت عليك ثم استثنى سبحانه من المراء ما كان ظاهرًا واضحًا فقال إلا مراء ظاهرًا أي: غير متعمق فيه وهو أن يقص عليهم ما أوحى الله إليه، فحسب من غير تجهيل لهم ومن غير رد عليهم، وقال الرازي: هو أن لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد، بل يقول: هذا التعيين لا دليل عليه، فوجب التوقف ثم نهاه سبحانه عن الاستفتاء في شأنهم، فقال: "ولا تستفت فيهم منهم أحدًا"؛ لأن المفتي يجب أن يكون أعلم من المستفتي، وهاهنا الأمر بالعكس ولاسيما في واقعة أهل الكهف، وفيما قص الله عليك في ذلك ما يغنيك عن سؤال ما لا علم له، قال ابن عباس: يعني اليهود، وقال القرطبي: النصارى وهم الأولى، قال البيضاوي: لا تسأل سؤال مسترشد ولا سؤال متعنت يريد فضيحة المسئول وتزييف ما عنده، فإنه يخل بمكارم الأخلاق، وفي الآية دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم/١٢.

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ ﴾

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أي: لأجل شيء تعزم عليه **﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾**: الشيء، **﴿غَدًا﴾** أي: فيما يستقبل من الزمان، و لم يرد خصوصية الغد **﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾**: إلا بأن يشاء الله، أي: متلبسًا بمشيئته، يعني إلا أن يقول إن شاء الله، فهو استثناء من النهي، نزلت حين سأل أهل مكة عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فقال عليه السلام: "أخبركم غدًا"، و لم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي أيامًا ثم نزلت هذه

الآية تعليمًا وتأديبًا، وقيل معناه: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله، بأن يأذن لك فيه ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيئته، وقل إن شاء الله ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: إذا فرط منك نسيان، يعني: إذا أنسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر. وعن ابن عباس: للحالف أن يستثني ولو بعد سنة، قال ابن جرير: السنة أن يقول ذلك حتى ولو كان بعد الحنث، ليكون أتيا بسنة الاستثناء لا لأن يكون رافعًا للحنث مسقطًا للكفارة، وقال: هذا هو الصحيح الأليق بحمل كلامه عليه، وقد نقل عن ابن عباس إن هذا خاصة برسول الله -صلى الله عليه وسلم- أي إنه لا يحنث إن استثنى ولو بعد سنين، وقيل معناه إنه تعالى أرشد من نسى الشيء من كلامه إلى أن يذكر الله، فإن النسيان منشؤه الشيطان، وذكر الله يطرده فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أي: يدلني ويعطيني من الآيات الدالة على نبوتي ما يكون أقرب وأدل في الرشد من قصة أصحاب الكهف، وقيل معناه إذا سُئلت عن شيء لا تعلمه فتوجه إلى الله في أن يوفقك لأقرب طريق إليه وقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت شيئًا، واذكر ربك أن تقول عند نسيانه عسى ربي أن يهدين لشيء آخر بدل المنسى أقرب من المنسى رشدًا ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ هذا إخبار من الله بمقدار لبثهم منذ أرقدهم الله إلى أن بعثهم، وسنين: عطف بيان لثلاثمائة عند من قرأ مائة بالتنوين ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا[1]﴾ فإن مقداره ثلاث مائة سنة وتسع بالهلالية، فيكون بالشمسية ثلاث مائة سنة، لأن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين ﴿قُلِ﴾: يا محمد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا[2]﴾ فلا

(١) ولما كان الخطاب للعرب وحسابهم القمرية زيدت التسع لاتفاق الحسابين/١٢وجيز.

(٢) اختلف الناس في زمان أصحاب الكهف وفي مكانهم، أما الزمان الذي حصلوا فيه، فقيل: إنهم كانوا قبل موسى عليه السلام وإن موسى ذكرهم في التوراة، ولهذا السبب؛ اليهود سألوا عنهم، وقيل: دخلوا الكهف قبل المسيح، وأخبر المسيح بخبرهم، ثم بعثوا في =

تختلفوا بعد ما أخبركم الله بمدته **﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** جملة مستأنفة لتعليل الأعلمية وعن قتادة أن قوله ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة حكاية قول أهل الكتاب[1] وقد رده الله بقوله: "قل الله أعلم" والأول قول أكثر السلف والخلف **﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾** هما صيغتا التعجب أي: ما أبصره وما أسمعه، فالضمير الراجع إلى الله فاعل والباء صلة **﴿مَا لَهُمْ﴾** الضمير لأهل السماوات والأرض **﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾**: يلي أمرهم **﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾**: الله **﴿فِي حُكْمِهِ﴾**: قضائه **﴿أَحَدًا﴾**: منهم **﴿وَاتْلُ﴾**[2] **مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾**: من القرآن **﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾**: لا أحد يقدر على تبديلها **﴿وَلَنْ**

= الوقت الذي بين عيسى عليه السلام وبين محمد -صلى الله عليه وسلم، وقيل: إنهم دخلوا الكهف بعد المسيح وحكى القفال هذا القول عن محمد بن إسحاق، وقال قوم: إنهم لم يموتوا ولا يموتون إلى يوم القيامة، وأما مكان هذا الكهف فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي النجم أن الواثق أنفذه ليعرف حال أصحاب الكهف إلى الروم، قال: فوجه ملك الروم معي أقوامًا إلى الموضع الذي يقال إنهم فيه، قال: وإن الرجل الموكل بذلك الموضع منعني من الدخول عليهم، قال: فدخلت ورأيت الشعور على صدورهم، قال: وعرفت إنه تمويه واحتيال، وإن الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالأدوية المجففة، لأبدان الموتى لتصونها عن البلى مثل التلطيخ بالصبر وغيره، ثم قال القفال: والذي عندنا لا يعرف أن ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف، أو موضع آخر، والذي أخبر الله عنه وجب القطع به ولا عبرة بقول أهل الروم إن ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف، وأقول: العلم بذلك الزمان وبذلك المكان ليس للعقل فيه مجال، وإنما يستفاد ذلك من نص وذلك مفقود وثبت أنه لا سبيل إليه/١٢ كبير ملخصا.

(١) وكان في مصحف عبدالله قالوا لبثوا في كهفهم/ كذا في البحر ١٢وجيز.

(٢) ولما أنزل ما أنزل من قصة أهل الكهف التي سألوها امتحانًا أمره بأن يقص على معاصريه ما أوحي إليه في شأنهم وفي غيرهم فقال: واتل ما أوحي" الآية/ ١٢وجيز.

﴿تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ تعدل إليه إن لم تتل و لم تتبع ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: طرفي النهار ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: يريدون الله لا عوضًا من الدنيا نزلت في أشراف قريش حين طلبوا أن يفرد لهم مجلسًا لا يكون فقراء الصحابة[1] فيه ولذلك قال الله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الغنى والزينة، واستعماله بعن مع أنه مستعمل بغير واسطة لتضمينه معنى نبا[2] يقال: نبت عنه عينه إذا ازدرته و لم تتعلق به ﴿تُرِيدُ﴾ حال من كاف عيناك ﴿زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: مجالسة الأشراف ﴿وَلَا تُطِعْ﴾: في تبعيد الفقراء ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾: جعلنا قلبه غافلا ﴿عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾: متقدمًا للصواب نابذًا له وراء ظهره يقال: فرس فُرُط، أي: متقدم للخيل ﴿وَقُلِ﴾: يا محمد ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: هذا هو الحق حال كونه من ربكم أو الحق ما يكون من ربكم ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾: فإني لا أبالي وهو تخيير بمعنى التهديد ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: نسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار أو دخانها ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾: من العطش ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾: كمذاب النحاس عن ابن عباس هو ماء غليظ كدردي الزيت ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾: من حره إذا قدم ليشرب ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾: المهل ﴿وَسَاءَتْ﴾: النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾: متكئًا أو مترلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ قوله: "من أحسن عملا" هو عين من آمن وعمل صالحًا فجاز أن يكون "إنا لا نضيع" خبر إن أو تقديره إنا لا نضيع

---

(١) الذين يؤذوننا رائحة جيبهم كعمار وابن مسعود وصهيب وسلمان وبلال -رضي الله عنهم وأرضاهم/ ١٢وجيز.

(٢) نبا كمنع: ارتفع/ قاموس.

أجر من أحسن عملا منهم أو هو جملة معترضة وخبره قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها يقال: عدن بالمكان، إذا أقام فيه ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ أي: من تحت غرفهم ﴿الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ﴾: يزينون ﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة أو أسوار في جمع سوار ومن للابتداء ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ صفة أساور، ومن للبيان ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾: رقيق الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: غليظ منه فإن ما يلي البدن رقيق وما فوقه غليظ كما في الدنيا ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ الاتكاء الاضطجاع أو التربع في الجلوس ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾: السرر، ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾: الجنة ونعيمها ﴿وَحَسُنَتْ﴾: الأرائك أو الجنات ﴿مُرْتَفَقًا﴾: متكئًا أو منزلا .

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ

أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَاضْرِبْ[1] لَهُمْ مَثلا رَجُلَيْنِ﴾ بيان لمثلاً، أو بدل لحذف المضاف أي مثل رجلين قيل: هما أخوان من بني إسرائيل ورثا مالا فاشترى أحدهما بميراثه ضياعًا وزينة، وصرفه الآخر في وجوه الخير ﴿جَعَلْنَا﴾ الجملة بيان التمثيل أو صفة رجلين ﴿لأحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾: بستانين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أي: جعلنا النخل محيطة بهما والباء للتعدية إلى المفعول الثاني يقال: حففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾: وسط النخل والكرم ﴿زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ وإفراد الضمير لإفراد كلتا ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ﴾: تنقص ﴿مِنْهُ﴾: من أكلها ﴿شَيْئًا﴾: كما يعهد نقصها في سائر البساتين ﴿وَفَجَّرْنَا خلالَهُمَا﴾: وسط الجنتين ﴿نَهَرًا وَكَانَ لَهُ﴾: لصاحب البستانين ﴿ثَمَرٌ﴾: أنواع من المال ﴿فَقَالَ[2] لِصَاحِبِهِ[3]﴾: الذي صرف ميراثه لوجه

---

(١) أي لهؤلاء المتجبرين الطالبين طرد الضعفاء من المؤمنين لفقرهم المفتخرين بما هو في معرض الزوال من الأنصار والمال "مثلا رجلين" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) حاصل ما قاله الكافر من القول الشنيع ثلاث مقالات:
الأولى: أنا أكثر منك مالا إلخ، الثانية: ودخل جنته إلخ. الثالثة: وما أظن الساعة قائمة إلخ. وقد تعقبه المؤمن في الثلاثة على سبيل اللف والنشر المشوش فوبخه على الأخيرة بقوله: "أكفرت بالذي خلقك"إلخ ووعظه ونصحه على الثانية بقوله: "ولولا إذ دخلت جنتك"إلخ وقرعه على الأولى بقوله: "فعسى ربي"إلخ/١٢فتوحات الإلهية للشيخ سليمان الجمل.

(٣) وهذا دال على أنه ليس أخاه/١٢وجيز.

الله ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ[1]﴾: يراجعه في الكلام لا أنه يجادله ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ حشمًا وعشيرة وأولادا ذكورًا ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾: حين أخذ بيد صاحبه وأدخله بستانه يطوف به فيها يفاخره بها ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: بسبب عجبه وكفره ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾: تفنى ﴿هَذِهِ أَبَدًا﴾: راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفنى، ولله در صاحب الكشاف حيث قال: وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه[2] ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: كائنة، ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ يعني: وإن فرضنا حقيقة البعث ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾: من الجنة ﴿مُنْقَلَبًا﴾: مرجعًا وعاقبة؛ لأنه ما أعطاني في الدنيا إلا لاستئهالي لذلك والآخرة لو كانت خير وأبقى ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾: المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾ أي: خلق[3] أصل مادتك ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: فإنها مادتك القريبة ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾: عدلك وكملك إنسانًا ذكرًا بالغًا ﴿لَكِنَّا﴾ أصله: لكن أنا، حذفت الهمزة وأدغمت النونان ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن ﴿اللَّهُ رَبِّي﴾ والجملة خبر أنا، كأنه قال أنت كافر لكني مؤمن[4] ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ

---

(١) أي: حال كونه يراجعه في الكلام ولا يغاضبه/١٢وجيز.

(٢) والأمر كما قال، قال الله تعالى: "الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده" (الهمزة:٢،٣)، فإنه لفرط غروره وطول أمله لا يخطر الموت بباله فيعمل أعمال ما يظن الخلود/١٢وجيز.

(٣) فإن آدم من تراب وقيل: أراد أن ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة إلى التراب/١٢وجيز.

(٤) والاستفهام في "أكفرت" لما كان للتوبيخ والتقرير أدى هذا المؤدى ولا شك أن الكفر يقابله الإيمان، فجاز الاستدراك/١٢منه كأنه قال: أنت كافر بالله لكن أنا مؤمن/١٢بيضاوي.

جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ أي: هلا قلت حين دخلت ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ما موصولة أي: الأمر ما شاء الله أو ما شاء كائن ﴿لا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ﴾ إقرارًا بأنها بمشيئته إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها واعترافًا بالعجز على نفسك والقدرة لله قال بعض السلف: من أعجبه[1] شيء فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا﴾ ضمير الفصل أو تأكيد للمفعول ﴿أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ في الآخرة أو في الدنيا أيضًا ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ على جنتك ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ مراقي جمع حسبانة وهي الصاعقة ﴿فَتُصْبِحَ﴾ الجنة ﴿صَعِيدًا﴾ أرضًا ﴿زَلَقًا﴾ ملساء لا يثبت فيه قدم ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ غائرًا في الأرض مصدر وصف به كالزلق ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ﴾ للماء الغائر ﴿طَلَبًا﴾ في رده ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ عبارة عن إهلاكه ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ظهرلأ لبطن تأسفًا ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ متعلق بيقلب لأنه في معنى يتحسر أي: يتحسر على ما أنفق في عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ فإن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت الكروم فوقها ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾: تذكر موعظة أخيه، وتمنى لو لم يكن مشركًا حتى لا يهلك الله بستانه ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: يقدرون على

---

(١) قد روى فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: ولكن ضعفه الحافظ أبو الفتح الأزدي/١٢منه وجيز وفي الفتح أخرج أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "ما أنعم الله على عبده نعمة في أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله إلا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته وقرأ هذه الآية"، وفي إسناده عيسى بن عون وروى عن أنس نحوه موقوفًا وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي موسى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: "ألا أدلك على كتر من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله" / ١٢.[أخرجه البخاري (٦٤٠٩)]

نصرته من دون الله، وحمل ينصرونه حيث لم يقل تنصره على المعنى دون اللفظ ﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾: ممتنعًا عن انتقام الله تعالى منه، أي: لا يقدر أحد ولا هو نفسه على انتصاره ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ من القراء من يقف على هنالك، فعلى هذا معناه منتصرًا في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله، ومن لم يقف عليه فمعناه في ذلك الموطن الذي نزل عليه عذاب الله النصرة له وحده، لا يقدر عليها غيره أو ينصر فيها أولياءه على أعدائه، ومن قرأ الولاية بكسر الواو فمعناه: في تلك الحالة السلطان له وحده لا يعبد غيره، وكل أحد من مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له كما قال الله تعالى: "فلما رأو بأسنا قالوا آمنا بالله وحده" والحق: صفة الولاية أو صفة لله على القراءتين ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ لأهل طاعته لو كان غيره يثيب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا[1]﴾ أي: عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره.

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

---

(١) ونصب ثوابا وعقبا بالتمييز أي: الله خير ثوابا لأهل طاعته لو كان غيره مثيبا، وخير عاقبة طاعته من طاعة غيره سبحانه، والأصح أن الرجلين رفيقان ورثا مالا فاشترى أحدهما ضياعًا وصرف عمره وماله فيها، والآخر صرف ماله في وجوه الخير وعمره في الطاعة، فلم يبق في يد الأول سوى الندم والجزع والخسران، والثاني وجد ما قر عينيه، كذلك حال صناديد القريش المتمنعين عن فقراء المؤمنين المفتخرين بثيابهم وطيب رائحتهم وبقاء راحتهم وفسحة ساحتهم، فساء صباح المنذرين، ولما أتم المثل الأول لدنياهم الخاصة بهم التي أبطرتهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ضرب لدار الدنيا العامة لذوى العقول في قلة بقائها وسرعة فنائها فقال: "واضرب لهم" الآية/ ١٢ وجيز.

ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها[1] ﴿**كَمَاءٍ**﴾ أي: هو كماء ﴿**أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ**﴾: التف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضًا ﴿**نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا**﴾: يابسًا مكسورًا، ﴿**تَذْرُوهُ**﴾: تفرقه وتطيره ﴿**الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾: قادرًا ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ**﴾: اللذان يفتخر بهما الأغنياء ﴿**زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: لا زينة

---

(١) واغترار الناس بها/١٢.

الآخرة ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ أي: الأعمال الصالحة، وعن كثير من السلف[1] إنها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله[*] ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أفضل جزاء وثوابا ﴿وَخَيْرٌ أَملا﴾، لأن صاحبها ينال ما يؤمل بها في الدنيا ﴿وَيَوْمَ[2]﴾ أي: اذكر يوم ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: نقلعها[3] ونسيرها كالسحاب ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرة قاعًا صفصفًا سطحًا مستويًا لا وادي فيها ولا جبل ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ الواو للعطف أو للحال أي: وقد حشرنا جميع الخلق وأحييناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا ما أنكروا ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾: لم نترك، ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ﴾: كما يعرض الجند على السلطان ليأمر فيهم ﴿صَفًّا﴾: مصطفين لا يحجب أحد أحدًا ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ حال من نسير أي: قائلين لهم ذلك، وجاز أن يكون تقديره: قلنا لهم ذلك فهو العامل في يوم نسير الجبال، ولا نقدِّر اذكر ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: عراة بلا مال ولا ولد ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ للبعث،

---

(١) صرح بذلك ابن عباس وعثمان وابن عمر ومجاهد والحسن وقتادة وفيه أحاديث تدل على ما زعموا/١٢منه. والظاهر أن الباقيات الصالحات كل عمل خير، عن قتادة: كل شيء من طاعة الله فهو من الباقيات الصالحات فيندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس، وأعمال الحج والعمرة وصيام رمضان والكلام الطيب وغير ذلك اندراجًا أوليًّا/ ١٢فتح.

(*) وقد ورد فيه حديث ضعيف مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم ولفظه: "استكثروا من الباقيات الصالحات: التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله" وانظر ضعيف الجامع .]

(٢) ولما ذكر ما يئول إليه حال الدنيا من النفاد أعقبه بأوائل أحوال القيامةحتى تيقن عندك ضرب المثل فقال: "ويوم نسير الجبال.." الآية/ ١٢وجيز.

(٣) من أصولها كما نسير نبات الأرض بعد أن صيرناه هشيمًا/١٢.

والجزاء والخطاب للبعض قيل بل للخروج من القصة إلى أخرى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي: صحف الأعمال في أيمانهم وشمائلهم ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ ينادون هلكتهم من بين الهلكات ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ﴾ تعجيبًا[1] من شأنه، ﴿لا يُغَادِرُ﴾: لا يترك، ﴿صَغِيرَةً﴾ أي: هنة[2] صغيرة من أعمالنا ﴿وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا﴾: عدها وحصرها ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾: في الصحف أو جزاء ما عملوا حاضرًا عندهم ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا[3]﴾، فيكتب عليه ما لم يفعل أو بأن يعاقبه بما لم يفعل.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ[4]﴾ ذكره بعد ذكر صنيع المفتخرين بالأبناء، والأولاد ليعلموا أن الكبر من سنن إبليس، أو لما نفرهم عن الاغترار بزهرة الدنيا نبههم بقدم عداوة إبليس معهم ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ استئناف كأنه قيل لِمَ لم يسجد؟! فقال: لأنه كان من الجن وقد مر خلاف بين السلف في أنه من الملائكة الذين يقال لهم الجن، أو من الجن حقيقة ﴿فَفَسَقَ﴾: خرج، ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: بترك

---

(١) كأنه قال: يا ويلتنا تعالي وانظري إلى الكتاب وتعجبي منه / ١٢ منه.

(٢) هنٍ كأخٍ معناه شيء، ويقال هنة للمؤنث والجمع هنات وهنوات ويقال: في فلان هنات أي: خصلات الشر ولا يقال ذلك في الخير/ ١٢صراح.

(٣) ولما ذكر الحشر وخوف المجرمين من أعمالهم وإبليس هو حاملهم على المعاصي بين عداوته القديمة مع أبيهم ليتخذوه عدواً فقال: "وإذ قلنا للملائكة" / ١٢وجيز.

(٤) روى الضحاك عن ابن عباس أنه كان من أشراف الملك وكان خازنًا على الجنان وله سلطان السماء الدنيا والأرض، فرأى لنفسه شرفًا على أهل السماء، فوقع في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله فأمره الله بالسجود لاستخراج ذلك الكبر منه، فاستكبر وأظهر ما هو كائن فيه فذكر حاله بعد حكاية صناديد قريش والرجل المفتخر بالبستان والأولاد في غاية المناسبة ليعلموا أن الكبر من سنته/ ١٢وجيز.

السجود والفاء مشعر بأن سبب عصيانه كونه جنيًا فإن الملك لا يعصى ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ الهمزة للإنكار والتعجب أي أعُقَيب ما صدر منه تتخذونه ﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾ عن بعضهم هم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل: يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين، ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾: فتطيعونهم بدل طاعتي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾: من الله إبليسُ وذريته[*] ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ما أحضرت الشياطين زمان خلقي الدنيا لأستعين بهم فأنا المستقل ليس معي شريك فمالكم اتخذتموهم شركاء لي! ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا[1]﴾: أعوانًا، وفي وضع المضلين موضع الضمير ذم لهم واستبعاد للاعتصام بهم، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ أي: اللهُ للكافرين: ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: أنهم شركائي أو أنهم شفعاؤكم ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: للإغاثة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾: مهلكًا فلا وصول لهم إلى آلهتهم، بل بينهما مهلك وعن بعضهم هو واد في النار أو نهر من قيح ودم، وعن بعض السلف أن ضمير بينهم إلى المؤمنين والكافرين أي نفرق نجعل بينهم حاجزًا ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾: أيقنوا، ﴿أَنَّهُم مُوَاقِعُوهَا﴾: مخالطوها[2] واقعون فيها، فيكون ذلك من باب تعجيل حزنهم وغمهم ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: مكانًا ينصرفون إليه .

(*) أي: استبدلوا بطاعة الله طاعة إبليس.

(١) ولما ثبت جهل من أطاع الشياطين بين أنهم يضرونهم في أحوج زمان، ومكان، فقال: "ويوم يقول" /١٢وجيز.

(٢) مخالطوها: واقعون فيها من مسيرة أربعين سنة كذا في الحديث لتعجيل غمهم وتقدم خوفهم قبل الوقوع فيها والظن بمعنى اليقين أو على ظاهره لرجاء الخلاص من رحمة الله/١٢وجيز.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بينا وكررنا **﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾**: الواضح المبين، **﴿لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾**: يحتاجون إليه، **﴿وَكَانَ الإنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾**: يتأتى منه الجدل **﴿جَدَلًا[1] ﴾**: خصومة ومعارضة للحق بالباطل إلا من عصمه الله ونصبه بالتمييز **﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾** من **﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾**: الرسول والقرآن **﴿وَيَسْتَغْفِرُوا[2] رَبَّهُمْ﴾**

---

(١) والظاهر العموم، فإن هذا النوع أكثر شيء يتأتى منه الجدل ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- طرقه وفاطمة ليلا فقال: ألا تصليان فقلت: يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئًا ثم سمعته يضرب فخذه ويقول: "كان الإنسان أكثر شيء جدلا"/ ١٢فتح.

(٢) كما قال: "فإذا هو خصيم مبين" (يس:٧٧)، لا يذعن للأدلة اليقينية والأمثال الواضحة/١٢.

عطف على يؤمنوا أي: من أن يستغفروا ﴿**إلا أن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأوَّلِينَ**﴾ أي: إلا تقدير أن يأتيهم عذاب الاستئصال فإنه تعالى قدَّر عليهم العذاب فذلك هو المانع من إيمانهم، أو إلا طلب أن يأتيهم العذاب الموعود وأخذهم عن آخرهم كما قالوا: "فأسقط علينا كسفًا من السماء.." الآية (الشعراء:١٨٧)، "اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر" الآية (الأنفال:٣٢). أو إلا انتظار أن تأتيهم كما يقال لمن حان له الرواح عن مترله وهو غير رائح: ما تنتظر إلا الهلاك ﴿**أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلا**[1]﴾ عيانًا وهو بضم القاف والباء لغة في قِبَلا بكسر القاف وفتح الباء أو جمع قبيل بمعنى أنواع ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إلا مُبَشِّرِينَ**﴾: للمؤمنين، ﴿**وَمُنْذِرِينَ**﴾: للكافرين، ﴿**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ**﴾ كما قالوا: "أبعث الله بشرا رسولا" (الإسراء:٩٤)، "ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" (الزخرف:٣١)، وأمثال ذلك ﴿**لِيُدْحِضُوا**﴾: ليزيلوا، ﴿**بِهِ**﴾: الجدال، ﴿**الْحَقَّ**﴾ الذي جاءهم عن مقره ويبطلوه ﴿**وَاتَّخَذُوا آيَاتِي**﴾ الحجج والبراهين ﴿**وَمَا أُنْذِرُوا**﴾ أي: ما أنذروه من العقاب أو ما مصدرية أي: إنذارهم ﴿**هُزُوًا**﴾ استهزاء ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ**﴾: بالقرآن، ﴿**فَأَعْرَضَ عَنْهَا**﴾ تركها و لم يؤمن بها و لم يتفكر فيها ﴿**وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**﴾: ما سلف من معاصيه، ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**﴾: أغطية وغشاوة تعليل للإعراض والنسيان ﴿**أَنْ يَفْقَهُوهُ**﴾ أي: كراهة أن يفهموه، ولما كان المراد بالآيات القرآن ذكر الضمير وأفرده ﴿**وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾: صممًا وثقلا معنويًا عن استماع الحق حق استماعه ﴿**وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ إذاً جواب وجزاء كأن قوله: "إنا جعلنا على قلوبهم أكنة" في معنى لا تدعهم ثم نزل حرصه عليه الصلاة

---

(١) وفيه إشارة إلى أن جبلة قريش كجبلة عاد وثمود وليس الجدال وعدم قبول الحق من خواصهم/١٢وجيز.

والسلام على إيمانهم منزلة قوله مالي لا أدعوهم فأجيب بقوله وإن تدعهم إلى الآخر ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ﴾: البليغ المغفرة، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾: من الذنوب، ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾: في الدنيا، ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ هو يوم القيامة وقيل: بدر ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ﴾: من دون الله في ذلك الموعد، ﴿مَوْئِلًا﴾: منجا، وقيل: لن يجدوا من دون ذلك الموعد ومن عنده منجا ومهربا ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ أي: أصحابها أي قرى عادٍ وثمود وأضرابهم مرفوع بالمبتدأ و قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ خبره أو منصوب بشريطة التفسير ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بأن كفروا وعاندوا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾: لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾: وقتًا معينًا لا يزيد ولا ينقص فكذلك أنتم يا قريش احذروا أن يصيبكم ما أصابهم فقد ظلمتم مثل ما ظلموا، بل أشد ومن قرأ المهلك بكسر اللام أي: وقت هلاكهم أو مصدر كالمرجع والمحيص.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَ[1]**﴾** أي: واذكر إذ قال **﴿مُوسَى لِفَتَاهُ﴾**: يوشع بن نون كان يخدمه: **﴿لا أَبْرَحُ﴾** حذف خبره للقرينة أي: لا أزال أسير **﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾**: ملتقى بحرى فارس والروم مما يلي المشرق فإن فيه موعد لقاء الخضر **﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾**: أو أسير دهرًا أو عن بعضهم هو ثمانون أو سبعون سنة، أي: حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضى الحقب قيل: أو بمعنى إلا أن أى: إلا أن أمضي حقبا من الدهر فأتيقن معه فوات المجمع وقصته أن كليم الله قام خطيبًا في بني إسرائيل فَسُئِلَ أيٌّ: الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم[2] إلى الله فأوحى الله إليه أن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك فقال: يا رب كيف لي به؟ قال: خذ حوتًا فحيث ما فقدته فهو ثَمَّه **﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾** أي: البحرين ظرف أضيف إليه على الاتساع كشهادة بينكم أو بمعنى الوصل **﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾** نسي موسى أن يطلبه ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته، أو نسيا تفقده **﴿فَاتَّخَذَ﴾**: الحوت، **﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾**: مسلكًا وهو مفعول ثان لاتخذ أي: أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه[3] وقد

---

(١) ولما علّم اليهود قريشا أن يسألوا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من ثلاثة أشياء امتحانًا عن نبوته فسألوا أولا عن أصحاب الكهف وأجاب بما أجاب، وأعقبه بضرب أمثال ونصائح شرع في حكاية موسى بن عمران نبي الله، الدال على أن النبي لا يجب أن يعلم جميع الوقائع فلو لم يجب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أسئلتهم لا يلزم منه أن لا يكون نبيا، فقال: "وإذ قال موسى لفتاه" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) كما وقع من نبينا -صلى الله عليه وسلم- أنه جزم بأن يجيبهم غدًا فتأخر الوحي مدة وفرح الأعداء السائلون شامتين/١٢وجيز.

(٣) كذا في الحديث الصحيح/ ١٢وجيز.[أخرج القصة بطولها البخاري في "التفسير"، باب: ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما، فاتخذ سبيله في البحر سربا﴾، (٤٧٢٦)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "الفضائل" باب: من فضائل الخضر (٥/ ٢٣٠-٢٣٥ ط الشعب.]

نقل أنه حوت مملوح في مكتل وكان في ذاك(*) المجمع نهر ماء الحياة، فوصل إلى الحوت قطرة منه فحيي(**) ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: مجمع البحرين ﴿قَالَ لِفَتَاهُ﴾: يوشع[1]، ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾: ما نتغدى به ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾: تعبًا[2] ولم يتعب موسى في سفر غيره فلهذا قيده باسم الإشارة، وعن بعضهم ما تعب إلا بعد مجاوزة المجمع ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾: ما دهاني[3] ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾: التي في الموضع الموعود ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ﴾ أي: ذكره ﴿إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدل من الضمير[4] ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ أي: سبيلا عجبًا، وهو كالأول ثاني مفعولي اتخذ وقيل: تقديره أعجب عجبًا، قاله يوشع في آخر كلامه تعجبًا ﴿قَالَ﴾: موسى، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: أمر الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: نطلبه فإنه أمارة الظفر بالطلبة[5] ﴿فَارْتَدَّا﴾: رجعا، ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾: طريقها الذي جاء فيه ﴿قَصَصًا﴾: يقصان قصصًا أو حال بمعنى مقتصين ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هو خضر وكان مسجى بثوب فسلم موسى عليه فقال: وأنى بأرضك السلم ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ علم الباطن إلهامًا من رحمتنا. قال البغوي وغيره: أكثر أهل العلم على أنه ما كان نبيًا بل

(*) في النسخة (ن): ذلك.

(**) في النسخة (ن): فنجى.

(١) وإنما سمى فتى موسى لأنه كان ملازمًا له يأخذ عنه العلم ويخدمه ويتبعه وهذا وجه إضافته لموسى/ ١٢فتح.

(٢) قيل: سارا بعد الصخرة يومًا وليلة وألقى عليه التعب بعد أن جاوز الموعد/ ١٢ وجيز.

(٣) دهاك: أصابك/ ١٢.

(٤) في أنسانيه/ ١٢.

(٥) من لقاء العبد الصالح/١٢.

كان[1] وليًا[*] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ مما يختص بنا لا يحصل بالكسب ﴿عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ بعد أن قال له الخضر: من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال نعم. ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ أصاحبك ﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾ حال من مفعول أتبع ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ مفعول تعلمن ومفعول علمت ضمير محذوف عائد إلى ما والصيغتان من علم الذي بمعنى عرف ﴿رُشْدًا﴾ أي: علمًا ذا رشدٍ فحذف المضاف أو مفعول له لأتبعك ولا نقص أن يكون نبي يتعلم من غيره في غير أصول الدين وفروعه فإنه لابد أن يكون أعلم أهل زمانه فيهما لا في غيرهما وقد نقل أنه قال الخضر: كفاك بالتوراة علمًا. فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا فجئتك ﴿قَالَ﴾:الخضر ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ لما ترى من الأفعال التي تخالف شريعتك ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ أي: وكيف تصبر وأنت نبي على أمور لم يحط ببواطنها خُبْرُك وظواهرها مناكير، فنصب خبرًا على التمييز أو مصدر؛ لأن "لم تحط" بمعنى لم تخبر ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ

---

(١) في الوجيز: والأصح أنه ولي من أولياء الله باق إلى الآن، وفي المنهية قيل: ملك وقيل: نبي وأما كونه باقيًا إلى الآن، فالنووي وابن الصلاح على ترجيح القول بالبقاء وآثار السلف وواقعات الأولياء تدلان عليه/١٢.

(*) كذا نقل، وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح"، (٦/٥٠٠): "حكى ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي، ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟ ونقل عن القرطبي قوله: هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء. اهـ. والآية التي أشار إليها في كلامه هي قول الخضر لموسى: "وما فعلته عن أمري" وبها استدل على نبوته. وانظر تفسير القرطبي (٥/٤٠١)، وابن كثير (٣/١٠٠). وقال أبو جعفر ابن المناوي بعدما قرر أن الخضر نبي: أو عقدة تحل من عقد زندقة الصوفية هو أن يكون الخضر نبيا، إذا إنهم يثبتون له بالولاية ويستدلون بذلك أن الولي أرفع درجة من النبي!! فانتبه.

شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾: معك، ﴿ولا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ عطف على صابرا أي: غير عاص أو عطف[1] على ستجدني ﴿قَالَ فَإِن اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾: لا تفاتحني بالسؤال عَمَّا صدر عني ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: حتى أكون أنا الفاتح عليك .

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

---

(١) فلا يكون مقيدا بالمشيئة لفظًا ولهذا قيل: قيد الصبر بالمشيئة فصبر، وأطلق عصيانه فعصاه، حيث قال: لا تسألني فسأل وفيه شبهة فانظر إلى قوله: "ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا"١٢/ وجيز.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿**فَانْطَلَقَا**﴾: على الساحل يطلبان سفينة ﴿**حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا**﴾: عرف أهل السفينة الخضر وحملوهما بغير نول، فأخذ الخضر قدومًا وقلع من ألواح السفينة لوحًا[1] ﴿**قَالَ**﴾: موسى، ﴿**أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ**﴾ قيل: اللام لام العاقبة لا لام التعليل ﴿**أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾: عظيمًا من أَمِرَ الأَمْرُ إذا عظم ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ**﴾: له موسى: ﴿**لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ**﴾، ما يحتمل الموصولية والمصدرية يعني نسيت وصيتك ولا مؤاخذة على الناسي، وفي الحديث الصحيح[*] كانت الأولى من موسى نسيانا[2] ﴿**وَلا تُرْهِقْنِي**﴾: لا تغشني، ﴿**مِنْ أَمْرِي عُسْرًا**﴾: بالمؤاخذة على المنسي وعسرا ثاني مفعوليه يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه ﴿**فَانْطَلَقَا**﴾ بعدما خرجا من السفينة ﴿**حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا**﴾: يلعب مع الغلمان، وكان أحسنهم ﴿**فَقَتَلَهُ**﴾: الخضر بأن أخذ رأسه فاقتلعه، أو ذبحه أو ضرب رأسه بحجر ﴿**قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً**﴾: طاهرة من الذنوب فإنه صغير[3] ﴿**بِغَيْرِ نَفْسٍ**﴾ أي: لم

---

(١) هكذا منقول في البخاري عن سعيد بن جبير/١٢منه.[البخاري (٤٧٢٥) وقد تقدم قريبا]

(*) سبق تخريج الحديث.

(٢) فالمعاني الأخر في معنى النسيان باطل كقول من قال: إنه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه وكذا ما قيل المراد بالنسيان الترك/١٢كذا في المنهية والوجيز.

(٣) حكى القرطبي أنه عليه السلام لما قال للخضر هذا غضب الخضر واقتلع كتف الغلام الأيسر وقشر اللحم عنه فإذا في عظمه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدًا/ ١٢وجيز وما =

تقتل نفسًا وجب عليها القتل ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا[1] نُكْرًا﴾: منكرا لما كان هذا أقبح بحسب الظاهر بالغ في إنكاره ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾ زاد في هذه المرة لك زيادة لعتابه على رفض وصيته وقلة صبره ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ سؤال اعتراض وإنكار ﴿فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ﴾: وجدت، ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾: من قبلي ﴿عُذْرًا﴾: لما خالفتك مرارًا وفي الحديث: "رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر[2] العجب(*)"، ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية، وقيل أيلة ﴿اسْتَطْعَمَا[3] أَهْلَهَا﴾: سألاهم الطعام ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا[4] فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ استعار الإرادة للمداناة والمشارفة، كما استعير الهم والعزم لذلك، يقال: عزم السراج أن يطفأ إذا قرب،

= روى ابن أبي حاتم عن أبي العالية أن الخضر كان عبدًا لا تراه الأعين إلا من أراد الله أن يريه إياه، فلم يره من القوم إلا موسى، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين السفينة وبين قتل الغلام فمخالف للحديث الصحيح" "فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول" الحديث كذا في الفتح/١٢.

(١) قيل النكر: أقل من الإمر، فإن قتل نفس واحدة أهون من إغراق جمع قيل: أنكر من الأول؛ لأن الخرق يمكن سده والقتل لا يتدارك/ ١٢وجيز.

(٢) ذكره ابن جرير وصححه/١٢منه.[سبق تخريج الحديث]

(*) سبق تخريج الحديث.

(٣) أخطأ من استدل بهذه على جواز السؤال كقول بعض الأدباء الذين يسألون الناس:

فإن رددت فما في الرد منقصة   عليّ قد رد موسى قبل والخضر

وقد ثبت في السنة تحريم السؤال بما لا يمكن دفعه/١٢فتح.

(٤) وفي الحديث أنهما كانا يمشيان على مجالسهم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله سبحانه/١٢وجيز.

وانقض: إذا أسرع سقوطه، ﴿فَأَقَامَهُ﴾ قال: بيده فأقامه[1] أو هدمه فبناه ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ﴾: أن تأخذ جعلا ﴿لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ والتاء من تخذ أصل كتَبِعَ، وليس من الأخذ يعني: قد علمت أنا جياع حتى افتقرنا إلى المسألة، فما وجدنا مواسيًا فلو أخذت على عملك أجرًا ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ[2]﴾ إشارة إلى الفراق الموعود بقوله: لا تصاحبني كهذا أخي إشارة إلى الأخ، أو إشارة إلى السؤال الثالث أي: هذا الاعتراض سبب فراقنا، أو إشارة إلى الوقت أي: هذا وقت فراقنا، وإضافته إلى البين من إضافة المصدر إلى الظرف للاتساع ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ[3]﴾ قيل: فيه دليل على أن المسكين يطلق أيضًا على ما لا يملك شيئا يكفيه ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: أجعلها ذات عيب ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ أي: أمامهم ﴿مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾: صالحة جيدة ﴿غَصْبًا﴾ نصب بالحال أو بالمفعول له ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾: يغشيهما ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ يعني: يحملهما حبه على متابعته على الفساد والكفر، وفي الحديث: "الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا"[*] ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ

---

(١) قول ابن عباس/ ١٢.

(٢) في الحديث: "رحمة الله علينا وعلى موسى لو ثبت لقص الله علينا من خبره لكن قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني". أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي والحاكم وصححه/١٢فتح.[وقال الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣٣٧١): صحيح دون قوله "لكن قال..."]

(٣) والظاهر أنه المراد من المساكين هاهنا هو المسكين في قوله عليه الصلاة والسلام: "اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين/ ١٢ منه.[صححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (١٢٦١)]

(*) جزء من حديث موسى والخضر أخرجاه في الصحيحين، وقد سبق تخريجه، واللفظ هنا لمسلم (٥/٢٣٩) ط الشعب.

﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾: يرزقهما بدله ولدًا ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾: طهارة وتقوى ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: رحمة وعطفًا على والديه عن كثير من السلف: أبدلهما الله جارية فقيل: تزوجها نبي وولدت نبيا هدى الله به أمة من الأمم(*)، وعن ابن جريج لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بغلام مسلم، ونصب رحمًا وزكاة على التمييز ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: في تلك المدينة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ أي: مال وعن كثير من السلف(١) أنه لوح من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟! عجبا لمن آمن بالقدر كيف ينصب؟! عجبًا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب؟! عجبًا لمن أيقن بالحسنات كيف يعقل؟! عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن؟! لا إله إلا الله محمد رسول الله(●)وفي بعض الروايات: عجبًا لمن عرف النار كيف يضحك؟! وقيل: مكتوب في الجانب الآخر أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير فأجريته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه، وعن بعض السلف أنه كنز علم. قيل لا منافاة بين الأقوال؛ لأن اللوح الذهبي هو مال، وما كتب فيه كنز علم ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا(٢) صَالِحًا﴾كان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء وكان نساجًا، ويعلم منه أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا

(*) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (٨/٢٧٥).

(١) كابن عباس والحسن البصري وجعفر بن محمد وغيرهم لكن الروايات مختلفة في أن المكتوب هذا الذي نقلناه بتمامه أو بعضه بزيادة ونقصان/١٢منه.

(●) أخرج البزار هذا الأثر في مسنده من حديث أبي ذر مرفوعا بسند فيه مجهولان كما في المجمع للهيثمي (٧/٥٤).

(٢) والظاهر أن أباهما الذي ولدهما، لكن صرح جعفر بن محمد وغيره أن بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء/١٢وجيز.

﴿أَشُدَّهُمَا﴾: حلمهما وكمال رأيهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ ولو سقط الجدار لتلف الكنز ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ نصب على المفعول له، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ أي: ما رأيت ﴿عَنْ أَمْرِي﴾: رأيي واختياري، بل فعلته بأمر الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ[1]﴾ أي: تستطع حذف التاء تخفيفًا ﴿عَلَيْهِ صَبْرًا[2]﴾.

---

(١) ذكر في هنا تسطع بحذف التاء لأن الثاني كالفذلكة والتأكيد للأول فالتخفيف يناسبه، ولما فرغ عن قصة من طاف في الأرض لتحصيل العلم أعقبه بقصة من طاف في الأرض للجهاد، وهي من الأسئلة التي سألها قريش بتعليم اليهود امتحانًا لنبوته وتبكيتا له فقال: "ويسألونك عن ذي القرنين" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) وقد اختلف أهل العلم في حياة الخضر قال ابن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصلحاء والعامة منهم، وقال البخاري وطائفة من أهل الحديث: أنه مات قبل انقضاء مائة سنة من الهجرة، ونصره أبو بكر بن العربي بقوله -صلى الله عليه وسلم- في آخر حياته: "لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم" وله ألفاظ عند الشيخين وغيرهما عن جابر وابن عمر، وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حينئذ على وجه البحر وما أبرد هذا الجواب وأبعده عن الصواب. وأما اجتماعه مع النبي - صلى الله عليه وسلم- وتعزيته لأهل البيت وهم مجتمعون لغسله -صلى الله عليه وسلم- فقال لهم علي: هو الخضر، فقد ذكره ابن عبدالبر في التمهيد وقيل: اجتمع إلياس مع النبي - صلى الله عليه وسلم- وإذا جاز ذلك جاز بقاء الخضر، رواه ابن أبي الدنيا عن أنس وتعقبه الحافظ أبو الخطاب ابن دحية، وقال: لم يصح من طرقه شيء ولا يثبت اجتماعه مع أحد من الأنبياء إلا مع موسى كما قصه الله من خبره وجميع ما ورد في حياته لا يصح منه شيء باتفاق أهل النقل، وأما ما جاء من المشايخ فهو ما يتعجب منه كيف يجوز العاقل أن يلقى شيخا لا يعرفه فيقول له أنا فلان فيصدقه، وحديث التعزية المتقدم موضوع وفيه ابن محرز متروك وقال مسلم صاحب الصحيح: فلما رأيته كانت بعرة أحب إلي منه، وما روى عن أنس فموضوع أيضًا، وقد نقل تكذيبه عن أحمد ويحيى =

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ
فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ
ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ
إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ
يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ
ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ
وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ
وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ
يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ
قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟
أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ
رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ

وإسحاق وأبي زرعة وسياق المتن ظاهر النكارة وأنه من المجازفـات. انتـهى كلامـه
ملخصا/١٢ فتح.

لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ بعث قريش إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: سلوه عن رجل طاف في الأرض، وعن فتية لا يدرى ما صنعوا، وعن الروح. فنزلت سورة الكهف(*)، والمشهور أنه الإسكندر الرومي، وما يعلم من تاريخ الأرزقي وغيره أنه غيره، وهذا الرومي كان قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة ووزيره أرسطاطاليس الفيلسوف، وأما هذا الإسكندر فقد كان في زمن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وطاف بالبيت معه ووزيره الخضر ووجه تسميته أنه كان صفحتا رأسه من نحاس، وقد صح عن علي أنه قال: كان عبدًا ناصح الله فناصحه، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الأيمن فمات، فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الأيسر فمات فسمي ذا القرنين[١]، أو لأنه بلغ طرفي الدنيا من حيث تطلع قرنا الشمس وتغرب ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾: أيها السائلون، ﴿مِنْهُ﴾ من ذي القرنين ﴿ذِكْرًا[٢] إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ﴾: أمره، ﴿فِي الأَرْضِ﴾: بأن تصرف

(*) ذكره محمد بن إسحاق بسند فيه مجهول كما في تفسير ابن كثير، (٣/٧٢،٧٣). وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٨٠) إلى ابن جرير وابن إسحاق وابن المنذر وأبي نعيم والبيهقي كليهما في الدلائل.

(١) قال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك الروم والفارس، وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين والله أعلم بصحته/١٢منه.

(٢) يحتمل أن يراد من الذكر القرآن، ويحتمل أن يراد الخبر والحديث ولهذا الأمر مناسب؛ لأنه لما تأخر الوحي وفرح قريش شامتين ناسب أن يقال لهم لا تفرحوا فإني سأتلو عليكم ما يحزنكم ثم يأخذ بتفصيل الحكاية "إنا مكنا له" الآية/ ١٢ وجيز.

فيها كيف[1] شاء ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أراده، ﴿سَبَبًا[2]﴾ وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يوصله إلى المغرب ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: رأى الشمس[3] في منظره تغرب في عين ذات حمئة أي: طين أسود، ومن قرأ حامية، أي: حارة والجمع بين القراءتين أن تكون العين جامعة للوصفين ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾: عند تلك العين ﴿قَوْمًا﴾ أمة عظيمة من الأمم كفارًا ﴿قُلْنَا[4] يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾: بقتلهم وسبيهم ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: بإرشادهم وتعليمهم الشرائع أو بالمن والفداء؟ أو بأسرهم؛ فإنه إحسان في جنب القتل ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: بأن يصر على الكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾: بالقتل في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ﴾ إشارة إلى الحشر والبعث ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾: الله في الآخرة ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾: منكرًا لم يعهد مثله ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ أي: فله المثوبة الحسنى، وجزاءً تمييز أو حال أي: مجزيا بها أو تقديره يجزى بها جزاء ومن قرأ برفع جزاء أي فله أن يجازى المثوبة الحسنى وهي الجنة، أو جزاء فعلته الحسنى وهي أعماله الصالحة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا[5]﴾: لا نأمره بالصعب

---

(١) وفي الحديث الذين ملكوا الدنيا أربعة مؤمنان: سليمان، وذو القرنين، وكافران نمرود وبختنصر/ ١٢وجيز. وزاد في الفتح عن القرطبي: سيملكها من هذه الأمة خامس لقوله تعالى: "ليظهره على الدين كله" (التوبة:٣٣)، وهو المهدي/١٢.

(٢) وأصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على كل ما يتوصل إلى الغرض/ ١٢وجيز.

(٣) قلنا في منظره؛ لأن الشمس في السماء الرابع، فكيف تغيب في عين كذا؟! وهذا شأن من كل من انتهى إلى ساحل البحر المحيط يراها تغرب فيه/ ١٢منه.

(٤) ظاهره أنه وحي وقيل كلمه كفاحا كما كلم موسى، ويبعد أن يكون إلهاما/ ١٢وجيز.

(٥) لما ذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاءه لم يناسب أن يذكر جزاء بالفعل بل اقتصر على القول أدبًا مع الله، وإن كان يعلم أنه يحسن إليه قولا وفعلا/ ١٢وجيز.

الشاق، بل بالسهل المتيسر أي: ذا يسر ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: طريقًا إلى المشرق ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ أي: الموضع الذي تطلع عليه الشمس أولا، ومن قرأ بفتح اللام فهو بحذف مضاف أي: مكان طلوعها فإن المطلع مصدر ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا﴾: من دون الشمس ﴿سِتْرًا﴾ ليس لهم أبنية تكنهم فإن أرضهم لا تمسك الأبنية ولا أشجار تظلهم، فهم حين طلوع الشمس في أسراب[1] أو في ماء فإذا زالت خرجوا ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ أي: أمره كما وصفنا في رفعته أو أمره كأمره في أهل المغرب[2]، أو صفة قوم أي: تطلع على قوم مثل ذلك القبيل أي: أهل المغرب أو صفة: مصدر محذوف أي: بلغ مطلعها بلوغًا مثل بلوغه مغربها ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من أسبابه ﴿خُبْرًا﴾: علمًا؛ لأنا أعطيناه ذلك، فيه تكثير ما لديه كأنه بلغ مبلغًا لا يحيط به علم أحد إلا علم الله ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: طريقًا ثالثًا بين المشرق والمغرب وهو الشمال ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ أي: بين الجبلين المبني بينهما السد، وهما جبلان عاليان في أقصى الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج، والصحيح أنهم من أولاد آدم وبين هاهنا مفعول به، فإنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفًا ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ يعني لعجمهم وقلة فطانتهم لا يفهمون كلام أحد، ومن قرأ بضم الياء وكسر القاف أي: لا يفهمون السامع لغرابة لغتهم ﴿قَالُوا يَا ذَا[3] الْقَرْنَيْنِ﴾ عن بعض السلف أنه يعلم جميع الألسنة ﴿إِنَّ

---

(١) هكذا قال الحسين وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج/١٢منه.

(٢) يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم، وقيل كذلك صفة سترا أي: مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأشجار وغيرها/١٢منه.

(٣) هذا دليل على أنه معروف بهذا الاسم بين الخلق لا لما نقلناه، ولا يبعد صحة ما قيل كان في رأسه شبه القرنين والله أعلم/ ١٢وجيز.

﴿يَأْجُوجَ[1] وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ أي: في أرضنا بأنواع المفاسد ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جعلا نخرجه من أموالنا ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: فلا يمكن لهم الوصول إلينا ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾: من المال والملك ﴿خَيْرٌ﴾ من خراجكم لا حاجة بي إليه ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي: بأيديكم وقوتكم وآلات بنائكم لا بمالكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ حاجزًا حصينًا ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ[2]﴾ أي: قطعة، والزبرة: القطعة الكبيرة ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى﴾ أي: فجاءوا بها حتى إذا ساوى ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ الصدفان: جانبا الجبلين؛ لأنهما يتصادفان أي: يتقاربان أي: امتلأ بينهما من زبر الحديد ﴿قَالَ﴾: للعَمَلَة ﴿انْفُخُوا﴾ فإنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ﴾، الضمير للمنفوخ فيه ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار بالإحماء ﴿قَالَ آتُونِي﴾: قطرًا ﴿أُفْرِغْ[3] عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي: نحاسًا مذابًا على الحديد المحمي حتى التصق بعضُه ببعض، فحذف مفعول آتوني لدلالة الثاني[4] عليه ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ بحذف التاء ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: يعلوه لطوله وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾: من أسفله لشدته ﴿قَالَ﴾: ذوالقرنين، ﴿هَذَا﴾ أي: السد ﴿رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾: على عباده ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ[5] رَبِّي﴾ أي: وقت وعده بقيام الساعة أو بخروجهم ﴿جَعَلَهُ

---

(١) الصحيح أنهما قبيلتان من أولاد آدم قال السدي والضحاك: الترك شرذمة منهم/ ١٢وجيز.

(٢) استدعى مناولة قطع الحديد أي: أحضروا/ ١٢.

(٣) وفي كيفية إفراغ النحاس المذاب على الحديد المحمي الذي هو كالجبل في الطول إشكال بين لم يبينه أحد، ولا يمكن أن يحام حوله وعلمها عند الله سبحانه فلا يغفل/ ١٢وجيز.

(٤) فهو من باب التنازع/ ١٢.

(٥) في الصحيحين أنه عليه السلام استيقظ يومًا من نوم محمر وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق عقد تسعين/١٢منه.[البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٥/٧٢٩) ط الشعب.]

﴿دَكَّاءَ﴾ أي: أرضا مستوية ومن قرأ "دكا" بغير مد يكون مصدرًا بمعنى المفعـول أي: مدكًا مسوى بالأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا[1]﴾ كائنا البتة ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾أي: بعض يأجوج ومأجوج ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم فتح السد ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: يختلط بعضهم ببعض كموج الماء لكثرتهم، أو جعلنا بعض الخلق من الإنس والجن يوم قيام الساعة يختلط إنسهم بجنهم حيارى[2]﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: قرن ينفخ فيه إسرافيل لقيام الساعة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ : للحساب ﴿وَعَرَضْنَا﴾: أبرزنا وأظهرنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾: فعاينوها ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾: غشاوة، ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾ عن رؤية آياتي الدالة على توحيدي ﴿وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: لكلامي كأنهم أصمت مسامعهم بالكلية .

﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ

(١) ولما ذكر ذو القرنين وأن سده عند الوعد مدكوك بين تعالى بعض حال ذلك اليوم فقال: "وتركنا بعضهم يومئذ" الآية/ ١٢.

(٢) وهذا التفسير أليق/ ١٢وجيز.

مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

﴿أَفَحَسِبَ﴾ همزة الاستفهام للإنكار ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾: كالملائكة وعيسى أو الشياطين ﴿مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: معبودين وثاني مفعولي حسب محذوف للقرينة أي: ظنوا اتخاذهم معبودين نافعًا لهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ أي: مترلا أو ما يهيأ للضيف حين نزوله مما حضر، وفيه تنبيه على أن لهم وراءها عذابًا أشد ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز وجمعه لتنوع الأعمال ﴿الَّذِينَ ضَلَّ﴾ أي: هم الذين بطل وضاع ﴿سَعْيُهُمْ﴾ أو نصب على الذم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا[1]﴾: لاعتقادهم أهم على الحق ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: الدالة على توحيده ﴿وَلِقَائِهِ﴾: بالبعث ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بسبب كفرهم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾: ليس لهم خطر ولا مقدار ولا اعتبار عند الله ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿جَهَنَّمُ﴾ عطف بيان للخبر، أو هو خبر وجزاؤهم بدل من المبتدأ أو تقديره: الأمر ذلك والجملة مبينة له ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ ما مصدرية ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هي أوسط الجنة وأعلاها، ومنه تفجر الأنهار ﴿نُزُلًا﴾ فيه تفسيران كما مر ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا[2]﴾: تحولا إذ لا يتصورون

(١) وهذا ينادي بالويل على أهل البدع/ ١٢منه.

(٢) لما ذكر ما أعد للكافرين ذكر ما أعد للمؤمنين بقوله: "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات" الآية، ثم لما أتم الجواب عن مسائلهم التي سألوه رجاء عجزه -صلى الله عليه =

منزلا أطيب منها ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي: مـــاء البحـــر ﴿مِدَادًا لِكَلِمَاتِ[1]

= وسلم- عن الجواب وأعقبه ببعض أهوال القيامة التي أنكروها أشار إلى أنه عليه السلام مغترف من بحر لا ينفد فمن حام حول نقصه غرق في بحر لا ساحل له من الندم، فقال: "قل لو كان البحر" الآية/ ١٢وجيز.

(١) قوله تعالى: "قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي" الآية. فيه أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء وكما شاء وأن كلماته لا نهاية لها وقد قال الإمام أحمد رحمه الله وغيره من الأئمة: لم يزل الله متكلما إذا شاء وهو يتكلم بمشيئته وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء وهو مذهب سلف الأمة، وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام كالهشامية والكرامية، وأصحاب أبي معاذ التومني وزهير البائي، وطوائف غير هؤلاء يقولون: إن الكلام صفة ذات وفعل هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلامًا قائمًا بذاته وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم فكل حيٍّ وصف بالكلام كالملائكة والبشر والجن وغيرهم فكلامهم لابد أن يقوم بأنفسهم وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم، والكلام صفة كمال لا صفة نقص، ومن تكلم بمشيئته، أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق؟!! وأما الجهمية والمعتزلة فيقولون: ليس له كلام قائم بذاته بل كلامه مخلوق منفصل عنه، والكلابية يقولون: هو متكلم بكلام ليس له عليه قدرة ولا يكون بمشيئته، والأشعرية يقولون: إن الكلام معنى واحد لا يتبعض ولا يتعدد وكل هذه أقوال باطلة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة مبتدعَة مبنية على أصل واحد، وهو قولهم: إن الرب لا تقوم به الأمور الاختيارية فلا يقوم به كلام ولا فعل باختياره ومشيئته. وهو أصل باطل مخالف للنقل والعقل، والقرآن الكريم يدل على بطلانه في أكثر من مائة موضع، وأما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب، والصواب في هذا الباب وغيره مذهب سلف الأمة وأئمتها أنه سبحانه لم يزل متكلمًا إذا شاء وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته وأن كلماته لا نهاية لها وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى وإنما ناداه حين أتى لم يناده قبل ذلك وإن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد كما أن علمه لا يماثل علمهم، وقدرته لا تماثل قدرتهم، وأنه سبحانه بائن =

﴿رَبِّي﴾: لكلمات علمه وحكمته **﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾** أي: ماؤه **﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ[1] كَلِمَاتُ[2] رَبِّي﴾** فإن ماء البحر متناه وعلم الله غير متناه **﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾**: بمثل البحر الموجود **﴿مَدَدًا ﴾**: زيادة معونة؛ لأن المجموع أيضًا متناه نزلت حين قالت اليهود: إنا قد أوتينا الحكمة، وفي كتابك: ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا، ثم تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلا أو لما نزلت: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فترلت "قل لو كان البحر[*]" الآية **﴿قُلْ إِنَّمَا**

= عن مخلوقاته بذاته وصفاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته. وأن أقوال أهل التعطيل والاتحاد الذين عطلوا الذات أو الصفات أو الكلام أو الأفعال باطلة، وأقوال أهل الحلول الذين يقولون بالحلول في الذات أو الصفات باطلة كذا قاله شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية رحمه الله/١٢.

(١) قوله: قبل أن تنفد هو من باب إرخاء العنان وفهم العامة وإلا فالأصل أن يقال لنفد البحر و لم تنفد كلمات ربي/ ١٢وجيز.

(٢) والسلف يقولون: لم يزل متكلمًا إذا شاء، وكما شاء وقد قال تعالى "قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا" فكلمات الله تعالى لا نهاية لها وهذا تسلسل جائز في المستقبل فإن نعيم الجنة دائم لا نفاد له فما من شيء إلا وبعده شيء بلا نهاية/ ١٢شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام قدس الله روحه العزيز.

(*) أخرجه أحمد والترمذي (٣٣٤٩-أحوزي)، وصححه والنسائي وابن حبان والحاكم وأبو نعيم والبيهقي في دلائلها وغيرهم من حديث ابن عباس مرفوعا. وقال الحافظ في "الفتح"، (٢٥٣/٨): رجاله رجال مسلم، وهو عند ابن إسحاق من وجه آخر عن ابن عباس نحوه". وكذا صححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٣٠٩)، والذي في الصحيحين من حديث ابن مسعود أن اليهود لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن =

﴿أَنَا بَشَرٌ[1] مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ خصصت بالوحي وتميزت عنكم به[2] ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يخاف المصير إليه أو يأمل لقاء الله ورؤيته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ وهو ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ[3] رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي لا يرائي بعمله بل لابد أن يريد به وجه الله وحده لا شريك له.

والحمد لله رب العالمين أكمل الحمد وأتمه

= الروح أمسك فلم يرد عليهم شيئا. قال عبد الله: فعلمت أنه يوحى إليه. فقمت مقامي. فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ قال الحافظ في الموضع سالف الذكر محاولا الجمع بين هذا وحديث ابن عباس: "ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك، وإن ساغ هذا وإلا فما في الصحيح أصح".

(١) لا أدعى علم الغيب فيما أخبرتكم من قصة أصحاب الكهف وذي القرنين/ ١٢وجيز.

(٢) خصصت بالوحي وتميزت عنكم به فلولا أن الله أطلعني ما كنت أعرفه، وما أرسلني إليكم إلا لأن توحدوا الله/ ١٢وجيز.

(٣) وقد نقل في سبب نزولها حديث دال على أن ذلك في الشرك الأصغر أعني الرياء/١٢ وجيز.

سورة مريم مكية إلا آية السجدة

وهي ثمان أو تسع وتسعون آية وست ركوعات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾

﴿**كهيعص**[1]﴾ عن بعضهم معناه: الله كاف هاد يده فوق الأيدي عالم صادق.

---

(١) عن محمد بن الحنفية أنه قال -في جواب سائل سأل عن كهيعص: لو أخبرتك عن تفسيرها لمشيت على الماء /١٢وجيز كما وقع الخلاف في تفسير هذا وأمثاله بين الصحابة وقع بين من

=

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ خبر لكهيعص، إن كان اسما للسورة، وإلا فتقديره هذا المتلو ذكر رحمة ربك ﴿عَبْدَهُ﴾ مفعول رحمة ﴿زَكَرِيَّا[١] ﴾ بدل، أو عطف بيان ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ والإخفاء في الدعاء أبعد من الرياء[٢]، ولأن دعاءه جوف الليل عند نوم أهله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾: ضعف،﴿الْعَظْمُ مِنِّي﴾ أي: جنس العظم، والعظام التي هي قوام البدن إذا وهنت مع أنها أصلب ما فيه، فكيف بما وراءها؟! ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ شبه الشيب بلهب[٣] نار لا دخان فيه وانتشاره باشتعالها[٤]، وأسند إلى الرأس الذي هو مكان الشيب[٥] مبالغة، و لم يضف الرأس[٦] اكتفاء بعمل المخاطب وأخرج الشيب مميزًا الإيضاح المقصود ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ بل عادتك الاستجابة لي كلما دعوتك فأنت الذي أطمعتني[*] [٧] في قبول الدعاء﴿وَإِنِّي خِفْتُ

= بعدهم و لم يصح مرفوعًا في ذلك شيء ومن روى عنه من الصحابة في ذلك شيئًا فقد روي عن غيره ما يخالفه فلا يقوم شيء من ذلك حجة بل الحق الوقف/١٢فتح.

(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "كان زكريا نجارا" أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه/١٢فتح.[وقال الشيخ شاكر في "تعليقه على المسند" (٨٩٣٤): إسناده صحيح]

(٢) والإخفاء في الدعاء سنة الأنبياء "ادعوا ربكم تضرعا وخفية" (الأعراف:٥٥)، وفي الحديث: "إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا"١٢وجيز.[البخاري (٦٣٨٤) ومسلم (٥/ ٥٥٤) ط الشعب]

(٣) في بياضه وإنارته /١٢منه.

(٤) وأخرجه مخرج الاستعارة بطرح أداة التشبيه/١٢وجيز.

(٥) فإن الشيب في الشعر والرأس منبته/١٢منه.

(٦) حيث لم يقل رأسي اكتفاء باللام/١٢منه.

(*) في الأصل: أطعمتني والسياق يرجح ما ذكرنا.

(٧) روى أن حاتم الطائي أتاه طالب حاجة وقال أنا الذي أحسنت إلى رحمة كذا فقال حاتم مرحبا بالذي توسل بنا إلينا وقضى/١٢وجيز. في الأصل: أطعمتني والسياق يرجح ما ذكرنا.

﴿الْمَوَالِيَ﴾ بني عمه وعصبته خاف أن لا يحسنوا الخلافة ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ بعد موتي وهو متعلق بمحذوف أي خفت عملهم بعدي ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ : لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ : من محض فضلك فإني وامرأتي لا نصلح للولادة بحسب العادة ﴿وَلِيًّا﴾ : من صلبي[1] ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ : النبوة والعلم وكان زكريا من ذرية يعقوب وقد ثبت "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة"[2] ولولا أن المراد منه هذه الوراثة الخاصة لكانت تلك الصفة أي: يرثني زائدة لا فائدة فيها إذ الولد يرث أباه في كل[3] شرع ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ :مرضيا عندك وعند خلقك،

---

(١) كما صرح به في سورة آل عمران "رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء" (آل عمران:٣٨)/١٢وجيز.

(٢) في الصحيحين/١٢.[أخرجه البخاري في "الفرائض"،باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة، (٦٧٢٦،٦٧٢٧) وفي موضع آخر من صحيحه، ومسلم في "الجهاد"، باب: حكم الفيء، (١٧٥٧) بلفظ: "لا نورث ما تركنا صدقة" وأما اللفظ الذي ذكره المصيف قال عنه الحافظ في "الفتح"، (١٢/١٠): "وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ: نحن.....وذكره. فقد أنكره جماعة من الأئمة، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ "نحن"، لكن أخرجه النسائي من طريق ابن عيينة عنه، وهو كذلك في مسند الحميدي عن ابن عيينة وهو من أتقن أصحاب ابن عيينة فيه. وأورده الهيثم بن كليب في مسنده من حديث أبي بكر الصديق باللفظ المذكور، وأخرجه الطبراني في الأوسط بنحو اللفظ المذكور، وأخرجه الدارقطني في "العلل" من رواية أم هانئ عن فاطمة عليها السلام عن أبي بكر الصديق بلفظ:"إن الأنبياء لا يورثون".

(٣) والأكثرون على موت زكريا قبل يحيى فلا يلزم عدم استجابة دعائه، وقد قال الله في سورة الأنبياء "فاستجبنا له" (الأنبياء:٩٠)، فإن مقصوده من الولد الوراثة فلو لم تكن فالولد كلا ولد فكيف يقول الله تعالى "فاستجبنا له"/١٣وجيز.

﴿يَا زَكَرِيَّا﴾ ، جواب لندائه ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ : لم يسم أحدٌ قبله بهذا الاسم[1] أو معناه شبيها ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي﴾ : من أول عمرها ﴿عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ : يبسا في المفاصل والعظام كالعود اليابس يقال: عتا العود أي: يبس من أجل الكبر وأصله عتو استثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الأولى ياء ثم قلبت الثانية وأدغمت، وهذا تعجب منه عليه الصلاة والسلام واستغراب[2] ﴿قَالَ﴾ : الملك المبشر له،﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ﴾ أي اتخاذ الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ : يسير، ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا[3] ﴾ ، فإن خلق أصلك آدم وهو معدوم صرف أغرب ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ : علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ : لا تقدر على التكلم ﴿ثَلاثَ لَيَالٍ﴾ : يعني ثلاثة أيام ولياليها ﴿سَوِيًّا﴾ حال كونك سوى الخلق من غير خرس و بكم فإنه كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم[4] قومه إلا بإشارة ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ : من المصلى، أو من الغرفة ﴿فَأَوْحَى﴾: أشار وأومأ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ وعن بعضهم كتب لهم في الأرض ﴿أَنْ سَبِّحُوا﴾ أن مفسرة أو مصدرية ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ : طرفي النهار والمراد تنزيهه وتحميده أو الصلاة ﴿يَا يَحْيَى﴾ يعني لما وهبنا له قلنا: يا يحيى ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ : أي التوراة التي يحكم بها النبيون ﴿بِقُوَّةٍ﴾ : بجد وحرص ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ : الفهم والحكمة والنبوة

---

(١) قاله أكثر المفسرين/ ١٢فتح.

(٢) فلا يرد أنه عليه السلام طلب أولا فلما استجيب استبعد وأحال، قيل استعجب ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون إيقانا ويرتدع المبطلون/١٢منه.

(٣) في حيز العدم فظاهر هذا أن المعدوم ليس بشيء/١٢وجيز.

(٤) حين حملت زوجته/١٢وجيز.

﴿صَبِيًّا﴾[1] ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ : رحمة وتعطفا من عندنا، وقيل تعطفا منا على أبويه عطف على الحكم ﴿وَزَكَاةً﴾ : طهارة من المعاصي ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ ، وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام[2] ما أذنب ولا هم بذنب ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ ، عطف على تقيًّا أي: بارًّا بهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ عاقًّا أو عاصيا لربه ﴿وَسَلَامٌ﴾ : من الله ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أوحش ما يكون الخلق في تلك المواطن الثلاثة فخصه الله تعالى بالسلامة.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً

---

(١) وعن ابن عباس مرفوعًا قال الغلمان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب فقال: ما للعب خلقنا اذهبوا نصلى، فهو قول الله "وآتيناه الحكم صبيا" أخرجه الحاكم في تاريخه، وعنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتى الحكم صبيا" أخرجه البيهقي وأخرجه ابن أبي حاتم موقوفا عليه/١٢فتح.

(٢) ذكره الإمام أحمد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لكن ضعفه المحدثون وذكره قتادة مرسلا/ ١٢منه ووجيز.[يقصد قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد (٢٥٤/١) من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أوهم بخطيئة ليس يحي بن زكريا" وهذا ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان له منكرات كثيرة كما قال الحافظ ابن كثير في "التفسير" (١١٥/٣).]

مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾
فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ
نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا
﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي
وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ
أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ
شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا
﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي
عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ
وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي
جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾
ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ
مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي
وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ
فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ
لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ
وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا
يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ۚ

﴿وَاذْكُرْ[1] فِي الْكِتَابِ﴾ : أي القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ أي: قصتها ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ اعتزلت، بدل اشتمال من مريم أو ظرف لقصتها المقدرة ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: شرقي مسجد الأقصى لحيض أصابها، أو لفراغها للعبادة وهو ظرف أو مفعول فإن انتبذت متضمن معنى أتت ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أي: استترت منهم وتوارت قيل استترت في مقابل شروق الشمس للاغتسال عن الحيض ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ : جبريل[2] ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا[3]﴾ أي: على شكل إنسان تام كامل ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾ : يا أيها البشر ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ تتقي الله، وجواب الشرط محذوف أي: فستنتهي مني بتعوذي، أو فلا تتعرض لي، قيل هو للمبالغة أي: إن كنت تقيًّا فأعوذ منك، فكيف إذا لم تكن تقيًّا متورعًا؟! ﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ : لم تصابي مني بسوء، قاله وهو كان في صورة بشر أو عاد إلى هيئته[4]

---

(١) ولما ذكر قصة زكريا مع ما فيها من الغرابة أعقب بما هو أغرب فقال "واذكر في الكتاب مريم" الآية/١٣وجيز.

(٢) سماه روحنا لأن حياة الدين به قيل هو مجاز عن كمال المحبة، كما يقال أنت روحي/١٢وجيز.

(٣) وما قيل قائله البيضاوي إن ذلك التمثل ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها ففيه نظر لقوله تعالى: ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك﴾ فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما إليه فضلا عما ذكر من الحالة المرتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلاءها وصبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه/١٢أبو السعود ملخصا.

(٤) وفي الوجيز وأما أنها لما ذكرت الرحمن ارتعد جبريل فزعا وعاد إلى صورته الأصلية وقال أنا رسول ربك فضعيف؛ لأن رؤية جبريل في صورته خاصة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رآه مرتين لم يكن لأحدٍ قبله/١٢وجيز.

الملكية ﴿لأهَبَ لَكِ غُلامًا﴾ : لأكون سببا في هبته، ﴿زَكِيًّا﴾ : طاهرا، ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي﴾ : لم يباشرني ﴿بَشَرٌ﴾ : من الحلال ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: لست بزانية، وهو فعول قلبت الواو وأدغمت ثم كسرت الغين للمناسبة ﴿قَالَ كَذَلِكِ﴾ أي: الأمر كذلك صدقها فيما قالت، ثم ابتدأ وجاز أن يتعلق كذلك "بقال ربك" وقوله "هو علي هين" مفسر ذلك المبهم ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ﴾ أي: وهب غلام من غير أب ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ﴾ ، تقديره: ونفعل ذلك لنجعله أو لنبين قدرتنا ولنجعله ﴿آيَةً لِلنَّاسِ﴾ : على كمال قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ : على عبادنا لأنه يهديهم[1] ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ : في علم الله الأزلي الذي لا يتغير ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ بأن نفخ في جيبها[2]، فترلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت ومدة حمله تسعة أشهر أو ثمانية[3]، ولهذا لا يعيش ولد لثمانية فيكون آية أخرى أو ساعة ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ أي اعتزلت حال كونها متلبسة بالحمل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيدا عن الخلق لخوف التهمة عنهم ﴿فَأَجَاءهَا﴾ ألجأها: واضطرها ﴿الْمَخَاضُ﴾ : وجع الولادة ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: لتعتمد عليه عند الولادة، والتعريف إما للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثم غيرها متعا لم عند الناس،﴿قَالَتْ﴾ : استحياء[4] من الناس ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ الأمر ﴿وَكُنْتُ نَسْيًا﴾ ما من حقه أن يطرح وينسى كالذبح اسم لما من شأنه أن يذبح وبفتح النون

---

(١) هداهم في فترة ثم يترل زمان قيام الساعة ويقتل الدجال ويؤيد دين المصطفى -صلى الله عليهما وسلم/ ١٢وجيز.

(٢) وظاهر قول الله فنفخنا فيه من روحنا أن النافخ هو الله سبحانه/١٢وجيز.

(٣) وقيل ساعة وهذا التفصيل لا دليل عليه إلا إخبار الأحبار أو آراء الرجال ولو صح من نص صحيح لوجب المصير إليه وكان آية أخرى/١٢فتح البيان.

(٤) ولشدة الوجع ولانفرادها عمن يعينها/١٣وجيز.

لغة فيه﴿مَنْسِيًّا﴾ : بحيث لا يخطر ببال أحد،﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ فاعل نادى ضمير جبريل، قيل هو كالقابلة لها أو المراد أسفل من مكانها أي: آخر الوادي أو ضمير عيسى قيل أي: من تحت النخلة﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ أن مصدرية أي: بأن أو بمعنى أي ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ نهرًا أو سيدًا أو هو عيسى من السرو ﴿وَهُزِّي﴾ أميلي، ﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ الباء زائدة للتأكيد أو بمعنى افعلي الهز به ﴿تُسَاقِطْ﴾ تتساقط النخلة ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا﴾ تمييز إن كان تساقط من باب التفاعل ومفعول إن كان من المفاعلة ﴿جَنِيًّا﴾ : غضا وكانت تلك النخلة يابسة، فأورقت[1] لتكون آية أخرى تطمئن بها قلبها أو مثمرة لكن لم تكن في حين ثمرها،﴿فَكُلِي﴾ : من الرطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ : من النهر أو عصير الرطب ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ : طيبي نفسك وهو من القرأى: البرودة فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة، أو من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره،﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ : فإن تري ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ : صمتا وكان شريعتهم ترك الطعام والكلام في الصيام ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ : بعد أن أخبرتكم بنذري بل لا أكلم إلا ملائكة الله وأناجي ربي، أو كان الإخبار بالنذر أيضًا بالإشارة، وعن بعضهم لما قال عيسى لأمه: لا تحزني، قالت: كيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج، ولا مملوكة! فأي شيء عذري يا ليتني مت قبل هذا، قال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام قولي إني نذرت للرحمن صوما ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ ، الباء للتعدية، والضمير للولد ﴿قَوْمَهَا﴾، مفعوله الثاني ﴿تَحْمِلُهُ﴾ حال ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ[2] لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ : منكرًا عظيما ﴿يَا

---

(١) قاله ابن عباس/١٢وجيز.

(٢) اختلف الناس في نبوة مريم فقيل إنها نبية لإرسال الملك إليها وقيل لا والمتفق عليه أن المنفي وهي الرسالة لا مطلق الوحي والوحي هنا ببشارة الولد لا بالرسالة/١٢فتح.

أُخْتَ[١] **﴿هَارُونَ﴾** أي: شبيهه في الزهد والتقوى أو كانت من نسله كما يقال للتميمي والمضري يا أخا تميم، ويا أخا مضر، أو نسبت إلى رجل صالح فيهم اسمه هارون[*]، أو رجل فاجر فيهم يقال له هارون[٢] **﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾**[٣] : زانية حتى نقول إنك تابعت في تلك الفاحشة أحد أبويك **﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾** : إلى عيسى أن كلموه **﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾** كان تامة وصبيا حال أو زائدة والظرف صلة من **﴿قَالَ﴾** عيسى: **﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾** أقر أولا بالعبودية[٤] **﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾** : الإنجيل جعل ما يأتي بعد في حكم الآتي، أو أنه درس الإنجيل وأحكمها في بطن أمه وقيل: المراد علمني التوراة **﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾** : في

---

(١) أخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أهل نجران فقالوا أرأيت ما تقرءون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحون قبلهم" وهذا التفسير النبوي يغني عن سائر ما روي عن السلف في ذلك قاله في الفتح/١٢.

(*) وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية بنحو هذا وذلك فيما أخرجه مسلم في "الآداب"، (٨٤٦/٤) من حديث المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرءون: "يا أخت هارون" وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال: إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين فيهم".

(٢) حكاه ابن جرير ولم يسم قائله، وهو ضعيف/١٢فتح.

(٣) قيل: لما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صلاح بكوا وقالوا ذلك وهموا برجمها فأشارت إليه الآية/١٢وجيز.

(٤) ردًا لوهم ما سيقوله النصارى في شأنه/١٢وجيز.

سابق علمه أو هو نبي حينئذ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا[(١)]﴾ : معلما للخير ﴿أَيْنَمَا كُنْتُ﴾ : حيث كنت ﴿وَأَوْصَانِي﴾ : أمرني ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ[(٢)]﴾ : زكاة المال، أو تطهير النفس ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا﴾ عطف على مباركًا أي: بارًا أو منصوب بفعل بمعنى أوصاني وهو كلفني،﴿بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا[(٣)]﴾ : مستكبرا عن عبادة الله وبر والدتي ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ : فلا ينالني شيطان[(٤)]،﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ فأنجاني من سوء الخاتمة ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ : فليس لي هول ﴿ذَلِكَ﴾ : الذي وصفنله هو ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ : لا ما تصفه النصارى ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ أي: هو قول الحق الذي لا ريب فيه، فالإضافة بيانية أو الحق هو الله تعالى أو خبر ثاني لذلك، ومن قرأ بنصب قول جعله مصدرا مؤكدا ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ فبعضهم يقولون إنه لزنية[(٥)] ساحر وبعضهم إنه ابن الله ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ تكذيب للنصارى وتنزيه لجناب قدسه ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فلا يناسبه خلقه ولا يحتاج إلى ولد يعضده ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ عطف على إني عبد الله وهو من مقول عيسى ومن قرأ أن بالفتح فتقديره ولأن أو عطف على

---

(١) نفاعا ولما جرت العادة أن العوام يتشاءمون من شيء يقع على خلاف مجرى العادة قال "جعلني مباركًا"/١٢وجيز.

(٢) الظاهر أن يحمل الصلاة والزكاة على ما شرع من شريعتهم في البدن والمال/١٢ وجيز.

(٣) وكان عليه الصلاة والسلام في نهاية التواضع يلبس الشعر، ويأكل الشجر ويجلس على التراب، وينام حيث جنه الليل لا مسكن له/١٢وجيز.

(٤) كما ورد في الحديث/١٢ وجيز.

(٥) زنية حرام زاده نقيض رشدة بمعنى حلال زاده /١٢كذا في الصراح.

الصلاة ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ : طريق مشهود له بالاستقامة ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ﴾: أهل الكتاب، أو النصارى فإن فيهم ثلاث فرق ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ من بين الناس، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من شهود هول يوم عظيم، أي: يوم القيامة أو من وقت الشهود، أو مكان الشهود فيه وهو الموقف﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي: ما أسمعَهم وأبصرَهم في ذلك اليوم لكن لا ينفعهم سمعهم حينئذ ولا بصرهم وحاصله أن كمال بصارتهم واستماعهم في ذلك اليوم جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ أوقع المظهر موقع المضمر لأن يسميهم ظالما ﴿الْيَوْمَ﴾ : في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فيقولون إنه ابن الله، أو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ يتحسر المسيء على الإساءة، والمحسن على قلة الإحسان﴿إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ : فرغ من الحساب، وذبح الموت بدل من اليوم أو ظرف للحسرة﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أنذرهم حال كونهم غافلين عن غير مؤمنين﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ : يبقى له الملكية وتزول الملكية غيره ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ للجزاء .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿وَاذْكُرْ[1] فِي الْكِتَابِ﴾: لهؤلاء الذين هم من ذرية إبراهيم، ويدّعون أنهم على ملته **﴿إِبْرَاهِيمَ﴾** : كيف نهى أباه عن عبادة الأصنام **﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾** : ملازما للصدق بليغا فيه **﴿نَبِيًّا إِذْ قَالَ﴾** بدل من إبراهيم **﴿لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ﴾** دعائك **﴿وَلا يُبْصِرُ﴾** عبادتك **﴿وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا[2]﴾** : من المكاره **﴿يَا أَبَتِ﴾**

---

(١) ولما ذكر قصة مريم وزكريا أتبعه قصة إبراهيم لمناسبة، ولتذكير العرب الذين يدعون أنهم على ملته، وهم يعبدون الأصنام فقال: "واذكر في الكتاب إبراهيم"/١٢وجيز.

(٢) في جلب نفع ودفع ضرر دعاه إلى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب، حيث لم يصرح بضلاله طلب العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون إليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام؛ وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقدرا على النفع والضرر، ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وإن كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد المقدرة الواجبة فكيف إذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر؟! ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محفوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي، فقال: "يا أبت إني قد جاءني" الآية، و لم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق، بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق، ثم ثبط عما كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان؛ لأنه الآمر به فقال: "يا أبت لا تعبد الشيطان" إلخ وبين وجه الضر بأنه مستعصٍ على ربك المولى للنعم كلها ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص

=

كرره للاستعطاف ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ : وإن كنت من صلبك أصغر منك سنا ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ : مستقيما ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ : ومطاوع العاصي عاص ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ﴾ يصيبك ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ : على شركك وعصيانك ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ : قريبا مصاحبا لمن هو أعدا عدوك وأبغض الخلق إلى الله وذكر الخوف ونكر العذاب لحسن الأدب حيث لم يصرح بأن العذاب لاحق به ﴿قَالَ﴾ : أبوه ﴿أَرَاغِبٌ[1] أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ، قابل استعطافه بالغلظة حيث سماه باسمه و لم يقل يا ولدي وأخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره همزة الإنكار، ثم أوعده بأقبح وعيد فقال: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾: عن مقالتك أو عن الرغبة عنها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ : بلساني أي أشتمك جزاء سبك آلهتي، وقيل بالحجارة حتى تموت ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ ، عطف على مقدر أي: فاحذرني واهجرني ﴿مَلِيًّا[2]﴾ زمانا[3] طويلا

= وكل عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره إليه فقال: "يا أبت إني أخاف أن يمسك" الآية/١٢ بيضاوي.

(١) والأولى أن نقول: راغب مبتدع لاعتماده على أداة الاستفهام، وأنت فاعل ساد مسد الخبر فلا يكون فصل بين العامل وهو راغب ومعموله وهو عن آلهتي بأجنبي وهو أنت/ ١٢وجيز.

(٢) ومنه الملوان أي الليل والنهار تقديره احذرني حتى لأرجمنك واهجرني مدة مديدة و هذا التقدير في غاية المناسبة لفظا ومعنى مع أن عطف الإنشائية على الخبرية جائز عند سيبويه فيجوز عطف واهجرني على جملة لئن لم تنته فيكون كلاهما من مقبول أبيه/١٢وجيز.

(٣) هذا قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم، والثاني للسدي والضحاك وقتادة ومالك وغيرهم، واختاره ابن جرير يعني مليا قادرا بالذهاب عني يقال مليء بكذا إذا كان مطيقا له/١٣منه.

أو سويا سالما قبل أن يصيبك مني مكروه﴿قَالَ﴾ : إبراهيم ﴿سَلامٌ[1] عَلَيْكَ﴾ : سلمت بعد مني لا أقول لك ما يؤذيك وهذا جواب الجاهل "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" (الفرقان:٦٣)، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ رجاء أن يوفقك للتوبة[2]، فتؤمن أو كان يستغفر له أولا ثم رجع عنه كما قال تعالى: "فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه" (التوبة:١١٤)، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ بليغا في البر واللطف ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ[3] وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ : أفارقكم وأفارق دينكم ﴿وَأَدْعُو رَبِّي﴾: أعبده وحده ﴿عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ كما شقيتم أنتم بعبادة آلهتكم فضاع سعيكم صدره بعسى تنبيها على أن الإجابة فضل غير واجب والحكم على الخاتمة وهي غيب ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فهاجر إلى الشام ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ : بدل والده وقومه ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ : ابنه إسحق وابن ابنه يعقوب أي جعلنا له نسلا وعقبا أنبياء، ولذلك قال: ﴿وَكُلا﴾ : منهما ﴿جَعَلْنَا﴾ أي: جعلناه ﴿نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ ، وهي النبوة والمال والرفعة وغيرها ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الثناء الحسن، فإن جميع الملل يثنون عليهم ويمدحونهم وعبر باللسان عما يوجد به كما تطلق اليد على العطية وأضاف بالصدق دلالة على أنهم أحقاء بتلك الثناء ووصف بالعلو إشعارا على أن لمحامدهم إعلاء في الأمصار على تباعد الأعصار.

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ

---

(١) هذا سلام متاركة كما ورد/١٢وجيز.

(٢) وقضاء لحق الأبوة/١٢وجيز.

(٣) ثم امتثله وهاجر عنه إلى الشام بعد أن قال: "وأعتزلكم" الآية /١٢.

هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام أي: أخلصه الله ونجاه وبكسر اللام أي خاليا عن الرياء أو مخلصا نفسه عما سواه **﴿وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾**: أرسله الله إلى عباده فأنبأهم عن أمره ونهيه **﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ﴾**: من ناحيته التي يلي يمين موسى، وقيل من اليمن لا من اليمين **﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾** من النجو وهو الارتفاع فإنه رفعه فوق السماوات حتى سمع صرير القلم، فهو حال من المفعول أو من النجوى أي مناجيا **﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾**: من أجل رحمتنا له **﴿أَخَاهُ﴾** أي: معاضدته **﴿هَارُونَ﴾** عطف بيان **﴿نَبِيًّا﴾** إجابة لدعوته "واجعل لي وزيرا

من أهلي" (طه:٢٩)، وهارون أكبر[١] سنا منه منصوب على الحال﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ قد نقل أنه أقام حولا في مكان ينتظر أحدًا لوعده و أيضا قال لأبيه "ستجدني إن شاء الله من الصابرين" (الصافات:١٠٢)، أي: على الذبح فوفى بوعده وفي الجملة هو مشتهر بهذه الجميلة ﴿وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا﴾، من قال: إن الرسول من يكون له شريعة مجددة والنبي أعم ففيه إشكال فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته ومن قال: الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يأتيه الوحي في المنام فلا إشكال ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ كما قال: "وأمر أهلك بالصلاة" (طه:١٣٢)، وقال سبحانه: "قوا أنفسكم وأهليكم نارا" (التحريم:٦)، وفي الحديث[٢] "إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات"﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ لحسن شيمه ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ : السماء الرابعة[٣] أو السادسة[٤]

---

(١) يعني لما كان هارون أكبر سنا من موسى فلا معنى لوهبه له إلا وهب معاضدته وموازرته كما صرح به ابن عباس/١٢منه.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه/١٢منه.[أخرجه أبو داود (١٣٠٩)، وابن ماجه (١٣٣٥) واللفظ له وغيرهما من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معا، وصحح سنده الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (١١٦١)، وصحيح ابن ماجه (١٠٩٨)، وصحيح الجامع (٣٣٣)].

(٣) قول أنس بن مالك يرفعه/١٢منه.

(٤) هذا قول ابن عباس والضحاك بن مزاحم وعن مجاهد أنه رفع و لم يمت كما رفع عيسى قيل المكان العلي النبوة، والزلفى عند الله هذا ما في المنهية وفي الفتح وقد روى البخاري في صحيحه من حديث الإسراء، وفيه ومنهم إدريس في الثانية وهو غلط من رواية شريك بن عبدالله بن أبي نمر والصحيح أنه في السماء الرابعة كما رواه مسلم في =

ومات فيها أو إلى الجنة[1] ﴿أُولَئِكَ﴾ : الأنبياء المذكورون في تلك السورة ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ : نعما ظاهرة وباطنة ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ ، بيان للموصول ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ بدل منه بإعادة الجار﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: ومن ذرية من حملنا مع نوح[2] من سفينته سوى إدريس فإنه جد نوح فهو من ذرية آدم وإبراهيم من ذرية من حمل مع نوح ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾ عطف على إبراهيم فموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية إسرائيل لا إسحاق وإسماعيل﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي هديناه إلى الحق ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ للنبوة ﴿إِذَا تُتْلَى﴾ ، ظرف لخروا وهو خبر لأولئك إذا جعلت الذين صفته وإن جعلته خبره فهو استئناف ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا﴾ : سقطوا ﴿سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَبُكِيًّا﴾ ، جمع باك ﴿فَخَلَفَ[3] مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ خلفه أي: عقبه وخلف بسكون اللام عَقِب السوء وبفتحها عقب الخير ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ[4]﴾ : تركوها أو أخروا عن وقتها ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ مالوا إلى زخارف

= صحيحه من حديث أنس بن مالك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن شيث بن آدم وهو أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من أعطى النبوة من بني آدم وأول من خط بالقلم ونظر في النجوم والحساب وأول من خاط الثياب وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار/١٢فتح.

(١) قول الحسن/١٢.

(٢) لأنه من ذرية سام بن نوح/١٣.

(٣) ولما مدح الله سبحانه هؤلاء الأنبياء بهذه الصفات ترغيبا لغيرهم في الاقتداء بهم وسلوك طريقتهم ذكر أضدادهم تنفيرًا للناس عن طريقتهم فقال: "فخلف" الآية/١٢ فتح.

(٤) واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل في اليهود وقيل في النصارى، وقيل في قوم من أمة محمد -صلى الله عليه وسلمّ- يأتون في آخر الزمان وقال بالأولين السدي وقال بالثالث =

الدنيا وهم اليهود والنصارى، وعن بعضهم أنهم من هذه الأمة في آخر الزمان ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ : شرا وخسرانا أو هو واد في جهنم يسيل فيها صديد[1] أهل النار ﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ، هذا يدل على أن الآية في الكفرة إلا عند من يقول: تارك الصلاة كافر وعليه كثير من السلف﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ : بنقص جزاء أعمالهم فشيئا إما مصدر أو مفعول بمعنى لا ينقصون ولا يمنعون شيئا من جزاء أعمالهم ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ بدل من الجنة بدل البعض، والعدن علم، ولذلك جاز أن يكون بدلا من المعرفة وجاز وصفها بقوله:﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: وهي غائبة عنهم لم يروها﴿إِنَّهُ﴾ : إن الله ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ : مفعول لا بمعنى فاعل؛ فإن الوعد هو الجنة وهم يأتونها ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ : ما لا طائل تحته، ﴿إِلا سَلامًا﴾ استثناء منقطع وهو سلام الملائكة أو بعضهم بعضًا، وقيل السلام الدعاء بالسلامة، والدعاء بها في الجنة من باب[2] اللغو نعم فائدته الإكرام ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ لا فيها ليل ونهار لكن على التقدير[3] وعن بعضهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ومقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب وقيل المراد الدوام[4] ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ

= مجاهد ولفظه: هم من هذه الأمة يتراكبون في الطرق كما تراكب الأنعام لا يستحيون من الناس ولا يخافون من الله في السماء/١٣فتح.

(١) قاله عبدالله بن مسعود، ونقل ابن جرير فيه حديثا لكن قال ابن كثير رفعه منكر وهو حديث غريب/ ١٢منه وجيز.

(٢) لأن السلامة متحققة فيها/١٢.

(٣) هكذا قال ابن عباس/١٢.

(٤) كما تقول: أنا على بابك صباحا ومساء/١٢.

كَانَ تَقِيًّا﴾ : الوراثة أقوى لفظ يستعمل في التملك فإنه لا فسخ ولا رجوع فيه قيـــل: أورثوا المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا[١] **﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ[٢] إلا بِأَمْرِ ربِّـــكَ﴾** أبطأ جبريل الترول مدة فقال رسول الله عليهما السلام ما نزلت حتى ظن المشـــركون كل ظن فأوحى إلى جبريل أن قل له "وما نتترل"[*] الآية وقد[٣] ورد أن جبريل قـــال كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون؟! **﴿لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾** أي: أمر الدنيـــا وأمـــر الآخرة وما بين النفختين أو الأرض والسماء والهواء[٤] أي: جميع الأزمان أو الأماكن له لا تنتقل في زمان دون زمان أو مكان إلى مكان إلا بأمره**﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِـــيًّا﴾** : تاركا[٥] لك مودعا إياك كما زعمت المشركون **﴿رَبُّ السَّـــمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَـــا**

---

(١) وفيه حديث معتمد /١٢وجيز.

(٢) لما حكى قصة زكريا التي دلت على كمال قدرته وقصة مريم وما يعقبها التي هـــي أدل على أن لا يتخلف مراده عن إرادته أعقب ذلك حكاية قول جبريل الدال على أن القوة بتمامها لله سبحانه وفيه تسلية قلب نبيه كما أن في تلك الحكايات ســـيما في مقاولـــة إبراهيم مع أبيه أن أباه كيف أغلظ على ولده الذي راعى الأدب تسلية لخاطره الأشرف عما وجد من خلف اتبعوا الشهوات، فقال: "وما نتترل" الآية/١٢وجيز

(*) ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير"، (١٣١/٣) عن مجاهد مرسلا.

(٣) رواه الطبراني عن ابن عباس عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-/ ١٢منـــه.[أخرجـــه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد مرسلا. كمـــا في الدر المنثور للسيوطي (٥٠٢/٤)].

(٤) يعني المراد مما بين أيدينا الدنيا أو الأرض ومما خلفنا الآخرة أو السماء ومما بين ذلك مـــا بين النفختين أو الهواء وكل من التفسيرين قول كثير من السلف/١٣منه.

(٥) تاركا لك مودعا إياك كما زعم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات عن ابن عبـــاس أنه أبطأ جبريل نزوله مدة فشكا إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فترل "وما نتـــترل =

﴿بَيْنَهُمَا﴾، بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِه﴾ ، عدى باللام[1] لتضمنه معنى الثبات أي: اثبت لها ولا يضق صدرك عن احتباس الوحي وشماتة المشركين ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا[2]﴾: مثلا وشبها فلا محيص عن عبادته والصبر على مشاقها وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- ليس أحد يسمى الرحمن غيره، وعن بعضهم هل تعلم أحدا يسمى الله غيره[3]؟

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم

= إلا بأمر ربك" الآية هذا ما في الوجيز وفي الفتح أخرج البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني والبيهقي والحاكم وصححه عن أبي الدرداء رفع الحديث قال: ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا "وما كان ربك نسيا".

(١) ولم يقل واصطبر على عبادته/ ١٢.

(٢) كذا قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وغير واحد/ ١٢.

(٣) ولما ذكر وتم الحكايات الدالة على شمول علمه وقدرته لاسيما في إيجاد بشر تارة من التراب وتارة من ذكر وأنثى في حكم العدم وتارة من أنثى بلا ذكر أعقب من أمر الإنسان على التعجب فقال: "ويقول الإنسان" الآية/١٢ وجيز.

مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ حرف التعريف للجنس، فإنه إذا قال قائل منهم ذلك صح إسناده إلى جميعهم كما يقال بنو فلان فعلوا، والفاعل أحدهم أو للعهد أي: منكرو الحشر﴿أَئِذَا مَا مِتُّ﴾ ما زائدة للتأكيد﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ واللام لمجرد التأكيد ليس فيها معنى الحال والعامل في إذا فعل دل عليه "أخرج"؛ لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها والمراد من الخروج الخروج من الأرض، أو حال الفناء﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ : لا يتفكر ﴿الإِنْسَانُ﴾ عطف على يقول، والهمزة بين المعطوفين ليدل على أن المنكر العجيب هو المعطوف فإنه لو تأمل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك أي: لو تأمل النشأة الأولى حيث أخرجنا الجواهر والأعراض من العدم وأوقعنا تلك التأليف المشحون بأنواع الحكم اختراعا من غير حذو على مثال له ينكر النشأة الثانية ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ قسم باسمه الأعلى مضاف إلى أشرف مخاطب﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ[1]﴾ الواو

---

(١) لو كان المراد من الإنسان منكري الحشر كما ذكرنا ففي رجع الضمير لنحشرنهم لا إشكال بوجه/١٢منه.

مفعول معه أو للعطف والضمير المفعول لجنس الإنسان فإنه إذا حشر الجميع حشرًا واحــدًا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد صدق أن الكل محشورون[1] معهم ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّـهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ : قعودا على الركب على المعتاد في مواقف التقاول كما قــال تعــالى "وترى كل أمة جاثية"[الجاثية:٢٨] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ : أمةٍ شــاعت دينــا ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ : غيا وفسادا أي: قادتهم ورؤساؤهم في الشــر أو يبدأ بالأفسق فالأفسق، فيطرح في جهنم وأيهم مرفوع بالابتداء استفهامي وخبره أشــد، والجملة محكية أي لنترعن الذين يقال فيهم أيهم أشد أو مبني على الضم لحــذف[2] صــدر صلته و"على الرحمن" للبيان لا متعلق بعتيا؛ لأن معمول المصدر لا يتقدم عليــه أو معلــق بأشد أي: عتوهم أشد عليه كما يقال: هو أشد على خصمه ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُـمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ أي: احتراقا "وبها" للبيان أو ظرف لأولى أي: صليــهم أولى بالنــار يعني نترع الرؤساء، ونعلم أهم أحق بتضعيف العذاب أو نبدأ بــالأعصى فــالأعصى ونقدم الأولى فالأولى بالعذاب وجاء بثم لتأخره في الإخبار، ولأن حاصله طرحــهم في النار على الترتيب وهو متأخر عن الترع ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ﴾ أي: منكم أحد ﴿إِلا وَارِدُهَـا﴾ : داخلها يدخل النار بر وفاجر وتكون على المؤمنين بردا وسلاما وكثير من الســلف[3] على أن الورود هو الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها، وعــن بعضهــم[4] الورود

---

(١) هذا إشارة إلى ما يقال إذا جعلت الشياطين مفعولا معه لا يستقيم لأن حشر الكل ليس مــع الشياطين إلا أن يكون الضمير للكفرة فأجاب بأن الضمير للجنس والمعنى مستقيم/١٢منه.

(٢) أي هو أشد/١٢.

(٣) كأنس وأبي هريرة وأبي سعيد وجابر وغيرهم وفيه أحاديث صحاح/١٢منه.

(٤) عن ابن عباس – رضى الله عنه – قد يرد الشيء و لم يدخله نحو "ولما ورد ماء مديــن" (القصص:٢٣)، ويقال وردت القافلة البلد و لم تدخله وقد صح عن كثير من الســلف وفيه حديث رواه الترمذي والإمام أحمد أن المراد من الورود الدخول يدخل النار كل بر وفاجر وتكون على المؤمنين بردا وسلاما/ ١٢وجيز.

الحضور والرؤية لا الدخول وقد ورد أنه -عليه السلام- عاد رجلا من أصحابه وَعِكًا، ثم قال: "إن الله تعالى يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة"(*) وعن مجاهد الحمى حظ كل مؤمن من النار **﴿كَانَ﴾** : الورد **﴿عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا﴾**: واجبا أوجبه على نفسه أو قسمًا واجبًا **﴿مَقْضِيًّا﴾** : قضاه الله عليكم **﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾** : عن النار **﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾** : الشرك **﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾** : الكافرين **﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾** جميعا جمع جثوة أو على الركب جمع جاث **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾** : واضحات المعاني والبرهان حال مؤكدة **﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾**: معهم، ولأجلهم **﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ﴾** : منا(**) ومنكم خير **﴿مَقَامًا﴾** : مكانا **﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾** : مجلسا يعني لما سمعوا آيات الله أعرضوا عنها واستدلوا على فضلهم وشرفهم بزيادة حظهم حطام الدنيا فرد الله تعالى عليهم بقوله **﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾** : متاع البيت **﴿وَرِئْيًا﴾** : منظرًا أو هيئة فلم ينفعهم، ولن يدفعهم عذاب الله تعالى، وكم مفعول أهلكنا ومن قرن بيانه وهم أحسن في محل النصب صفة كم وأثاثا ورئيا تمييز عن النسبة **﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾** الشرك **﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾** : يدعه ويمهله في طغيانه استدراجا وهو خبر بلفظ الأمر إشعارا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة(١) وقيل هذا دعاء **﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾** : في الدنيا كالأسر والقتل **﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾** : القيامة

(*) أخرجه أحمد (٢/٤٤٠)، وابن ماجه (٣٤٧٠)، والحاكم (١/٣٤٥) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، ووافقهما الشيخ الألباني كما في الصحيحة .

(**) بالأصل مما .

(١) حاصله من كان في الضلالة فلا عذر له فقد أمهله الرحمن ومد في عمره ومن قال: إنه دعاء فيكون هذا إظهاراً العدم بقاء عذر بعد هذا البيان الواضح فهو على أسلوب ربنا ليضلوا عن سبيلك والوجه الأول أوفق.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند ذلك ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ : فئة وناصرًا وحتى غاية المد أي: هم في الاستدراج ممدود لهم الغواية إلى أن يأتيهم وعد الله أو غاية قول الكفار أي: الفريقين خير، أي: لا يزالون يقولون ذلك إلى أن يشاهد الموعود ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ : إيقانا على يقينهم عطف على الجملة الشرطية أي "من كان في الضلالة"إلخ وحاصله أن الله يزيد في ضلال الضالين، ويزيد هداية المهتدين﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ الأذكار والأعمال الصالحة التي يبقى أثرها﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ : من مفاخرات الكفار ﴿ثَوَابًا﴾ : جزاء ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا[١]﴾ مرجعا، وهذا من قبيل الصيف أحر من الشتاء أي: أبلغ في حره من الشتاء في برده﴿أَفَرَأَيْتَ﴾[٢] أي: أخبر بقصة ﴿الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ : عقب حديث أولئك﴿وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا﴾، وذلك حين تقاضى خباب دينا له على عاص بن وائل، فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة ذهبا وفضة، ومن كل الثمرات قال: بلى. قال: فإذن موعدك الآخرة أوفيك فيها

---

(١) لما ذكر الدلائل أولا: على صحة البعث ثم أورد شبهة المنكرين وأجاب عنها أورد عنهم الآن ما ذكره على سبيل الاستهزاء طعنا في القول بالحشر فقال: "أفرأيت الذي كفر بآياتنا" الآية/١٢كبير.

(٢) عن مسروق عن خباب قال: كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد قلت لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يحييك قال إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد فأنزل الله "أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا"، رواه البخاري في صحيحه وقع هذا الحديث في تفسير سورة كهيعص.[أخرجه البخاري في "التفسير"، باب: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ (٤٧٣٢)، وفي غير موضع من صحيحه، ومسلم في "صفة القيامة والجنة والنار"، باب: بيان قول الله تعالى: "إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى"(العلق:٦،٧)، (٦٦٣/٥) ط الشعب.]

فوالله لأوتين مالا وولدا ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ : أعلم علم الغيب حتى عرف أنه في الجنة ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ : أن سيؤتيه ذلك وعن بعضهم معناه أم قال لا إله إلا الله فيرجو بها ﴿كَلا﴾ ردع وردٌ لما تصوره ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ : نحفظها عليه ونجازيه البتة فالسين لمجرد التأكيد، أو معناه سنظهر له أنا كتبنا، أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾: نطيل مدة عذابه أو نزيده عذابا فوق العذاب من المدد ﴿وَنَرِثُهُ﴾ أي: نرث منه ولا نرزقه ﴿مَا يَقُولُ﴾ : من مال[1] وولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ : يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ : لا مال له ولا ولد ﴿وَاتَّخَذُوا﴾[2] أي: مشركو قريش ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ : يعبدونها ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ : ليتعززوا بهم حيث يكونون[3] لهم شفعاء عند الله ﴿كَلا﴾ ، ردع لتعززهم بها ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ يجحد الآلهة عبادة المشركين كما قال تعالى: "تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون" (القصص:٦٣)، أو سينكر الكفرة عبادة الأوثان كما قال الله تعالى: "والله ربنا ما كنا مشركين" (الأنعام:٢٣)، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: أعداء كما نقل أنهم يقولون: يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك وتوحيد ضدا لأنهم كشيء واحد

---

(١) أي ما كان له في الدنيا.

(٢) ولما أخبر أن هذا الكافر مآله الذل اتبعه بما يستنجد الآلهة بعبادتهم، فقال: "واتخذوا من دون الله" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) يعني عبدوا الملائكة والأنبياء والصالحين ليشفعوا لهم فكانت عبادتهم إياهم وإشراكهم به الذي به طلبوا شفاعتهم به حرموا وشفاعتهم وعوقبوا بنقيض قصدهم لأنهم أشركوا بالله ما لم يترل به سلطانا وكثير من أهل الضلال يظن أن الشفاعة تنال بهذه الأمور التي فيها شرك كما ظن ذلك المشركون وكما يظنه النصارى ومن ضل من المنتسبين إلى الإسلام يدعون غير الله ويحجون إلى قبره أو مكانه وينذرون له ويحلفون به ويظنون أنه بهذا يشفع لهم فبين تعالى: أنهم يكونون لهم أعداء على أبلغ الوجوه قاله ابن تيمية/١٢.

لفرط توافقهم في العداوة كما يقال هم يد على من سواهم، أو ضمير يكونون للكفرة وضمير عليهم للآلهة .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾ ﴾

﴿**أَلَمْ**[1] **تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ : سلطناهم عليهم ﴿**تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾ الأز، والهز التحريك أي: تحركهم وتحثهم على المعاصي ﴿**فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ**﴾ : بطلب عقوبتهم حتى تطهر الأرض من دنسهم ﴿**إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ**﴾ : أيام آجالهم وأنفاسهم ﴿**عَدًّا**﴾ أي: لم يبق إلا أيام محصورة معدودة ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ**

---

(١) ولما أنكر أن يكون لهم العز وأثبت ذلهم أعقب ذلك بما يوجب ذلهم فقال: "ألم تر أنا أرسلنا الشياطين" الآية/١٢وجيز.

منصوب بمقدر وهو اذكر أو تقديره يوم نحشر ونسوق نفعل بهم مـــا لا يحيـــط بـــه الوصف، أو بلا يملكون ﴿وَفْدًا[1]﴾ : وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ : كما يساق البهائم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ : عطاشا؛ لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ : كمـــا يشـــفع المؤمنـــون بعضهم لبعض ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ استثناء منقطع أي: لكن من اتخـــذ عهدا هو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها له الشفاعة، أو ضمير لا يملكـــون للفريقـــين والاستثناء المتصل بدل من الضمير ﴿وَقَالُوا[2] اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُـــمْ شَـــيْئًا إِدًّا﴾: عجيبا أو عظيما منكرًا أو الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة تسجيل عليـــهم بالجرأة على الله تعالى ولتنبيهٍ على عظيم قولهم ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ : يشـــققن ﴿مِنْهُ﴾ من ذلك القول ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا[3]﴾ أي: تهد هـــدا أي: تنكسر وتسقط ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ أي: لأن أو بدل من ضمير منه والدعـــاء بمعنى التسمية وترك مفعوله الأول للعموم والإحاطة بكل ما دعى له ولـــدا أو بمعـــنى النسبة وفي اختصاص الرحمن أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وجميع ما معـــهم فمن أضاف إليه ولدا من نعمه فقد جعله كبعض خلقه ونعمه فحينئذ لا يستحق اســـم

---

(١) قال على وابن مسعود وابن عمر وغيرهم من الصحابة: هم راكبون علـــى النجـــائب والمجرمون راجلون وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا مرفوعا عن علي رضـــي الله عنه وأرضاه/١٢منه.

(٢) ولما رد على عبدة الأوثان عاد إلى الرد على من أثبت له ولدا فقال: "وقالوا اتخذ الرحمن ولدا" الآية/١٢كبير.

(٣) عن ابن عباس أن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق ســـوى الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمته الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحســـان المشـــرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين/١٢منه.

الرحمن ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يتأتى له اتخاذه لأن الولادة لا مقال في أنه مح وإما التبني فلا يكون إلا في مجانس وأين للقديم الرحمن مجانس[1]؟! ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا[2]﴾ أي: ما منهم إلا وهو مملوك له يأوى إليه بالعبودية ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ : حصرهم بعلمه وأحاط بهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّاوكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ : منفردا عن الأتباع والأنصار كعبد ذليل ﴿إِنَّ[3] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ : سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض للأسباب التي يكتسب بها الناس موادات[*] القلوب وقد[4] صح "إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إني قد أحببت فلانا فأحبه فينادى في السماء ثم يترل له المحبة في أهل الأرض فذلك قوله تعالى: "سيجعل له الرحمن ودا" ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ أي يسرنا القرآن عليك حال كونه مترلا

---

(١) ولا يبعد أن يقال إن التبني يصدر عمن يصلح أن يكون له ولد و قد عجز عن تحصيله للكبر أو للعقم أو لمثل ذلك فإثبات التبني لله سبحانه أقبح مثل إثبات الولد له تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا كذا في الوجيز/ ١٢.

(٢) المراد ما من معبود لهم في السماوات والأرض من الملائكة والناس إلا وهو يأتي الرحمن أي يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا راجيا كما يفعل العبيد ومنهم من حمله على يوم القيامة خاصة والأول أولى لأنه لا تخصيص فيه/ ١٢كبير.

(٣) ولما رد على أصناف الكفر وبالغ في شرح أحوالهم في الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين فقال: "إن الذين آمنوا" الآية/ ١٢كبير.

(*) وفي النسخة (ن): مَوَدَّات.

(٤) رواه مسلم والترمذي/ ١٢وجيز.[أخرجه مسلم في "البر والصلة"، باب: إذا أحب الله عبدا وضع له القبول في الأرض (٥/ ٤٩٠) ط الشعب.]

بلغتك ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ أشداء الخصومة بالباطل ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ تخويف لهم، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ : هل تشعر بأحد منهم وتراه ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ[1] رِكْزًا﴾ : صوتا خفيًّا اللهم اجعلنا من الوافدين إلى الرحمن لا من الواردين إلى النيران.

(١) قال الحسن: بادوا جميعا، فلم يبق منهم عين ولا أثر نقله البغوي/ ١٢.

سورة طه مكية

وهي مائة وخمس وثلاثون آية وثماني ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾
تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ
﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن
تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ
ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ
ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا
نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾
وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا
تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا
تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ
غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ
حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ
يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ
ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿طه﴾ عن كثير من السلف[1] أن معناه يا رجل بالعبرانية، وعن بعض[2] أنه عليه السلام إذا صلى في التهجد قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله طه أي طاء[3] الأرض بقدميك فقلبت همزته هاء. ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ : لتتعب، لما نزل القرآن قام هو عليه السلام وأصحابه واجتهدوا في القراءة والعبادة، فقال المشركون: ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا لشقائك، فنزلت﴿إِلا تَذْكِرَةً﴾ أي: لكن تذكيرا فنصبه على الاستثناء المنقطع، وقيل علة لفعل محذوف، أي: وما أنزلناه إلا للتذكير والموعظة، وقيل مصدر في موقع الحال من الكاف أو من القرآن ﴿لِمَن يَّخْشَى﴾ : لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالإنذار ﴿تَنْزِيلا﴾ أي: نزل تنزيلا أو مفعول به ليخشى، أي: لمن يخشى تنزيل الله، ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع العُليك أي: الرفيعة و"مِنْ" صلة تنزيلا[4] أو صفة له والالتفات للتعظيم. ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ[5]

---

(١) نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وهو المروي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد من الصحابة والتابعين/١٢منه. وفي الفتح وإذا تقرر أنها لهذا المعنى في لغة من لغات العرب كانت ظاهرة المعنى واضح الدلالة خارجة عن فواتح السور التي هي من المتشابهات/١٢.

(٢) نقله قاضي عياض في كتاب الشفاء عن الربيع بن أنس/١٢منه.

(٣) والأظهر أنه من الحروف المقطعة نحو يس وق/١٢وجيز.

(٤) الظاهر أنه إخبار من الله عن نفسه وباقي التأويلات بعيد/١٢وجيز.

(٥) قال في كتاب العرش: قال الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني في مصنفه مصنف حلية الأولياء في الاعتقاد الذي جمعه: هي طريقتنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة ومما اعتقدوه أن الله لم يزل بجميع صفاته القديمة لا يحول ولا يزول إلى أن قال: إن الأحاديث التي تثبت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله عليه يثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه، وذكر السلف واعتقادهم وإجماعهم على ذلك انتهى.

=

اسْتَوَى[1]﴾ هو مبتدأ مشار بلامه إلى من خلق وعلى العرش استوى خبره أو تقديره هو الرحمن، وعلى العرش استوى إما خبر ثان أو تقديره هو على العرش استوى، سئل الشافعي عن الاستواء فأجاب: آمنت بلا تشبيه، واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك.﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا**

= وأيضا فيه وقال الإمام الزاهد أبو عبدالله بن بطة العكبرى في كتاب الإبانة تأليفه باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه: وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه، فأما قوله: وهو معكم فهو كما قالت العلماء علمه انتهى وأيضا فيه، نقلا عن حافظ المغرب ابن عبد البر - رحمه الله: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله: "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" (المجادلة:٧)، هو على العرش وعلمه بكل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله انتهى، وهكذا نقل عنه هذا الإجماع في الحموية/١٢، وفي كتاب العرش عن الإمام أبي بكر الحافظ الذي نقله(*) الأجري في كتاب الشريعة له: فإن قال قائل: ايش يكون معنى قوله تعالى "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم"؟! الآية التي احتجوا بها قيل له: علمه والله عز وجل على عرشه وعلمه محيط بهم كذا فسره أهل العلم والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم وهو على عرشه فهذا قول المسلمين انتهى.

وفيه عن عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة الذي قال فيه البخاري: ما رأيت مثل عثمان بن سعيد ولا رأى عثمان مثل نفسه من كتاب النقض على بشر المريسي له: قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى بكماله فوق عرشه فوق سماواته، وقال: أيضًا في موضع آخر من الكتاب قال أهل السنة: إن الله بكماله فوق عرشه يعلم ويسمع من فوق العرش لا يخفى عليه خافية من خلقه ولا يحجبهم عنه شيء انتهى/١٢.

(*) زيادة اقتضاها السياق.

(١) قال محمد بن جرير في تفسير قوله: "ثم استوى على العرش" في كل مواضعه أي علا وارتفع نقله الذهبي عنه في كتاب العرش/١٢.

﴿تَحْتَ الثَّرَى﴾ : ما تحت سبع أرضين وعن بعضهم هو صخرة تحت الأرض السابعة﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ أي: بذكر الله ودعائه ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أي: فاعلم أنه غني عن جهرك، فإنه يعلم ما تسر في نفسك وأخفى منه، وهو ما لم تحدث به نفسك بعد، أو ما أسر الرجل إلى غيره وأخفى منه، وهو ما أسر في نفسه فيكون نهيًا عن الجهر، كما قال تعالى: "واذكر ربك في نفسك" (الأعراف:٢٠٥)، أو معنله، يعلم السر وأخفى منه فكيف ما تجهر به فحينئذ حاصله أنزل من خلق السماوات والأرض القرآنَ ويعلم السر والجهر﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ تأنيث الأحسن.

﴿وَهَلْ[1] أَتَاكَ﴾ : يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾ : قفّاه بقصته، ليأتم به في تحمل أعباء الرسالة والصبر على الشدائد، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل﴿إِذْ رَأَى﴾ مفعول لاذكر أو ظرف للحديث ﴿نَارًا[2]﴾ : في طريق مصر حيث استأذن شعيبًا في الرجوع إلى مصر لزيارة الوالدة، فخرج بأهله فأضل الطريق في ليلة مظلمة باردة فرأى من جانب الطور نارًا ﴿فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ : أقيموا مكانكم ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾: أبصرت إبصارا بيّنا ﴿نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾: بشعلة منها ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ

---

(١) ولما ذكر تعظيم كتابه وتضمن تعظيم رسوله أتبعه بقصة موسى ليأتسي به في تحمل أعباء النبوة والصبر على الشدائد، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل، فقال "وهل أتاك" الآية/١٢وجيز.

(٢) لما قضى موسى أكمل الأجلين استأذن شعيبا في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فخرج بأهله وماله وكان أيام الشتاء، وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام، وامرأته حامل فسار في برية لا يعرفها، فألجأه البرد إلى جانب الطور في ليلة مظلمة مثلجة وأخذ امرأته الطلق وأقدح زنده فلم يور/١٢وجيز طلق دردزه.

﴿هُدًى﴾ : هاديًا يهديني إلى الطريق ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أي: النار[1] ﴿نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي﴾ : من قرأ بكسر إن فبإضمار القول أو بإجراء النداء مجرى القول، ومن قرأ بالفتح فتقديره نودي بأني ﴿أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾، فإنهما كانا من جلد حمار ميت غير مدبوغ، أو أمر بالخلع تعظيما للوادي. ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ، عطف بيان، إن كان اسمًا للوادي وقيل معناه مرتين كثنى فهو مصدر لنودي أو المقدس، وقيل تقديره واطو الأرض بقدميك طوى فهو مصدر كهدى﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾: اصطفيتك للنبوة، ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ : إليك، ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾، بدل مما يوحى، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ : لتذكرني أو عند ذكرك لي، يعني عند ذكر الصلاة، ففي الحديث: "إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال: "أقم الصلاة لذكري"[*]. ﴿إِنَّ[2] السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ : لا محالة ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عن نفسي أي: وقتها فهو مبالغة[3] في الإخفاء، وفي مصحف أبيّ وابن مسعود أكاد أخفيها من نفسي، وفي بعض القراءات فكيف أظهرها لكم أو أريد إخفاء وقتها أو أكاد أظهرها فالهمزة للسلب، في بعض القراءات أخفيها بفتح الهمزة أي

---

(١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- رأى نارا مضطرمة في شجرة خضراء، كلما قرب منها تباعدت فإذا أدبر تبعه وأيقن أن ذلك سر خارق للعادة، فصار متحيرا وسمع من جانب السماء تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة/١٢وجيز.

(*) أخرجه البخاري في "مواقيت الصلاة"، باب: من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها... ومسلم في "المساجد وموضع الصلاة"، باب: قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، (٢/٣٢٤-٣٢٦) ط الشعب.

(٢) لما أمره بالعبادة ذكر الحامل على ذلك وهو البعث إشارة إلى الجزاء، فقال: "إن الساعة آتية" الآية/١٢وجيز.

(٣) كما تقول: كتمت سرك عن نفسي/١٢منه.

أظهرها، وقيل أخفيها فلا أقول هي آتية ولولا ما في الإخبار من اللطف لما أخبرت به ﴿لِتُجْزَى﴾ متعلق بآتية ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾: تعمل ﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾: عن التصديق بالساعة ﴿مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ يعني كن شديد الشكيمة حتى لا يؤثر فيك أقوال الكفرة واعتقاداتهم فنهى الكافر والمراد نهيه أن ينصد عنها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: خالف أمر الله ﴿فَتَرْدَى﴾: فتهلك منصوب على جواب النهي.

﴿وَمَا تِلْكَ﴾ ، الحكمة في السؤال تنبيهه وتيقظه ليرى ما فيه من العجائب ﴿بِيَمِينِكَ﴾ حال من معنى الإشارة، أو صلة لتلك، وهي اسم موصول. ﴿يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾ : أعتمد ﴿عَلَيْهَا﴾ : عند المشي والإعياء ﴿وَأَهُشُّ﴾ : أخبط الورق عن الشجر ﴿بِهَا عَلَى﴾ رؤوس. ﴿غَنَمِي﴾ : تأكله ، ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ﴾: حاجات، ﴿أُخْرَى[1]﴾: كحمل الماء والزاد بها. قيل: لما أمره الله بخلع النعلين وتركهما تصور عند هذا السؤال إنكار التمسك بها، وأمره بالرفض فبسط الكلام، وقال: أنا محتاج إليها غاية الاحتياج، وعن وهب لما قال الله ألقها ظن موسى أنه يقول ارفضها. ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ[2] خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾ أي: نردها عصى كما كانت، منصوب بترع الخافض، أي: إلى سيرتها، أو

---

(١) قال الشوكاني: قد وقفت على مصنف في مجلد لطيف في منافع العصا لبعض المتأخرين، وذكر فيه أخبارًا وأشعارًا وفوائد لطيفة ونكتا رشيقة، وقد جمع الله سبحانه لموسى في عصاه من البراهين العظام والآيات الجسام ما أمن به من كيس السحرة، ومعرة المعاندين، واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول صلاته، وكان ابن مسعود صاحب عصا النبيﷺ وعترته، وكان يخطب بالقضيب وكذا الخلفاء من بعده، وكان عادة العرب العرباء أخذ العصا والاعتماد عليها عند الكلام وفي المحافل والخطب/١٢فتح.

(٢) أمره بالإقدام على أخذها، ونهاه عن الخوف الذي يلحق البشر عند رؤية مثل ذلك سيما عند إمساكه/١٢وجيز.

ظرف، أي: في طريقتها ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أي: إلى جنبك تحت العضد. ﴿تَخْرُجْ﴾ ، حال كونها ﴿بَيْضَاءَ﴾ : لها شعاع كالشمس. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ : كبرص صلة لبيضاء. ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ ، حال ﴿لِنُرِيَكَ﴾ أي: فعلنا ذلك لنريك، أو تقديره خذ آية أخرى. لنريك فلا تكون آية على هذا حالا. ﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ ، ثاني مفعولي نريك. ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ[1]﴾ : وادعه إلى التوحيد ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ : عصى وتكبر .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا

---

(١) خص فرعون، وإن كان مبعوثا إلى الكل لأنه رئيس الضلال وهم تبع/١٢وجيز.

رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ ﴾

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ : أفسح ربي قلبي لتحمل أعباء النبوة. ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ : سهل عليّ أهم الكلام أولا، وعلم أن ثمه مشروحا وميسرا، ثم رفع الإبهام بصدري وأمري ففيه تأكيد ومبالغة. ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ هو في صغره كان يومًا في حجر فرعون فأخذ لحيته ولطمه فتشاءم به وأراد قتله، فقالت امرأته: أنه لا يعرف ولا يعقل ونمتحنه، فقربوا إليه جمرتين ولؤلؤتين فتناول جمرتين ووضعهما في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة وأصابه اللثغ، وعن بعض السلف(١) سأل حل عقدة واحدة، ولو سأل أكثر من ذلك لأعطى، ولذلك بقى في لسانه شيء من الرتة، ومنها قال فرعون: "ولا يكاد يبين" (الزخرف:٥٢)﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ : يفهموه هو جواب الأمر ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي﴾ مفعولاه إما وزيرا أو هارون قدم ثانيها للعناية به أولى ووزيرًا وهارون عطف بيان للوزير، أو وزيرا ومن أهلي وأخي

---

(١) هو ابن عباس/١٢منه.

على وجه بدل من هارون أو عطف[1] بيان آخر ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ : ظهري أو قوتي[2]. ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ : في الرسالة ومن قرأ أَشْدُد وأُشْرِكه بلفظ الخبر فهما جواب الأمر ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ ، فإن التعاون يؤدي إلى تكاثر الخير ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا﴾ : بأحوالنا ﴿بَصِيرًا﴾ ، فأعطنا ما هو الأصلح لنا.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ[3]﴾ : مسئولك ﴿يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾ : بالإنعام، ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾ : في وقت آخر ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا[4]﴾ : ألهمنا ﴿إِلَى أُمِّكَ﴾ وقيل: أوحى إليها ملكا لا على وجه النبوة، أو على لسان نبي في وقتها﴿مَا يُوحَى﴾ : ما لا يعلم إلا بالوحي ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ﴾ : بأن ألقيه وضعيه. ﴿فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ : بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ جعل البحر كأنه ذو تمييز فأمره وأخرج الجواب مخرج الأمر ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ[5]﴾ جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة. ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾ : كائنة ﴿مِنِّي﴾ قد ركزها في القلوب، يحبك كل من يراك، أو من ظرف لألقيت، أي: أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ : لتربى ويحسن إليك بمرأى، ومنظر مني كما يراعى الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به، تقديره ليتعطف(*) عليك ولتصنع ، أو تقديره ولتصنع فعلت ذلك ﴿إِذْ تَمْشِي﴾ ظرف

---

(١) إنه أشهر من وزير وهو عطف بيان له/١٢.

(٢) أزر فلانا أي قواه/١٢.

(٣) كالخبز بمعنى المخبوز/١٢.

(٤) والمراد بالوحي إما مجرد الإلهام لأمه واسمها يوحانذ قاله السيوطي في شرح النقاية، أو في النوم بأن أراها ذلك، أو على لسان ملك/١٢.

(٥) والأولى أن الضمائر كلها إلى موسى فإنه هو المحدث عنه، والمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل، وإن كان هو التابوت بالذات إلا أن المقصود الأصلي موسى/١٢منه.

(*) في النسخة (ن): ليتلطف.

لألقيت أو لتصنع بدل من إذ أوحينا على أن المراد به وقت متسع ﴿أُخْتُكَ﴾ : مـــريم ﴿فَتَقُولُ﴾ : حين ألقاه النيل إلى الساحل وأخذه فرعون وأحبه وكان لا يقبل ثـــدي أحد من المراضع كما قال تعالى: "وحرمنا عليه المراضع من قبل" (القصص:١٢). ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ : فجاءت بأمك فقبلت ثديها. ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَـــيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ : بلقياك وقد مر اشتقاقه في سورة مريم ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ : هي بفراقك قيـل أي: لا تحزن أنت على فراقها، قد ذكر أن أمه اتخذت تابوتا ووضعته فيه، فأرســلته في النيل وأمسكته بحبل، وكانت ترضعه في الليالي ثم ترسله في النيل، لأنه قد ولد في ســنة أمر فرعون بقتل الغلمان المولود فيها، فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت من يدها فذهب به البحر فاغتمت، وذهب به النيل إلى دار فرعون فالتقطـــه آل فرعــون﴿وَقَتَلْـــتَ نَفْسًا[١]﴾ أي: القبطي الذي استغاثه على الإسرائيلي ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ : بأن غفر الله لك، وأمنك من القتل. ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا[*]﴾: ابتليناك ابتلاء أو جمع فتن يعني ضروبا من الفتنة، وهي ما وقع عليه من الواقعات[٢] قبل النبوة ﴿فَلَبِثْتَ﴾ : مكثت ﴿سِـنِينَ﴾

---

(١) وكان عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشر سنة واغتم خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون/١٢/وجيز.

(*) أخرج الإمام النسائي في "تفسيره"، (٢/٤١-٦٢) حديثا طويلا جدا يسمى بحديـــث الفتون أسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا بسند صحيح، وانظر تفسير ابــن كثير (٣/١٤٩)، والدر المنثور للسيوطي (٤/٥٣٠).

(٢) أولها: إن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاءه في البحر في التابوت، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتلـــه، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة، ثم قتله القبطي وخروجه إلى مدين خائفا، فكان ابن عبـاس - رضي الله عنهما- يقص القصة على سعيد بن جبير - رضي الله عنه- نقله البغـــوي في تفسيره/ ١٢.

أي: عشر سنين ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ : منزل شعيب -عليه السلام-(*) على ثمان مراحل من مصر. ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ : على رأس أربعين سنة وهو القدر[1] الذي يوحى فيه الأنبياء أو قدر قدرته في علمي ﴿يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾: إخترتك لرسالتي وأمري تمثيل لكمال قربه ووفور حبه ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ : معجزاتي ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ : ولا تقصرا ولا تفترا ﴿فِي ذِكْرِي﴾، يعني لا تنسياني[2] وقيل لا تقصرا في تبليغ ذكري ورسالتي ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ : تكبر، أمره بالذهاب وحده أولا حيث قال: اذهب إلى فرعون وثانيًا: مع أخيه ﴿فَقُولَا[3] لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ : فلا تعنفا في قولكما كي لا تأخذه أنفة ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ : يذعن للحق ﴿أَوْ يَخْشَى﴾: أن يكون الأمر كما تصفان فيجر إنكاره إلى هلاكه يعني: اذهبا على رجائكما وباشروا الأمر مباشرة من يرجو ترتب الفائدة على سعيه فيجتهد بطوقه، قيل قبل النصح أولا ثم أضله هامان ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ : أن يعجل علينا بالعقوبة[4] ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ : يجاوز الحد في الإساءة علينا أو فيك ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾: بالحفظ والعون ﴿أَسْمَعُ﴾ : ما يجري بينكم ﴿وَأَرَى﴾: لست بغافل عنكما ﴿فَأْتِيَاهُ﴾: فأتياه مكثا في بابه حينًا طويلا قيل: سنتين حتى أذن لهما ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ

(*) في القطع بأن صالح مدين هو شعيب النبي عليه السلام نظر يأتي تحقيقه في تفسير سورة القصص.

(١) نقله البغوي عن عبد الرحمن بن كيسان، وقال هو معنى قول أكثر المفسرين/١٢.

(٢) كما وعدت كي نسبحك كثيرًا ونذكرك كثيرا/ ١٢وجيز.

(٣) وعن ابن مسعود قال: لما بعث الله موسى إلى فرعون قال: رب أي شيء أقول؟ قال: قل هياشراحيا قال الأعمش تفسير ذلك الحي قبل كل شيء، والحي بعد كل شيء. وجود السيوطي إسناده وسبقه إلى تجويد إسناده ابن كثير في تفسيره،١٢فتح.

(٤) مِنْ فرط أي سبق ومنه الفارط/١٢منه.

﴿فَأَرْسِلْ[١] مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ[٢]﴾ : خل عنهم وأطلقهم ﴿وَلا تُعَذِّبْهُمْ﴾: بالأعمال الشاقة ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ : ببرهان ومعجزة على رسالتنا ﴿وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ أي: السلامة من عذاب الله عليه ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ : الرسل ﴿وَتَوَلَّى[٣]﴾ : وأعرض عنهم، ومن لين المقال أنه ما قال: إن العذاب عليك إن كذبت وتوليت ﴿قَالَ﴾: بعدما أتياه، وقالا ما أُمرا به ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ ، خص موسى بالنداء لأنه المتكلم، أو لأنه عرف أنه الأصل وهارون ممده، أو لما علم أن له رتة، ولهارون فصاحة حمله خبثه على ذلك﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾: صورته وشكله اللائق به ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ : هداه إلى منافعه وأعطى كل حيوان نظيره وزوجه ثم هداه كيف يأتي الذكر الأنثى، وقيل أي: أوجد الأشياء وقدر الأرزاق والآجال والأعمال، ثم الخلائق ماشون على قدر لا يقدر أحد عن الخروج منه، كما قال: "والذي قدر فهدى" (الأعلى:٣)، وقيل أي: أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه، ثم هداهم إلى استعماله وعلى هذا خلقه مفعوله الأول، ولما كان الجواب بليغًا جامعًا مفحمًا بهت فلم ير إلا صرف الكلام عن الطريق الأول ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأولَى﴾ : ما حالهم مع أن أكثرهم عابدو الأصنام. ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ : أعمالهم محفوظة عنده ﴿فِي كِتَابٍ﴾ : اللوح المحفوظ ﴿لا يَضِلُّ رَبِّي﴾ : لا يخطئ شيئًا. ﴿وَلا يَنْسَى﴾ : ولا يذهب عنه ويجازيهم أو لا يضل ربي الكافر حتى ينتقم منه ولا ينسى الموحد حتى يجازيه[٤] أو لما سأل عن سعادتهم وشقاوتهم

---

(١) وذكر في غير هذه الآية دعاءه إلى الإيمان أولا/ ١٢وجيز.

(٢) فإنهم في أيدي القبط كالعبيد والإماء يستعملونهم بأي وجه يشتهون/١٢منه.

(٣) قال ابن عباس: هذه أرجى آية في القرآن فإن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب/١٢وجيز.

(٤) قاله ابن عباس/ ١٢وجيز.

أحال علمه إلى الله فكأنه قال: لا أعلم حالهم ﴿الَّذِي[١] جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا﴾: كالمهد ، ﴿وَسَلَكَ﴾ : حصل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلا﴾ : تسلكونها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي : المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ قيل: تم كلام موسى وهذا من كلام الله، وقيل: من تمام كلام موسى لكن عدل إلى التكلم على الحكاية لكلام الله تنبيهًا على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال قدرته، وإيذانًا بأنه مطاع تذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته، ويمكن أن يكون كلام موسى، فأخرج بصيغة الغيبة لكن لما حكى الله قوله حكاه لفظا بلفظ حتى انتهى إلى قوله: "فاخرجنا" غير الأسلوب إلى التكلم تنبيهًا على عظم قدره، وأنه أمر لا يدخل تحت قدرة غيره ﴿أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا ﴿مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ : مفترقات(*) جمع شتيت والنبات مصدر سمى به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع فلهذا جاز وصفه بشتى التي هي جمع وقيل شتى صفة أزواجًا ﴿كُلُوا﴾ أي: فأخرجنا قائلين كلوا ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ أي كلوا أنتم من النبات وأسرحوا أنعامكم[٢] فيها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ[٣] لأُولِي النُّهَى﴾ ذوي العقول الناهية عن القبائح .

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ

---

(١) ثم إن كلام موسى قد تم عند قوله: "ولا ينسى"، وقوله: "الذي جعل" من كلام الله نبه على قدرته ووحدانيته، فأخبر عن نفسه مخاطبًا لنبيه عادلا عن الغيبة للإيذان بأنه مطاع لا يمتنع شيء عن إرادته، نحو: "وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء" (الأنعام:٩٩)، وهذا هو الأوجه الأبلغ/ ١٢وجيز.

(*) في النسخة (ن): متفرقات.

(٢) معناه الإباحة والإذن/١٢منه.

(٣) أشار إلى جعل الأرض مهدًا وسلوك سبلها، وإنزال الماء وإخراج النبات/ ١٢وجيز.

يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ
نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ
ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ
وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾
فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ
أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾
فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟
يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا
حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ
خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ
مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ
ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ
ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا
وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ
فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ
لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ
رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا

قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾

﴿مِنْهَا[1]﴾ : من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ : فإن أب الكل منها وعن بعض الملك يـأخذ من تراب الأرض الذي قدر أن يدفن فيها فيذره على النطفة فيخلق منـها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ : بالموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ : يوم البعث ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا ﴾ أي : الآيات التي ظهرت على يد موسى ﴿فَكَـذَّبَ﴾ : الآيات وقال إنها سحر، ﴿وَأَبَى﴾ : قبولها ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى[2]﴾ : فيبقى لك ديارنا ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ : مثل سحرك ﴿فَـاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ اسم مكان أو زمان ﴿لا نُخْلِفُهُ﴾ جعل المكان أو الزمان مخلفـا على الاتساع كيوم شهدناه ﴿نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا﴾ بدل من الموعـد علـى الأول، وظرف للانخلفه على الثاني، وقيل مفعول أول لاجعل ﴿سُوًى﴾ منصفًا يستوي مسافته

---

(١) أخرج أحمد والحاكم عن أبي أمامة قال: لما وضعت أم كلثوم بنت رسول الله -صلـى الله عليه وسلم- في القبر قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم : "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى، بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله"، وفي حديـث في السنن "أنه أخذ قبضة من التراب وألقاها في القبر وقال: منها خلقناكم ثم أخـرى، وقـال وفيها نعيدكم ثم أخرى، وقال: ومنها نخرجكم تارة أخرى"/ ١٢فتح.[الحديث سكت عنه الحاكم في "المستدرك" (٣٧٩/٢) وقال الذهبي: خبر واه علي بن يزيد متروك]

(٢) هذا كلام اضطراب إذ علم أنه الحق، وذكر علة المجيء وهي إخراجهم من أرضـهم، ولاشك لأحد أن ساحرًا لا يقدر على إخراج ملك من أرضه؛ لكن ألقى هذه العلـة ليصير قومهم الجاهلون متعصبين له إذ الإخراج من الوطن شاق جعله الله تعالى مساويا للقتل، كما قال: "اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم" (النساء:٦٦)، مـع أنـه لا يطلب منهم إلا الإيمان/١٢وجيز.

إلينا وإليك أو عدلا أو مستوىً يتبين الناس وما فيه فيه،﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾: يوم عيد لهم، وعن ابن عباس —رضي الله عنه- يوم عاشوراء إذا كان الموعد اسم زمان فهو ظاهر، وأما إن كان اسم مكان فهو كما تقول يوم عرفة في جواب أين أراك؟ أي: في عرفة فإن له مكانا معينًا معروفا ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ ، عطف على اليوم والزينة ﴿ضُحًى﴾ : في وقت الضحوة جهارًا في محضر الخلائق ليتضح الحق على رءوس الأشهاد ويشتهر،﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ هو كما تقول ذهب يفعل كذا أي شرع فيه ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾: ما يكاد به من السحرة وآلاتها ﴿ثُمَّ أَتَى﴾: الموعد ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ : للسحرة ﴿مُوسَى﴾ وفي عددهم اختلاف كثير قيل سبعون رجلا، وقيل ثمانون ألفا، أو ثلاثون أو تسعة عشر ألفا، أو خمسة عشر ألفا، أو اثنا عشر ألفا ﴿وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ، بأن تخيلوا للناس ما لا حقيقة له، فتقولوا إنه مخلوق لله وأن تدعوا معجزاته سحرًا أو تدعوا له ندا ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ : يستأصلكم ﴿بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ﴾ : خسر ﴿مَنِ افْتَرَى﴾ : على الله ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تشاجر السحرة سرًّا من فرعون في أمرهم فقائل منهم يقول ليس هذا بساحر إنما هو كلام نبي وقائل يقول بل هو ساحر ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى[1]﴾ أي: تناجوا فيما بينهم ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ ، تفسير لأسروا النجوى وهذا من اسم إن لغة من يجعل التثنية غير مختلف في الرفع والنصب والجر، أو تقديره أنه هذان لساحران﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ : بملككم وعيشكم الذي أنتم فيه أو بأشراف قومكم أو بدينكم الذي هو أمثل الأديان، ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي: أحكموا واعزموا كلكم على كيدهما مجتمعين لهما ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ : مصطفين فإنه أهيب في عين الرائين، وهذا قول بعض السحرة لبعضهم ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ : فاز

(١) خيفة من فرعون، عن ابن عباس نجواهم إن غلبنا موسى اتبعناه/١٢وجيز.

من غلب، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ ، بعدما جمعوا كيدهم وأتوا، ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ : عصاك أولا، ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ، ما بعد أن منصوب بمحذوف أي: اختر إلقاءك أو إلقاءنا أو مرفوع أي: الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا. ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ ، قيل: لما علم ميلهم إلى البدء أمرهم به وليشعر علية تغيير نظمهم عن إما أن تلقي إلى أو أن نكون أول من ألقى ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾ ، إذا للمفاجأة أي: فألقوا فإذا حبالهم ﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾ ، جمع عصى ﴿يُخَيَّلُ[1] إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ ، وتحريكها ما كان إلا بحيلة وحاصل الكلام فألقوا ففاجأ موسى تخيله وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم ومن قرأ تخيل بالتاء فقوله: أنها تسعى بدل اشتمال من ضميره الراجع إلى الحبال والعصى قيل لطخوا بالزئبق فلما ضربت عليهما الشمس اضطربت. ﴿فَأَوْجَسَ﴾ : أضمر ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ : من أن يلتبس الأمر على القوم فلا يتبعونه وقيل من : طبع البشرية ظن أنها تقصده﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ ، وهذا مشعر ومؤيد للوجه الأول، وإلا فالمناسب أن يقال لا تخف إنك آمن ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ لم يقل عصاك تحقيرًا لها أي العويدة التي في يدك ولا تبال بعصيهم ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع جواب الأمر وقراءة تلقف بالرفع أي: تتلقف فبالحال أو الاستئناف. ﴿مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ أي: إن الذي زوروا ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ ، وحد الساحر لأن المراد به الجنس، وقراءة سِحْرٍ كعِلْمُ فِقْهٍ بأن الإضافة للبيان أو جعل الساحر سحر للمبالغة ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ : حيث كان ﴿فَأُلْقِيَ[2] السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾

---

(١) ولما كان المتبادر من نسبة السعي والمشي إلى شيء أنه مختار مريد نفى عنه السعي إلا بالتخييل/١٢.

(٢) قال صاحب الكشاف: سبحان الله ما أعجب أمرهم! قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رءوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الالتفات/١٢ فتح.

أي: ألقى موسى عصاه فتلقفت فألقى ذلك السحرة على وجوههم ساجدين لله ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾، وعن بعض لما سجدوا رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ أي: لموسى واللام لتضمين معنى الاتباع ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾: في اتباعه ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾: أستاذكم ﴿الَّذِي[1] عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أي: مختلفات من اليد اليمنى ومن الرجل اليسرى، ومن للابتداء، فإن القطع ناشئ من مخالفة العضو العضو. أي: من وضع المخالفة فقد لابس المخالفة أيضًا وقيل من أجل خلاف ظهر منكم ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: عليها شبه تمكن المصلوب بالجذوع بيتمكن المظروف بالظرف، فقال: في جذوع ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾: أنا أو موسى وأراد به الهزء فإنه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل أينا أي: أنا أو رب موسى الذي آمنتم به ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾: نختارك، ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا﴾ الضمير لما ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾، عطف على ما جاءنا وقيل قسم ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: قاضيه يعني اصنع ما تصنع ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنما لك تسلط في دار الزوال ونحن قد رغبنا في دار القرار ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ[2]﴾ أخذ فرعون أربعين غلامًا من بني إسرائيل، وأمر بتعليم

---

(١) فإنه حين رأى ما رأى من المعجزة، ورأى قد آمن من استنصر به بحضرة الناس، شرع في المكابرة والبهت يقول: يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه كذب مختلق ثم هددهم فقال: "فلأقطعن" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) إكراهه إياهم على معارضة موسى مع علمهم أنه ليس بساحر فإنهم لما رأو أن عصاه يحرسه وهو نائم قالوا لفرعون إنه ليس بساحر، فأبى إلا المعارضة، وليس في القرآن ما يدل على أنه أنفذ وعيده فيهم، بل الظاهر أن الله سلمهم منه، قال تعالى: "أنتما ومن اتبعكما الغالبون" (القصص:٣٥)، هذا ما في الوجيز قال أبو السعود: قال =

السحر لهم كارهين، وهم الذين قالوا ذلك، وقيل لما رأى السحرة عصاه يحرس موسى وهو نائم قالوا لفرعون: إن هذا ليس بساحر فأبى إلا المعارضة **﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾** : جزاءً أو لنا منك **﴿وَأَبْقَى﴾** عقابا أو لنا فإنك فان. **﴿إِنَّهُ﴾** الضمير للشأن **﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾** : بأن يموت كافرًا **﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا﴾** : فيستريح **﴿وَلا يَحْيَى﴾** : حياة مرضية وهذه الجملة إما من تمام قول السحرة وإما ابتداء كلام من الله، وفي مسلم[1] وغيره وإما أناس تصيبهم النار بذنوبهم، وليسوا من أهلها فيميتهم إماتة حتى يصيروا فحمًا يقوم الشفعاء فيشفعون فيؤتى بهم نهرًا يقال له الحياة فينبتون كما ينبت الغثاء في حميل السيل. **﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾** وفي مسند أحمد والترمذي: قال عليه السلام: "في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة"[*]. **﴿جَنَّاتُ**

= المفسرون: وليس في القرآن أن فرعون فعل بالسحرة ما هددهم به و لم يثبت في الأخبار أيضًا/١٢.

(١) أخرج أحمد ومسلم وابن أبي حاتم وغيرهم عن أبي سعيد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطب فأتى على هذه الآية فقال: "أما أهلها الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين ليسوا أهلها فإن النار تميتهم إماتة ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فيؤتى بهم ضبائر (الجماعات) على نهر يقال له الحياة أو الحيوان فينبتون كما ينبت الغثاء في حميل السيل" /١٢فتح.[أخرجه أحمد (٣١٦/٥) والترمذي (٢٦٦٤)، والبيهقي في "السنن الكبرى"، (١٥/٩) وغيرهم. وصححه الحاكم (٨٠/١) وأقره الذهبي، وهو كما قالا، وانظر صحيح الترمذي (٢٠٥٦)، والسلسلة الصحيحة .]

(*) أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١/ ٤٤٦،٤٤٥). ط الشعب.

عَدْنٍ﴾ ، بدل من الدرجات **﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾** : تطهر من أدناس المعاصي.

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ﴾ ، أن مفسرة أو مصدرية **﴿بِعِبَادِي﴾** : من مصر **﴿فَاضْرِبْ﴾** : اتخذ واجعل **﴿لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾** : بأن تضرب البحر بعصاك

﴿يَبَسًا﴾ أي: طريقًا يابسًا ﴿لا تَخَافُ دَرَكًا﴾ أي: من أن يدركك فرعون حال من ضمير فاضرب، أو صفة ثانية لطريقًا، أي: طريقًا لا تخاف فيه ﴿وَلا تَخْشَى﴾، من قرأ لا تخف بالجزم[1] فلا تخشى إما استئناف، أي: وأنت لا تخشى، أو عطف على لا تخف والألف زائدة للفاصلة كالظنونا ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ حين أسرى موسى ببني إسرائيل من مصر، وثاني مفعوليه محذوف، أي: أتبعهم فرعون نفسه متلبسا بجنوده أو الياء صلة، أي: أتبعهم جنوده وقيل أتبع بمعنى[2] اتبع ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ : في هذا الإبهام من التفخيم ما لا يخفى ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ : رد عليه حيث قال: "وما أهديكم إلا سبيل الرشاد" (غافر:٢٩) ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ، خطاب لهم بعد إهلاك فرعون على إضمار قلنا ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ[3] مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ[4]﴾ لمناجاة نبيكم، وإنزال التوراة عليكم ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ شيء مثل الترنجبين من السماء يترل عليهم ﴿وَالسَّلْوَى﴾ : طائر يسقط عليهم فيأخذون بقدر الحاجة، وذلك في التيه ﴿كُلُوا﴾ أي: قائلين كلوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ : من لذائذه أو حلالاته ﴿وَلا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ : بأن تكفروا نعمتي فتنفقوا في معصيتي ولم تشكروا ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ : يلزمكم، ومن قرأ يَحُلّ فمعناه يترل ﴿غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ[5] عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾: هلك، وعن ابن

---

(١) على أنه جواب الأمر/ ١٢منه.

(٢) والباء حينئذ للتعدية، والقراءة باتبع يؤيده/١٢منه.

(٣) ذكر سبحانه ما أنعم به على بني إسرائيل بعد إنجائهم وفي هذا الترتيب غاية الحسن حيث قدم تذكير نعمة الإنجاء ثم النعمة الدينية ثم النعمة الدنيوية/١٢فتح.

(٤) من قرأ الأيمن بالجر فهو من جر الجوار نحو: "جحرُ ضبٍّ خربٍ"/ ١٢منه.

(٥) يحلل بكسر اللام من حل الدين إذا وجب وحان وقت أدائه، وبضم اللام من الحلول بمعنى الترول/١٢منه.

عباس[1] في جهنم قصر يرمى الكافر من أعلاه فيهوى أربعين خريفًا قبل أن يبلغ الصلصال، وذلك قوله :"فقد هوى"، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾: عن الشرك، ﴿وَآمَنَ﴾: بما يجب الإيمان به، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾: استقام على الطريق المستقيم ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها، وهو مبتدأ أو خبر ﴿عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ﴾، وذلك حين اختار سبعين رجلا من قومه فذهبوا إلى الطور للمناجاة وأخذ التوراة، فعجل من بينهم شوقا إلى ربه، وتقدم وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل قال مجيبا لربه: ﴿هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ أي: هم بالقرب مني "وعلى أثرى" إما حال أو خبر بعد خبر، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى[2]﴾ : لتزدد عني رضا فإن المسارعة إلى امتثال الأمر أمثل، ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ الذين خلفتهم مع هارون، وهم ستمائة ألف إلا السبعين الذين اختارهم للمناجاة ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾ : بعد خروجك ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ[3]﴾ : بأن دعاهم إلى عبادة العجل بعد اتخاذهم ﴿فَرَجَعَ مُوسَى[4] إِلَى قَوْمِهِ﴾ : بعد أخذ التوراة ﴿غَضْبَانَ﴾:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم/١٢منه.

(٢) كأنه قال: ما تقدمت عليهم إلا بقدر يسير يتقدم بمثله الرفقة بعضها فما يعد هذا من العجلة، وأيضًا طلبت في تلك العجلة رضاك/١٢منه.

(٣) وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في دين بني إسرائيل في الظاهر وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر، وكان من قبيلة تعرف بالسامرة، وقيل: كان من القبط، وقيل: كان علجا من علوج كرمان رفع إلى مصر، وكان جارًا لموسى وآمن به واسمه موسى بن ظفر، وكان منافقًا فقال لمن معه من بني إسرائيل: إنما تخلف موسى عن الميعاد الذي بينكم وبينه لما صار معكم من الحلي، وهي حرام عليكم وأمرهم بإلقاءها في النار وكان من أمر العجل ما كان/ ١٢فتح.

(٤) روى أنه لما رجع موسى سمع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل فقال: هذا صوت الفتنة، وفي القرطبي وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي عن جماعة يجتمعون، =

عليهم ﴿أَسِفًا﴾ الأَسِفُ الشديد الغضب أو الحزين، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ بأن يعطيكم التوراة، ووعدكم على لساني خير الدارين ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ أي: الزمان في انتظار ما وعدكم الله ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ أي: وعدكم إياي بالثبوت على الدين واتباع هارون ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ : عن قدرتنا واختيارنا، ولو لم يسول لنا السامري لما أخلفناه ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ : حمالا، ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ : من حلي القبط ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ : في النار وذلك أنهم لما خرجوا[1] من مصر كانت معهم ودائع من حلي آل فرعون، فقال هارون: "لا يحل لكم الوديعة، ولسنا برآدين إليهم"، فأمرهم أن يقذفوها في حفيرة ويوقد عليها النار، فلا تكون الودائع لنا ولا لهم أو أمرهم بذلك ليصير الحلي كحجر واحد حتى يرى فيها موسى حين رجوعه

= ويكثرون من ذكر الله، وذكر رسوله -صلى الله عليه وسلم- ثم إنهم يضربون بالقضيب على شيء من الطبل ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه، ويحضرون شيئًا يأكلونه فهل الحضور معهم جائز أم لا؟ فأجاب: يرحمك الله! مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدًا له خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون وهو دين الكفار عباد العجل وأما الطبل فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وإنما كان مجلس النبي مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان، ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة، والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين. انتهى/ ١٢فتح.

(١) رواه النسائي في سننه عن ابن عباس في حديث طويل وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢منه.

ما يشاء، وقيل الآمر بذلك السامري لا هارون ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ أي: أراهم أنه أيضًا ألقى حليًا في يده وإنما ألقى التربة التي أخذها من تربة حافر فرس جبريل ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ : من تلك الحلي المذاب، ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ : صوت العجل عن ابن عباس، لا والله ما كان له صوت، وليس له روح إنما كانت تدخل الريح في دبره وتخرج من فيه، والصوت من ذلك[1] ﴿فَقَالُوا﴾ أي: السامري والضلال منهم: ﴿هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ أي: فنسيه موسى هاهنا، وذهب يطلبه، أو فنسي أن يذكركم أن هذا إلهكم أو فنسي السامري ما كان عليه من الإسلام وتركه ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ ، من كلام الله ردًّا عليهم، وبيانًا لسخافة رأيهم ﴿أَلَّا يَرْجِعُ﴾ أي: أنه لا يرجع ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ : لا يجيبهم، ولا يكلمهم ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ : لا يقدر على إضرارهم وإنفاعهم أو على دفع ضرهم، وإيصال نفعهم.

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى

---

(١) وفيه بحث لأنه إذا لم يكن له حياة فليس لقبض التراب من أثر جبريل فائدة كما ذكرنا في سورة الأعراف/١٢وجيز.

ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ[1] مِنْ قَبْلُ﴾ : قبل رجوع موسى، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ : ابتليتم بالعجل، ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ : لا العجل، ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ : في الثبات على الدين ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾ : لن نزال ﴿عَلَيْهِ﴾ على العجل بأن نعبده ﴿عَاكِفِينَ﴾ : مقيمين ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى قَالَ﴾ : موسى بعدما

---

(١) اعلم أن هارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه لأنه زجرهم عن الباطل أولا بقوله: "إنما فتنتم به" ثم دعاهم إلى معرفة الله تعالى ثانيًا بقوله: "وإن ربكم الرحمن" ثم دعاهم ثالثًا إلىمعرفة النبوة بقوله: "فاتبعوني" ثم دعاهم إلى الشرائع رابعًا بقوله: "وأطيعوا أمري" وهذا هو الترتيب الجيد لأنه لابد قبل كل شيء من إماطة الأذى عن الطريق وهو إزالة الشبهات ثم معرفة الله تعالى، فإنها هي الأصل ثم النبوة ثم الشريعة ثم إنهم لجهلهم قابلوا هذا الترتيب الحسن في الاستدلال بالتقليد والجحود فقالوا: "لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى" كأنهم قالوا: لا نقبل حجتك ولكن نقبل قول موسى وعادة المقلد ليس إلا ذاك/١٢كبير.

رجع: ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ : بعبادة غير الله ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ أي: عن أن تأتي عقبي فتخبرني عن ما أحدثوا، أو عن أن تتبعني في الغضب لله، والمقاتلة معهم، ولا مزيدة على الوجهين نحو "ما منعك أن لا تسجد" (الأعراف:١٢)،﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ، حيث وصيتك آخلفني ولا تتبع سبيل المفسدين، فرضيت، وسكنت وسكت ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿يَا ابْنَؤُمَّ﴾ ذكر الأم مع أنهما أخوان من أبوين، لأن ذكرها أرق وأبلغ في الحنو،﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ أي: بشعره فإنه كان عليه السلام شديد الغضب لله متصلبا لم يتمالك حين رآهم مشركين ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: خشيت لو فارقتهم ليتفرقوا، وخشيت لو قاتلتهم لصاروا أحزابًا مقاتلين بعضهم بعضًا، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ حين قلت اخلفني في قومي وأصلح أي: ارفق بهم ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ ، ثم أقبل إليه، وقال له منكرًا ما طلبك[1] له، وما شأنك، وما الذي حملك عليه ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ : علمت، وفطنت ما لم يعلموه، و لم يفطنوا له ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ أي: مرة من القبض أطلق على المقبوض ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي: من تربة موطئ فرس جبريل، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ : ألقيتها في الحلي المذاب نقل أن السامري كان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادته في نفسه، فلما رأى جبريل حين جاء لهلاك فرعون أخذ قبضة من أثر فرسه وألقى في روعه[2] إنك إن ألقيتها في شيء فقلت له كن فكان، وعن بعض أخذ التراب حين جاء جبريل ليذهب بموسى إلى المناجاة ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾ : زينت، ﴿لِي نَفْسِي قَالَ﴾ : موسى له، ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ : ما دمت حيًّا، ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ : مع كل من جاء إليك ﴿لَا مِسَاسَ[1]﴾ لا

---

(١) من خطب الشيءإذاطلبه/١٢وجيز.

(٢) وفي الوجيز وألقى الشيطان في خاطره/ ١٢.

ما دمت حيًّا، ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ : مع كل من جاء إليك ﴿لا مِسَاسَ[1]﴾ لا مخالطة بوجه فتكون وحشيًا نافرًا منفردًا فإنه إذا اتفق أن يماس أحدًا حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ : لعذابك ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ : لن يخلفك الله و ينجزه لك البتة، ومن قرأ بكسر اللام فهو من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ : ظللت بحذف اللام الأولى ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ : مقيما على عبادته ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ : بالنار فإنه صار لحمًا ودمًا أو بالمبرد[2] فهو مبالغة في حرقه إذا برد بالمبرد ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾ : لنذرينه رمادا أو مبرودًا ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ : وقد ذكر أنه لم يشرب أحد ممن عبده من ذلك الماء إلا اصفر وجهه كالذهب، ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ، نصبه بالتمييز أي: وسع علمه كل شيء لا العجل الذي هو مثل في الغباوة، ولو كان حيًّا ﴿كَذَلِكَ﴾ : مثل ذلك الاقتصاص ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾ : أخبار، ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ : من الأحوال تبصرة لك، وتنبيهًا ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا[3]﴾ : ذكرا كتابا مشتملا على ذكر أمور محتاج إليها، ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ : فلم يؤمن به و لم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُ﴾ ، الضمير للشأن ﴿يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ : عقوبة ثقيلة، ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ : في الوزر، وإفراد أعرض وجمع خالدين نظرًا إلى اللفظ والمعنى ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِملا﴾ : ساء بمعنى بئس، وفيه ضمير مبهم يفسره حملا، والمخصوص بالذم محذوف أي : ساء حملا

---

(١) وهذه الآية أصل في نفي أهل البدع، والمعاصي، وهجرانهم وأن لا يخالطوا قاله الكرخي/ ١٢فتح.

(٢) نقله أبو حاتم عن علي بن أبي طالب، ونقل الضحاك عن ابن عباس فإن مآل الحرق تفتت الشيء، وإذا برد بالمبرد يكون مثل الحرق/١٢وجيز.

(٣) وتنوين ذكرًا للتعظيم/١٢

وزرهم واللام كهيت لك للبيان ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ : زرق[1] العيون قبيح المنظر وقيل: عميا فإن حدقة الأعمى تزرق ﴿يَتَخَافَتُونَ[2]﴾ : يتشاورون، ﴿بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ :ما لبثتم في الدنيا ﴿إِلا عَشْرًا﴾ : عشر ليال استقصروا مدة مكثهم فيها مع أهم آثروها على الباقي الدائم فتأسفوا عليها، وقيل: المراد مدة مكثهم في القبر أو مرادهم ما بين النفختين وهو أربعون سنة يرفع عنهم العذاب في تلك المدة استقصروها لهول ما عاينوا من القيامة ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾ : منهم، ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ : في حال تناجيهم، ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ : أعدلهم رأيا وقولا ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا[3]﴾.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا

---

(١) والزرقة أبغض ألوان العيون، والعرب تتشاءم به/١٢وجيز.

(٢) فإن الهول مخفض أصواقم، فلا يقدرون على رفع الصوت/١٢وجيز.

(٣) لما وصف أمر يوم القيامة حكى سؤال من لم يؤمن بالحشر فقال: "ويسألونك عن الجبال" الآية. والسائل منكر الحشر/١٢وجيز مع الكبير.

تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ : يا محمد ﴿عَنِ الْجِبَالِ﴾ : هل تبقى يوم القيامة أو تزول، ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا﴾ : يقلعها من أصلها ﴿رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا﴾ : يدع أماكنها ومقارها من الأرض، ﴿قَاعًا﴾ : منبسطا من الأرض ﴿صَفْصَفًا﴾ : ملساء منصوبان بالحال، ﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ : اعوجاجا[1] قليلا لا يدرك إلا بالقياس ﴿وَلا أَمْتًا﴾ : نتوءًا أي: لا واديا ولا رابية ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ : يوم إذ نسفت ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ : حيث ما أمرهم بادروا إليه أو الداعي[2] إلى المحشر ﴿لا عِوَجَ لَهُ﴾ : لا يعوج له مدعوّ ولا يعدل[3] عنه ﴿وَخَشَعَتِ﴾ : سكنت أو خفضت ﴿الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ : لمهابته، ﴿فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا﴾ : صوت[4] وطء أقدامهم إلى المحشر أو صوتا خفيًّا ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا[5]﴾ : شفاعة ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ[6]﴾ ، أو لا تنفع الشفاعة

---

(١) فإن العوج بكسر العين ما هو في المعاني تنفى في الأرض ما دق فألحقه بالمعاني/١٢.

(٢) وقد ورد أن إسرافيل يقوم على صخرة ببيت المقدس يدعو الناس يضع الصور في فيه قائلا: أيتها العظام البالية، والجلود المتمزقة اللحوم المتفرقة هلموا إلى العرض على الرحمن/١٢

(٣) بل يسمع دعاءه جميعهم لا يميل إلى ناس ولا إلى جانب/١٢وجيز.

(٤) نقل عن ابن عباس وكثير من السلف/١٢وجيز.

(٥) فالاستثناء مرفوع بالبدلية/١٢.

(٦) فيه أنه لا شفاعة إلا بعد إذن الله وأنه تعالى لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله وأنه تعالى لا يرضى إلا التوحيد ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد كما صرحت بذلك النصوص فروى البخاري عن أبي هريرة مرفوعًا "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه"، وعن عوف بن مالك

أحدًا[1] إلا من أذن في أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا[2]﴾ : رضي الله قوله عن ابن عباس يعني من قال لا إله إلا الله، أو رضى قوله لأجله أو رضي لمكانته عند الله قوله في الشفاعة،

= قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا" رواه الترمذي وابن ماجه فأسعد الناس بشفاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من التعلقات الشركية، وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال تعالى: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" (الأنبياء:٢٨)، وأما الشرك فإنه لا يرتضيه، ولا يرضى قوله، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فإنه سبحانه علقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه لشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة قاله الشوكاني/١٢.

(١) فهو منصوب على المفعولية.

(٢) قوله "ورضي له قولا" قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني قدس الله سره العزيز في بعض فتواه: وللناس في الشفاعة أنواع من الضلال قد بسطت في غير هذا الموضع فكثير منهم يظن أن الشفاعة هي بسبب اتصال الشافع بالمشفوع له كما ذكر ذلك أبو حامد وغيره، ويقولون: من كان أكثر صلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أحق بالشفاعة من غيره، وكذلك من كان أحس ظنًا بشخص، وأكثر تعظيمًا له كان أحق بشفاعته، وهذا غلط، بل هذا هو قول المشركين الذين قالوا نتولى الملائكة ليشفعوا لنا يظنون أن من أحب أحدًا من الملائكة والأنبياء والصالحين وتولاه كان ذلك سببًا لشفاعته له، وليس كذلك، بل الشفاعة سببها توحيد الله وإخلاص الدين له، فكل من كان أعظم إخلاصًا كان أحق بالشفاعة كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة، فإن الشفاعة من الله مبدؤها، وعلى الله تمامها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع،وهو الذي يقبل شفاعته وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي بها يرحم الله من رحمه من عباده وأحق الناس برحمته أهل التوحيد، والإخلاص له، فكل من كان أكملَ في تحقيق كلمة الإخلاص -لا إله إلا الله- كان أحق بالرحمة، =

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ : ما تقدمهم من الأحوال، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما يستقبلون يعني أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾: لا يحيط علمهم بمعلومات الله أو الضمير للموصول ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت وذلت، ﴿الْوُجُوهُ[1]﴾ : وجوه العالمين ﴿لِلْحَيِّ﴾ : الذي لا يموت ﴿الْقَيُّومِ﴾ : الذي هو قيم كل شيء، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ : من أشرك بالله فإن الشرك لظلم عظيم ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ : بعض الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ : إذ الإيمان شرط صحة الطاعة ﴿فَلا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ : بأن يزاد على سيئاته، ﴿وَلا هَضْمًا﴾ : بأن ينقص[2] من حسناته، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإنزال عطف على كذلك نقص، ﴿أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ : كررنا، ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ : من المعاصي أي ليكونوا بحيث يرجى منهم التقوى، ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ : القرآن ﴿ذِكْرًا﴾ : عظة واعتبارًا بذكر العقاب للأمم الماضية فيشغلهم عن المعاصي ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ : جل[3] الله في ذاته

= والمذنبون الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم فخفت موازينهم فاستحقوا النار من كان منهم من أهل لا إله إلا الله فإن النار تصيبه بذنوبه، ويميته الله تعالى إماتة فتحرقه إلا موضع السجود، ثم يخرجه الله من النار بالشفاعة ويدخله الجنة كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة فبين أن مدار الأمر كله على كلمة الإخلاص وهي -لا إله إلا الله- لا على الشرك كما ظنه الجاهلون، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع انتهى/.

(١) صارت عانية ذليلة كوجوه العانية يعني الأسارى/١٢وجيز.

(٢) كذا فسره ابن عباس، ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف نقله المفسرون وصححه الشيخ الناقد عماد الدين بن كثير في تفسيره/١٢وجيز.

(٣) لما بين أنه متعال عن كل ما لا ينبغي، وأنه موصوف بالإحسان والرحمة ومن كان كذلك وجب أن يصون رسوله عن السهو والنسيان في أمر الوحي فقال: "ولا تعجل بالقرآن" الآية/ ١٢كبير.

وصفاته، **﴿الْمَلِك﴾**: الذي جميع الكائنات تحت سلطانه، **﴿الْحَقُّ﴾** : وعده ووعيده، أو الثابت في ذاته وصفاته، **﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾** أي: بقراءته **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾** أي: لا تقرأه حين يقرأ جبريل، بل أنصت فإذا أتم قراءته عليك فاقرأه بعده، وعن بعض: لا تبلغ، ولا تمله على أصحابك حتى يتبين لك معانيه **﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾**: بالقرآن ومعانيه، **﴿وَلَقَدْ[1] عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾** : أمرناه، يقال في وصايا الملوك وأوامرهم عهد إليه، وعزم عليه، **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** : قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي فكذبوك **﴿فَنَسِيَ﴾** أي: وصيناه أن لا يقرب الشجرة فترك ما وصى به، وقيل: لم يعتن بالعهد حتى غفل عنه، **﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا[2]﴾** : تصميم رأى حيث أطاع عدوه، والوجود إن كان بمعنى العلم فله عزمًا مفعولاه، وإن كان بمعنى الوجود المناقض للعدم فله إما ظرف لغو، أو حال من عزما .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ

(١) لما تقدم قوله: "كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق" ذكر قصة آدم إنجازًا للوعد، وأيضًا لما قال: "لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا" أردفه بهذه القصة كأنه قال إن طاعة بني آدم للشيطان، وتركهم التحفظ من وساوسه أمر قديم فإنا عهدنا إلى آدم من قبل، وبالغنا في تنبيهه حيث قلنا له: "إن هذا عدو لك ولزوجك" ثم إنه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد، وأيضا لما قال و"قل ربي زدني علما" ذكر بعده قصة آدم لتدل على ضعف قوة البشرية عن التحفظ فيحتاج حينئذ إلى الاستعانة بربه في أن يوفقه لتحصيل العلم ويجنبه عن السهو والنسيان/ ١٢كبير ملخصًا.

(٢) قيل: لم نجد له عزمًا على الذنب، بل وقع منه خطأ/ ١٢وجيز.

كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾

﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ**﴾ أي: اذكر حاله في ذلك الوقت حتى تعلم أنه ترك المأمور و لم يكن ذا عزم، ﴿**فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ أَبَى**﴾، مستأنفة أي: أظهر الإباء واستكبر ﴿**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا**﴾ يعني: كونا على وجه لا يؤثر فيكما غوايته ﴿**مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**﴾ : فتتعب في طلب رزقك، فإنك هاهنا في عيش رغيد بلا كلفة، وأسند الشقاء إليه وحده لأن طلب الرزق على الرجل، ﴿**إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ**[1] **فِيهَا وَلا تَعْرَى وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ**[2] **فِيهَا**﴾ ، من قرأ أنك بالفتح فهو عطف على أن لا تجوع قال أبو البقاء: تقع أن المفتوحة معمولة للمكسورة لما فصل بينهما، نحو: إن عندنا أن زيدًا منطلق، وعلى أي حال جاز في المعطوف عليه ما لا يجوز في المعطوف ﴿**وَلا تَضْحَى**﴾ : لا تصيبك الشمس وأذاها ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ**﴾ أي: شجرة من أكل منها صار مخلدًا لا يموت ﴿**وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**﴾ : لا يزول، ﴿**فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا**﴾ أي: أخذ يلزقان على سوآهما للتستر ﴿**مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾ عن ابن عباس ذاك ورق التين، ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ**﴾ : بأن خالف أمره، ﴿**فَغَوَى**﴾ : أخطأ طريق الحق، و لم ينل مراده، ويجوز أن يقال "وعصى آدم" ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه لا يقال عاص إلا لمن اعتاد العصيان كما لا يقال لمن خاط ثوبه مرة خياط ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ**﴾ : اصطفاه، ﴿**فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾ : قبل توبته ﴿**وَهَدَى**[3]﴾ : هداه إلى الثبات على التوبة ﴿**قَالَ**﴾ الله: ﴿**اهْبِطَا**[4]

---

(١) وليس فيها جوع، وإنما طعامها كالفواكه في الدنيا لا يرغب فيها إلا للذة/١٢ وجيز.

(٢) الجوع خلو الباطن، والعري خلو الظاهر، والظمأ إحراق الباطن والضحى إحراق الظاهر فالمراد ليس لك ضرر لا ظاهرًا ولا باطنًا/١٢وجيز.

(٣) هداه إلى الثبات عليها بعد مدة وشدة وخضوع وخشوع وندامة وسآمة وملالة، وملامة ١٢وجيز.

(٤) الضمير لآدم وحواء وقيل: له ولإبليس/١٢منه.

﴿منْهَا﴾ : من الجنة والهبوط النزول إلى الأرض ﴿جَميعًا﴾ ، لما كانا أصلي البشر خاطبهما مخاطبتهم ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ : متعادين بالحسد وأنواع العـــداوات ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ منِّي هُدًى﴾ : كتاب ورسول ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ﴾ : في الدنيا، ﴿وَلا يَشْقَى[1]﴾ :في الآخرة الشرط الثاني مع جوابه جواب للشرط الأول، وما مزيدة أكدت به "إن" التي للشك وعلم منه أن إرسال الرسل غير واجـــب عقلا، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذكْرِي﴾ : عـــن اتباع القرآن، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ، المراد عذاب القبر[2]، وقد ورد أن المعيشة الضنك أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية، ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة[3] أو في الدنيا بأن لا طمأنينة له فلا يزال في نصب من خوف القلة وما برح في تعب من هم إلا زيد في الدنيا أخذت بمجامع همه[4] أو في النار، والضنك الضيق مصدر وصف به يستوى فيه المذكر والمؤنث ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقيَامَة أَعْمَى﴾ : أعمى البصر أو لا حجة[5] له ﴿قَالَ رَبِّ لمَ حَشَرْتَني أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصيرًا قَالَ كَذَلكَ﴾ : مثل ذلك فعلت أنت ثم فسره فقال: ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسيتَهَا﴾ : تركتها وأعرضت عنها، ﴿وَكَذَلكَ﴾ : مثل تركك إياها ﴿الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ : تترك على عماك ﴿وَكَذَلكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ : في مخالفة الله ، ﴿وَلَمْ يُؤْمنْ بِآيَات رَبِّه وَلَعَذَابُ الآخرَة أَشَدُّ﴾ : من ضنك العيش، ﴿وَأَبْقَى﴾ قيل: معناه عذاب الآخرة بعد العمى، وهو النار أشـــد وأبقـــى ﴿أَفَلَمْ يَهْد لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ منَ الْقُرُون﴾ ، فاعل "يهد" جملة "كم أهلكنا"

---

(١) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية/ ١٢معالم.

(٢) قاله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد رضي الله عنهم- ونقله البزار عن رسول الله ﷺ بإسناد جيد/١٢منه.[أخرجه الحافظ ابن كثير في "تفسيره"، (١٧٠/٣) من طريق البزار من حديث أبي هريرة مرفوعا، وقال: "إسناد جيد"، وذكره الهيثمي في "المجمع" (٦٧/٧) عن ابن مسعود من قوله وقال:"رواه الطبراني وفيه المسعودي وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات".]

(٣) قاله ابن عباس رضي الله عنه- وقال الضحاك العمل السيء، والرزق الخبيث/١٢ منه.[أخرجه البزار من طريق محمد بن عمرو حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ابن حجيرة عن أبي هريرة مرفوعا كما في تفسير ابن كثير (١٧٠/٣)، وذكره الهيثمي في "المجمع"، (٦٧/٧) وقال: "رواه البزار وفيه من لم أعرفه".]

(٤) قال الحسن هو الزقوم، والضريع والغسلين في النار/ ١٢منه.

(٥) قاله أبو صالح ومجاهد والسدي/ ١٢منه.

بواسطة مضمونها أي كثرة إهلاكنا لأن كم لا يعمل فيه ما قبله أو فاعله[1] ضمير الله، والجملة في تأويل المفعول أي: أفلم يبين الله لهم مضمون هذه الجملة، وعند البصريين فاعله مضمر يفسره كم أهلكنا ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾، والحال إنهم يترددو نفي مساكنهم الخالية حين سفرهم إلى الشام فإن ديار ثمود ولوط بين الشام ومكة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى[2]﴾: لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ : حكم بتأخير عذابهم، ﴿لَكَانَ لِزَامًا[3]﴾ : لكان العذاب لازمًا لهم كما لزم الكفار الماضية، وهو مصدر لازم وصف به ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ عطف على كلمة أي لولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم، والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب، وقيل عطف على ضمير كان أي: لكان العذاب العاجل وأجل مسمى لازمين لهم، ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ المراد

---

(١) ويدل على ذلك قراءة نهد بالنون/ ١٢منه.

(٢) ثم بين الوجه الذي لأجله لا يترل العذاب معجلا على من كفر بالقرآن فقال: "ولولا كلمة سبقت من ربك" الآية/ ١٢وجيز.

(٣) وقيل اسم آلة فيكون فعالا بمعنى مفعل أي ظرفا سمى به اللازم لفرط لزومه/١٢منه.

من التسبيح الصلاة(١)، وقيل على ظاهره، وبحمد ربك في موضع الحال ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ : الصبح، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ : العصر، وقيل الظهر والعصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ(٢) اللَّيْلِ﴾ : ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: التهجد أو المغرب والعشاء، وتقديم من آناء الليل لاختصاصه بمزيد مزية فإن أفضل الطاعات(٣) أحمزها(*) والليل للاستراحة، والنفس فيه مولعة إلى النوم والعبادة فيه أبعد من الرياء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ يعني: التطوع في أجزاء النهار كالتهجد في آناء الليل أو صلاة الظهر فإنها نهاية النصف الأول وبداية النصف الأخير ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ أي: سبح في تلك الأوقات طمعًا في أن تنال ما به رضاك من المقام المحمود ﴿وَلا تَمُدَّنَّ﴾ :نظر، ﴿عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ : نظر استحسان وغبطة، ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾: أصنافًا من الكفرة، وقيل منهم مفعول متعنا، و"أزواجًا" حال من ضمير به ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : زينة وبهجة زائلة، نصب على الضم نحو، أتاني زيد الفاسق، أو ثاني مفعولي متعنا لتضمن معنى الإعطاء ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ : نختبرهم، ﴿فِيهِ﴾ أو لنجعل ذلك فتنة وبلاء لهم لأن يمدوا في طغياهم ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ : في المعاد أو ما رزقك من العلم والنبوة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى(٤) وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ : أهل بيتك أو أمتك ﴿بِالصَّلاةِ﴾ ، ولا تهتموا بأمر المعيشة ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ : وداوم، ﴿عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ : أن ترزق أحدًا ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ ، ففرغ بالك للصلاة وفي الحديث إذا أصابه عليه السلام(٥) خصاصة نادى أهله: "يا أهلاه صلوا وصلوا وفي الحديث القدسي: "يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ

---

(١) وعليه أكثر السلف، وقيل: التسبيح مقرونا بالحمد في تلك الأوقات الآتية ذكرها فأما أن يراد أن يقول سبحان الله، والحمد لله أو أريد تنزيهه مع الثناء الجميل من غير قول/١٢وجيز.

(٢) جمع إني بالكسر والقصر/١٢.

(٣) قال الله تعالى: "إن ناشئة الليل هي أشد وطئًا وأقوم قيلا" (المزمل:٦)/ ١٢منه.

(*) أحمزها: أمتنها وأقواها وأشدها، وقيل: أمضها وأشقها. وانظر لسان العرب مادة حمز.

(٤) قال بعض السلف: من ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه ودام عذابه/١٢وجيز.

(٥) نقله ابن أبي حاتم بإسناد جيد وذكره صاحب الفتح وعزاه إلى أحمد والبيهقي وغيرهما/ ١٢. [أخرجه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ثابت مرفوعا كما في الدر المنثور للسيوطي (٥٦١/٤).]

صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا و لم أسد فقرك"(*) ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾: المحمودة، ﴿لِلتَّقْوَى(١)﴾ : لذويه قد نقل أنها نزلت لما استسلف عليه السلام من يهودي فأبى إلا برهن فضاق صدره الأشرف﴿وَقَالُوا﴾ المشركون: ﴿لَوْلا﴾ : هلا، ﴿يَأْتِينَا﴾ : محمد، ﴿بِآيَةٍ﴾ : دالة على رسالته، ﴿مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾، وهي القرآن المعجز الذي هو أعظم المعجزات المهيمن على سائر الكتب السماوية فإن القرآن معجز دون سائر الكتب ظهر على يد أميٍّ لا يعرف القراءة والكتابة، ولا يدارس أهلهما صلى الله عليه وسلم- ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ : محمد، أو القرآن، ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ(٢) إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ : بعذاب الدنيا ﴿وَنَخْزَى﴾ : بعذاب الآخرة ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ أي: كل واحد منا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ : منتظر دوائر الزمان على صاحبه، ﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ : المستقيم، ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ : إلى الحق "من" في الموضعين للاستفهام مبتدأ على أن الفعل معلق عن الجملة الاستفهامية، ولو جوزت حذف صدر الصلة وقررت من هو أصحاب الصراط لجاز أن يكون موصولة أي: من هو أصحاب الصراط؟

والحمد لله رب العالمين

(*) أخرجه الترمذي (٣/٣٠٨)، وأحمد (٢/٣٥٨)، وابن ماجه (٤١٠٧)، وابن حبان (٢٤٧٧) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، وانظر صحيح ابن ماجه (٣٣١٥)، والصحيحة (١٣٥٩).

(١) ولما بين أن عذاب الدنيا والآخرة لمن أسرف ولم يؤمن، ولم يتأمل في آيات الله والآيات ليست إلا لذي النهى ثم توجه إلى نصح حبيبه صلى الله عليه وسلم- عقبه بما يدل على عمههم في الدنيا وأنهم ليسوا من أهل النهى فقال "وقالوا" الآية/ ١٢وجيز.

(٢) قال تعالى "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون"(هود:١١٧) [بالأصل غافلون ولعله قصد آية سورة الأنعام : "ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون" (الأنعام:١٣١)] . ولما طال زمان الفترة وانتشر الكفر فهم غفلة الجميع أو الأكثر/١٢وجيز.

فهرس سور المجلد الثاني